٢١٨/٦
٦/٦

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا
شعبة الدعوة

الدعوة إلى الله تعالى
في
سورة هود عليه السلام

إعداد الطالب

عبد الرحمن بن راجي بن رجاء العوفي

رسالة لنيل شهادة العالمية العالية « الدكتوراة »

إشراف

فضيلة الدكتور/ فتح الرحمن عمر محمد
عضو هيئة التدريس بالدراسات العليا
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المجلد الثاني

١٤١٣هـ/١٩٩٢م

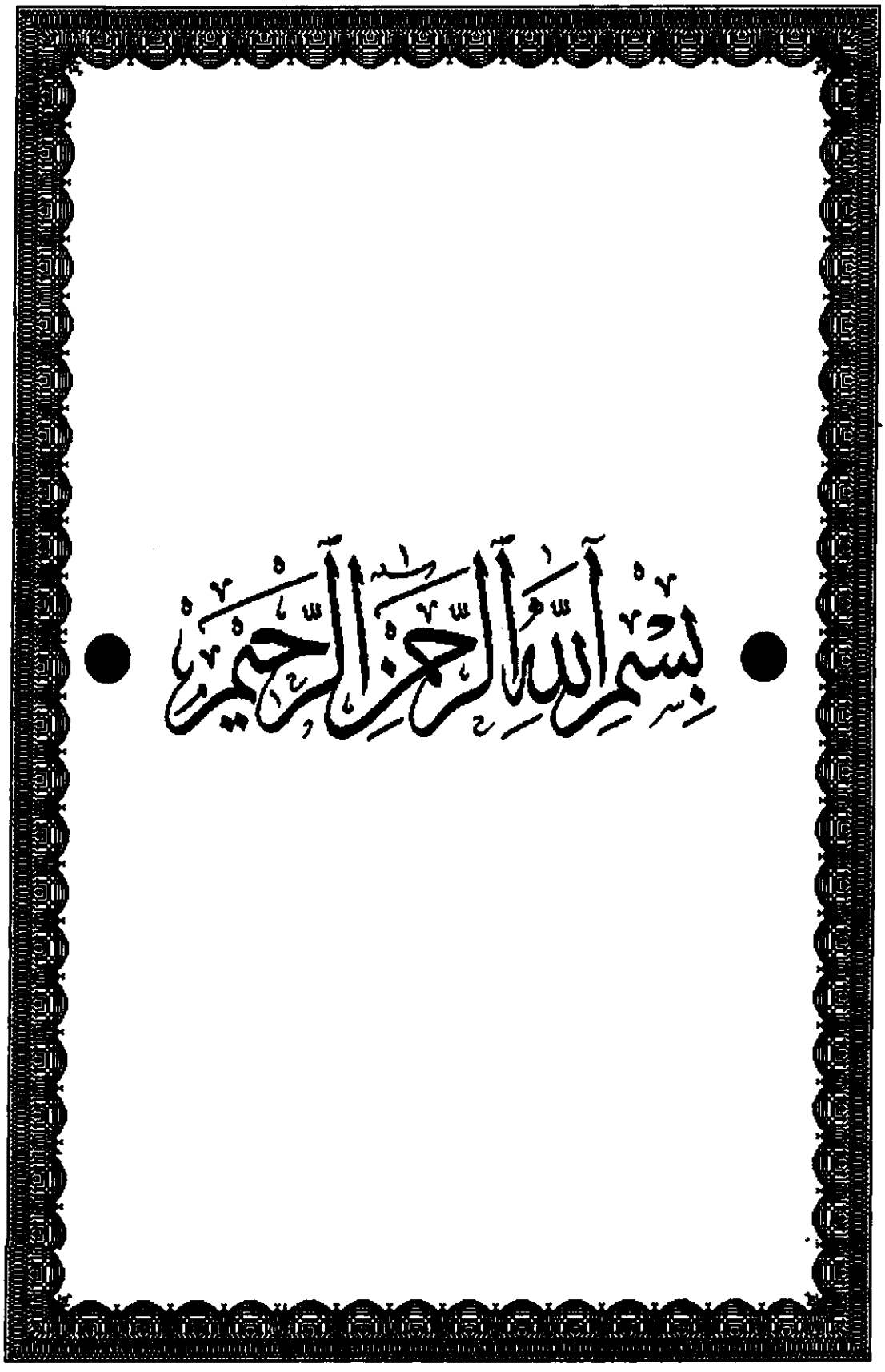
بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثاني

الباب الثالث

دعوة الرسل عليهم السلام واحدة
(وجوه التشابه والاتفاق)

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول : الدعوة إلى توحيد الله تعالى.

الفصل الثاني : الدعوة إلى توحيد الله تعالى بشارة وإنذار.

الفصل الثالث : احتساب الرسل في الدعوة إلى الله تعالى.

الفصل الرابع : الحكمة والرفق من وسائل الدعوة إلى الله تعالى.

الفصل الخامس : بذل الرسل عليهم السلام غاية النصح لأممهم وإشفاقهم عليهم من عاقبة تكذيبهم.

الباب الثالث

الفصل الأول

الدعوة إلى توحيد الله تعالى

الدعوة إلى توحيد الله تعالى هي أصل الدين، وجماع دعوة المرسلين، فما دعا رسول قومه إلى شيء قبله، وما نهاهم عن شيء قبل نقيضه وهو الشرك، كما قال تعالى: ((**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**))(١).

فعلى هذا اجتمعت كلمتهم مع تباعد أقطارهم، واختلاف أوطانهم، وتباين ألسنتهم، وقد جاء في هذه السورة مايبين ذلك أتم بيان بما قصه الحق تبارك وتعالى من دعوة أول رسله نوح عليه السلام إلى دعوة خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه كتاباً قال فيه لقومه: ((**كتاب أحكمت ءايته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير**))(٢).

وبمثل هذا دعا سائر اخوانه المرسلين قبله أقوامهم، كما قصه الله تعالى علينا في هذه السورة:

فنوح عليه السلام قال لقومه: ((**يقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون**))(٣).

وصالح عليه السلام قال لقومه: ((**يقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره...**))(٤).

وشعيب عليه السلام قال لقومه: ((**يقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره...**))(٥).

---

(١) سورة النحل: الآية (٣٦).
(٢) سورة هود: الآية (١-٢).
(٣) سورة هود: الآية (٥٠).
(٤) سورة هود: الآية (٦١).
(٥) سورة هود: الآية (٨٤).

وجاء في سور أخرى مايوضح توافق دعوة الأنبياء عليهم السلام إلى هذا الأصل العظيم، فأخبر جل وعلا أن نبيه موسى عليه السلام قال لبني إسرائيل: ((قال أغيرالله أبغيكم إلٰهاً وهو فضلكم على العٰلمين))[١].

وقال جل وعلا عن عيسى عليه السلام: ((إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم))[٢].

والرسول صلى الله عليه وسلم يدعو أهل الكتاب بما أمره الله تعالى به في قوله جل وعلا: ((قل يٰأهل الكتٰب تعالوا إلى كلمة سوآء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله...))[٣].

ووجه الله عز وجل النداء لجميع البشر على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال جل وعلا: (يٰأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)[٤].

ومن هذه الآيات يتبين أن دعوة الرسل إلى توحيد الله تعالى قد دارت ألفاظها بين إثبات العبادة لله وحده ونفيها عما سواه.

فما الدعوة بقولهم ((اعبدوا الله)) إلا اثبات للعبادة لله وحده لاشريك له في عبادته كما أنه لاشريك له في ملكه[٥].

وقوله: ((مالكم من إلٰه غيره)) ((نفي للعبادة عن غيره سبحانه، وبيان أن ماعداه لايصلح أن يكون إلٰها يستحق العبادة البتة، وهذا مايفيده أيضاً قوله تعالى: ((ألا تعبدوا إلا الله)) إذ فيه معنى ((لاإلٰه إلا الله)) المتضمن نفي العبادة عما سوى الله، وإثباتها لله تعالى وحده))[٦].

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٤٠).
(٢) سورة آل عمران: الآية (٥١).
(٣) سورة آل عمران: الآية (٦٤).
(٤) سورة البقرة: الآية (٢١).
(٥) انظر: الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (٩).
(٦) انظر: مجموعة التوحيد (٤٦).

ولكي يتضح المعنى المراد من هذه الآيات التي أمرت بالعبادة، وتمشياً مع منهج البحث نبين حقيقة العبادة في اللغة والإصطلاح، فنقول:

العبادة في اللغة هي: الذل والخضوع[(١)].

قال الأزهري[(٢)]: ((العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع، يقال طريق معبد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء. وغير معبد. إذا كان مطلياً بالقطران))[(٣)].

وقال الجوهري[(٤)]: ((أصل العبودية: الخضوع والذلة، والتعبيد التذليل، والعبادة الطاعة، والتعبد التنسك))[(٥)].

وأما تعريف العبادة في الشرع: فقد اختلفت عبارات العلماء في تعريفها، لكن عند التأمل نجد أن هذه التعريفات تدور حول معنى واحد وفيما يلي نورد بعضاً منها:

فقد عرفها ابن تيمية رحمه الله تعالى بقوله: ((العبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة))[(٦)].

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٢٧١/٣) مادة (عبد).

(٢) هو: أبو منصور محمد بن أحمد بن أزهر الهروي، أحد الأئمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان، نسبته إلى جده (الأزهر) عني بالفقه فاشتهر به أولاً، ثم غلب عليه التبحر في العربية فرحل في طلبها. ومن كتبه: تهذيب اللغة، غريب الألفاظ، وتفسير القرآن، وفوائد منقولة من تفسير للمزني. توفي سنة:(٣٧٠هـ).
انظر: وفيات الأعيان (٥٠١/١) الأعلام (٣١١/٥).

(٣) تهذيب اللغة (٢٣٤/٢).

(٤) هو: إسماعيل بن حماد الجوهر (أبو نضر) لغوي من الأئمة، ومن شيوخه، أبي علي الفارسي، وأبي سعيد السيرافي، ومن تلاميذه: أبي اسحاق، وإبراهيم بن صالح الوراق، ومن أشهر كتبه: (الصحاح) وله كتاب في (العروض) مات سنة (٣٩٣هـ).
انظر: معجم الأدباء (١٥١/٦-١٦٥) والأعلام (٣٠٩/١).

(٥) الصحاح للجوهري (٥٠٣/٢).

(٦) العبودية: لابن تيمية (٣).

وجاء في تعريفها أيضا: ((هي ماأمر به الشرع من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي))[١].

أي أن العبادة تشريع إلهي لامدخل للعقل والعرف في تحديد حقيقتها زماناً أو مكانا، أو كماً أو كيفاً.

وعرفها طائفة بأنها: ((كمال الحب مع كمال الخضوع))[٢].

والعبادة من حيث هي أعم من كونها توحيداً، فكل موحد عابد لله، وليس كل من عبد الله يكون موحداً[٣].

فالتوحيد لايتحقق في مطلق العبادة وإنما يتحقق في العبادة الخالصة الكاملة لله تعالى وحده.

وكل ماورد في القرآن بلفظ اعبدوا الله أمراً من الله تعالى لعباده، أو دعوة من كل رسول لقومه فمعناه ((التوحيد)) كما ذكر ذلك ابن عباس رضي الله عنهما[٤]، وهو التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى الإقرار به المشركون[٥].

وفي السنة مايؤيد ذلك فقد جاء في حديث معاذ[٦] رضي الله عنه عندما بعثه ﷺ إلى اليمن داعياً فقال له: ((إنك تقدم على قوم أهل الكتاب فليكن أول ماتدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى))[٧].

---

(١) مجموعة التوحيد ﷺ الرسالة السابعة: (١٨١). من جواب للشيخ عبد الله أبا بطين رحمه الله تعالى

(٢) المرجع السابق: (١٨١).

(٣) المرجع السابق: (١٨٣).

(٤) ذكر ذلك (البغوي) في تفسيره عند قوله تعالى: ((يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم...)) سورة البقرة (٣٨/١).

(٥) مجموعة التوحيد ﷺ الرسالة السابعة (١٨٣). من جواب للشيخ عبدالله أبا بطين.

(٦) هو: معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي، أبو عبدالرحمن، أسلم وعمره ثماني عشرة سنة وكان شهد العقبة وبدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبدالله بن مسعود، وأمره الرسول صلى الله عليه وسلم على اليمن. توفي رضي الله عنه في طاعون عَمَوَ اس سنة ثماني عشره، وكان عمره ثمانياً وثلاثين سنة. وقيل غير ذلك.
أسد الغابة: (٤١٨/٤-٤٢١). والإصابة: (١٠٦/٦-١٠٧).

(٧) رواه البخاري في كتاب التوحيد، 1- باب ماجاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (١٦٣/٨-١٦٤) .

وفي رواية: ((فليكن أول ماتدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم))[١].

وفي أخرى: ((فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله))[٢].

وفي رواية لمسلم[٣]: (فليكن أول ماتدعهم إليه عبادة الله عز وجل فإذا عرفوا الله فأخبرهم)[٤].

وفي هذا دليل على أن ((العبادة)) و ((شهادة أن لا إلٰه إلا الله)) ((والتوحيد)) ألفاظ مترادفة في الشرع كلها تؤدي إلى معنى واحد.

وقد قسم العلماء التوحيد إلى قسمين فقالوا:

- توحيد في المعرفة والإثبات وهو: توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

- توحيد في القصد والطلب وهو: ((توحيد الألوهية أو توحيد العبادة))[٥].

ثم أفرد بعضهم توحيد الأسماء والصفات فجعله قسماً ثالثاً، وذٰلك لكثرة ماوقع فيه من النزاع؛ فأفردوه بالبيان إيضاحاً للحق، وبياناً لما يجب لله على عباده من حق في أسمائه وصفاته.

وعلى هذا يكون التوحيد ثلاثة أقسام:

١ - توحيد الألوهية أو ((توحيد العبادة)).

٢ - توحيد الربوبية.

٣ - توحيد الأسماء والصفات[٦].

---

(١) رواه البخاري - في كتاب الزكاة، ٤١- باب لاتؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (١٢٥/٣).

(٢) رواه البخاري في كتاب الزكاة، ٦٣- باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد على الفقراء حيث كانوا (١٦٣/٣).

(٣) أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، النيسابوري، إمام أهل الحديث- صاحب الصحيح المعروف بصحيح مسلم وله من التصانيف أيضاً: كتاب الانتفاع بجلود السبع، والطبقات مختصر، والكنى كذلك، ومسند حديث مالك. توفي سنة (٢٦١هـ).
تذكرة الحفاظ: (٥٨٨/٢)، وانظر: تهذيب التهذيب: (١١٣/١٠-١١٥).

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان، ٧- باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (٥١/١).

(٥) شرح الطحاوية (٨٨) ط الأولى، وأصله من كلام الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى.

(٦) انظر: تيسير العزيز الحميد: (ص١٧).

((وهذا التوحيد تتضمنه غالب سور القرآن فهي شاهدة به، داعية إليه، ((فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته: وهو التوحيد العلمي الخبري.

وإما دعوة إلى عبادته وحده لاشريك له وخلع مايعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

- وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته.

- وإما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء التوحيد.

- وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم))[1].

وسأتناول بالبيان أنواع التوحيد الثلاثة مبتدءاً بتوحيد الألوهية لأهميته، وبدء الرسل به في دعوتهم، ولاستلزامه لغيره من أنواع التوحيد كما سيأتي بيانه.

فأما توحيد الألوهية: فهو توحيد الله تعالى بأفعال العبادة ويسمى توحيد العبادة، وهذا التوحيد مبنى ((على إخلاص التأله لله تعالى من المحبة والخوف والرجاء، والتوكل والرغبة والرهبة، والدعاء إلى الله وحده، وينبني على ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لاشريك له لايجعل فيها شيئا لغيره لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل))[2].

ويسمى هذا التوحيد توحيد العبادة وقد سبق تعريفه من شيخ الإسلام.

وبه نادى كل رسول بدلالة الآيات التي أوردناها سابقاً.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (ص٨٨).

(٢) تيسير العزيز الحميد: (ص٢٠).

وأما من السنة فقوله صلى الله عليه وسلم لقومه في بدء دعوته: ((قولوا لا إلٰه إلا الله تفلحوا))[١].

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مضمون هذا التوحيد في قوله: ((التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الإلٰهية لله وحده بأن يشهد أن لا إلٰه إلا الله لايعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذٰلك بتضمن إثبات ماأثبته لنفسه من الأسماء والصفات))[٢].

وهذا التوحيد هو أساس التوحيد كله، وأصله الذي ترجع إليه سائر أنواعه.

قال في الطحاوية: (وهذا التوحيد يتضمن في حقيقته جميع أنواع التوحيد الأخرى فيتضمن توحيد الله في ربوبيته وتوحيده في أسمائه وصفاته وليس العكس.

لأن العبد الذي يوحد الله في ألوهيته فيقر أنه سبحانه هو وحده المستحق للعبادة وأن غيره لايستحقها ولا يستحق شيئا منها، يقر في الواقع بأن الله رب العالمين له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة لأن اخلاص العبادة لايكون لغير الرب ولا يكون لمن فيه نقص)[٣].

وللدعوة إليه أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، كما قال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إلٰه إلا أنا فاعبدون)[٤].

---

(١) جزء من حديث عن ربيعة بن عباد الديلمي، وكان جاهلياً فأسلم، قال ((رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: ((ياأيها الناس قولوا لا إلٰه إلا الله تفلحوا...)).

رواه أحمد في مسنده (٤/٦٣، ٣٤١) وقال الهيثمي (٦/٢٢): رجاله رجال الصحيح. وجمع عبد العزيز الحميدي طرق الحديث واعتنى بتخريجها فانظرها في كتاب المنهج السديد لتخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد (٣٢٤-٣٢٥).

(٢) فتح المجيد: (ص١٥).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٨٨).

(٤) سورة الأنبياء: الآية (٢٥).

وقال تعالى: ((واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمٰن ءالهة يعبدون))(١).

وقال تعالى: ((يُنزِّل الملٰئكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إلٰه إلا أنا فاتقون))(٢).

وهو أول مايدخل به العبد في دين الله، كما في الحديث: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله)(٣).

والإيمان بهذا التوحيد يعصم دماء الناس وأموالهم ،ويؤكد حرمتها، كما في تمام الحديث: ((فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها))(٤).

وقد بين مؤلف تيسير العزيز الحميد رحمه الله حد العصمة في قوله: ((وقد علم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام وأول مايؤمر به الخلق شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلماً، والعدو ولياً، والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال، ثم إن كان ذٰلك من قلبه فقد دخل في الإيمان، وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان))(٥) ا.هـ.

وإن مات على هذا التوحيد دخل الجنة، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: ((من كان آخر كلامه لا إلٰه إلا الله دخل الجنة))(٦).

---

(١) سورة الزخرف: الآية (٤٥).

(٢) سورة النحل: الآية (٢).

(٣)و(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان، ٨ - باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إلٰه إلا الله.. الخ (٥١/١-٥٢).

(٥) تيسير العزيز الحميد (١٠١).

(٦) الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، رواه أبو داود في كتاب الجنائز ، ٢٠- باب في التلقين (٤٨٦/٣). ورواه أحمد في مسنده (٢٣٣/٥). والحاكم (٣٥١/١) وصححه ووافقه الذهبي.

وهو حق الله الخالص على عباده، به يوفون عهده وينالون جنته، ويأمنون عذابه، كما في الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: ((يامعاذ أتدري ماحق الله تعالى على العباد، وماحق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولايشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لايعذب من لايشرك به شيئا..)).(١)

وكما أن به العصمة لماله ودمه في الدنيا فكذلك تعصمه في الآخرة من أن تمسه النار.

كما في صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت(٢) أنه قال عند موته: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من شهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار)).(٣)

وكما في حديث عتبان(٤) رضي الله عنه: ((إن الله قد حرم على النار من قال

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، ١- باب ماجاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى: (٨/١٦٣-١٦٤).
ورواه مسلم في كتاب الإيمان، ١٠- باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً: (١/٥٨-٥٩) واللفظ له.

(٢) هو: عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي الأنصاري، كان أحد النقباء بالعقبة، وآخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي مرثد الغنوي، وشهد المشاهد كلها بعد بدر، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً، وروى عنه أبو أمامة، وأنس، وجابر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم•أرسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع نفر من الصحابة ليعلّم أهل الشام القرآن ويفقههم في الدين، وله مواقف تشهد بقوته في دين الله وقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... مات رضي الله عنه بالرملة سنة ٣٤هـ، وقيل ٤٥هـ.
انظر: الإصابة لابن حجر(٢٧/٢٧-٢٨).

(٣) جزء من حديث رواه مسلم في كتاب الإيمان، وأوله: ((دخلت عليه وهو في الموت..)) الخ، ١٠- باب الدليل على من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (١/٥٨).

(٤) عتاب أو عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان، الخزرجي الأنصاري، السلمي، البدري، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه أنس ومحمود بن الربيع، والحصين بن محمدالسلمي وغيرهم، آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، مات في خلافة معاوية رضي الله عنه.
أسد الغابة لابن الأثير (٣/٤٥٤) انظر: التهذيب (٧/٨٦).

لا إلٰه إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)).[١]

((ومن هذا يتبين أن ترك الشرك ليس قولها باللسان فقط))[٢] ((بل المقصود اعتقاد معناها، والعمل بمقتضاها)).[٣]

ولهذا وقعت الخصومة بين الرسل وأممهم في تحقيق هذه الكلمة، فالرسل عليهم السلام يخاطبونهم بمضمون ((لا إلٰه إلا الله)) بقولهم: ((**ألا تعبدوا إلا الله**)) و((**مالكم من إلٰه غيره**)).[٤]

والمشركون يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم في الوحدانية بما أخبر الله عنهم في قوله: ((**أجعل الآلهة إلٰهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب**)).[٥]

كما قال أشباههم في الكفر من قوم صالح عليه السلام بما أخبر الله عنهم في قوله: ((**أتنهٰنا أن نعبد ما يعبد اباؤنا...**)).[٦]

والمكذبون من قوم شعيب يجادلون نبيهم عليه السلام بما قصه الله تعالى علينا في قوله: ((**أصلوٰتك تأمرك أن نترك مايعبد اباؤنا...**)).[٧]

وما قالوا هذا إلا لأنهم عرفوا حقيقة كلمة ((لا إلٰه إلا الله)) التي يدعوا إليها كل رسول، فامتنعوا عن قولها فراراً مماتقتضيه من إخلاص العبادة لله وحده لاشريك له، وترك كل مايعبدونه من دون الله.

فانقسمت الخلائق إلى أبرار وفجار، ومصدقين ومكذبين، وموحدين ومشركين، وسعداء وأشقياء.

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب الصلاة وأوله: ((يارسول الله قد أنكرت بصري..)) الخ ١٠- باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (١/١٠٩-١١٠).

(٢) فتح المجيد (٤٥).

(٣) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للصنعاني (٦).

(٤) تكرر هذا المعنى في سورة هود في الآية: (٢،٢٦،٥٠،٦١،٨٤،).

(٥) سورة ص: الآية (٥).

(٦) سورة هود: الآية (٦٢).

(٧) سورة هود: الآية (٨٧).

وكتب الله النجاة لرسله وأتباعهم لما التزموا بتوحيده وتبرؤوا من نقيضه وهو الشرك: ((وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السمٰوٰت والأرض إلا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ))(١).

وما أهلك جل وعلا من قص علينا خبرهم ممن كذب الرسل من قوم نوح بالطوفان، ولا عاد بالريح العقيم، ولا ثمود بالصيحة، ولا أهل مدين بعذاب يوم الظلة، إلا بسبب الشرك وعبادة الأصنام.

ومن ثم توعدهم بالخلد في عذاب النار: ((فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق* خالدين فيها ما دامت السموات والارض إلا ماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد))(٢).

هذا مع أن الأمم التي امتنعت عن إجابة الرسل عليهم السلام فيما دعوهم إليه من توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له وحده سبحانه، والبراءة من الشرك، وأصرت على كفرها بالله جل وعلا، حتى أحل الله بها أشد العذاب، لم تكن في شك من أن مادُعيت إليه هو الحق، وأنها تلبست هو الباطل، إذ أنهم كانوا يقرون بربوبية الخالق جل وعلا أتم إقرار، فأقام الله عليهم الحجة بما أقروا له سبحانه به من ربوبيته على ماأنكروه من حق الله الخالص على عباده وحده لاشريك له.

وذمهم الله على سفاهة عقولهم بقوله تعالى: ((أيشركون مالايخلق شيئاً وهم يخلقون))(٣).

ووصمهم الحق بما هم فيه من شرك، كما قال تعالى: ((وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون))(٤).

---

(١) سورة هود: الآية (١٠٨).
(٢) سورة هود: الآية (١٠٦،١٠٧).
(٣) سورة الأعراف: الآية (١٩١).
(٤) سورة يوسف: الآية (١٠٦).

قال مجاهد في هذه الآية: ((إيمانهم بالله قولهم أن الله خلقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره))[١].

ونود أن نقف على معنى هذا التوحيد أي توحيد الربوبية وموقف معاندي الرسل منه بما يتضح به المراد إن شاء الله تعالى فيما يأتي:

فتوحيد الربوبية: وهو توحيد الله تعالى بأفعاله.

ويتضمن: ((الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه، وخالقه ورازقه وأنه المحيي والمميت، النافع الضار، المنفرد بإجابة الدعاء الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على مايشاء ليس له في ذلك شريك))[٢] وغير ذلك مما هو من مقتضيات ربوبيته سبحانه.

موقف الأمم من توحيد الربوبية:

وقد فطر الله تعالى جميع الخلق على الإقرار بهذا التوحيد، وهذا لايمنع أن شرك الربوبية وقع في بعض الأمم كالدهرية قديماً، والشيوعية حديثاً، فمن شذ من هؤلاء وأمثالهم فادعى انكاره إنما كان عن استكبار وعناد، لا عن شك وارتياب.

وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الخالق جل وعلا وادعاؤه بأنه إله من دون الله ((فرعون)) عندما قال ماقصه الله تعالى علينا في قوله: ((**وقال فرعون يأيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيري فأوقد لي يهامن على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكذبين**))[٣].

---

(١) تفسير الطبري (٧٧/١٣).
(٢) تيسير العزيز الحميد (١٧).
(٣) سورة القصص: الآية (٣٨).

والذي قال لنبي الله موسى عليه السلام على وجه الإنكار عندما أبلغه رسالة ربه: ((فمن ربكما يٰموسىٰ...))[١] ومع هذا فإنكاره لربوبية الرب جل وعلا ماكان إلا عن مكابرة، وقد أقام تعالى الحجة عليه على لسان نبيه موسى عليه السلام، كما في قوله: ((لقد علمت ماأنزل هؤلاء إلا رب السمٰوٰت والأرض بصائر وإني لأظنك يٰفرعون مثبورا))[٢].

وقال عنه وعن قومه: ((وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا))[٣][٤].

فالآيات دالة على منزلها، والمخلوق دال على الخالق سبحانه وتعالى؛ كدلالة الأثر على المؤثر، فالفطرة قد هدت الأعرابي إلى أن يقول: ((البعرة تدل على البعير، والأثر على المسير، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، أفلا تدل على الصانع الخبير))[٥].

((وكذا مانسب إلى بعض الطوائف من اعتقادهم وجود إلهين كالثنوية: من المجوس، والمانوية القائلين بالأصلين: النور والظلمة، وأن العالم صدر عنهما، فإنهم متفقون على أن النور خير من الظلمة، وهو الإله المحمود، وأن الظلمة شريرة مذمومة، وهم متنازعون في الظلمة هل هي قديمة أو محدثة فلم يثبتوا ربين متماثلين))[٦].

---

(١) سورة طه: الآية (٤٩).
(٢) سورة الإسراء: الآية (١٠٢).
(٣) سورة النمل: الآية (١٤).
(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٧٧).
(٥) من خطبة لقس بن ساعدة الإيادي، جواهر الأدب لأحمد الهاشمي (١٩/٢). وانظر: البيان والتبيين للجاحظ (١٦٣).
(٦) شرح الطحاوية (٧٧).

((وأما النصارى القائلون بالتثليث: فإنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض، بل متفقون على أن خالق العالم واحد، ويقولون: باسم الأب والإبن وروح القدس إلٰه واحد، وقولهم في التثليث متناقض في نفسه، وقولهم في الحلول أفسد منه، ولهذا كانوا مضطربين في فهمه وفي التعبير عنه، لايكاد واحد منهم يعبر عنه بمعنى معقول ولا يكاد اثنان يتفقان على معنى واحد وبالجملة فهم لايقولون باثبات خالقين متماثلين))[1].

وهذا أيضا من أكبر الأدلة على فساد معتقدهم. مع أننا لانحتاج إلى التدليل على بطلان معتقدهم بعد قوله تعالى: ((ماتخذ الله من ولد وما كان معه من إلٰه إذا لذهب كل إلٰه بما خلق ولعلا بعضهم على بعض...))[2][3].

(فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر. فإن الإلٰه الحق لابد أن يكون خالقا فاعلا، يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إلٰه آخر يشركه في ملكه، لكان له خلق وفعل وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة، بل إن قدر على قهر ذٰلك الشريك وتفرد بالملك والإلٰهية دونه فعله، وإن لم يقدر على ذٰلك انفرد بخلقه وذهب بذٰلك الخلق كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه، فلا بد من أحد ثلاثة أمور:

- إما أن يذهب كل إلٰه بخلقه وسلطانه.
- وإما أن يعلو بعضهم على بعض.
- وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ولا يتصرفون فيه، بل يكون وحده هو الإلٰه وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه)[4].

هذا عن الطوائف التي حاولت إنكار ربوبية الخالق جل وعلا.

---

(١) شرح الطحاوية: (77-78).
(٢) سورة المؤمنون: الآية (٩١).
(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٨٥).
(٤) المرجع السابق:(٨٥-٨٦).

أما الأمم السالفة المشركة بربها المكذبة لرسله فإنهم مع شركهم كانوا مقرين بربوبية الخالق أتم إقرار.

كما أخبر الله تعالى عنهم في قصة صالح عليه السلام عن التسعة الرهط الذين تقاسموا بالله، أي تحالفوا بالله لنبيتنه وأهله، كما قال تعالى: ((وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون. قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وإنا لصٰدقون))[1].

فهؤلاء المفسدون المشركون تحالفوا بالله على قتل نبيهم وهذا يبين أنهم كانوا مؤمنين بالله إيمان المشركين[2].

وقوم إبراهيم الذين عبدوا الشمس والقمر وغيرهما من الكواكب إنما كانت من جنس عبادة الأصنام، كما قال تعالى عن الخليل عليه السلام: ((واتل عليهم نبأ إبرٰهيم * إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون * قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عٰكفين. قال هل يسمعونكم إذ تدعون. أو ينفعونكم أو يضرون. قالوا بل وجدنا ءاباءنا كذٰلك يفعلون. قال أفرءيتم ماكنتم تعبدون...)) إلى قوله (فمالنا من شٰفعين.ولا صديق حميم))[2].

فأخبر الله تعالى عن الخليل عليه السلام أنه أعلم قومه بأن كل مايعبدونه من دون الله فهو عدو له إلا رب العالمين.

وأخبر عنهم أنهم يقولون يوم القيامة وهم في دركات جهنم: ((تالله إن كنا لفي ضلٰل مبين * إذ نسويكم برب العٰلمين))[3] .يعني آلهتكم فلم يكونوا جاحدين للخالق بل عدلوا به وجعلوا له أندادا في العبادة والمحبة والدعاء[4].

---

(١) سورة النمل: الآية (٤٨-٤٩).
(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: (ص٨).
(٢) سورة الشعراء: الآية (٦٩-١٠١).
(٣) سورة الشعراء: الآية (٩٧-٩٨).
(٤) التحفة المهدية (٦٦/٢).

والمشركون من العرب وأمثالهم كانوا يقرون بالخالق تبارك وتعالى حتى وهم على وثنيتهم فكانوا يقرون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق، ويلجؤون إليه إذا اشتدت بهم المحن ويخلصون له الدين، قال تعالى: ((ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون))(١). وقال تعالى: ((ولئن سألتهم من خلق السمٰوٰت والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله..))(٢). وقال تعالى: ((قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون))(٣). وقال تعالى: ((ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله..))(٤).

ومن الأدلة أيضا على إقرارهم بالخالق تبارك وتعالى مايقولونه في تلبيتهم للحج: ((لبيك لاشريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك)).

وكان يسمعهم النبي صلى الله عليه وسلم عند قولهم: ((لاشريك لك)) ويقول: قد أفردوه جل جلاله لو تركواقولهم إلا شريكا هو لك))(٥).

وأنذر الله تعالى المشركين بانكشاف الحقائق لهم يوم القيامة كما قال تعالى: ((ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون))(٦).

ومن ثم يلقون باللائمة على أنفسهم وهم في دركات الجحيم، كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله: (تالله إن كنا لفى ضلٰل مبين * إذ نسويكم برب العٰلمين)(٧).

---

(١) سورة الزخرف: الآية (٨٧).
(٢) سورة العنكبوت: الآية (٦١).
(٣) سورة المؤمنون: الآية (٨٤-٨٥).
(٤) سورة العنكبوت: الآية (٦٣).
(٥) كما دل على هذا ما جاء في صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. في كتاب الحج، ٣- باب التلبية وصفتها ووقتها: (٨٤٣/١٠).
(٦) سورة الأنعام: الآية (٢٢).
(٧) سورة الشعراء: الآية (٩٧-٩٨).

ومما أوردناه من كل ماسبق تبين أنه لم يوجد من ينكر وجود الرب سبحانه وتعالى غاية مايقال انه وجدت طوائف مشركة تنسب شيئا من التأثير لغير الله تعالى مع اعتقادها أن هذه المؤثرات أقل درجة في التاثير من الخالق الحق.

وهذا الإشراك الذي حصل منهم في الربوبية شبيه الإشراك الذي حصل من مشركي العرب في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يفرقون في دعائهم بين حال الشدة والرخاء.

ففي الرخاء يشركون.

وفي الشدة يخلصون، كما قال تعالى: ((فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجيهم إلى البر إذا هم يشركون))[1].

ومما يقدر ذلك غاية التقدير حديث عمران[2] بن حصين رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبيه حصين[3] قبل إسلامه: ((كم تعبد اليوم من إله؟ قال: سبعة آلهة، ستة في الأرض وواحداً في السماء، قال صلى الله عليه وسلم: فمن تعد لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء[4])).[5]

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٦٥).

(٢) هو: عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أسلم عام خيبر، وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوات، بعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى البصرة ليفقه أهلها وكان من فضلاء الصحابة، وكان مجاب الدعوة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه الحسن وابن سيرين، وتوفي بالبصرة سنة (٥٢هـ).
انظر: أسد الغابة (٣/٧٧٨-٧٧٩)، وسير أعلام النبلاء: (٢/٥٠٨-٥١٢).

(٣) هو: الحصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، والد عمران بن حصين، روى عنه ابنه عمران. أسد الغابة (١/٥٠٣-٥٠٤) تقريب التهذيب لابن حجر (٧٦).

(٤) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب رقم (٧٠) وقال فيه هذا حديث غريب: (٥/٥١٩-٥٢٠).

(٥) انظر: معارج القبول للشيخ الحكمي: (١/٢٩٣).

ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: ((والذين كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والكوكب والعزيز والملائكة واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ويغوث ويعوق ونسرا، أوغير ذلك، لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو أنها تنزل المطر أو أنها تنبت النبات. وإنما كانوا يعبدون الأنبياء والملائكة والجن والتماثيل المصورة لهؤلاء، أو يعبدون قبورهم، ويقولون إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، ويقولون: هم شفعاؤنا عند الله)).(١)

ومع ذلك فسواءٌ من نقل عنه اعتقاده بوجود شريك مع الله في ربوبيته، أو نقل عنه إضافة بعض الأفعال إلى غير الله ممن كانوا يقرون بالخالق جل وعلا، لم يخرجهم اعتقادهم ذلك عن مسمى الشرك لأنهم لم يأتوا بما يستلزمه هذا التوحيد من الإيمان بتوحيد الألوهية الذي هو قطب رحى القرآن، والذي لأجله جاءت الرسل، وأنزلت الكتب، وعليه يكون الثواب والعقاب.

بل بإعترافهم بتوحيد الربوبية قامت عليهم الحجة ولهذا نجد القرآن مملوءاً بتقرير هذا التوحيد، وضرب الأمثال له وبين ذلك على وجه التقرير -كما مر سابقاً- بآيات من سورة الزخرف، والعنكبوت، والمؤمنون. وبين ذلك أيضاً على وجه الامتنان كمافي قوله:((**يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون**)). (٢)

فمن خلقك ورزقك فهو المستحق للعبادة وحده دون سواه، كما قال تعالى: ((**ذلكم الله ربكم لاإله إلا هو الله خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل**)).(٣) ((**أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون**)).(٤) ((**الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون**))(٥) ((**هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لاإله إلا هو فأنى تؤفكون**)) (٦)

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٩٦/٣).
(٢) سورة البقرة: الآية (٢١).
(٣) سورة الأنعام: الآية (١٠٢).
(٤) سورة النحل: الآية (١٧).
(٥) سورة الروم: الآية (٤٠).
(٦) سورة فاطر: الآية (٣).

كما جاء في دعوة نبي الله صالح عليه السلام لقومه في قوله: ((هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب))[١].

وتذكير شعيب قومه بما هم فيه من خير من ربهم: ((إني أراكم بخير...))[٢] أي فلا تزيلوه بشرككم.

والله هو الرازق المستحق لأن يعبده وحده: ((يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين...))[٣] وقال تعالى: ((يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم...))[٤].

أما توحيد الأسماء والصفات:

فهو ((اعتقاد انفراد الله تعالى بالكمال المطلق من جميع الوجوه، بنعوت العظمة والجلالة والجمال، وذلك باثبات ماأثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة))[٥].

وهذه الأسماء والصفات وردت في الكتب الإلهية وأجمعت الرسل على دعوة العباد بها.

تعريفاً للعباد بما لله تعالى من الأسماء الحسنى والصفات العلا.

ليقوم العباد بحقه فيعبدوه وحده امتثالاً لأمره، واجتنابًا لنهيه، قال تعالى: ((ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون))[٦].

---

(١) سورة هود: الآية (٦١).
(٢) سورة هود: الآية (٨٤).
(٣) سورة نوح: الآية (١٢،١١).
(٤) سورة هود: الآية (٥٢).
(٥) العقيدة الواسطية (١٢).
(٦) سورة الأعراف: الآية (١٨٠).

وكل اسم من أسمائه تعالى فإنه يدل على ذاته جل وعلا، وعلى الصفات التي تضمنتها، وعلى الأثر المترتب عليه إن كان متعديا، ولا يتم الإيمان بالإسم إلا باثبات ذلك كله [١].

(وقد وردت أسماء الله تعالى في كتابه مرتبطة بالخلق والأمر والثواب والعقاب فهو سبحانه يذكر علمه عند شهادته، وقدرته وملكه عند مجازاته وحكمته عند خلقه وأمره، ورحمته عند ذكره إرسال رسله، وحلمه عند ذكر ذنوب عباده ومعاصيهم، وسمعه عند دعائه ومسألته وعزته، وعلمه عند قضائه وقدرته، وأسماؤه تعالى لا تحد بعدد، فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده، ولا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل كمافي الصحيح: ((أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي..)) [٢] الحديث.

يقول ابن القيم في توضيح مادل عليه الحديث: فجعل الله تعالى أسماءه ثلاثة أقسام:

- قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم ولم ينزل به كتابه.

- وقسم أنزل به كتابه، وتعرف به إلى عباده.

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة (١) للشيخ محمد صالح العثيمين.

(٢) جزء من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رواه أحمد في مسنده (٣٩١/١).
وابن حبان في صحيحه
والطبراني في الكبير (١٠٣٥٢).
والحاكم (٥٠٩/١).
والبيهقي في الأسماء والصفات (٦).
وجمع مؤلف النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد (٢٤٣-٢٤٤) طرق الحديث وانتهى إلى الحكم على الحديث بأنه (حسن).

- وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطلع عليه أحداً من خلقه)[١].

وقد بين فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي أن مبحث الأسماء والصفات يرتكز على ثلاثة أسس[٢] من جاء بها كلها فقد وافقه الصواب، وكان على الإعتقا دالذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح، ومن أخل بواحد منها فقد ضل.

الأول: تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئا من صفات المخلوقين، وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى: ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير))[٣].

الثاني: هو الإيمان بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام أحمد بن حنبل: ((لايوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لايتجاوز القرآن والحديث))[٤].

وقال نعيم[٥] بن حماد شيخ البخاري ((من شبه الله تعالى بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ماوصف الله تعالى به نفسه أو وصفه به رسوله كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه ولا تمثيل))[٦].

---

(١) نقلا عن تيسر العزيز الحميد (٥٧٩).

(٢) في كتاب منهج ودراسات لآيات الآسماء والصفات للأمين: (ص٣).

(٣) سورة الشورى: الآية (١١).

(٤) الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية لزيد بن عبد العزيز فياض (٢٣) وشرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس (١٢٥).

(٥) هو: الإمام الشهير، أبو عبد الله الخزاعي المرزوي، الفرضي، نزيل مصر، صدوق، ثقة، وكان شديد الرد على الجهمية، ويقال انه أول من جمع المسند روى عن إبراهيم بن طهمان، وأبي حمزة السكري، وعيسى الكندي وخلق كثير، وروى عنه البخاري مقرونا بآخر، والدارمي وبكر الدمياطي وآخرون.. حمل إلى بغداد في محنة القرآن مقيدا، وحبس بسامرا حتى مات في جمادى الأولى سنة (٢٢٨هـ) رحمه الله تعالى.
انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/٤١٨-٤٢٠).

(٦) الروضة الندية (٢٣) وشرح العقيدة الواسطية للهراس (٢٥).

-الثالث: ويقتضي من العبد المكلف أن يؤمن بتلك الصفات والأسماء المنصوص عليها في الكتاب والسنة من غير سؤال عن كيفيتها لأن معرفة كيفية الصفة موقوفة على معرفة كيفية الذات، وذات الله عز وجل لايسأل عن كيفيتها فكذلك صفاته لايصح السؤال عن كيفيتها.

ولذلك أثر عن كثير من السلف أنهم قالوا عندما سئلوا عن كيفية استواء الله عز وجل ((الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[1]))[2].

وما يقال عن الصفات يسرى كله على سائر الصفات.

---

(١) جاء في مجموع الفتاوى لابن تيمية "٣١١/١٣" "وهذا لأنهم رأوا أن غرض السائل ابتغاء الفتنة لاالاسترشاد والاستفهام، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: "يا عائشة إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذريهم" وكما قال تعالى: ((**فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة**)) فعاقبوهم على هذا القصد الفاسد، كالذى يعارض بين آيات القرآن وقد نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال: "لاتضربوا كتاب الله بعضه ببعض" فإن ذلك يوقع الشك في قلوبهم، ومع ابتغاء الفتنة ابتغاء تأويله الذي لايعلمه إلا الله فكان مقصودهم مذموماً، ومطلوبه متعذراً.." أ.هـ.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية: "٣٠٩/١٣"، وانظر شرح العقيدة الطحاوية: (ص٣١٣)، وشرح أصول السنة للالكائي: (٣٩٨/٢)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لفضيلة الشيخ عبدالله الغنيمان: (٣٦٢/١).

الباب الثالث

الفصل الثاني

الدعوة إلى الله تعالى بشارة وإنذار

إن من حكمة الله تعالى في دعوته ورحمته بخلقه وبره بهم وإحسانه إليهم أنه لم يؤاخذ الكافرين من أمم الأرض بكفرهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم، فلم يعاجلهم بعقوبته ولم يحجب عنهم مغفرته، بل أرسل رسلاً يبشرون من أطاع بثوابه وينذرون من عصى أليم عقابه، كما قال تعالى: ((وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين))(١) وجعل تعالى البشارة والإنذار وصفاً لكتابه، كما قال تعالى: ((الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتٰب ولم يجعل له عوجاً قيماً لينذر بأسا شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذي يعملون الصٰلحٰت أن لهم أجرا حسنا مٰكثين فيه أبدا))(٢).

وقد ارتبط أمر الله عزّ وجل ونهيه على ألسنة رسله بالبشارة والإنذار، بصريح هذين اللفظين، أو بالمعاني المقترنة بهما ارتباطاً وثيقاً.

وهذه السورة من السور المكية التي تعالج آياتها موضوع العقيدة وثبيتها في النفوس، فاقترنت بالأمر بعبادة الله تعالى والنهي عن عبادة غيره، كما قال تعالى بياناً لدعوة خاتم رسله: ((ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير))(٣).

قال ابن منظور: والنذير في اللغة: علم يطلق على كل من يقوم بمهمة الإنذار(٤) وكما في قوله تعالى: ((إني لكم نذير مبين))(٥).

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: ((إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)(٦) وقوله: (أنا النذير العريان))(٧).

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٤٨).
(٢) سورة الكهف: الآية (١-٣).
(٣) سورة هود: الآية (٢).
(٤) لسان العرب: لابن منظور: (٢٠١/٥) مادة: "نذر".
(٥) سورة نوح: الآية (٢).
(٦) سيأتي تخريج الحديث قريباً عند إيراده بتمامه في ص: ٤٤٤ من الرسالة، إن شاء الله تعالى.
(٧) سيأتي تخريج الحديث قريباً عند إيراده بتمامه في ص: ٤٤٥ من الرسالة، إن شاء الله تعالى.

ومنه "المنذر" كما قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ((إنما أنت منذر من يخشاها))[1] ووصف بهذا رسله فقال: ((رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل..))[2].

وقال الراغب: النذير المنذر، ويقع على كل شيء فيه إنذار إنساناً أو غيره[3] كقوله: ((إنني لكم نذير مبين))[4] والنذر جمعه.

وأصل الإنذار: الإعلام، يقال أنذرته أنذره إنذارا إذا أعلمته، فأنا منذر ونذير. أي: معلم ومخوف ومحذر[5] فعلى هذا فهو إخبار فيه تخويف[6].

وقال في المنار: ((الإنذار الاعلام بالشيء مع بيان عاقبة من خالفه فلم يذعن لما فيه من الأمر والنهي))[7] ا.هـ.

أما البشير: فهو المبشر الذي يبشر بأمر خير أو شر.

والبشارة: هي أول خبر يرد على الانسان من خير كان أو شر. وسميت بشارة لأنه يظهر أثرها على البشرة من حزن أو سرور، لكن الأغلب كما قال ابن عطية: استعمال البشارة في الخير، كما قال تعالى: ((يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم))[8].

---

(١) سورة النازعات: الآية (٤٥).

(٢) سورة النساء: الآية (١٦٥).

(٣) إذ ان مايقع للإنسان يكون نذيرا كما قيل في تفسير ((النذير)) في قوله تعالى: ((أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير)) [٣٧، فاطر] بأن المراد به الشيب والمعنى: ((أولم نعمركم حتى شبتم))، تفسير البغوي: (٣٠٥/٣).

(٤) سورة هود: الآية (٢٥).

(٥) انظر: لسان العرب لابن منظور: (٢٠٠/٥) مادة: ((نذر)).

(٦) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (٤٨٧) مادة (نذر) العمود الثاني.

(٧) تفسير المنار (٦٠/١٢) عند تفسيره للآية (٢٥) من سورة هود.

(٨) سورة التوبة: الآية (٢١).

وقد تستعمل في الشر مقيداً به منصوصاً على الشر للمبشر به كما قال تعالى: ((فبشرهم بعذاب أليم))(١) ومتى أطلق لفظ البشارة فإنما يحمل على الخير.

أما من حيث المعنى الشرعي للبشارة والإنذار: فقد قال ابن كثير في معنى قوله تعالى: (إنني لكم منه نذير وبشير)(٢).

أي: ((إني لكم نذير من العذاب إن خالفتموه، وبشير بالثواب إن أطعتموه))(٣).

ومثله ماذكره الخازن أيضا أي: ((قل لهم يامحمد إني لكم من عند الله نذير ينذركم عقابه إن ثبتم على كفركم ولم ترجعوا عنه))(٤).

((وبشير يبشر بالثواب الجزيل من آمن بالله ورسوله وأطاع وأخلص العمل لله وحده))(٥).

وقد جاء الإنذار في بعض السور صريحا بلفظه، وفي سور أخرى بالألفاظ المبينة لمعناه ؛لأن القرآن يبين المعاني المحكية بالألفاظ المختلفة في السور المتعددة، ويأتي بعضها بما يغني عن بعض(٦).

ومن التفصيل الذي جعله الله تعالى وصفاً لكتابه الكريم ماقصه الله علينا عن الأمم السالفة، ومواقفهم مع رسلهم، لنقف على عاقبة من آمن ومآل من كفر، لتكون الموعظة أبلغ، والعبرة أتم وأكمل.

وأول رسل الله المنذرين نبي الله نوح عليه السلام، أرسله الله تعالى إلى أول من كفر من أهل الأرض، قال تعالى: ((ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين * ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم))(٧).

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٢١).
(٢) سورة هود: من الآية (٢).
(٣) تفسير ابن كثير: (٤٣٦/٢).
(٤)و(٥) تفسير الخازن (٢١٩/٢) بتصرف مع المحافظة على المعنى.
(٦) قارن بتفسير المنار (٦٠/١٢).
(٧) سورة هود: الآية (٢٥-٢٦).

أي: ((ظاهر النذارة لكم من عذاب الله إن عبدتم غير الله))[١].

ولما كان الإنذار إعلام المحذور لا لمجرد التخويف والإزعاج بل للحذر منه[٢]، بين عليه السلام وجه الخلاص من العذاب فقال: ((ألا تعبدوا إلا الله)) إذ لاخلاص من العذاب إلا بالاقبال على توحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة له سبحانه والبراءة من كل ماسواه.

ومن خلال الآيات نرى أن الإنذار قد جاء من أوليات المنهج في الدعوة إلى الله تعالى، وهذا موافق لما ركز في الانسان من فطرة، وما عليه القوم من حال.

فمن ناحية الفطرة:

* فإن النفس مفطورة على حب البقاء، فإذا عرفت أنها قد أتت على مابه هلاكها خافت فانقادت وسلمت، فلهذا خوطبت بالإنذار أولاً لتدفع عن نفسها كل ضرر.

وقد فهم ذلك الكثير من المفسرين وغيرهم فقد قال أبو حيان: ((وقد بدء بالانذار لأنه هو الأهم))[٣] ا.هـ.

ويقول ابن الوزير[٤] ولأن من الواجب على العاقل أن يدفع عن نفسه المضار المحتملة ((والسلامة متحققة في الإيمان والخطر مأمون فيه، والمهالك مخوفة في مخالفته))[٥] ا.هـ.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤٢/٢).

(٢) انظر تفسير أبي السعود (١٩٩/٤-٢٠٠).

(٣) تفسير البحر المحيط: « ٢٠١/٥ »

(٤) هو: محمد بن إبراهيم بن علي المرتضى، المشهور (بابن الوزير) مجتهد، باحث، من أعيان اليمن، تعلم بصنعاء، وصعدة، ومكة، وأقبل في أواخر أيامه على العبادة، له كتب كثيرة أهمها تنقيح الأنظار في علوم الآثار، العواصم من القواصم، قواعد التفسير، وغيرها. مات بصنعاء سنة (٨٤٠هـ).

انظر: البدر الطالع (٨١/٢-٩٣). أبجد العلوم (٣/٣٠) الأعلام (٢٠٠/٥).

(٥) إيثار الحق على الخلق: (ص٢٣).

وأما بالنظر إلى حال القوم:

فإن القوم قوم قد استحكمت فيهم الشهوات والمطامع فأصمتهم عن الهدى، وأعمت أبصارهم، وجعلتهم يرون الحق باطلاً والباطل حقاً، فكان لابد من أسلوب يردع تلك الشهوات والأهواء الجامحة ويردها إلى الحق، ولا أبلغ من أسلوب الانذار.

وقد اقتصر في بعض الأحوال على ذكر الإنذار دون البشارة مراعاة للمقام ومقتضى الحال، كما جاء في رد الله تعالى على مزاعم المعاندين عندما قالوا: ((**لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك**)) فقال الله تعالى لرسوله مسلياً: (**إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل**)[1].

فختمت هذه الآية بالإنذار: ((**لأن المقام يقتضي الإنذار لأنه هو المناسب للمعاند والمتعنت، فإن المعاند لابشارة له، وإنما البشارة للمستجيب المتقي**))، كما قال تعالى: ((**فإنما يسّرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لُدّا**))[2][3].

ثم إن مخاطبة المعاند بعد هذا بالإنذار أنسب لأنه لم يغتنم مغانم بشارته صلى الله عليه وسلم[4].

وبعد هذا لنتعرف على منهج الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال سنته صلى الله عليه وسلم.

فالإنذار كما جاء مبدوءاً به في دعوة الرسل لأممهم فكذلك كان من هديه صلى الله عليه وسلم البدء به في ابلاغ دعوته لقومه، فقد حفظت لنا وقائع سنته صلى الله عليه وسلم أنه عندما نزل عليه قوله تعالى: ((**وأنذر عشيرتك الأقربين**))[5] خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف

---

(١) سورة هود: من الآية (١٢).
(٢) سورة مريم: الآية (٩٧).
(٣) معارج الصعود: للأمين (٦٤).
(٤) قارن بتفسير أبي السعود: (١٩٩/٤).
(٥) سورة الشعراء: الآية (٢١٤).

ياصباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا إليه فقال أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ماجربنا عليك كذبا قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، قال أبو لهب تبا لك ماجمعتنا إلا لهذا: ثم قام فنزلت (تبت يدا أبي لهب وتب (١))..)(٢).

وفي موقف آخر يضرب عليه السلام لنفسه مثلا بما تعارف عليه الناس من معرفة المنذر بهيئته ولباسه، سبيلا لتقريب إنذاره من الأسماع والتدليل على صدقه، ففي الحديث الذي يرويه أبو موسى الأشعري(٣) رضي الله عنه يقول صلى الله عليه وسلم: ((إنما مثلي ومثل مابعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال ياقوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان(٤) فالنجاء النجاء(٥) فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ماجئت به، ومثل من عصاني وكذب ماجئت به من الحق))(٦).

---

(١) سورة المسد: الآية (١).

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير. تفسير سورة تبت يدا أبي لهب وتب (٩٤/٦).
واستشهد بهذا الحديث ابن هشام في سيرته (٢٦٠/١).

(٣) هو : عبدالله بن قيس بن سليم، أسلم بمكة، وهاجر إلى أرض الحبشة، ثم قدم مع أهل السفينتين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعد الحديبية، وبعض المؤرخين ينكر هجرته إلى الحبشة. واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على بعض اليمن، واستعمله عمر على البصرة بعد المغيرة. افتتح الأهواز ثم اصبحان ثم استعمله عثمان على الكوفة، ثم كان أحد الحكمين بصفين، ثم اعتزل الفريقين، وكان حسن الصوت بالقرآن ،في الصحيح المرفوع :((لقد أوتي مزماراً من مزامير آال داود)). مات سنة ٥٠،٥٢هـ، وقيل ٤٢، وقيل ٤٤، ودفن بمكة ، وقيل بالكوفة ودفن بها.
الاصابة: (١١٩/٢-١٢٠)، صفة الصفوة: (٥٥٦/١-٥٦٢).

(٣) (أنا النذير العريان) قال العلماء: أصله أن الرجل إذا أرادإنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيداً منهم ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر مايفعل هذا ربيئة القوم، وهو طليعتهم ورقيبهم.

(٤) (فالنجاء النجاء) أي انجوا النجاء، أو اطلبوا النجاء.
انظر: حاشية عبد الباقي على مسلم (١٧٨٨/٢).

(٥) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة، 2- باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الخ (١٤٠/٨).
ورواه مسلم في كتاب الفضائل، ٦- باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته في تحذيرهم مايضرهم (١٧٨٨/٢).

وتعددت ألفاظ الإنذار واتسعت دائرته بما يلحق المعرضين عن إجابة الرسل من صفة ووصف:

فالافتراء والظلم، والإجرام، والإفساد، كلها أوصاف يوصم بها من كفر بالله وكذب رسله، وأعرض عما جاءه من الحق، وعرض نفسه للهلاك لتذكيرهم بما يلحق المتصفين بها من الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة، كما ذم الله تعالى المفترين في قوله جل وعلا: (**ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين. الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون. أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون.أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون لاجرم أنهم فى الأخرة هم الأخسرون**)[١].

وهود عليه السلام ينذر قومه مغبة الإعراض والتولي عما دعاهم إليه، ويتخذ من وصمهم بالإجرام إنذاراً لهم بما يلحق ماتوعد به الحق المجرمين من عذاب، فقال عليه السلام: (**ولا تتولوا مجرمين**)[٢].

والمجرم متوعد من الله عز وجل بأشد العذاب، كما قال عز وجل: ((**إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لايموت فيها ولا يحيى**))[٣].

وبين تعالى أنهم مخلدون في عذابه فقال: ((**إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون**))[٤].

وشعيب عليه السلام ينهى قومه عن الفساد في الأرض، كما أخبر الله عنه دعوته لقومه في قوله: ((**ولا تعثوا فى الأرض مفسدين**))[٥].

---

(١) سورة هود: الآية (١٨-٢٢).
(٢) سورة هود: من الآية (٥٢).
(٣) سورة طه: الآية (٧٤).
(٤) سورة الزخرف: الآية (٧٤).
(٥) سورة هود: من الآية (٨٥).

تحذيرا لهم من عاقبة الإفساد وقد توعد الله المفسدين بأفانين العذاب فما أهلك الله من أهلك من الأمم العاتية إلا بفسادها، قال تعالى في شأن ثمود وفرعون: (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذى الأوتاد * الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب *إن ربك لبالمرصاد)(١).

والمفسدون محل غضب الله وسخطه قال تعالى: (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)(٢).

وأهل بغضه ونقمته (والله لايحب المفسدين)(٣).

ولإفسادهم في الأرض ضاعف عليهم العذاب، كما قال تعالى عن عذاب أهل النار: (زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون)(٤).

فلا الجنة غنموا ولا من النار أمنوا، فكانوا من الخاسرين (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون)(١٥).

وفي الأرض شواهد حق بانتقام الله تعالى ممّن أفسد في أرضه، كما في قوله تعالى: ((فانظروا كيف كان عاقبة المفسدين))(٦).

واقترن الإنذار بالتذكير بما لله جل وعلا من الأسماء الحسنى والصفات العلى، لبيان حقه جل وعلا والتذكير بقدرته.

---

(١) سورة الفجر: الآية (٩-١٤).
(٢) سورة الرعد: الآية (٢٥).
(٣) سورة المائدة: من الآية (٦٤).
(٤) سورة النحل: من الآية (٨٨).
(٥) سورة البقرة: الآية (٢٧).
(٦) سورة الأعراف: الآية (١٠٣).

كما في قوله تعالى: ((إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير))[١] ففي هذه الآية تذكير للعباد بقدرة الله تعالى التي لايعجزها شيء ومن قدرته جل وعلا إعادة الخلائق يوم القيامة ليوفّي المحسن جزاء إحسانه،والمسيء عاقبة إساءته،وسيرون أعمالهم وقد أحصيت عليهم في كتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها، كما قال تعالى: ((وكل شيء أحصيناه في إمام مبين))[٢] وقال تعالى: (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحدا)[٣].

كما قال تعالى: ((فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه. فهو في عيشة راضية. في جنة عالية. قطوفها دانية. كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية. وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه* ولم أدر ماحسابيه يا ليتها كانت القاضية))[٤].

وأنذرت الخلائق أيضا بسعة علم الله تعالى وإحاطته بأعمال خلقه، كما جاء في قوله تعالى: ((إن ربي على كل شيء حفيظ))[٥] ((إنه بما يعملون خبير))[٦] ((إنه بما تعملون بصير))[٧] ((وما ربك بغافل عما تعملون))[٨].

---

(١) سورة هود: من الآية (٤).
(٢) سورة يس: الآية (١٢).
(٣) سورة الكهف: الآية (٤٩).
(٤) سورة الحاقة: الآيات (١٩-٢٧).
(٥) سورة هود: من الآية (٥٧).
(٦) سورة هود: من الآية (١١١).
(٧) سورة هود: من الآية (١١٢).
(٨) سورة هود: من الآية (١٢٣).

فالتذكير بمثل هذه الآيات يوجب على العبد مراقبة ربه في جميع حركاته وسكناته، والاستحياء منه خوفا من أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره، فيعبد ربه حينئذ من موقع الإحسان، كما في حديث جبريل الصحيح: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1].

كما أن الآيات التي بينت ماالله عز وجل من صفات العزة والقهر والجبروت تملأ القلوب ذلاً وانكساراً وخضوعاً بين يديه جل شأنه خوفاً من بطشه وعذابه، في مثل قوله تعالى: (إن ربك هو القوى العزيز)[2] (إن ربك فعال لما يريد)[3].

في أنواع الإنذار

وقد تنوعت أضرب الإنذار بكل مايكون مصدر خوف في الدنيا وعذاب منتظر في الآخرة فجاء على نواح متعددة وهي:

* الإنذار بعذاب الآخرة.

* الترهيب بما يلحق المكذبين للرسل من عذاب عاجل في الدنيا ويشمل:

- رفع النعم وحلول النقم.
- وعذاب الاستئصال مقروناً.
- بالتذكير بما أصاب الأمم السالفة المكذبة للرسل.
- وجاء هذا الانذار بما توعد به الرسل المكذبين لهم بذكر العذاب مطلقاً كما قال نوح عليه السلام لقومه: ((إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم))[4].

أي ان استمررتم على ماأنتم عليه عذبكم الله عذاباً أليماً موجعاً شاقاً في الدار الآخرة.

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) سورة هود: من الآية (٦٦).
(٣) سورة هود: من الآية (١٠٧).
(٤) سورة هود: من الآية (٢٦).

وتوعد شعيب عليه السلام قومه بقوله: ((وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط))[١] أي في الدار الآخرة.

ومطلق كلمة العذاب وإن كان يراد بها العذاب الأخروي لكونه أشد إيلاما وأدوم زماناً، كما قال تعالى: ((والذين كفروا لهم نار جهم لايقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهنم من عذابها كذلك نجزي كل كفور))[٢]. وكقوله جل وعلا: (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون)[٣]. إلا أن دخول ماهو دون العذاب الأخروي مما يلحق المكذبين من العذاب العاجل إما برفع النعم وحلول النقم، أو عذاب الاستئصال أمر يحتمله معنى الآية بل ويدل عليه لأنه مقدمة للعذاب الأكبر ودليل على مابعده.

وبكل أنذر الرسل أقوامهم فيدخل في التهديد برفع النعم وحلول النقم:

كما في قول هود عليه السلام، وقول صالح عليه السلام: (فاذكروا ءالاء الله لعلكم تفلحون)[٤]. وقول شعيب عليه السلام: (إنى أراكم بخير)[٥].

وقول هود عليه السلام: (فاذكروا ءالاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين)[٦] والآلاء هي النعم ويدخل في هذا ماأنزل الله على رسوله في قوله: (وإن تولوا فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير)[٧].

---

(١) سورة هود: من الآية (٨٤).
(٢) سورة فاطر: الآية (٣٦).
(٣) سورة الحج: الآية (٤٧).
(٤) سورة الأعراف: من الآية (٦٩).
(٥) سورة هود: من الآية (٨٤).
(٦) سورة الأعراف: الآية (٧٤).
(٧) سورة هود: من الآية (٣).

كما نص عليه بعض المفسرين كالبيضاوي[١] عندما قال: ((يوم القيامة، أو يوم الشدائد، وقد ابتلوا بالقحط حتى أكلوا الجيف))[٢].

وبخاصة أيضا أن الله تعالى ذكر في العديد من الآيات ماوقع لمشركي مكة الذين أسمعهم هذا الوعيد من أنواع العذاب من رفع النعم عنهم أو بإدالة المسلمين عليهم، كما في بدر وغيرها، حتى جعل الحق سبحانه ماحل بهم مضرب الأمثال، كما في قوله تعالى: ((وضرب الله مثلا قرية كانت ءامنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون[٣])).

يقول ابن كثير: (هذا مثل أريد به أهل مكة فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة يتخطف الناس من حولها ومن دخلها كان آمنا لايخاف، يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بآلاء الله ونعمه وأعظمها بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فبدل الله بحالهم الأولين خلافها، كما قال تعالى: ((فأذقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)) بعد أن كان يجبى إليهم ثمرات كل شيء (ويأتيها رزقها رغدا) من كل مكان وذلك أنهم استعصوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوا إلا خلافه فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء لهم فأكلوا العلهز وهو وبر البعير يخلط بدمه إذا نحروه)[٤].

---

(١) هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، ناصر الدين، البيضاوي، قاض، مفسر، إمام، عالم، فقيه، أصولي، مفسر، عرف بالعبادة والصلاح والزهد، من مصنفاته المنهاج في أصول الفقه، وشرح المنتخب في الأصول، شرح المطالع، والإيضاح في أصول الدين وله غير ذلك من التصانيف المفيدة. توفي سنة (٦٥٨هـ) وقيل (٦٩١هـ).
توفي بتبريز سنة (٦٨٥هـ).
انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣٢٧/١٣) طبقات المفسرين للداودي (٢٤٨/١-٢٤٩) الأعلام للزركلي (١١٠/٤).

(٢) تفسير البيضاوي (103/3).

(٣) سورة النحل: الآية (١١٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٥١٠/٢).

وأما الخوف: فإن الله عز وجل قد أنزل بكفار قريش الرعب والخوف بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وبما كذبوا به رسوله، فأبدل الله عزَّ وجل أمنهم خوفا، ولحقهم من الخوف من سرايا الرسول وجيوشه مالحقهم حتى فتحها الله أي (مكة) على رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك بسبب صنيعهم وبغيهم وتكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بعثه منهم، وامتن به عليهم في قوله تعالى: ((**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم ءايٰته ويزكيهم ويعلمهم الكتٰب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلٰل مبين**)) (١) (٢).

وأما عذاب الاستئصال: فقد توعَّد الرسل عليهم السلام المكذبين من أممهم بعذاب الاستئصال وأنذروهم بقرب حلوله ان استمروا على كفرهم وإعراضهم؛ (٣) فقد توعد هود عليه السلام يهدد المكذبين من قومه بإهلاك الله عز وجل لهم واستخلافه جل وعلا لقوم آخرين أطوع منهم يعبدونه ولا يشركون به شيئا، كما قصة الله تعالى علينا في قوله: ((**فإن تولوا فقد أبلغتكم ماأرسلت به إليكم ويستخلف ربى قوماً غيركم ولا تضرونه شيئا إن ربى على كل شىء حفيظ**)) (٣).

ونبي الله صالح عليه السلام ينذر قومه بقوله: ((**ويٰقوم هذه ناقة الله لكم ءاية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب * فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلٰثة أيام ذلك وعد غير مكذوب**)) (٤).

ونبي الله شعيب عليه السلام ينذر قومه بأس الله وشديد عذابه إن استمروا على كفرهم وإعراضهم، كما أخبر الله تعالى عنه في قوله: ((**ويٰقوم اعملوا على مكانتكم إنى عٰمل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كٰذب وارتقبوا إنى معكم رقيب**)) (٥).

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٦٤).
(٢) قارن بتفسير ابن كثير (٢/٥٩٠).
(٣) سورة هود: الآية (٥٧).
(٤) سورة هود: الآية (٦٤-٦٥).
(٥) سورة هود: الآية (٩٣).

ثم يشد عليه السلام أبصار مكذبي قومه وبصائرهم للنظر والاعتبار فيما أذاقه الله تعالى الأمم المكذبة من أنواع العذاب، وما أعظم العبرة عندما تكون مرئية بالأعين متناقلة بالألسنة، كما قصه الله تعالى علينا في قوله: ((ويٰقوم لايجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ماأصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صٰلح وما قوم لوط منكم ببعيد))[١].

أي: (لايحملنكم عداوتي وبغضي وفراق الدين الذي أنا عليه على الإصرار على ماأنتم عليه من الكفر بالله، وعبادة الأوثان، وبخس الناس في المكيال والميزان، وترك الإنابة والتوبة، فيصيبكم مثل ماأصاب قوم نوح من الغرق، أو قوم هود من العذاب بالريح، أو قوم صالح من الرجفة، وما قوم لوط الذين ائتفكت بهم الأرض منكم ببعيد هلاكهم أفلا تتعظون بما حل بهم وتعتبرون فاعتبروا بهؤلاء واحذروا أن يصبكم بشقاقي مثل الذي أصابهم)[٢].

وكل رسول ينذر قومه ماحل بالأمم قبلهم من الهلاك لقاء كفرهم بالله تكذيب رسله؛ لأن النفس مفطورة على حب البقاء فإذا علمت أن ماتلبست به من كفر يعرضها للهلاك خافت وانقادت لما دُعِيت إليه فسلمت إلى بر الأمان وطريق النجاة.

ومن المعلوم أن الله استأصل شأفة المكذبين من قوم نوح بالغرق، وقوم هود بالريح، وقوم صالح بالصيحة، وقوم لوط بالخسف، وقوم شعيب بالظلة.

وقد ذكر الله ماحل بالأمم المكذبة لرسله والمعرضة عن دعوته في قوله: ((فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولٰكن كانوا أنفسهم يظلمون))[٣].

---

(١) سورة هود: الآية (٨٩).
(٢) الطبري (١٠٤/٧). بتصرف يسير.
(٣) سورة العنكبوت: الآية (٤٠).

وبعد بيان مايتعلق بجوانب ماأنذر الله به عباده ليحذروا عقابه فيمتثلوا ماأمرهم به ويجتنبوا مانهاهم عنه، نأتي إلى بيان مابشر الله به عباده ترغيباً لهم في طاعته وطاعة رسله، وقد جاءت البشارة متسعة لتشمل الحياة الدنيا التي يعيش فيها، والآخرة التي سينتقل إليها، فَبُشِّرت بخير العاجل أولا لأن النفس راغبة في حصوله، نادمة عن فقده، فتلقت أحسن وعد من أكرم الأكرمين وهو الله رب العالمين خالقها ورازقها ومن بيده اجراء الخير عليها ودفع الضر عنها فقال تعالى: ((**وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى...**))(١).

ثم عطف عليه ثواب الآخرة بقوله: ((**ويؤت كل ذى فضل فضله...**))(٢).

وتمشيا مع السياق القرآني نذكر بيان وعد العاجلة، ثم نتبعه ببيان مابشر الله تعالى به عباده الذين آمنوا به وصدقوا رسله في الدار الآخرة.

ففي الدنيا وعدهم ((بالمتاع الحسن)) والمتاع هو: ((حصول البلغة والراحة في الشؤون الدنيوية فيشمل جلب النفع ودفع الضر))(٣) وهذا التمتيع خاص بالحياة الدنيا، إذ أن مايُمتع به الإنسان من الخير أو دفع الضر له حد ينتهي إليه لقوله: ((إلى أجل مسمى)) وهو الموت وأما نعيم الآخرة فلا نهاية له ولذلك سمى الله تعالى ماأعده فيها للطائعين من عباده نعيما(٤).

والوعد من الله تعالى بالمتاع الحسن نائله كل من أطاع الله تعالى وعرف حقه فأطاعه، فإن الله جل وعلا منعم يحب الشاكرين وأهل الشكر في مزيد من الله وفضله، ولهذا فإن كل رسول بشر قومه بحصول المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة، لترغب في الإيمان وبركاته، والطاعة ونتائجها، إذ أن ماعند الله تعالى لاينال إلا بطاعته كما قال هود عليه السلام لقومه: ((**يقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم..**))(٥).

---

(١)و(٢) سورة هود: من الآية (٤).
(٣) معارج الصعود للأمين (٤٢).
(٤) قارن بالمرجع السابق (٤٢).
(٥) سورة هود: الآية (٥٢).

ومن معاني القوة المال والولد[١].

ومن قبل قال نوح عليه السلام لقومه: ((فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا•يرسل السماء عليكم مدرارا•ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا))[٢].

فعلى هذا فإن الترغيب جاء محققاً لمتطلبات الجسد وطبيعة النفس، وميل الطبع في نيل المحبوب، وانتفاء المكروه، فالماء به قوام الأبدان وتأمين الأقوات وحياة الأنعام.

فمنه يشربون كما قال تعالى: ((أفرءيتم الماء الذى تشربون * ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون. لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون))[٣].

ومن المعلوم أن حياة الإنسان تعتمد على مصدرين:

- مصدر نباتي.
- ومصدر حيواني.

وحياة كل منهما متوقفة على الماء، كما قال تعالى: ((وجعلنا من الماء كل شيء حى))[٤] ونبه الحق تبارك وتعالى الإنسان إلى تذكر مابه قوام حياته، فقال تعالى: ((فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صبا. ثم شققنا الأرض شقا * فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا * وزيتونا ونخلا * وحدائق غلبا * وفكهة وأبا * متاعاً لكم ولأنعامكم))[٥].

فمن الأنعام مايأكلون ويركبون، كما امتن الله تعالى على عباده بقوله: ((الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون))[٦].

وسخرها الله تعالى لهم لتحملهم وأثقالهم إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس.

---

(١) انظر: تفسير البغوي، وتفسير الخازن (٢/٢٣٧).
(٢) سورة نوح: الآية (١٠-١٢).
(٣) سورة الواقعة: الآية (٦٨-٧٠).
(٤) سورة الأنبياء: الآية (٣٠).
(٥) سورة عبس: الآيات (٢٤-٣٢).
(٦) سورة غافر: الآية (٧٩).

ومن أوبارها يلبسون ومن أشعارها ينسجون، ويبنون بيوت وبر يتفيئون ظلالها وتدرأ عنهم لهب الحر وزمهرير القر، وذكر الله تعالى وجوه الانتفاع المتعددة في قوله: (**والأنعٰم خلقها لكم فيها دفء ومنفع ومنها تأكلون. ولكم فيها جمال حين تريحون. وحين تسرحون. وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بٰلغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم. والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالاتعملون**))(١).

وقال تعالى: ((**والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعٰم بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثٰثاً ومتٰعا إلى حين**))(٢).

ولا تسل عن حال البلاد والعباد إذا أجدبت الأرض وحل بهم القحط لارتفاع القطر من السماء فإن ذلك نذير بذهاب الزرع وجفاف الضرع وقلة الأقوات، وذهاب الخيرات وغلاء الأسعار وغور المياه، واشتداد البلاء على الناس كما قال تعالى: ((**قل أرءيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين**))(٣).

وانظر عظم حاجة البلاد والعباد إلى نزول الغيث وما يلحق الناس من الفاقة والضرر عند تأخر نزول المطر، كما جاء في شكوى الأعرابي للرسول صلى الله عليه وسلم عندما أظهر حوبته وحوبة مجتمعه بقوله: ((يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله أن يسقينا))(٤).

---

(١) سورة النحل: الآية (٥-٨).

(٢) سورة النحل: الآية (٨٠).

(٣) سورة الملك: الآية (٣٠).

(٤) رواه البخاري في كتاب الاستسقاء، 21- باب رفع الناس أيديهم مع الإمام في الاستسقاء (٢١/٢).

ورواه مسلم في كتاب صلاة الاستسقاء، 2- باب الدعاء في الاستسقاء (٦١٢/١-٦١٣).

وفي رواية:

((يارسول الله هلكت[١] الأموال وانقطعت[٢] السبل فادع الله أن يغيثنا))[٣] الحديث.

وفي بعض الروايات ((يارسول الله هلكت الماشية، هلك العيال، هلك الناس...))[٤] الحديث.

وجاءت البشارة بتحقيق ماترغب النفس فيه ويميل الطبع إليه من المال والبنين.

* فالمال به قضاء المطالب وتحقيق المنافع.

* ثم إن زيادة القوة وتمام النعمة بالبنين. فما أرغب للمرء من بنين يكونون عوناً له في هذه الحياة على مكابد الحياة ومتاعبها، وبهم حفظ نسبه، وامتداد ذكره، وحفظ مآثره، وزيادة في الخير من بعد موته. ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة[٥]: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))[٦].

---

(١) (هلكت الأموال) المراد بالأموال هنا المواشي خصوصاً الإبل، وهلاكها من قلة الأقوات بسبب عدم المطر والنبات.

(٢) وانقطعت السبل: أي الطرق فلم تسلكها الإبل إما لخوف الهلاك أو الضعف بسبب قلة الكلأ وعدمه.

(٣) جزء من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، رواه البخاري في كتاب الاستسقاء، 6- باب الاستسقاء في المسجد الجامع (١٦/٢). ورواه مسلم في كتاب الاستسقاء، 2- باب الدعاء في الاستسقاء (٦١٢٨).

(٤) رواه البخاري في كتاب الاستسقاء، ٧- باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة (١٧/٢).

(٥) قال العلماء: معنى الحديث أن عمل العبد ينقطع بموته، وينقطع تجدد الثواب له، إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها، فإن الولد من كسبه، وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف. حاشية عبد الباقي على مسلم (٣٠/٣).

(٦) رواه مسلم في كتاب الوصايا ١٤- باب ماجاء في الصدقة عن الميت (٣٠/٣).
والنسائي في كتاب الوصايا، 8- باب فضل الصدقة عن الميت (٢٥١/٦).

فالإبن إذا كان صالحاً يحرص غاية الحرص على اقتفاء عمل أبيه في الخير والبر والاحسان إلى الخلق.ففي صحيح مسلم: (إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي[1])[2].

وفي حديث مالك بن ربيعة الساعدي[3] رضي الله عنه قال: ((بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يارسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: (نعم الصلاة عليهما[4] والاستغفار لهما، وانفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لاتوصل إلا بهما، وإكرام صديقهما))[5].

فبهذا يكون الإحسان من البنين إلى الخلق في استمرار، والأجر من الله تعالى في ازدياد.

---

(١) بعد أن يولي: أي بعد أن يموت.

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، 4- باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما،(١٩٧٩/٣).
وأبو داود في كتاب الأدب، 129- باب في بر الوالدين (٣٥٣/٥).
والترمذي في كتاب البر والصلة (٥٢- باب ماجاء في إكرام صديق الوالد (٣١٣/٤).

(٣) هو مالك بن ربيعة بن البدي.. واسمه عامر بن عوف بن حارث بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب الخزرجي، الساعدي، أبو أسيد البدري، صحابي جليل، له ثمانية وعشرون حديثا، روى عنه ابناه حمزة والزبير.
انظر: تهذيب الكمال للخزرجي (٣:٤-٥). الاصابة (١٤/٤).

(٤) أي: الدعاء لهما.

(٥) رواه أبو داود في كتاب الأدب، 129- باب في بر الوالدين (٣٥٢:٥) ورواه ابن ماجة في كتاب الأدب، 2- باب صل من كان أبوك يصل (١٢٠٨/٢-١٢٠٩).
وابن حبان رقم (٢٠٣٠) وفي سنده علي بن عبيد الساعدي الراوي عن أبي سعيد لم يوثقه غير ابن حبان وباقي السند رجاله ثقات.
وانظر تخريج الحديث في جامع الأصول لابن الأثير (٤٠٧:١) ورياض الصالحين (١٦٨).

وما يزال العبد يتقلب في نعم الله تعالى وجوده وفضله وكرمه، فتأتيه بشارات تجلب له الأنس والفرح والسرور قبل قدومه على ربه، كما في الحديث: ((لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له..)) (١) الحديث.

حتى إذا ماكان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة جاءته البشارة على لسان الملائكه بما ينفس عنه الكرب ويذهب عنه الروع، ويجلب له الفرح والسرور، فلا يتأسف على دنياه التي سيفارقها، ولا يخاف من سوء المنقلب في الدار التي سيقدم عليها، كما قال تعالى: ((**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون**)) (٢).

أي لاتخافوا مما تقدموا عليه من أمر الآخرة ولا تحزنوا على ماخلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فإنا نخلفكم فيه فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير (٣).

كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((إذا حُضِر المؤمن، أتت ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي راضية مرضياً عنك إلى رَوْح من الله وريحان، ورب غير غضبان..)) (٤) الحديث.

---

(١) رواه البخاري في كتاب التعبير، 5- باب المبشرات (٦٩:٨).
ورواه مسلم في كتاب الصلاة، 41- باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (٣٤٨:٢) واللفظ له.

(٢) سورة فصلت: الآية (٣٠-٣١).

(٣) تفسير ابن كثير (١٠٧/٤).

(٤) رواه النسائي في كتاب الجنائز، ٩- باب مايلقى المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه (٨:٤).
وابن حبان في صحيحه (٨/٥).
وحكم عليه الألباني أيضاً بالصحة. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٣٠٩) صحيح الجامع الصغير وزياداته (١٩٢/١-١٩٣) وانظر أيضاً جامع الأصول (٨٥/١-٨٦).

وهذه البشارة في الدنيا تتبعها بشارات أخرى في مختلف منازل الآخرة كما قال زيد بن أسلم ((يبشرونه عند موته، وفي قبره، وحين يبعث))[١].

وينتهي ابن كثير إلى تأييد قول أسلم هذا إذ يقول: ((قال وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جداً وهو الواقع))[٢] اهـ.

فينزل الله الطائعين من عباده منازلهم في الجنة برحمته على قدر أعمالهم، كما قال تعالى: ((**ولكل درجٰت مما عملوا...**))[٣] فيعلي الله لهم الدرجات، ويضاعف لهم الحسنات بفضله ورحمته، قال تعالى: ((**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها...**))[٤].

وقال تعالى: (**والله يضٰعف لمن يشاء والله وٰسع عليم**))[٥].

فيكون أول منازل الآخرة له ((روضة من رياض الجنة))[٦].

ويوم القيامة يوفى كل من عمل صالحاً ثواب عمله وهو قوله تعالى: (**ويؤت كل ذي فضل فضله**)[٧]

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (١٠٧/٤).
(٢) تفسير ابن كثير (١٠٧/٤).
(٣) سورة الأنعام: الآية (١٣٢).
(٤) سورة الأنعام: من الآية (١٦٠).
(٥) سورة البقرة: الآية (٢٦١).
(٦) كما جاء في حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار).
رواه الترمذي يف كتاب صفة القيامة، الباب السادس والعشرون (٦٤٠/٤).
وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه.
(٧) سورة هود: من الآية (٣).

وبإنذار الرسل عليهم الصلاة والسلام أقوامهم بأس الله وتحذيرهم نقمته التي لاترد عن القوم المجرمين، وبشارتهم بما وعدهم الله عز وجل من الخير في الدنيا والآخرة يكونون قد قاموا بما عليهم من أداء الرسالة وخلصوا من عهدتهم وحساب من أعرض من أممهم على الله تعالى، كما قال تعالى لرسوله مسلّياً له من عنت قومه وموطّناً له على الاستمساك بما أوحى الله إليه وأمره بإبلاغه ((إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل))[١].

يقول البغوي: ((لتنذر بالعقاب من خالفك وعصى أمرك وتبشر بالثواب من أطاعك وآمن بك وصدقك))[٢] فلا تيأس من إعراضهم، ولا تسأم من تعنتاتهم.

ويقول البيضاوي في معنى الآية:

((فليس عليك إلا الإنذار بما أوحى إليك ولا عليك ردوا أو اقترحوا، فما بالك يضيق صدرك والله على كل شيء وكيل (فتوكل عليه فإنه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم))[٣].

ويستنبط ابن تيمية من هذه الآية درسا للداعية في دعوته فيقول: ((ومثل هذا يفيد أن الانسان لايعتقد أن بدعائه وإنذاره وبيانه يحصل الهدى ولو كان أكمل الناس، وأن الداعي وإن كان صالحاً ناصحا مخلصاً فقد لايستجيب المدعو لا لنقص في الدعاء ولكن لفساد المدعو))[٤].

فتحققت حكمة الله تعالى من إرساله رسله، فقامت الحجة على كل معاند وقطعت معذرة كل جاحد، كما قال تعالى: ((رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل...))[٥].

---

(١) سورة هود: من الآية (١٢).
(٢) تفسير الخازن: (٢٢١/٢).
(٣) تفسير البيضاوي (١٠٤/٣).
(٤) دقائق التفسير لابن تيمية (٣٤٥-٣٤٦).
(٥) سورة النساء: الآية (١٦٥).

أي: ((أنه تعالى أرسل رسلا إلى خلقه وعباده يبشرون من أطاع الله واتبع أمره وصدق رسله بثوابه، وينذرون بعقاب الله جل وعلا من عصى الله وخالف أمره وكذب رسله))،((لئلا يحتج من كفر بالله، وعبد الأنداد من دونه، أو ضل عن سبيله، بأن يقول عند معاينة العذاب وإيقاعه عليه)) بقوله: ((**ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع ءايٰتك من قبل أن نذل ونخزى**))(١) وأشار لها في قوله تعالى: (**ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع ءايٰتك ونكون من المؤمنين**)(٢).

فقطع الحق تبارك وتعالى بإرساله رسله حجة كل مبطل ألحد في توحيده وخالف أمره بجميع معاني الحجج القاطعة عذره إعذارا منه بذلك إليهم لتكون لله الحجة البالغة عليهم وعلى جميع خلقه(٣).

وفي الحديث: ((ولا شخص أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص أحب إليه المدحة من الله من أجل ذلك وعد الله الجنة))(٤).

---

(١) سورة طه: الآية (١٣٤).

(٢) سورة القصص: الآية (٤٧).

(٣) انظر تفسير الطبري (٤:٣٠) وأضواء البيان للأمين (١/٤٣١).

(٤) الحديث عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وأوله قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف. ورواه البخاري - في كتاب التوحيد، ٢٠- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لاشخص أغير من الله (٧:١٧٤).
ورواه مسلم في كتاب اللعان، رقم الحديث ١٤٩٩ (٢/١١٣٦).

الباب الثالث

الفصل الثالث

احتساب الرسل عليهم السلام في الدعوة إلى الله تعالى

ورد ذكر مايدل على احتساب الرسل عليهم السلام في الدعوة إلى الله تعالى على لسان أول الرسل نوح عليه السلام في قوله تعالى: ((**ويٰقوم لاأسئلكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله...**))(١).

وعلى لسان هود عليه السلام في قوله تعالى: ((**يٰقوم لاأسئلكم عليه أجراً إن أجرى إلا على الذى فطرنى أفلا تعقلون**))(٢).

والأجر هو الجزاء على العمل.

وكما جاء الخبر عن نوح وهود في هذه السورة جاء عن غيرهما، فكل منهم خاطب قومه بقوله: ((**وما أسئلكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العٰلمين**))(٣).

فبهذا أطبقت دعواتهم، واتفقت مقولاتهم، بدءاً من أول رسول وحتى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فكان هذا الأمر منهجا سلكوه وهدياً اهتدوا به.

والأجر الذي نزه الله تعالى أنبياءه عنه ونفوه عن أنفسهم، هو: أخذ الأجر الدنيوي مقابل إبلاغ الرسالة لأقوامهم أو اهتدائهم بها، سواء كان هذا الأجر مادياً أو معنوياً أو حسياً.

وما أثبتوه من أجر ورغبوا فيه وشدوا الأنفس إلى التطلع إليه هو الأجر من الله رب العالمين، كما يدل عليه قوله تعالى: ((**إن أجرى إلا على الله...**)).

---

(١) سورة هود: الآية (٢٩).

(٢) سورة هود: الآية (٥١).

(٣) سورة الشعراء: الآية (١٠٩،١٢٧،١٤٥،١٦٤،١٨٠).

فكان هذا المنهج الواضح يدعو إلى التصديق بالرسالة والإستجابة للدعوة، ولكن أهل الضلال كما قصرت عقولهم عن إدراك أمر الميعاد ودلائل التصديق التي أنزلها الله على رسله وأيدهم بها وما بثه الله من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم حتى تبين لهم أنه الحق، وقد تبين. تعامت أيضاً عما تعارف عليه أهل الفطر السليمة من حب الناصح الذي برأت ساحته من لوث الطمع الذي تتهافت عليه الخلائق من حب المال أو الجاه أو الذكر)[1].

ولهذا فإن الله تعالى ندد في العديد من آيات كتابه بمواقف المكذبين لرسلهم، ونعى عليهم قصر عقولهم عن إدراك ماتصلح به ويصلحها من وجه، كما في قوله تعالى: ((أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون))[2] ولا مغرم يثقلهم ومن ثم فإن على المعرض أن يلقي باللائمة على نفسه ((فإن توليتم فما سألتكم من أجر))[3].

ومن وجه آخر فإن الله تعالى أقام البرهان الصادق والدليل القاطع للمعرضين عن الدعوة بأن الرسالة لاتقبل المساوة أو التنازل عن أي حكم من أحكامها.

فقد ذكر ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما (أن قريشاً وعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ماأراد من النساء، ويطؤوا عقبه فقالوا هذا لك عندنا يامحمد وكف عن شتم آلهتنا فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل فإنا نعرض عليك خصلة واحدة فهي لك ولنا فيه صلاح قال: وما هي؟ قالوا: تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة، ونعبد آلهتك سنة، قال حتى أنظر مايأتي من عند ربي فجاء الوحي من اللوح المحفوظ (قل يأيها الكفرون) ... السورة[4].

---

(١) روح المعاني للآلوسي (٤٢) بتصرف عند قوله تعالى: (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون) (٤٠: الطور).

(٢) سورة الطور: الآية (٤٠).

(٣) سورة يونس: الآية (٧٢).

(٤) سورة الكافرون: الآية (١-٦).

وأنزل الله: ((قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون))[١] إلى قوله تعالى: ((بل الله فاعبد وكن من الشكرين))[٢][٣].

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فكما أن التنزه عما في أيدي الناس خلق من خلق الأنبياء فإنه أيضا مسلك من مسلك أتباعهم الراشدين.

ولهذا عاب صاحب أصحاب القرية[٤] على قومه مواقفهم المكذبة للرسل عليهم السلام المعرضة عن الحق ودعاته، واتخذ من وصف الرسل عليه السلام بما من وصفهم بما اتصفوا به من التنزه عن الغرض الدنيوي المتمثل في عدم طلب الأجر مقابل إبلاغ الرسالة واهتدائهم بهديها عاملاً للترغيب في دعوتهم والاستجابة لها والتصديق بها، قصه الله تعالى علينا في قوله: ((وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يقوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لايسئلكم أجرًا وهم مهتدون))[٥].

نعم.. إنها دعوة فيها الخير للعباد في دنياهم وأخراهم، ففي الدنيا تؤهلهم لخلافة الله الحقة في أرضه.. وفي الآخرة يتبؤون جنة عرضها السموات والأرض أعدها الله لعباده المتقين.

ودعوة حق مبرأة مما تعارف عليه الناس من لغة المقايضة في الأعمال التي يؤدونها ، أو تؤدى إليهم.

ويخالف منهجها منهج أرباب الدعوات الدنيوية الذين يخدعون سواد الناس ببريق دعواتهم الزائفة، جاعلين من الحصول على المال الوفير والجاه العريض غاية مطلبهم ونهاية مقصدهم. وبعد هذا

---

(١) سورة الزمر: الآية (٦٤).
(٢) سورة الزمر: الآية (٦٦).
(٣) انظر تفسير الطبري (١٥/٣٣٠-٣٣١) وابن كثير (٤/٦٧) وزاد المسير
(٤) قيل اسمه: حبيب النجار. انظر: تفسير ابن كثير (٣/٥٧٥) وتفسير القرطبي (٨/١٧-١٨).
(٥) سورة يس: الآية (٢٠-٢١).

فلماذا التصدي لدعاة الحق والإعراض عن الحق؟

ولماذا السخرية والإيذاء؟

أهو شك في صدق الرسول وصحة الرسالة؟

أم استبدال للذي هو أدنى بالذي هو خير؟

أم رضاء بإملاء الشيطان وزهد في وحي الرحمن؟

فخالف من خالف ماتمليه الفطر السليمة، والعقول الصحيحة، بعد أن أصم أذنيه عن الهدى، مع أن النفوس مفطورة على حب من يدلها على الخير ويأتيها به، أو يحذرها من الشر ويدفعه عنها.ولا تحجم عن دعوة الدال إلى الخير وتأنف من اتباعه، إلا إذا أحاط بها أحد أمور أو كلها مجتمعة وهي:

* الأول: شك المدعو في صدق الداعي وسلامة منهجه.

* الثاني: في أن مافرضه الداعي من أجر واشترطه من جعل يثقل كاهل طالب الدليل فيأنف من اتباعه لأحد أمرين:

- استثقاله لما يطلب فيعجزه دفع ماطلبه منه.

- ورغبة المدعو في إلحاق الضرر بالداعي بالإعراض عن دعوته حتى لو رآها حقا وما تلبس به هو الباطل، لتوهمه أن الداعي إنما يطلب بدعوته نفعاً أو رياسة (١).

وكل هذه الأمور وما يتفرع عنها برأت منها ساحة الدعاة إلى الله تعالى، بتبرئة رب العالمين لهم، فلما انتفت الموانع بطلت دعاوى المعارضين. وإليك بيان ذلك في الآتي:

---

(١) اقتباساً من تفسير الفخر الرازي (٥٥/٢٦) عند تفسيره قول الله تعالى: (قال يقوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لايسالكم أجرا وهم مهتدون) (٢٠-٢١: يس).

أما بالنسبة للشك فقد أقام الله جل وعلا الآيات الدالة على صدق رسله بتأييدهم بالحجج والبينات الدالة على صدقهم، وسبق عرضه وبيانه في فصل ((**تأييد الله تعالى لرسله**))[١].

وأما اشتراط الأجر فقد عرفنا أن الرسل قد أعلنوا عدم طلب الأجر، وأن الأجر لايطلبونه إلا من الله جل وعلا، وأبانوا للمدعوين أن خير الدعوة عائد لهم ،كما قال تعالى: ((**قل ماسألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد**))[٢].

يقول الطبري في معنى الآية: (أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه المكذبين له الرادين عليه ماآتاهم من عند ربه أنه لم يسألهم شيئا أصلا، ولم يطلب منهم جعلا على إنذارهم عذاب الله، وتخويفهم بأسه، وتوجيه النصح لهم في أمرهم بالإيمان بالله تعالى والعمل بطاعته، فخير ذلك عائد لهم إن امتثلوا، وشره واقع عليهم إن أعرضوا، وأما أجر مادعاهم إليه من الإيمان بالله تعالى والعمل بطاعته وتبليغهم رسالة ربه فلا يطلبه إلا من الله تعالى لا منهم)[٣].

---

(١) انظر: صفحة **١٧٨** من الرسالة.
(٢) سورة سبأ: الآية (٤٧).
(٣) تفسير الطبري: (١٠٥/١٢)

وقد نزه الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه عن كل جعل ومطمع[١]، ولا أدل على ذلك من موقفه عليه الصلاة والسلام مما عرضته عليه قريش لترغيبه في التنازل عن الرسالة أو بعض أمورها يوضح ذلك ماروي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا، وعاب ديننا فليكلمه، ولينظر ماذا يرد عليه فقالوا مانعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة،[٢] فقالوا: أأنت ياأبا الوليد فأتاه عتبة فقال: يامحمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أنت خير أم عبد المطلب[٣]؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبتَ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، إنا والله مارأينا سخلة قط أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً والله مانتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانا. أيها الرجل إن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً، وإن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قرشي رجلا واحداً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فرغت ياأبا الوليد؟ قال: نعم.

---

(١) تفسير الطبري (١٠٥/١٢).

(٢) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية. كان موصوفاً بالرأي والحلم والفضل، خطيباً نافذ القول.. أدرك الإسلام وطغى فشهد بدراً مع المشركين، وكان ضخم الجثة، عظيم الهامة، قاتل ضد المسلمين قتالا شديدا، فأحاط به علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبدية بن الحارث رضي الله عنهم فقتلوه.
انظر: السيرة النبوية لابن هشام بلوغ الأرب (٤١م٢/١) والأعلام (٢٠٠/٤).

(٣) عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الحارث، زعيم قريش في الجاهلية، وأحد سادات العرب، كان عاقلاً ذا أناة ونجدة، فصيح اللسان، حاضر القلب، أحبه قومه ورفعوا من شأنه فكانت له السقاية والرفادة، وهو جد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
انظر: الكامل لابن الأثير (٤/٢) تاريخ الطبري (١٧٦/١) الأعلام (١٥٤/٤).

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بسم الله الرحمٰن الرحيم كتٰب فصلت ءايٰته قرءاناً عربياً لقوم يعلمون * بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم)) حتى قرأ ((فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صٰعقة مثل صٰعقة عاد وثمود)) (١)(٢).

أعقب هذا الموقف فشو الإسلام في قبائل قريش رجالاً ونساءً فلم تثنهم فتنة قريش لهم عن التمسك بدين الله تعالى، رغم تفننها في الصد والتنكيل لتفتن من تستطيع فتنته من المسلمين، حتى اجتمع أمرهم على أن يبعثوا من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخاصمه فيما جاء به ولنترك ابن اسحاق يروي لنا القصة بتمامها لنقف على تلك المساومات التي عدوها أجراً في مقابل تنازل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الرسالة وتركهم وما يدينون.. وما أسمعهم عليه الصلاة والسلام من جواب أعلن فيه نزاهة نفسه وتمسكه بأمر ربه.

قال ابن اسحاق: (ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء وقريش تحبس من قدرت على حبسه، وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين، ثم إن أشراف قريش من كل قبيلة، كما حدثني بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعن عكرمة مولى ابن عباس عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال: اجتمع عتبة بن ربيعة وجماعة من قريش (٣).

---

(١) سورة فصلت: الآيات (١-١٣).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٩٧-٩٨).

(٣) وهم كما ذكرهم ابن اسحاق: ((شعبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث، أخو بني عبد الدار، وأبو البختري بن هشام، والأسود بن عبد المطلب بن أسد، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية والعاص بن وائل)) ابن هشام: (٢٩٥)

قال: اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه: أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن أنه قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم فقالوا له يامحمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك فإنا والله مانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ماأدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء وعبت الدين، وشتمت الآلهة وسفهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك أو كما قالوا له.

فإن كنت جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك -وكان يسمون التابع من الجن رئياً- فربما كان ذلك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك.

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: مابي ماتقولون ماجئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ماجئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردون علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم)[1].

ثم إن المعرضين إن رغبوا بإعراضهم إلحاق الضرر بالداعي فإن وبال عصيانهم على أنفسهم، وأما الدعوة فهي ماضية وأما الرسول فهو مؤيد منصور.

وبعد فهذه دعوة رسل الله صلوات وسلامه عليهم، برأت ساحتها من طمع الدنيا، وتنزهت أنفسهم من السعي في الحصول على ماعند الناس فجاءت دعوتهم من الله وإلى الله وفي الله، ولا تتطلع إلا إلى ماعند الله سبحانه ولا تتعلق بما عند غيره.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢٩٥-٢٩٦).

حتى رأينا أن من استضاء قلبه بنور الرسالة اتخذ من هذا المنهج دليل صدق وبرهان حق لإقامة البرهان على صدق الرسول في رسالته وصحة دعوته وسلامة مقصده ونبل هدفه وغايته كما جاء في قول الله تعالى: (يٰقوم اتبعوا المرسلين•اتبعوا من لايسألكم أجراً وهم مهتدون)(١).

وعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يلتزموا بهذا المنهج القويم إن هم أرادوا لدعوتهم التوفيق والتمكين والظفر بحسن العاقبة، وأن يحرصوا غاية الحرص على بذلها لعباد الله خالصة لله، لايريدون بها غير وجه الله، واستقامة العباد على ماأمر الله فيخلصون قلوبهم من كل قصد لايمت إلى الله بسبب، فلا يريدون ثناء من الناس ولا شرفاً في الدنيا ولا جزاء معجلا أو غير ذلك مما يطمع فيه الناس.

ولا يتخذون من الدعوة وسيلة إلى تحقيق المآرب الدنيوية.

فإن أريد شيء من ذلك، فهو نذير بفوات الإخلاص المترتب عليه قبول العمل عند الله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صٰلحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)(٢).

ونذير بتسلل الرياء المحبط للأعمال كما في الحديث: (إن الله لايقبل من العمل إلا ماكان خالصاً وابتغي به وجهه)(٣).

---

(١) سورة يس: الآية (٢٠-٢١).

(٢) سورة الكهف: الآية(١١٠).

(٣) الحديث عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، رواه النسائي في كتاب الجهاد، ٢٤- باب من غزا يلتمس الأجر والذكر (٦/٢٥).
والطبراني في الكبير (٧٦٢٨) بسند حسن فيه عكرمة بن عمار وهو حسن الحديث.
وقال المنذري في الترغيب (١/٥٥) والحافظ في الفتح (٦/٢٨) والسيوطي في الدر المنثور (٤/٢٥٦) والمناوي في التيسير (١/٢٦٥) اسناده جيد.

الباب الثالث

الفصل الرابع

الحكمة والرفق من وسائل الدعوة إلى الله تعالى

لقد من الله تعالى على عباده برسل بررة أخيار، ملأ قلوبهم رحمة وشفقة، واتصفوا بالرفق في أمورهم كلها، وجاء في دعوتهم مايدل على تمام الشفقة على أقوامهم، وإرادة الخير بهم والنصح لهم.

فألانوا لهم القول في الدعوة فكل رسول يدعو قومه ويرد عليهم، ويحاجهم بألطف قول بمثل قوله تعالى: (يقوم اعبدوا الله) فلفظ (يقوم) يدل على تمام التحبب لهم أي قومي الذين هم مني وأنا منهم، ولا أحب لهم إلا ماأحب لنفسي..

وما الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده والتحذير من عبادة غيره إلا دليل رفق وعنوان خير للمدعو فمن استجاب لها ظفر بالمنى، وفاز بالجنان.

وفي الاستجابة لها أيضا صلاح للبلاد والعباد، ولهذا حذر شعيب عليه السلام قومه من الإفساد في الأرض بعد أن من الله عليهم ببعثته كما قصه الله تعالى علينا في قوله: ((ولا تعثوا في الأرض مفسدين))(١) ((ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين))(٢).

واحتملوا ماصدر منهم من أذى، فلم يعاجلوهم بطلب العذاب مع أن مكذبي رسالتهم استعجلوا به.

وعلى كل رسول عنت قومه، وظهر من دعوته مايدل على تمام شفقته وتخوفه على المعرضين عاقبة إعراضهم وتكذيبهم، كما قصه الله تعالى علينا على ألسنة رسله في مثل قوله تعالى: ((وإني أخاف عليكم عذاب يوم أليم))(٣) ((وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط))(٤).

---

(١) سورة هود: الآية (٨٥).
(٢) سورة الأعراف: الآية (٨٥).
(٣) سورة هود: الآية (٢٦).
(٤) سورة هود: الآية (٨٤).

وكلما واجه المعاندون رسلهم بالتكذيب المقرون بعبارات الغلظة والجفاء والإستهزاء.. قابلهم الرسل عليهم السلام بالصفح الجميل، والهجر الجميل.

فلم يخرج الرسول عناد قومه له عن سمته وحلمه. ولم تستفزه سخرية القوم واستهزائهم للانتقام لنفسه.

فنوح عليه السلام يرمونه بالضلالة ((إنا لنرئك في ضلٰل مبين))(١) فيرد عليهم بقوله: ((يٰقوم ليس بى ضلٰلة ولٰكنى رسول من رب العٰلمين. أبلغكم رسٰلٰت ربى وأنصح لكم وأعلم من الله مالاتعلمون))(٢).

فجوابه عليه السلام مشحون بالرحمة والشفقة عليهم واللطف في مخاطبتهم، ولم يغضبه كلامهم، لأنهم قوم يجهلون، أو يتجاهلون، ولأن الداعي الرحيم لايغضب لنفسه فقط إنما يغضب لانتهاك محارم الله تعالى(٣).

بل ويعيد الرسل عليهم السلام الكرة على أقوامهم تلو الكرة أملا أن يستجيبوا للدعوة، ولا يركبون رؤوسهم في المخاصمة، وينزلون معهم في الخطاب؛ لايقافهم على خطأ ماعتقدوه، وباطل ماانتحلوه: ((يٰقوم أرءيتم إن كنت على بينة من ربى وءاتٰنى منه رحمة فمن ينصرنى من الله إن عصيته فما تزيدوننى غير تخسير))(٤).

وقد ضرب صلى الله عليه وسلم أروع مواقف الشفقة والرفق والرحمة بأمته، كما وصفه الله تعالى في قوله: ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم))(٥).

فتجلت في دعوته صلى الله عليه وسلم مظاهر الرفق والشفقة على أوضح صورها وأسمى معانيها.

---

(١) (٢) سورة الأعراف: الآية (٦٠-٦٢).

(٣) انظر: أصول الدعوة: لعبد الكريم زيدان (٣٥٧) بتصرف يسير.

(٤) سورة هود: الآية (٦٣).

(٥) سورة التوبة: الآية (١٢٨).

فمن رفقه صلى الله عليه وسلم بأمته أنه ماترك خيراً إلا ودلها عليه، ولا شراً إلا وحذرها منه.. فما من أمر يوصلهم إلى الجنة إلا ودلهم عليه. ولا من أمر يوردهم النار إلا وحذرهم منه، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه))(٦).

ودعا صلى الله عليه وسلم أمته، وصبر على إبلاغ رسالة ربه، وصبر على مااعترضه في هذا السبيل من أذى. ونسوق من قبيل الاستشهاد ماجاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يارسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد، فقال: لقد لقيت من قومك وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ماأردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال: يامحمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ويوحده، ولا يشرك به شيئا)(٢).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، 26- باب الانتهاء عن المعاصي (١٨٦/٧).
ورواه مسلم في كتاب الفضائل، 6- باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته، ومبالغته في تحذيرهم مايضرهم (١٧٨٩/٢).

(٢) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، 7- باب إذا قال أحدكم آمين، والملائكة في السماء آمين، فوافقت أحداهما الأخرى غفر له ماتقدم من ذنبه (٨٣/٤).
ورواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، 39- باب مالقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين (١٤٢٠/٢-١٤٢١).

إن هذا لهو الرفق العظيم، ((يناله صلى الله عليه وسلم مثل هذا الأذى، وتحف به المصائب، فينطلق على وجهه مهموماً، ثم تعرض عليه ملائكة الله القضاء على أعدائه بأن يطبقوا عليهم الأخشبين -وهما جبلا مكة- فلا يستجيب لهذا العرض، ويجيب بالاجابة التي تبرهن على تمام نصحه، ومحبته لأن يعبد الله وحده: ((بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا))[1].

وحقق الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم مبتغاه.. فخرج عكرمة[2] رضي الله عنه من صلب أبي جهل، وخرج خالد رضي الله عنه من صلب الوليد.. فكانوا من عباد الله الأبرار، وصحب رسوله الأخيار فرضي الله عنهم.

فالرفق عنوان خير، وشاهد حق، يشهد للداعي بحسن نيته، وسلامة مقصده، وعن طريقه يصل الداعي إلى مايريد من دعوته:

بإقامة الحجة على العباد كاملة بإبلاغهم أمر الله تعالى ونهيه، دون وجود مايصرفهم عنه؛ لأن الناس يُقبلون على من يتصف بالرحمة والشفقة والعطف، وينفرون من الفظ غليظ القلب.

ولهذا امتدح الله تعالى نبيه بما اتصف به من خصال الخير فقال تعالى: ((**ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك..**))[3].

---

(١) من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم: لفضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد (٤١-٤٢).

(٢) عكرمة بن أبي جهل بن هشام المخزومي، صحابي أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، واستشهد بالشام في خلافة أبي بكر على الصحيح.
تقريب التهذيب (٢٤٢).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٥٩).

وقد شهد الأعرابي للرسول صلى الله عليه وسلم بتمام رفقه عليه الصلاة والسلام حتى خصه بالدعاء من بين الحاضرين، فقال: ((اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا))(١).

وقد أمر الله تعالى بالرفق وأوصى رسله به كما جاء في وصية الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام عندما أرسله إلى فرعون؛ أطغى من على وجه الأرض في زمانه فأمره وأخاه هرون بإلانة القول له؛ لأن ذلك أدعى لقبوله الدعوة، فقال تعالى: ((فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى))(٢).

فمن أبى أو أعرض فإنما اعراضه لهوى في نفسه، لا لعدم وضوح الدعوة ولا لوجود ماينفره عنها..

ولعظم الرفق فقد نوه الرسول صلى الله عليه وسلم بشأنه، كما في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله يحب الرفق في الأمر كله))(٣).

وعنها أيضا: ((إن الرفق لايكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه))(٤).

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الطهارة، ١٣٨- باب الأرض يصيبها البول، (٣٦٣/١-٣٦٤) وفيه أن أعرابياً دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، فصلى. قال ابن عبدة: ركعتين، ثم قال: اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ((لقد تحجرت واسعا)) ثم لم يلبث أن بال في ناحية المسجد، فأسرع الناس إليه، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ((إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين صبوا عليه سجلا من ماء أو قال ذنوبا من ماء)).

(٢) سورة طه: الآية (٤٤).

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب، 35- باب الرفق في الأمر كله (449/1) مع الفتح.

(٤) رواه مسلم في كتاب البر والصلة، ٢٣- باب فضل الرفق (٢٠٠٤/٣).

وأخبرد صلى اللـه عليـه وسلم أن (مـن يحـرم الـرفق يحـرم الخير)(١)

ووصـى صلى الله عليه وسلم صحـابته بالالتزام به في الـدعوة إلى اللـه تعالى، فقد قال عليه الصلاة والسلام للطفيل(٢) بن عمرو عندما اشتكى إليه اعراض قومه فقـال يارسول الله إن دوسا قـد عصت فادع الله عليهم فقـال صلى الله عليه وسلم: (اللهـم اهد دوسا) ارجع إلى قـومك فادعهم وارفق بهم. ثم ان الطفيـل رضـي الله عنـه رجع إلى قومه دوس فلم يزل بين أظهرهم يدعوهم إلى الإسلام؛ حتى هـاجر النبي صلى اللـه عليه وسلم إلى المـدينة وقتل بدراً وأحداً والخندق؛ ثم قـدم على الرسول صلى اللـه عليه وسلم بمن أسلم معه مـن قومه ورسول الله صلى اللـه عليه وسلم بخيبر، حتى نزل المدينة بسبعين أو بثمانين بيت من دوس، ثم لحق بالـرسول صلى الله عليه وسلم وأسهم له مع المسلمين(٣).

وحث صحـابته عليه ووصى أتباعه به: (إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثـوا معسرين)(٤)

---

(١) رواه مسلم عـن جرير رضـي اللـه تعـالى عنه في كتاب البر والصلـة، ٢٣-باب فضل الرفق (٢٠٠٣).

(٢) هو : طفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن الأزدي الدوسي، يلقب ذا النور جاء يريد تطبيـب الـرسول صلى اللـه عليـه وسلم-لأنه كـان شـاكاً في رسـالة الـرسول صلى اللـه عليه وسلم- وما أن سمع قول الـرسول صلى اللـه عليه وسلم: (إن الحمـد لله نحمده ونستعينـه..الخ) إلا وأعلـن إسلامـه. ورجع إلى قـومه داعيـاً إلى اللـه تعـالى، أسلم على يديه أبوه وزوجه واستمـر في دعـوته لقـومه. وخرج مع المسلمين مجاهداً أهل الردة وقتل باليمـامة شهيداً واستشهد ابنه عمرو رضي الله عنهما عام اليرموك.
انظر : أسد الغابة : (٤٦١/٢ - ٤٦٢)

(٣) انظر : مسند أحمد (٤٨٨/٢) أسد الغابة (٤٦٢/٢) في خبر الطفيل بن عمرو.

(٤) تقـدم تخـريجه مـن حديث أبي هـريرة رضـي اللـه عنـه في قصـة الأعـرابي.

فعلى الدعاة إلى الله أن يلزموا الوعظ المرقق للقلوب المستقى من هدي كتاب الله وهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يبتعدوا بوعظهم عن كل بدعة وينزهوه من كل ضلالة وشبهة.

وأن يتقوا الله تعالى في عباد الله، وليتعلموا الرفق إن لم يعرفوه حتى يكتسبوه، فكما ان العلم بالتعلم فكذلك الحلم بالتحلم، فإذا ماتعودوا على الحلم والشفقة والعفو عن المدعوين كان ذلك من أقوى مايعينهم على المضي في دعوتهم، والصبر على مايلقونه من أصحاب الغفلة والجهالة.

ولا يجعلوا من غليظ القول، وخشونة الطبع، سبيلاً في دعوتهم فإن ذلك مدعاة لانفضاض الناس عنهم وعدم الاستماع لهم.

الباب الثالث

الفصل الخامس

بذل الرسل عليهم السلام غاية النصح لأممهم وإشفاقهم عليهم من عاقبة تكذيبهم

توطئة:

فهمنا من خلال الفصول السابقة أن الرسل عليهم الصلاة والسلام بلغوا رسالة ربهم إلى عباده.

بالدعوة إلى توحيده جل وعلا، وبيان أوامره ونواهيه على وجه النصيحة لأقوامهم، بتعريفهم بالإله الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، وأن ماسواه مخلوق مربوب ليس له من الأمر شيء.

وحذروهم من عبادة غير الله، وبينوا لهم أنما يتخذونه من دون الله هو الباطل، وأن الله هو العلي الكبير المستحق للعبادة دون سواه.

ولفتوا أنظارهم إلى الدلائل والبراهين القائمة في الأنفس والآفاق الشاهدة للخالق بقدرته وعظمة خلقه، وبديع صنعه.

ورغبوا النفوس فيما أعده الله تعالى لمن امتثل أمره واجتنب نهيه بخيري الدارين العاجل والآجل:

ففي الدنيا يتحقق لهم ماوعدهم الله به من الخير، فيمددهم بأموال وبنين ويزدهم قوة إلى قوتهم.

وفي الآخرة يورثهم الله جنات تجري من تحتها الأنهار، لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى، ويقون عذاب السموم.

وفي المقابل حذروا المعرضين عاقبة إعراضهم بإجراء الله تعالى سننه فيهم، والتي لاترد عن القوم المجرمين.

وقابلوا مواقف الصد والتكذيب والاستهزاء والسخرية بحسن الرد في الخطاب، وجلد الصبر وقوة الاحتمال، ونازلوا كل فرية بالحجة، وقذعوها بنور الحكمة، ولم تلهج ألسنتهم إلا بالدعاء[1] لأممهم لا عليهم.

فكان هذا المنهج من الرسل عليهم السلام في الدعوة إلى الله تعالى دليلاً على بذلهم غاية النصح لأممهم، ومن ذلك ماقصه الله تعالى علينا عن قول نوح عليه السلام لقومه في قوله تعالى: ((**ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون**))[2].

والنصح في اللغة الخلوص: يقال: نصحته ونصحت له أي أخلصت وصدقت وضده الغش[3].

وفي الشرع عرف بتعريفات متعدة منها: ((أن يريد لغيره من الخير مايريد لنفسه))[4].

وعرفه الراغب بقوله هو ((تحري قول أو فعل فيه صلاح للغير وهو من قولهم نصحت لكم الود)) أي: أخلصته[5].

---

(١) ماجاء في الآيات من طلب الرسل عليهم السلام النصر من الله تعالى على أقوامهم في مثل قوله تعالى: (قال رب انصرني بما كذبون) (٢٦: المؤمنون) وقوله (قال رب انصرني على القوم المفسدين) (٣٠: العنكبوت) وقوله (رب افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) (٨٩: الأعراف).
فهذا الدعاء من الرسل إنما جاء بعد ان استعجل المكذبون تنزل العذاب على وجه التحدي والعناد.
وبعد أن عدوا دعوات الرسل عليهم السلام من قبيل الجدل الذي لايرون له ثمرة من وجهة نظرهم، كما أخبر الله تعالى عن قوم نوح في قوله: (قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) (٣٢: سورة هود).

(٢) سورة هود: الآية (٣٤).

(٣) انظر: تفسير فتح البيان (٣٥٣/٣).

(٤) الخازن: (٢٤٦/٢)، فتح البيان: (٣٥٣/٣).

(٥) انظر: المفردات للراغب (٤٩٤) مادة (نصح) العمود الثاني.

وناصح العسل خالصه، أو من قولهم نصحت الجلد خطته والناصح الخياط، والمعنى أنه يلم شعث أخيه بالنصح كما تلم المنصحة الثوب المخروق.

ومنه التوبة النصوح كأن الذنب يمزق الدين والتوبة تخيطه[١].

وحقيقة النصح: ((إرادة الخير لغيرك ماتريده لنفسك))[٢].

والإسم النصيحة وعرفها الخطابي بقوله: هي ((كلمة يعبر بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناها غيرها))[٣] ا.هـ.

كما قالوا في الفلاح: ((إنه ليس في كلام العرب كلمة أجمع لخيري الدنيا والآخرة منه))[٤].

وعرفها الجرجاني بقوله هي: ((الدعاء إلى مافيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد))[٥].

ومن خلال هذه التعريفات تبين لنا أن الأصل في النصيحة أن يقصد بها صلاح المنصوح له لا الناصح فإن كان له فائدة منها وجاءت تبعاً فلا بأس وإلا لم تكن النصيحة خالصة[٦].

والناصح: هو من أخلص النصيحة، ولا يكون ناصحاً إلا من جاء بالصدق من مصدره والتزم به قولاً وعملاً واعتقاداً.

---

(١) انظر: دليل الفالحين للأشعري (٤٥٧/١).

(٢) انظر: تفسير الخازن (٢٤٦/٢) وتفسير فتح البيان (٣٥٣/٣).

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٦٢:٥-٦٣) مادة (نصح). وانظر دليل الفالحين: (٤٥٧/١).

(٤) الكليات لأبي البقاء (٣٦٧/٤) فصل (النون).

(٥) التعريفات للجرجاني (٢٤١).

(٦) تفسير المنار (٤٩٣/٨) عند تفسيره للآية

والأنبياء عليهم السلام قد جاؤوا بالصدق واتسمت دعوتهم بالنصح، وصارحوا أقوامهم به بياناً لحقيقة الرسالة، وترغيباً لهم في الاستجابه لما يدعونهم إليه، وأعلنوا ذلك بأفصح أسلوب وأقوى دلالة، كما قصه الله علينا في دعوة نوح لقومه في قوله: ((**أبلغكم رسلت ربى وأنصح لكم وأعلم من الله مالاتعلمون**)).(١)

وقال هود عليه السلام لقومه: ((**أبلغكم رسلت ربى وأنا لكم ناصح أمين**)).(٢)

جاء في الكشاف: ((وفي زيادة اللام مع تعدي النصح بنفسه للدلالة على إخلاص النصيحة لهم، وأنها وقعت خالصة للمنصوح مقصوداً بها جانبه لاغير، فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا، ولا نصيحة أخلص من نصيحة الله ورسله عليهم السلام))(٣) أ.هـ.

وأعظم بالنصح نصحاً، فهو نصح يرتكز على:

* علم في التلقي.

* وأمانة في الأداء، وإليك بيان كلّ:

فأما العلم فإن نوحاً عليه السلام عطف في محاورته لقومه على الإبلاغ والنصح سمة العلم، فقال: ((**وأعلم من الله مالاتعلمون**)).(٤)

فنوح عليه السلام يعلم كغيره من اخوانه المرسلين مايطلعه الله عليه من الأمور الغيبية التي لاتعلم إلا عن طريق الوحي.

ثم الأنبياء عليهم السلام أيضا يعلمون من قدرة الله تعالى الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لايرد عن القوم المجرمين مالايعلمه أي من البشر.(٥)

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٦٢).

(٢) سورة الأعراف: الآية (٦٨).

(٣) تفسير الكشاف (٨٦/٢) بتصرف يسير.

(٤) سورة الأعراف: من الآية (٦٢).

(٥) قارن بتفسير سورة الأعراف للدكتور: أحمد الكومي، والدكتور محمد طنطاوى (٨٦).

فما من أمر يأمرونهم به، وما من نذارة أو بشارة إلا وهي عن علم، فكان الواجب على كل أمة تصديق رسولها واتباعه، وعدم الإعراض عنه وتكذيبه، ثم هذا النصح يرتكز على:

* **أمانة في الأداء.** ودل عليه قوله تعالى: ((**وأنا لكم ناصح أمين**))[1].

يقول ابن كثير: (وهذا شأن الرسول أن يكون مبلغاً وناصحاً عالماً بالله لايدركه أحد من خلق الله في هذه الصفات، كما جاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم عرفة وهم أوفر ماكانوا وأكثر جمعاً: ((أيها الناس إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فجعل يرفع إصبعه إلى السماء وينكسها عليهم، ويقول اللهم اشهد اللهم اشهد[2]))[3]

ومن ثم فقد استحق المعرضون عن دعوة رسلهم إلقاء اللائمة عليهم في نفرتهم عن الناصحين الذين يهدونهم سبيل الرشاد، وينذرونهم لقاء الله ويرغبونهم فيما أعده الله تعالى لمن أطاعه، وينذرونهم ماتوعد به من عصاه، ويسجلون عليهم أفن الرأي وفساد الأخلاق بكره الناصحين وعدم الانتفاع بهم)[4].

---

(١) سورة الأعراف: من الآية (٦٨).

(٢) جزء من حديث رواه مسلم في كتاب الحج، ١٩- باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٨٨٦/١) ونصه عنده (وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ويبكتها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات).

ومعنى قوله: ينكتها قيل الصواب (ينكبها) والمعنى يقلبها ويرددها إلى الناس مشيراً إليهم ومنه: نكب كنانته إذا قلبها.

حاشية عبد الباقي على مسلم (٨٩٠/١).

(٣) تفسير ابن كثير: (٢٣٣:٢).

(٤) تفسير المنار (٥٠٧/٨) بتصرف يسير.

كما قال تعالى عن نبيه صالح عليه السلام: (**فتولى عنهم وقال يٰقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لاتحبون النٰصحين**)[١].

وكما أن النصح لغة يعول عليها الأنبياء عليهم السلام في مقام الإعذار والإنذار، كذلك نجدهم لايفتئون عن ذكره حتى في آخر لحظة يرون فيها أن هلاك أقوامهم العصاة قد قرب، كما قصه الله تعالى علينا عن نبيه شعيب عليه السلام في قوله: (**فتولى عنهم وقال يٰقوم لقد أبلغتكم رسٰلٰت ربي ونصحت لكم...**)[٢].

وهذا القول منه عليه السلام إما أن يكون قبل التولي والانصراف عنهم، أو عنده ولكن في حال حياتهم[٣].

وعلى كل فهو عليه السلام قد أنذرهم الانذار الأخير بعد أن وفى ماعليه من ابلاغ ونصح، وبعدما يئس من إيمانهم. ثم إن في ذكر مابذله النبي عليه السلام من نصح لقومه تسلية للرسول عليه السلام علّ مايردده من قول يزيل بعض العضة عن قلبه، ويخفف مانزل بها من أسى وحسرة.

قال في غرائب القرآن: ((فتولى عنهم تولي ذاهب منكر لإصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب))[٤].

قلت: ويؤيد هذا ماذكر أن الله لايعذب أمة ونبيها بين أظهرها.

وذهب في المنار إلى أن هذا القول من نبى الله شعيب عليه السلام يجوز أن يكون بعد معاينة العذاب، واستشهد لهذا بمناداة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل القليب.

قلت: والأقرب أنه عليه السلام قال هذا القول قبل التولي عندما رأى علامات العذاب لإنذار قومه الإنذار الأخير.

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٧٩).
(٢) سورة الأعراف: الآية (٩٣).
(٣) انظر: تفسير المنار (٥٠٧/٨) وغرائب القرآن (١٦٨/٨).
(٤) غرائب القرآن (١٦٨/٨).

ثم إن منـاداة الرسول صلى اللـه عليه وسلم لأهل القليـب إنما هي خصوصية له صلى اللـه عليـه وسلم، وبيـان أمـر كمـا جاء في الحديث أن النبي صلى اللـه عليـه وسلم انطلـق إلى البئر التي وضع فيهـا قتلى مشركي بدر فقال: (يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان! هـل وجدتم ما وعدكم اللـه ورسوله حقا؟ فإني قد وجدت مـا وعدني الله حقا).

قال عمر رضي الله عنه: يارسول الله كيف تكلم أجساداً لاأرواح فيهـا؟ قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لايستطيعون أن يردوا علي شيئا).(١)

ولما كـان النصح لغةً محببةً للنفوس يعرفها الناس ويدركـون ما يترتب عليها من خير لأنفسهم ووفاء لغيرهم عندما يقومون بحقها ويأتون بها على وجههـا عرف بها خاتم الـرسل عليـه الصلاة والسلام صحـابته رضـوان اللـه عليهم مـن أول يوم ودُعـوا فيـه الجاهلية وآمنوا بالرسالة، كما في حديث جرير بن عبدالله(٢) رضي الله عنه عندما قال:

---

(١) جزء مـن حديث أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، - باب مـا جاء في عذاب القبر .. الخ (١٠١/٢).
ورواه مسلم -مـن حديث أنس بن مالـك رضي الله عنه، في كتاب الجنـة وصفـة نعيمها وأهلها، ١٧- باب عـرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعـوذ منه (٢٢٠٢/٣-٢٢٠٣) واللفظ له.

(٢) جرير بن عبـدالله بن جابر أبو عبدالله البجلي. أسلم قبل وفاة النبي صلى اللـه عليه وسلم بأربعين يوماً. وكـان حسن الصورة وهو سيد قومه. أرسلـه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ذي الخلصـة فخـرج في مـائة وخمسين راكباً من قومه فأحرقهـا. روى عنه بنوه: عبدالله، والمنـذر، وإبراهيم. وروى عنه قيس ابن أبي حازم، والشعبي، وهمام بن حارث وغيرهم. كان له في الحروب بالعراق، والقادسية وغيرها أثر عظيم. توفي سنـة إحدى وخمسين، وقيـل سنـة أربع وخمسين رضـي اللـه عنـه. انظـر: صفـة الصفوة: "٧٤٠/١-٧٤٢".
أسد الغابة: "٣٣٣/١-٣٣٤".

(بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم)[١].

ولعظم النصيحة فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد جعلها الدين كله كما في الحديث: ((الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))[٢].

وقد تعرض العلماء رحمهم الله تعالى لموضوعات النصيحة الواردة في الحديث بالتفسير والبيان، ونحن نورد ماذكره النووي رحمه الله تعالى من أقوالهم بعد أن أثنى على جهودهم بقوله: (فقد ذكر الخطابي وغيره من العلماء فيها -أي في النصيحة- كلاماً نفيساً وأنا أضم بعضه إلى بعض مختصرا فقال:

(أما النصيحة لله تعالى: فمعناها منصرف إلى الإيمان به ونفي الشريك عنه، وترك الإلحاد في صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن جميع النقائص، والقيام بطاعته واجتناب معصيته، والحب فيه، والبغض فيه، وموالاة من أطاعه، ومعاداة من عصاه، وجهاد من كفر به، والاعتراف بنعمته وشكره عليها، والاخلاص في جميع الأمور، والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة والحث عليها، والتلطف في جمع الناس أو من أمكن منهم عليها.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، ٤٢- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم (٢٠/١).
رواه مسلم في كتاب الإيمان، ٢٣- باب بيان أن الدين النصيحة (٧٥/١).

(٢) الحديث عن تميم الداري رضي الله عنه رواه مسلم في كتاب الإيمان، ٢٣- باب بيان أن الدين النصيحة (٧٤/١).
ورواه أبو داود في كتاب الأدب، ٦٧- باب في النصيحة (٢٣٣/٥-٢٣٤).
وأخرجه عن أبي هريرة الترمذي في كتاب البر والصلة، ١٧- باب ماجاء في النصيحة (٣٢٤/٤).

وأما النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: فتصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ماجاء به وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حياً وميتاً، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقه، وتوقيره وإحياء طريقته وسنته، وبعث دعوته ونشر شريعته، ونفي التهمة عنها، واستثارة علومها، والتفقه في معانيها والدعاء إليها، والتلطف في تعلمها وتعليمها، وإعظامها وإجلالها والتأدب، عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته، أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك.

وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى: فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لايشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته، وتحسينها والخشوع عنده، وإقامة حروفه في التلاوة، والذب عنه لتأويل المحرضين وتعرض الطاعنين، والتصديق بما فيه،، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه والدعاء إليه وإلى ماذكرنا من نصيحته.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم.

قال الخطابي رحمه الله:

ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم؛ إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة وأن لايغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح، وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات وهذا هو المشهور، وحكاه أيضا الخطابي ثم قال:

(وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر: فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم، ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم، وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق واخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم مايحب لنفسه من الخير، ويكره لهم مايكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم، وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل، وحثهم على التخلق بجميع ماذكرناه من أنواع النصيحة وتنشيط هممهم إلى الطاعات، وقد كان السلف رضي الله عنهم من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدنياه)[1] والله أعلم.

---

(١) النووي على مسلم (٣٨/٢) وما بعدها.

الباب الرابع

بيان أوجه التشابه بين الأمم المكذبة في مواقفهم من الرسل عليهم السلام

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: قلة أتباع الرسل عليهم السلام وكثرة المكذبين لهم.

الفصل الثاني: دعاوى الأمم المكذبة على الرسل عليهم السلام وأتباعهم.

الفصل الثالث: صدود المكذبين للرسل عليهم السلام وإعراضهم عن الدعوة.

الفصل الرابع: بيان أن أظلم الظلم الإفتراء على الله تعالى وأعظم الخسران الإعراض عن دعوة الله تعالى.

الباب الرابع

الفصل الأول

قلة أتباع الرسل عليهم السلام وكثرة المكذبين لهم

من خلال ماقصه الله تعالى علينا من خبر الرسل مع أممهم نجد أن الحق تبارك وتعالى يبين أن الرسل لايستجيب لدعوتهم إلا القليل من أقوامهم وأن أكثر المدعوين عن الحق لمعرضون.

فنوح عليه السلام مع أنه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً لقوله تعالى: ((**فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً...**))(١) لايؤمن معه إلا القليل، كما قال تعالى: ((**وما ءامن معه إلا قليل**))(٢).

إلا أن هذه الفئة المؤمنة هي القريبة من الله الحائزة على نصره، فلنصرتهم يأمر الله أن تتفتح أبوابها بماء منهمر، وأن تتفجر الأرض عيوناً ليلتقي الماءان على أمر قدره الله وقضاه، ليكون به هلاك الكافرين على كثرتهم، ويحمل الله المؤمنين في الفلك المشحون، قال تعالى: ((**فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون**))(٣) وقال أيضا: ((**وءاية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون**))(٤).

ووصف الله عز وجل جريان السفينة بين أمواج الطوفان بقوله: ((**وهى تجري بهم في موج كالجبال...**))(٥) ومع هذا الجو العاصف إلا أن الله نجى المؤمنين به وبرسوله، كما قال تعالى: ((**وقيل يٰنوح اهبط بسلٰم منا وبركٰت عليك وعلى أمم ممن معك**))(٦).

---

(١) سورة العنكبوت: من الآية (١٤).

(٢) سورة هود: من الآية (٤٠).

(٣) سورة الشعراء: الآية (١١٩).

(٤) سورة يس: الآية (٤١).

(٥) سورة هود: من الآية (٤٢).

(٦) سورة هود: من الآية (٤٨).

وهكذا الشأن فيمن أنجى الله عز وجل من عذاب الريح، والصيحة، والرجفة، والحصب، والخسف، فإنهم كانوا قلة نجاهم الله بإيمانهم ورحمة منه جل وعلا، وحاق بالأكثرين لكفرهم سوء العذاب، بدليل أن الله تعالى عندما أخبر عن اهلاك المكذبين من قوم هود وصالح وشعيب ولوط وغيرهم نفى عن الهالكين الإيمان، فقال: ((**وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز الرحيم**))(١).

وقال عن المكذبين من قوم هود: ((**فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين**))(٢).

وإبراهيم عليه السلام يخرج من بلده وليس معه من المؤمنين إلا زوجه وابن أخيه لوط عليه السلام، كما قال تعالى: ((**فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم**))(٣).

ولوط عليه السلام يقص ربنا علينا قصة نجاته فيقول: ((**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين. فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**))(٤).

والرسول صلى الله عليه وسلم وإن كان أكثر الرسل تابعاً، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه(٥) الحديث: ((وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)) وقوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة قال فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذي نفسي بيده اني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار)(٦).

---

(١) سورة الشعراء: الآية (٨).

(٢) سورة الشعراء: الآية (١٣٩).

(٣) سورة العنكبوت: الآية (٢٦).

(٤) سورة الذاريات: الآية (٣٥-٣٦).

(٥) هو أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري، الخُدْري، أخو قتادة بن النعمان لأمه، وكان من الحفاظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المكثرين، ومن العلماء الفضلاء العقلاء. أسد الغابة :(١٤٢/٥).
جزء من حديث لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه،وأوله: ((يقول الله عز وجل ياآدم..)). رواه البخاري في كتاب الرقاق، 46- باب قوله عز وجل: (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) (١٩٦/٧).

(٦) الرقمة: قطعة بيضاء تكون في في باطن عضو الحمار والفرس وتكون في قوائم الشاة. فتح الباري : (٣٨٨/١١).

إلا أن المعرضين عن دعوته صلى الله عليه وسلم كثير، كما قال تعالى في وعيده لمن كفر بما أنزل على رسوله: ((**ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولٰكن أكثر الناس لايؤمنون**))(١) أي القرآن حق من الله لامرية ولا شك فيه، ولكن أكثر الناس لايؤمنون(٢).

جاء في معارج الصعود: ((هذه الآية تدل أن أكثر الناس ليسوا بمؤمنين فأهل النار أكثر))(٣).

وقد أعرض عن هذا القرآن من كانوا أولى الناس بالإيمان به **وهم قوم الرسول صلى الله عليه وسلم من قريش** الذين أسمعهم صلى الله عليه وسلم ماأنزل عليه من ربه قبل كل سامع، فأبى أكثرهم إلا إعراضاً وكفوراً مع أنهم لايشكون في صدقه صلى الله عليه وسلم وصدق ماجاء به، كما قال تعالى: ((**فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون**))(٤).

وأهل الكتاب أيضا: يأبى أكثرهم إلا الضلالة والكفر والفسوق والعصيان، وقليل منهم من يؤمن بالله وما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى في ذمهم وتأنيبهم(٥): ((**ولو ءامن أهل الكتٰب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفسقون**))(٦).

مع أنهم لايشكون في صدقه أيضا بدليل قوله تعالى: ((**الذين ءاتينٰهم الكتٰب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون**))(٧).

---

(١) سورة هود: من الآية (١٧).
(٢) تفسير ابن كثير: (٤٥٦/٢).
(٣) معارج الصعود في تفسير سورة هود (٧٥).
(٤) سورة فصلت: من الآية (٤).
(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٤٠٥/١).
(٦) سورة آل عمران: الآية (١١٠).
(٧) سورة البقرة: الآية (١٤٦).

وقوله تعالى: ((**ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكفرين**))[١].

هذا ماأخبر الله عنه وقضى وقدره في ابتلاء أهل الحق بأهل الباطل، وهذه هي السمة الغالبة على ساحة الدعوة، وهذه هي محصلة الصراع القائم بين الحق والباطل، قليل من الناس من يذعن لطاعة الله ويتبع الحق ويتمسك به. وأكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم، مخالفون للحق، ناكبون عنه، كما قال تعالى في تسليته رسوله صلى الله عليه وسلم وتثبيته فؤاده: ((**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين**))[٢] وقال تعالى: ((**وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله...**))[٣] وقال تعالى في الإخبار عمن اتبع ابليس وخالف الرشاد والهدى[٤]: ((**ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين**))[٥].

وقد يستجيب للنبي جميع قومه كما حصل لنبي الله يونس عليه السلام، فقد قابله قومه بالاعراض أولاً، ثم ذهب مغاضباً فابتلاه الله تعالى بالتقام الحوت له، وناجى ربه وهو في الظلمات فاستجاب الله دعاءه، ثم أرسله إلى قوم آخرين فآمنوا أجمعين، كما جاء في قصته عليه السلام.

فإن يونس عليه السلام بعثه الله تعالى أولا إلى أهل قرية ((**نينوى**)) وهي قرية من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله تعالى فأبوا عليه، وأعرضوا عنه وتمادوا على كفرهم، فخرج عليه السلام من بين أظهرهم مغاضبا لهم ووعدهم العذاب[٦].

---

(١) سورة البقرة: الآية (٨٩).
(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٣).
(٣) سورة الأنعام: الآية (١١٦).
(٤) تفسير ابن كثير (٣:٥٤٣).
(٥) سورة سبأ: من الآية (٢٠).
(٦) تفسير ابن كثير (٣/٢٠٠-٢٠١).

وكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له، وشرود الحوت به في البحار، وظلمات غمرات اليم، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير، فحينئذ نادى عليه السلام في الظلمات[١] ((أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظلمين))[٢] فاستجاب الله دعاءه وأنجاه، كما قال تعالى: ((**فاستجبنا له ونجينه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين**[٣])). [٤]

ثم أرسله الله تعالى إلى مائة ألف أو يزيدون فصدقوه كلهم وآمنوا به[٥] كما قال تعالى: ((**وأرسلنه إلى مائة ألف أو يزيدون•فئامنوا فمتعنهم إلى حين**)).[٦]

وقد يستجيب للرسول أكثر قومه فيكون لهم مكنة وقوة ينشرون دين الله في أرضه وبين عباده ويجاهدون في سبيله، كما حصل للرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان، فصدقهم الله وعده فكثرهم من بعد قلة وقواهم من بعد ضعف، ومكنهم في أرضه.. وسيأتي مزيد بيان لهذا الموضوع في فصول هذه الرسالة إن شاء الله تعالى.[٧]

---

(١) قال ابن مسعود: (ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل).
تفسير ابن كثير (٣/٢٠١).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٨٧).

(٣) سورة الأنبياء: الآية (٨٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٤:٤٣٦) بتصرف يسير عند تفسيره للآية (٤٨:القلم).

(٥) تفسير ابن كثير: (٤/٤).

(٦) سورة الصافات: الآية (١٤٧-١٤٨).

(٧) انظر: صفحة (٥٤١) وما بعدها و(٥٨٨) وما بعدها.

والخير موجود في هذه الأمة إلى قيام الساعة، كما في الحديث: ((لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك))[١].

وهم أكثر أهل الجنة كما جاء في حديث سعيد الخدري رضي الله عنه وتقدم الاستشهاد به.

وهؤلاء المؤمنين على قلتهم هم حزب الله في الدنيا، وهم أيضاً أهل رضوانه في الآخرة، لذلك يحشرهم الله مع خيار خلقه، قال تعالى: **((ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما))**[٢].

ويكرمهم الله تعالى بمرافقة أنبيائه في جنات النعيم.

---

(١) رواه البخاري عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في كتاب الاعتصام بالسنة، 10- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق.. الخ (١٤٩/٧).
رواه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه في كتاب الامارة، 53- باب قوله صلى الله عليه وسلم (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم) (١٥٢٣/٢) واللفظ له.

(٢) سورة النساء: الآية (٦٩-٧٠).

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط[1] والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى صلى الله عليه وسلم وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، قيل لي أنظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب...))[2] الحديث.

فأتباع الرسل في روضات الجنات يحبرون، والمعاندون على كثرتهم حصب جهنم هم لها واردون، ((وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن النار تحظى بأكبر عدد من الناس، وأن نصيبها من كل ألف تسعة وتسعون وتسعمائة من الأف، وأن نصيب الجنة واحد من الألف))[3].

كما جاء في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ((يقول الله عز وجل يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك، قال يقول: أخرج بعث[4] النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال فذاك حين يشيب الصغير ((**وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكرى وما هم بسكرى ولكن عذاب الله شديد**[5]))

---

(١) الرهيط: تصغير الرهط، وهي الجماعة دون العشرة. انظر: حاشية عبد الباقي على مسلم (١٩٩/١٠).

(٢) رواه البخاري ٧٦- كتاب الطب، ١٧- باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو (١٦/٧).
ومسلم، 1- كتاب الإيمان، ٩٤- باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١٩٩/١).
أحمد في مسنده (٢٧١/١).

(٣) معارج الصعود للآمين: (ص٧٥).

(٤) بعث النار: البعث هنا بمعنى المبعوث الموجه إليها، ومعناه تميز أهل النار من غيرهم.

(٥) سورة الحج: الآية (٢).

قال: فاشتد ذلك عليهم قالوا: يارسول الله أينا ذلك الرجل؟ فقال: (أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج[١] ألفا ومنكم رجل، قال ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة. فحمدنا الله وكبرنا..)) وقد تقدم الحديث بتمامه[٢].

بقي أن نبين في ختام هذا المبحث أن قلة أتباع المرسلين لايغض من منازل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم مثقال ذرة، بل هم في أعلى المنازل، وهم أنبل الناس وأجل الناس، وأكرمهم، وفوقهم في كل شأن في الرجولة والشجاعة والفصاحة والبلاغة والبيان والنصح والنصيحة.

فإذا قل أتباعهم أو لم يتبع بعضهم أحد فالعيب كل العيب على الأمم التي رفضت الإستجابة لدعوتهم[٣].

ونستطيع أن نشير إلى أهم أسباب إعراض الأمم في الآتي:

السبب الأول: إضاعتهم لعهد الله تعالى:

فأضاع المعرضون عن دعوة الرسل عليهم السلام ماأقروا به لله من حق، وأخذ عليهم من عهد، كما قال تعالى: **(وإذ أخذ ربك من بنى ءادم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلىٰ شهدنا أن تقولوا يوم القيٰمة إنا كنا عن هذا غٰفلين * أو تقولوا إنما أشرك ءاباؤنا من قبل وكنا ذريةً من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون)**[٤].

---

(١) يأجوج ومأجوج: هما غير مهموزين عند جمهور القراء وأهل اللغة وقرأ عاصم بالهمز فيهما، وأصله من أججت النار وهو صوتها وشررها، شبهوا به لكثرتهم وشدتهم واضطرابهم ببعضه في بعض.
صحيح مسلم (٢٠١/١) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) انظر: تخريج الحديث صفحة ٤٩٧ من الرسالة.

(٣) انظر: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى فيه الحكمة والعقل، لربيع بن هادي مدخلي ص ٨١.

(٤) سورة الأعراف: الآية (١٧٢-١٧٣).

وكما قال عز وجل عند إهلاكه من ضل من الأمم: ((**وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفسقين**))[١].

يقول ابن كثير في معنى الآية: أي (لقد وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والامتثال. والعهد الذي أخذه هو ماجبلهم عليه وفطرهم عليه وأخذ عليهم في الأصلاب بأنه جل وعلا ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو، وأقروا بذلك وشهدوا على أنفسهم به، ثم بعد ذلك خالفوه وتركوه وراء ظهورهم، وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة لامن عقل ولا شرع، وفي الفطر السليمة خلاف ذلك كما وقفنا عليه في الأحاديث المتقدمة: ((إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ماأحللت لهم))[٢]. وحديث ((كل مولود يولد على الفطرة))[٣].

وجاءت الرسل الكرام من أولهم إلى آخرهم بالنهي عن عبادة غير الله عز وجل كقوله تعالى: ((**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**))[٤] وقال تعالى: ((**واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن ءالهة يعبدون**))[٥].

وقال تعالى: ((**ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت**[٦]))[٧].

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٠٢).
(٢) تقدم تخريجه.ص(٩٤)
(٣) تقدم تخريجه.ص:«٩٤»
(٤) سورة الأنبياء: الآية (٢٥).
(٥) سورة الزخرف: الآية (٤٥).
(٦) سورة النحل: الآية (٣٦).
(٧) تفسير ابن كثير:(٢٤٥:٢) بتصرف يسير.

أما السبب الثاني: فهو مقابلة الحق بالجحود والنكران:

فقد جاءهم الحق واضحاً جليا بشواهده وأعلامه الدالة على صدقه، ولكن الكثير منهم أعرضوا إعراض تكبر وعناد للحق، لا لأن الحق لم يكن واضحاً ومعروفاً، بل لأن سجايا أهل الضلال لاتقبل الحق ولا تقبل عليه، ولم يكتفوا بالإعراض بل عملوا على تعظيم الباطل، وصد الناس عن الحق، وبغضه وبغض أهله، وذمهم الله تعالى في قوله: ((**لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون**))(١) وذلك لأن المشركين كانوا يتحيلون بحيل ومكر يسلكونها، فكادهم الله تعالى ورد وبال ذلك عليهم(٢) كما يدل عليه غالب فصول هذا الباب.

السبب الثالث: إتباع الظن والهوى: كما قال تعالى عن المعرضين عن الحق: ((**وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لايغنى من الحق شيئا**))(٣). وقال تعالى: ((**وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون**))(٤). وقال تعالى: ((**إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى**))(٥).

وبعد فهذه دعوات الرسل عليهم السلام وهذه مواقف الأمم قبولاً أو إعراضاً، فعلى الدعاة إلى الله أن يتذكروا هذه المواقف من سيرة رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم جيداً، فلهم فيها خير مؤنس وأعظم زاد عند الشعور بالوحشة والإغتراب، ولا يفت في عضد الداعية كثرة إعراض المعرضين، فقد قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ((**وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله...**))(٦) ولا يستوحش الطريق من قلة السالكين بل عليه أن يمضي في طريقه، ولا يوهن عزمه قلة الأنصار وندرة الأعوان، فإن الله ناصر دينه وكتابه، وهو حسبه وكافيه.

---

(١) سورة الزخرف: الآية (٧٨).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٤٦/٤).
(٣) سورة يونس: الآية (٣٦).
(٤) سورة يونس: الآية (٦٦).
(٥) سورة النجم: الآية (٢٣).
(٦) سورة الأنعام: الآية (١١٦).

ولابن القيم رحمه الله تعالى أبيات في هذا المعنى نقتطف منها:

واصدع بما قال الرسول ولا تخف * من قلة الأنصار والأعوان
ولا تخش كثرتهم فهم همج الورى * وذبابه أتخاف من ذبان
وإذا تكاثرت الخصوم وصيحوا * فاثبت فصيحتهم كمثل دخان
فالله ناصر دينه وكتابه * والله كاف عبده بأمان (١)

وليعلم أن العاقبة والنصر والظفر والغلبة له على عدو الله وعدوه، لكن الأمر مشروط بنصر دين الله بحق.

فإذا حقق الداعي هذا الشرط حقق الله له ماوعد به من النصر والتمكين، وكما نصر الله تعالى أتباع رسله ومكن أتباعهم المؤمنين على قلتهم من أتباع نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وموسى ومحمد صلى الله عليه وسلم في أرضه وأورثهم ديار أهل الكفر وأموالهم فإن الله سيحقق له ماوعد به (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) (٢) لكن الأمر مشروط بنصر دين الله حقا والله يعلم مانخفي وما نعلن إنه عليم بذات الصدور.

---

(١) شرح العقيدة النونية لابن القيم: (١:١٩، ٥٠، ٥٥).
(٢) سورة الحج: الآية (٤٠).

الباب الرابع

الفصل الثاني

دعاوى الأمم المكذبة على الرسل وأتباعهم

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أن الرسل بشر

المبحث الثاني : أن أتباعهم من الضعفاء

الفصل الثاني

المبحث الأول

أن الرسل بشر

توطئة:

لقد أبلغ رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أقوامهم بما أوحى الله تعالى إليهم من الأمر بعبادته سبحانه، والبراءة من كل ماسواه، فانبرى لكل رسول أكابر مجرمي قومه، والمترفون منهم، فأنكروا نبوته ورسالته، وأبوا إلا التمرد والعصيان وإثارة الشكوك والأوهام للصد عن الرسالة، والوقوف في طريقها، بعد أن عزت عليهم الإستجابة وأنفت نفوسهم الطاعة، ولعل من المناسب أن نبين مايحيط بهذه الشبه على العموم سبباً، وهدفاً، وغاية.

أما الأسباب فهي كثيرة ونذكر منها:

١ - **تقليد الآباء والأجداد** فيما كانوا عليه من ضلال، كما أخبر الله تعالى عن المعاندين للرسل في قوله: ((**أتنهانا أن نعبد مايعبد ءاباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب**))(١) ((**قالوا يٰشعيب أصلوٰتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا أو أن تفعل في أموالنا مانشؤا إنك لأنت الحليم الرشيد**))(٢).

وقال تعالى مسلياً لرسوله صلى الله عليه وسلم ومهدداً مكذبيه: ((**فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء مايعبدون إلا كما يعبد ءاباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص**))(٣).

٢ - استكبارهم عن قبول الهدى كما قال تعالى في ذم قوم **عاد** (**وتلك عاد جحدوا بٰايٰت ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد**))(٤) وسيأتي لهذا مزيد بيان إن شاء الله(٥).

---

(١) سورة هود: الآية (٦٢).
(٢) سورة هود: الآية (٨٧).
(٣) سورة هود: الآية (١٠٩).
(٤) سورة هود: الآية (٥٩).
(٥) انظر صفحة ٥٤٤ من الرسالة. مبحث (استكبارهم عن تصديق الرسل).

٣ - **الحقد والحسد**: وهو أصل كل إباء واستكبار وإعراض وسخرية. واستهزاء بالحق وأهله.

فكفار قريش حسدوا الرسول صلى الله عليه وسلم على اصطفاء الله تعالى له بالنبوة، وطمعوا أن تكون لهم من دونه، فلما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى أنكروا بعثته، وكذبوا ماجاءهم به وكفروا به وقالوا ماأخبر الله عنهم في قوله: ((لولا أنزل هذا القرءان على رجل من القريتين عظيم))(١) أي: ((هلا كان إنزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير في أعينهم من القريتين؟ يعنون مكة والطائف))(٢) قال تعالى رداً عليهم في اعتراضهم هذا: ((أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوٰة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجٰت ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون))(٣).

ومن كفر من أهل الكتاب مامنعهم من تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته إلا حسدهم إياه صلى الله عليه وسلم على مارزقه الله تعالى من النبوة العظيمة، ولكونه من العرب وليس من بني اسرائيل(٤) كما قال تعالى في ذمهم: ((أم يحسدون الناس على ماءاتٰهم الله من فضله فقد ءاتينا ءال إبرٰهيم الكتٰب والحكمة وءاتينٰهم ملكاً عظيماً. فمنهم من ءامن به ومنهم من صد عنه وكفىٰ بجهنم سعيرا))(٥).

---

(١) سورة الزخرف: الآية (٣١).
(٢) تفسير ابن كثير (٤:١٣٦).
(٣) سورة الزخرف: الآية (٣٢).
(٤) انظر تفسير ابن كثير (٢/٥٢٦).
(٥) سورة النساء: الآية (٥٤-٥٥).

ولحسدهم أيضا: عملوا على الصد عن دين الله تعالى، وأظهروا العداوة والبغضاء لرسوله والمؤمنين به، مع علمهم بأن الرسول عليه السلام على الحق المبين، كما قال تعالى مُحذِّرا عباده المؤمنين من سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب، ومعلما بعداوتهم للمؤمنين في الباطن والظاهر[1]: **((ود كثير من أهل الكتٰب لو يردونكم من بعد إيمٰنكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق..))**[2].

أما **الهدف** فيرجع لأمرين:

أحدهما: إبطال دعوة الرسل عليهم السلام.

ثانيهما: رفع الملامة عن أنفسهم في عدم اتباعهم للرسول عليه السلام، وليخدعوا غيرهم في الإعراض عن الرسالة.

وأما **الغاية:** فترجع لأمرين أيضا:

أولاهما: البقاء على إمرتهم الجاهلية، وزعامتهم الفاجرة التي تسلطوا بها على العباد ظلماً وعدواناً.

ثانيهما: الخوف من البقاء في ساحة المعارضة وحدهم بعد إقبال الناس على الاستجابة للرسول واعتناق دينه.

واستحسن تلك الشبه من كل أمة أتباع المترفين والسذج من الناس، إما عن قناعة لأن في اتباعهم مايوافق الأهواء، ومن أعظمها البقاء على مآثر الآباء والأجداد من عبادة الأوثان والأصنام، والتعلق بالأولياء والصالحين من دون الله، كما أخبر الله عنهم في قوله: **((قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد ءاباؤنا...))**[3].

---

(١) قارن بتفسير ابن كثير (١٥٨/٢).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٠٩).

(٣) سورة إبراهيم: الآية (١٠).

وإما رغبة من البعض في مشاركة الرؤساء في مجالس التصدي والكيد للرسالة والإعراض عن الدعوة.

كما نجد البعض يوافق الملأ على مايريدون إما خوفاً من بطشهم أو طمعا في أعطياتهم. وهانحن نذكر بعض هذه الشبه التي تعلق بها هؤلاء الضالون ومنها:

الشبهة الأولى: أن الرسول بشر:

كما قال قوم نوح لرسولهم فيما أخبر الله عنهم في قوله تعالى: ((**فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك إلا بشراً مثلنا...**))(١).

يقول ابن كثير في معنى الآية: ((أي لست بملك ولكنك بشر فكيف أوحى إليك من دوننا؟))(٢) ا.هـ.

ومرادهم إنكار النبوة من جهة الطعن في البشرية(٣) لأن منصب الرسالة عظيم، ولا يسلمه الله لبشر على حسب زعمهم، وعلى افتراض أن الله تعالى يبعث من البشر رسلا فهم أولى به من دونه، كما قال طغاة قوم خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم: ((**وقالوا لولا نُزّل هذا القرءان على رجل من القريتين عظيم**))(٤) وهذه الشبهة من أعظم ماتذرع به الكفار عند كثير من الأمم، كما بين ذلك الحق في قوله جل وعلا: ((**وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا**))(٥).

---

(١) سورة هود: الآية (٢٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٥٨:٢).

(٣) وإن كان هذا السبب ليس مطرداً في جميع المكذبين فمنهم من آمن ببعض الرسل وهم من البشر، وكفروا بالبعض الآخر كما قال تعالى: ((إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا. أولئك هم الكفرون حقا وأعتدنا للكفرين عذاباً مهينا)) [١٥٠-١٥١ النساء].

(٤) سورة الزخرف: الآية (٣١).

(٥) سورة الإسراء: الآية (٩٤).

وتتشابه أقوال أئمة الكفر والضلال وكأنهم تواصوا على البغي والطغيان، كما ذمهم الله تعالى في قوله: ((**أتواصوا به بل هم قوم طاغون**))[١] فيسمع الرسول ممن كذبه كما سمع إخوانه المرسلون قبله، قال تعالى: ((**مايقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك...**))[٢].

(ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ودعا الناس إلى عبادة ربه أنكرت العرب بعثته، وقالوا قولتهم التي ذكرها عنهم ابن عباس رضي الله عنهما: ((إن الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا))[٣].

وقالوا أيضا: ((أما وجد الله من يرسله إلا يتيم أبي طالب))[٤].

فأنكر الله عز وجل عليهم تعجبهم مما لايستحق العجب بل يستحق الحمد والشكر، بأن بعث إليهم رسولا من جنسهم لايجدون وحشة في الإجتماع به، ولا صعوبة في الأخذ عنه، كما قال تعالى مقرراً عليهم ومنكراً عليهم شبهتهم: ((**أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين ءامنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكفرون إن هذا لسحر مبين**))[٥].

والتعجب في الآية تعجب جحود.

وكما أنكر عليهم أنكر على الأمم السالفة قبلهم نفس هذا التعجب كما، قال تعالى لقوم نوح على لسان نبيه نوح عليه السلام: ((**أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون**))[٦].

---

(١) سورة الذاريات: الآية (٥٣).
(٢) سورة فصلت: من الآية (٤٣).
(٣) انظر تفسير ابن كثير (٥٩١/٣).
(٤) تفسير القرطبي (٣٠٩/٨).
(٥) سورة يونس: الآية (٢).
(٦) سورة الأعراف: الآية (٦٣).

وكقوله على لسان هود عليه السلام: ((أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم))[١].

فتبين بذلك فرط عنادهم لأنهم قاسوا البشرية المتوجة بفضل الله ورحمته على البشرية المتجردة من ذلك كله، فكان قياساً فاسداً لايقيم ملة ولا يدفع حجة، وما أشبه حالهم بتنكبهم الطريق السوي بحال إبليس مصدر كل شر وغواية، عندما أمره الله عز وجل بالسجود لآدم عليه السلام فامتنع، وما كان له من حجة إلا أن قال ماقصه الله علينا في قوله: ((قال مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين))[٢].

يقول ابن عباس والحسن وابن سيرين[٣]: ((أول من قاس إبليس فأخطأ القياس فمن قاس الدين برأيه قرنه الله مع إبليس))[٤].

ولم يكتف أئمة الضلال بمواجهة الرسول بهذه الشبهة، بل لبسوا مسوح النصح وتذرعوا بحبال الناصحين، وتوجهوا بالخطاب للمخاطبين بالرسالة، آخذين من كل صفة لايستغني عنها الجسم بحكم خلقته، أو مطمع يرغب فيه الإنسان بحكم طبيعته سبيلاً لإذكاء مايروجونه من شبهة، وتثبيت مايزعمونه من فرية.

فأما من حيث الصفات:

فقد اتخذوا من الأوصاف التي لايستغني عنها الجسم البشري بحكم الطبيعة البشرية من احتياجه إلى الطعام والشراب، والخروج للأسواق لقضاء الحاجات سبيلاً لنفي نبوة النبي ولتقريب هذه الشبه من العقول، وتقريراً

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٦٩).

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٢).

(٣) محمد بن سيرين البصري، الأنصاري، بالولاء، أبو بكر، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي، مولده ووفاته في البصرة، تفقه، وروى الحديث واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا.

انظر: تهذيب التهذيب (٢١٤/٩) وفيات الأعيان (٤٥٣/١) الأعلام (١٥٤/٦).

(٤) تفسير القرطبي (١٧١/٧).

للمماثلة التامة بين الرسول ومدعويه لنفي نبوته، كما قال تعالى إخباراً عن قولهم: ((**ماهذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون**))(١).

وبدلالة هذه الآية فإن الملأ تنازلوا عن ضرب الشبه بأنفسهم -التي تطلب العلو والرفعة- وتوجهوا بالخطاب لمن يعنون من عامة الناس، فبدل أن يقولوا: ((ماهذا إلا بشر مثلنا))قالوا ((مثلكم)) ((مبالغة في تهوين أمر الرسول وتوهينه))(٢).

وكفار قريش يقولون في شأن الرسول ماأخبر الله عنهم في قوله جل وعلا: ((**مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا * أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا**))(٣).

ويحكم الله عز وجل عليهم بقوله: ((**انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلايستطيعون سبيلا * تبارك الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنت تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا**))(٤).

وأما من جانب ماتطمع فيه النفس(٥): فقد اتخذوا مما تطمع فيه النفس وتطمح إليه من حب الأثرة على الغير، والإمرة على بني جنسها، سبيلاً لإذكاء جذوة الغضب عند المخاطبين، وإغرائهم على معاداته صلى الله عليه وسلم فضلا عن الإستجابة لدعوته.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية (٣٣).
(٢) تفسير أبي السعود: (١٢٣:٦).
(٣) سورة الفرقان: الآية (٧-٨).
(٤) سورة الفرقان: الآية (٩-١٠).
(٥) وهذا على اعتبار مايرغب فيه أهل الكفر والضلالة، وإلا فإن الرسول عليه الصلاة والسلام مبرأ من هذا كله ولا أدل هذا من أن قريشاً قد عرضت على الرسول صلى الله عليه وسلم تمليكه عليهم مقابل تنازله عن رسالة ربه، وأن يكف عما يدعوهم إليه من عبادة الله تعالى وحده وأبى هذا العرض وغيره من إثرائه بالمال وتزويجه أحسن النساء.
انظر: البدايه لابن كثير: (٤٨/٣).

فاتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بطلب الرئاسة الدنيوية، كما في قوله تعالى: ((ماهذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملئكة ماسمعنا بهذا في ءابابنا الأولين))[١].

والمعنى: ((أن الرسول بشر مثلكم يريد الترفع والتعاظم عليكم بدعوى النبوة وهو بشر فكيف أوحى إليه من دونكم))[٢] ((ولو أراد الله أن يبعث نبيا لبعث ملكا من عنده))[٣].

وبلغ من سفاهة عقولهم أن عدوا اتباع الرسول خسراناً ولم يعدوا إتباع الأصنام التي اتخذوها من دون الله خسرانا[٤] كما أخبر الله عنهم في قوله: ((ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذاً لخسرون))[٥].

وبعد هذا نأتي إلى بيان رد القرآن الكريم على هذه الشبهة:

فلما كانت هذه الشبه تتوارد على الألسن تباعاً جاءت مقرونة بأشفى رد وأتمه، وهذا من تمام رحمة الله تعالى وفضله ومنه على عباده، إذ لم يدعهم حيارى فيما يتوارد على أذهانهم من شبهات، وما يلقنون من مفتريات، بل جاءهم بالحق الذي يزيل كل شبهة، ويدفع كل فرية، ولا يبق لمن أراد الحق محالا ولا يدع لمفتر مقالا. ونوضح ذلك في الآتي:

فأولا: بين الله عز وجل لعباده أنه أعلم حيث يجعل رسالته، كما قال تعالى: ((الله أعلم حيث يجعل رسالته...))[٦] ولا يسأل جل وعلاعما يفعل، وغيره من الخلق يسألون، كما قال تعالى: ((لايُسئل عما يفعل وهم يُسئلون))[٧] فليس في وسع أي من الخلق إلا الإذعان والقبول لا الجدال والإعتراض.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية (٢٤).
(٢) و (٣) تفسير ابن كثير (٣/٢٥٤).
(٤) تفسير الرازي: (١٢/٩٩) وتفسير أبي السعود: (٦/١٣٣).
(٥) سورة المؤمنون: الآية (٣٤).
(٦) سورة الأنعام: الآية (١٢٤).
(٧) سورة الأنبياء: الآية (٢٣).

ورد الله عز وجل على من أقحم نفسه في أمر اصطفاء الله لرسله بما أجراه جل وعلا من قسمة لأرزاق العباد ومعايشهم فجعل هذا فقيراً وذاك غنياً فكما أن أحدا لايستطيع زيادة في رزق نفسه ولا منع رزق غيره، فكذلك الحال في النبوة لايستطيع أحد حجبها عمن أنزلت عليه، ولا التفضل بها على من أرادها له، لأن اصطفاء الأنبياء عليهم السلام من خصائص الله وحده قال تعالى: ((**الله يصطفى من الملٰئكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير**))(١).

والأمر الثاني: يتعلق بسنة الله تعالى في اصطفاء الرسل عليهم السلام: فبين الله عز وجل أن سنته جرت بما قضت به حكمته أن يبعث لكل جنس رسولا من جنسهم ليسهل التخاطب والتفاوض إذ ان كل جنس لايأنس إلا بجنسه ((فلو كان الرسول إلى البشر ملكاً لترتب على اختلاف الجنس تنافر الطبع))(٢) فدل هذا كما يقول أبو السعود: ((على أن مااتخذوه سبباً للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة، لأن مقتضى الحكمة أن يرسل إلى البشر البشر وإلى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى: (**قل لو كان فى الأرض ملٰئكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا**)(٣))(٤).

فإن الله تعالى أخبر وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير أن البشر لايستطيعون رؤية الملائكة على الصورة التي خلقهم الله تعالى عليها، إلا اذا تغيروا إلى صورة بشر.

فلو جاءهم الملك على هيئته لم يأنسوا به، ولداخلهم من الرعب من كلامه، والإتقاء له مايكفهم عن مخاطبته، ويمنعهم من سؤاله، فلا تعم المصلحة بإرساله.

---

(١) سورة الحج: الآية (٧٥).

(٢) تفسير القرطبي: (٢٣٥:٧) بتصرف يسير عند تفسير قول الله تعالى: (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم..) (٦٣: الأعراف).

(٣) سورة الإسراء: الآية (٩٥).

(٤) تفسير أبي السعود: (56/6).

ولو نقل الملك من صورته إلى صورة البشر ليأنسوا به وليسكنوا إليه لقالوا لست ملكاً وإنما أنت بشر فلا نؤمن بك، ولعادوا إلى مثل حالهم، وللبّس الرؤساء على ضعفتهم في شأن الملك كما كانوا يشككونهم في الرسول البشري ولقالوا إنما هذا بشر (١) كما قال تعالى: ((**وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لاينظرون * ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم مايلبسون**)) (٢).

الأمر الثالث: في إقامة البرهان على صدق الرسول:

إذ أن في تمكين الله عز وجل الرسل على رؤية الملائكة والتخاطب معهم، ومن ثم إبلاغ أقوامهم معجزة دالة على صدق رسالتهم.

كما نجد الحق تبارك وتعالى يرسل ملائكته في صورة بشر (٣) مراعاة للحال البشرية عامة، كما أتوا إبراهيم ولوطا عليهما السلام في صورة الآدميين.

وأتى جبريل النبي عليهما الصلاة والسلام في صورة دحية الكلبي (٤).

---

(١) اقتباس من عبارات القرطبي بتصرف (٣٣٢/١٠).

(٢) سورة الأنعام: الآية (٨-٩).

(٣) وقد يأتي الملك على صورته الحقيقية كما جاء جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم في بدء الوحي كما في حديث عائشة وجابر رضي الله عنهما.
انظر: صحيح البخاري (٤،٣:١).

(٤) هو: دِحْية بن خليفة بن فروة.. الكلبي، صحابي مشهور، أول مشاهده الخندق، وقيل أحد، ولم يشهد بدراً، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبرائيل عليه السلام ينزل على صورته أحياناً.. بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قيصر رسولاً سنة ست في الهدنة، فآمن به قيصر، وامتنع عليه بطارقته، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: ثبت الله ملكه، شهد دحية اليرموك وعاش إلى خلافة معاوية رضي الله عنهما.
انظر: أسد الغابة : (٧٠٦/٢)، الإصابة: (١٦١/٢-١٦٢).

رابعاً: دعوة من شك في جنس الرسل عليهم السلام سؤال أهل الذكر عما شكوا فيه من أمر الرسالة:

وليقف المعرضون على سنة الله تعالى الجارية في الاصطفاء، أمر الله من شك في جنس الرسول، واستبعد كون الرسول من البشر ككفار قريش، بسؤال أهل الكتاب عما إذا كان الرسول من البشر. أم من الملائكة كما قال تعالى: ((**وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون**))(١).

والمعنى ياكفار قريش لاتبدأوا بالإنكار بقولكم ينبغي أن يكون الرسول من الملائكة؛ بل ناظروا المؤمنين ليبينوا لكم أن سنة الله تعالى قضت أن لايرسل إلى البشر إلا بشراً..

والملك لايسمى رجلا لأن الرجل يقع على ماله ضد من لفظه، تقول رجل وامرأة، ورجل وصبي، فقوله: ((إلا رجالا)) أي من بني آدم(٢).

أما عن المراد بالذِّكْرِ أهو القرآن، أو التوراة والإنجيل اللذين أنزلهما الله على موسى وعيسى عليهما السلام؟ قولان:

فقيل المراد بأهل الذكر القرآن، وروي هذا عن زيد بن أسلم واستشهد بقوله تعالى: ((**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحٰفظون**))(٣).

وروي عن علي رضي الله عنه أيضا لما نزلت هذه الآية قال نحن أهل الذكر.

يقول ابن كثير في تعقيبه على قول زيد بن أسلم المتقدم:

وهذا القول: ((صحيح لكن ليس المراد هنا لأن المخالف لايرجع في إثباته بعد إنكاره إليه))(٤) اهـ.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢٧٢/١١).

(٣) سورة الحجر: الآية (٩).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٥٩١/٢)، وانظر: القرطبي (٢٧٢/١١).

قلت: ولأن كفار قريش قد كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم فتكذيب ماجاء به مترتب عليه أيضا، وقد قال قائلهم معللا عدم إسلامه: ((إنا لانكذبك ولكن نكذب بماجئت به))[1].

*وقيل المراد بالذكر: التوراة والانجيل وهذا هو الصحيح.

والسؤال متوجه لأهلهما، ولكن هل المراد سؤال من آمن من أهل الكتاب؟ أو سؤال أهل الكتاب عامة؟ قولان:

قيل المراد سؤال من آمن[2].

وقيل: المراد سؤال أهل الكتاب عامة[3].

لأنهم وإن أنكروا[4] نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا فهم مقرون بأن الرسل كانوا من البشر.

ولأن كفار قريش إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم أقرب منهم إلى تصديق من آمن به[5].

والراجح: أن المراد سؤال من آمن؛ لأن الكافر معاند ولا يقر بحقيقة، ومن لم يؤمن يُسأل بأمور لاخلاف عليها. والله أعلم.

أما عن موقف الرسل عليهم السلام في الرد على هذه الشبهة:

فإن الرسل عليه السلام بينوا لأقوامهم أن البشرية لم تكن منقصة ولا مذمة في حق الرسول ورسالته.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب التفسير، ٧- باب سورة الأنعام (٢٦١:٤) وفيه أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (إنا لانكذبك..الخ) فأنزل الله (فإنهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) [٣٣: الأنعام] وانظر: تفسير القرطبي (٤١٦:٦).

(٢) و (٣) انظر: تفسير البغوي (٩٢/٣) والقرطبي (٢٧٢/١١).

(٤) لأن الإنكار وعدم الإيمان بالرسول إنما هو عن عناد أو استكبار أو لهوى في أنفسهم.

(٥) انظر: تفسير البغوي (٢٨٩/٢) والقرطبي (١٠٨/١٠).

فأخبروا أولا أنهم بشر كسائر البشر ولٰكن الله من عليهم بفضله وآتاهم رحمة من عنده، فأكرمهم بالنبوة واصطفاهم على عالمي زمانهم بالرسالة، ورفع أقدارهم على جميع خلقه، ولنستمع إلى قوله تعالى: ((**ألم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبيٰنٰت فردوا أيديهم فى أفوٰههم**(١) **وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب *قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السمٰوٰت والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمًّى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلُنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد ءاباؤنا فأتونا بسلطٰن مبين**(٢))).

والرسول صلى الله عليه وسلم أثبت البشرية لنفسه في مواقف متعددة من ذلك:

أولا: ماجاء في رده صلى الله عليه وسلم على تعنت الكافرين من قومه، كما جاء في قوله تعالى: (**وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا. أوتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهٰر خلٰلها تفجيرا. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملٰئكة قبيلا. أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتٰبا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا**)(٣).

---

(١) قوله: ((فردوا أيديهم في أفواههم)) أي: جعل أولٰئك القوم أيدي أنفسهم في أفواههم ليعضوها غيظاً مما جاء به الرسل، إذ كان فيه تسفيه أحلامهم، وشتم أصنامهم، قاله ابن مسعود، ومثله قاله عبد الرحمن بن زيد، وقرأ: ((عضوا عليكم الأنٰمل من الغيظ...)) [١١٩، آل عمران)).

وقال ابن عباس: لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم.

وقال أبو صالح: كانوا إذا قال لهم نبيهم أنا رسول الله إليكم أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم أن اسكت، تكذيباً له، ورداً لقوله؛ وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة المعنى، والضميران للكفار، والقول الأول أصحها اسنادا)اهـ ذكر ذلك القرطبي في تفسيره (٣٤٥/٩).

(٢) سورة إبراهيم: الآية (٩-١١).

(٣) سورة الإسراء: الآية (٩٠-٩٣).

ثانيا: وفي مواطن القضاء وفض النزاع بين الخصوم يعلن صلى الله عليه وسلم بشريته وأنه يقضي على حسب مايسمع، فعن أم سلمة[(١)] رضي الله عنه: ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع خصومة بباب حجرته فخرج إليهم فقال إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو فليتركها))[(٢)].

ثالثا: في تقوية عزائم قومه للأخذ عنه:

فقد قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي ارتعدت فرائصه عند مثوله أمامه ليستفتيه ((هوِّن عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد))[(٣)].

---

(١) أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، القرشية، المخزومية، أم المؤمنين، اسمها هند.. وكانت ممن أسلم قديماً هي وزوجها -أبي سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة- وهاجرا إلى الحبشة، ثم قدما مكة فهاجرا إلى المدينة.. وبعد أن توفي زوجها أبو سلمة، تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة سنة أربع وقيل سنة ثلاث، ودعا لها صلى الله عليه وسلم بذهاب الغَيْرة عنها، فكانت في النساء كأنها ليست فيهن لاتجد مايجدن من الغيرة.توفيت سنة تسع وخمسين. وقيل سنة اثنتين وستين، وقبرت بالبقيع وهي ابنة أربع وثمانين سنة رضي الله عنها.
انظر: صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/٤٠-٤٢) الإصابة لابن حجر (٨/٢٤٠-٢٤٢).

(٢) رواه البخاري في كتاب المظالم، 16- باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه (٣:١٠١).

(٣) رواه ابن ماجة في كتاب الأطعمة ٣- باب القديد (٢/١١٠١) وقال في الزوائد: هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات.
ورواه الحاكم (٢/٤٦٦) (٣/٤٨) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وحكم عليه الألباني أيضا في عدد من كتبه بالصحة.
وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٨٧٦) وصحيح الجامع الصغير وزيادته (٦/٩٢).

رابعا: في مقام التشريع:

إذ أن الرسول بشر يجرى عليه مايجري على الجنس البشري عامة، فنسي فَذُكِّر وَذَكَر، كما في حديث ذو اليدين [1] أو السرعان ((أنسيت أم قصرت الصلاة، فقال لم أنس ولم تقصر)) والحديث بنصه: ((صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا فقلنا يارسول الله: أزيد في الصلاة؟ قال: وما ذاك قالوا: صليت خمسا، قال: إنما أنا بشر مثلكم أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون. ثم سجد سجدتي السهو)) [2].

---

(١) الخرباق السلمي.. ثبت ذكره في صحيح مسلم من حديث عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سلّم في ثلاث ركعات ثم دخل منزله فقام إليه رجل يقال له(الخرباق).. اشتهر بحديث السهو، وقال ابن حبان هو غير ذي اليدين، وقيل: هو. هو.
انظر: الإصابة: (٢/١٠٨).

(٢) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري في كتاب الصلاة ٨٨- باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره (١/١٢٣).
ورواه مسلم في كتاب المساجد ١٩- باب السهو في الصلاة والسجود له (١/٤٠٣).

خامساً: فيما جرى على جسده الشريف صلى الله عليه وسلم إذ مرض صلى الله عليه وسلم، وجاع، وسحر، وسمّ من قبل اليهود، وأثّر السحر في جسمه إلى أن عافاه الله منه، ولكنه لم ينل من عقله شيء، وأما السم فما زال يعاوده حتى انتهى إلى جوار ربه، فقد قال صلى الله عليه وسلم في المرض الذي مات فيه: ((**ياعائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري**[1]**))**.[2]

سادساً:أن الرسل عليهم السلام انتهت آجالهم بمثل ما انتهت إليه آجال غيرهم من البشر، إما بموت أو قتل، كما قال تعالى في ذم اليهود على موقفهم من رسلهم: ((**أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون**))[3].

وقال جل وعلا في شأن خاتم رسله: ((**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإيْن مات أو قتل انقلبتم على أعقبكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشكرين**))[4].

وبعد هذا أفليس في إنكار اصطفاء الله للرسل من البشر استخفاف بالجنس البشري، وعدم إعتداد به، وإبعاد له عن الخير، وطلب للإهانة له في حين أراد الله عز وجل له الإكرام والتكريم: إذ جعل الحق جل وعلا الرسالة في جنس البشر، وجعل الرسل عليهم السلام لبني جنسهم هداة وقادة ينقذونهم من براثن الجاهلية والتفرق إلى صفاء العقيدة واجتماع الكلمة، كما قال تعالى في امتنانه على عباده ببركة متابعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ((**واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا**)) [5]

---

(١) هو: عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه. فتح الباري لابن حجر: "١٣١/٨". وانظر: غريب الحديث لابن الأثير: "١٨/١".

(٢) الحديث عن عائشة رضي الله عنها، ورواه البخاري في كتاب المغازي، - باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته.. الخ (١٣٧/٥).

(٣) سورة البقرة: الآية (٨٧).

(٤) سورة آل عمران: الآية (١٤٤).

(٥) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).

ووعد من استجاب لدعوة رسله بالتمكين في الأرض، كما قال تعالى: ((**وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصٰلحت ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولٰئك هم الفٰسقون**))(١).

وقرن الله تعالى ذكر رسله بمن آمن بهم في الذكر والمنزلة والثواب كما قال تعالى: ((**ومن يطع الله والرسول فأولٰئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيٖن والصديقين والشهداء والصٰلحين وحسن أولٰئك رفيقا. ذٰلك الفضل من الله وكفى بالله عليما**))(٢).

ومن أعظم التكريم أيضا: أن جعل الله تعالى من آمن بالرسول متابعاً له في حمل أمانة التبليغ والإرشاد والبيان، كما دل على ذلك العديد من الآيات والأحاديث الصحاح عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأمر صلى الله عليه وسلم من اتبعه ممن كتب الله تعالى لهم الصحبة مع نبيه بالقيام بأمر الدعوة، فكان صلى الله عليه وسلم يبعث صحابته رضوان الله عليهم للقرى والأمصار لدعوة أهلها للدخول في الإسلام، والإيمان بما جاء به، وتعليم من آمن أحكام الدين.

---

(١) سورة النور: الآية (٥٥).
(٢) سورة النساء: الآية (٦٩-٧٠).

فبعث مصعب بن عمير[1] رضي الله عنه للمدينة بعد بيعة العقبة[2]

وبعث صلى الله عليه وسلم معاذاً رضي الله عنه في الفترة المدنية إلى اليمن[3].

وما هذه إلا إشارة لما دلت عليه سنته صلى الله عليه وسلم الفعلية، وبالمقابل جاء الترغيب منه صلى الله عليه وسلم لأمته في حمل الأمانة من بعده، وحَفَزَ صلى الله عليه وسلم الهمم على التسابق لاغتنام ميراثه ووعد القائمين على ذلك أجراً عظيما، وحذر المتثبطين شراً مستطيراً. وقد وقفنا على طرف من هديه صلى الله عليه وسلم في هذا الجانب في مبحث أهمية الدعوة[4].

---

(١) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، يكنى ((أبا عبد الله)) من فضلاء الصحابة وخيارهم، ومن السابقين إلى الإسلام، وكتم اسلامه خوفاً من أمه وقومه، هاجر إلى أرض الحبشة، وعاد من الحبشة إلى مكة ثم هاجر إلى المدينة بعد العقبة الأولى ليُعلّم الناس القرآن ويصلي بهم، وأسلم على يده أُسيد بن حضير، وسعد بن معاذ رضي الله عنهم، وشهد مصعب بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد أحداً، ومعه لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقتل في هذه الغزوة شهيدا، ويقال نزلت فيه وفي أصحابه: ((من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه...)) [٢٣ ، الأحزاب].
انظر: أسد الغابة: (٤/٤٠٦-٤٠٨).

(٢) انظر: بعث مصعب رضي الله عنه إلى المدينة. في البداية لابن كثير: (١٤٩/٣).

(٣) انظر: بعث معاذ إلى اليمن في البداية لابن كثير: (٨٩/٥).

(٤) انظر: ص٣٤ من الرسالة.

الفصل الثاني

المبحث الثاني

أن أتباع الرسل من الضعفاء

توطئة:

لقد نظر أعداء الرسل إلى أتباع الرسل عليهم السلام فوجدوا أن بعضهم من ضعفاء الناس، فوزنهم الأعداء بموازينهم المختلة التي لاتعبأ بقيم الخير والحق فوصفوهم بأنهم أراذل.. لأن ميزانهم بالأجسام أو المال أو الجاه .. وهذه الأوصاف هي مايحتمله ماجاء عن ملأ قوم نوح في تحقير أتباع نبيهم عليه السلام، كما في قوله تعالى: ((**وما نريك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى...**))(١).

قال القرطبي: ((الرذل: النذل، أرادوا اتبعك أخساؤنا وسقطتنا وسفلتنا))(٢) وأورد ماذكره الزجاج بقوله: ((نسبوهم إلى الحياكة ولم يعلموا أن الصناعات لا أثر لها في الديانة)).

وقال النحاس: ((الأراذل هم الفقراء الذين لاحسب لهم والخسيسوا الصناعات)).

وانتهى القرطبي في تفسيره إلى بيان معنى الأراذل بقوله: ((الأراذل هنا: هم الفقراء والضعفاء كما قال هرقل لأبي سفيان: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم؛ فقال: هم أتباع الرسل))(٣).

ومرادهم الإستهانة بدعوة الرسول وتكذيبه من جهة الزراية بأتباعه كما تقدم.

بينما هم يعدون أنفسهم أهل الرأي والسداد، ولا يليق بهم أن ينضموا لدعوة أول مابادر للاستجابة لها ضعفاء الناس دون فكر ولا روية، كما قال تعالى عنهم ((بادي الرأى)) وهم أهل المُكنة والقوة والرئاسة في قومهم؛ إن قالوا سمع لقولهم، وإن نهوا استجيب لهم، فكيف يستجيبون لدعوة يتساوون فيها مع هؤلاء الضعفاء الذين كان لهم سابق الإمرة عليهم، ولكن هذا الإعتراض إعتراض فاسد بغير حجة ولا دليل أتاهم، بل هم قوم خصمون، ينافحون بالباطل ليدحضوا به الحق، والله متم نوره ولو كره الكافرون..

---

(١) سورة هود: من الآية (٢٧).
(٢) تفسير القرطبي (٢٣/٩).
(٣) تفسير القرطبي (٢٣/٩) وتقدم تخريج حديث أبي سفيان، انظر صفحة ١٨٤ من الرسالة.

فأظهر تعالى مما يبغون به إقامة الحجة مايدل على سفاهة عقولهم وضآلة أفهامهم يقول ابن كثير معلقاً على اعتراض القوم:

((هذا اعتراض الكافرين على نوح عليه السلام وأتباعه، وهو دليل على جهلهم وقلة علمهم وعقلهم فإنه ليس بعارٍ على الحق رذالة من اتبعهم فإن الحق في نفسه صحيح سواء اتبعه الأشراف أو الأراذل؛ بل الحق الذي لاشك فيه أن أتباع الحق هم الأشراف ولو كانوا فقراء والذين يأبونه هم الأراذل ولو كانوا أغنياء ثم الواقع غالباً أن مايتبع الحق ضعفاء الناس والغالب على الأشراف والكبراء مخالفته، كما قال تعالى: ((**وكذلك ماأرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا ءاباءنا على أمة وإنا على ءاثٰرهم مقتدون**))(١) ولما سأل هرقل معك الروم أبا سفيان صخر بن حرب عن صفات النبى صلى الله عليه وسلم قال له فيما قال: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم قال بل ضعفاؤهم . فقال هرقل هم أتباع الرسل(٢) .

ويقول القرطبي: ((وكان هذا جهلا منهم لأنهم عابوا نبي الله صلى الله عليه وسلم بما لاعيب فيه، لأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم إنما عليهم أن يأتوا بالبراهين والآيات، وليس عليهم تغيير الصور والهيئات، وهم يرسلون إلى الناس جميعاً فإذا أسلم منهم الدنيء لم يلحقهم من ذلك نقصان لأن عليهم أن يقبلوا إسلام كل من أسلم منهم))(٣) اهـ بغض النظر عن الحسب والمظهر والصنعة، فإنها لاترفع من لم يرفع بالإيمان رأساً لأن ضابط الإنتماء للإسلام(٤) بالقلب والعمل لا بالصورة والهيئة، ولا تفاضل بين الناس إلا بالتقوى، كما قال تعالى: ((**إن أكرمكم عند الله أتقٰكم**...))(٥) .

---

(١) سورة الزخرف: الآية (٢٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٥٨/٢). وقد تقدم الاستشهادبحديث أبى سفيان هذا ،**ص: ١٨٤ من الرسالة** .

(٣) تفسير القرطبي (٢٣/٩).

(٤) وهو دين الرسل أجمعين كما قال تعالى: ((إن الدين عند الله الإسلام...)) (١٩: آل عمران).

(٥) سورة الحجرات: من الآية (١٣).

وفي الحديث الصحيح الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: ((إن الله عز وجل لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))(١).

وتتشابه دعاوى أئمة الكفر والضلال على أتباع الرسل والرسالات، فمن المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم استجاب له في أول بعثته ضعفاء الناس من الرجال والنساء والعبيد والإماء ولم يتبعه من الأشراف إلا القليل.

فعز على المعاندين استجابة هؤلاء الضعفاء للرسالة، وضنوا بضآلة عددهم على الدعوة، فلم يكتفوا بالزراية والتعيير، بل اتخذوا مواقف متعددة ليفتنوا من آمن عن دينه ومن هذه المواقف:

أولا: أسلوب السخرية بالمؤمنين عامة والضعفاء خاصة.

ثانيا: إيذاء الضعفاء وتعذيبهم.

ثالثا: مساومة الرسل على طرد من آمن من الضعفاء.

وها نحن نفصل القول في هذه الأساليب:

أولا: فأما أسلوب السخرية:

فهو أسلوب إيذاء معنوي إتخذه المعاندون ليصلوا إلى مايقصدون إليه من توهين العزائم، وإلحاق الأذى بمن آمن، ولا ننسى أن هذا النوع من الإيذاء وإن كان موجه لكل من آمن إلا أن للضعفاء منه أكمل حظ وأوفر نصيب، إذ أهم الأعداء أمر إيمان من آمن بالرسول، واشتغلوا بهم، وجعلوهم نصب أعينهم، وتعرضوا لهم بالإستهزاء والإحتقار، وقد سجل الله عليهم أفعالهم الذميمة في قوله تعالى: ((**زُين للذين كفروا الحيوٰة الدنيا ويسخرون من الذين ءامنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيٰمة والله يرزق من يشاء بغير حساب**))(٢).

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر، 10- باب تحريم ظلم المسلم وخذله (١٩٨٧/٣).
ورواه ابن ماجة في الزهد، 9- باب القناعة (١٣٨٨/٢) وأحمد في مسنده (٥٣٩،٢٨٥/٢).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢١٢).

وقال تعالى عن المنافقين: ((**وإذا قيل لهم ءامنوا كما ءامن الناس قالوا أنؤمن كما ءامن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لايعلمون**))[١].

وكما عابوهم بإيمانهم عابوا عليهم فعل الخير والإحسان، كما قال تعالى في ذم المنافقين أيضاً: (**الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقت والذين لايجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم**))[٢].

وعد أعداء الرسالة تسابق الضعفاء على الإيمان بالله وتصديق رسله دليلاً على كذب الرسول، كما أخبر الله عن قوم نوح في قوله تعالى: ((**بل نظنكم كذبين**))[٣] ونفي الخيرية عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، كما قال كفار قريش ماأخبرنا الله به في قوله تعالى: ((**وقال الذين كفروا للذين ءامنوا لو كان خيراً ماسبقونا إليه...**))[٤].

يقول ابن كثير في معنى الآية: ((أي قالوا عن المؤمنين بالقرآن لو كان القرآن خيراً ماسبقنا هؤلاء إليه يعنون بلالاً وعماراً وصهيباً وخباباً رضي الله عنهم، وأشباههم، وأضرابهم من المستضعفين، والعبيد، والإماء))[٥].

وقد غلطوا في ذلك غلطا فاحشا وأخطأوا خطأً بينا، كما قال تبارك وتعالى: ((**كذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا...**))[٦] أي يتعجبون كيف اهتدى هؤلاء دوننا ولهذا قالوا: ((**لو كان خيرا ماسبقونا إليه...**))[٧].

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٣).
(٢) سورة التوبة: الآية (٧٩).
(٣) سورة هود: الآية (٢٧).
(٤) سورة الأحقاف: الآية (١١).
(٥) تفسير ابن كثير (١٦٨/٤).
(٦) سورة الأنعام: من الآية (٥٣).
(٧) تفسير ابن كثير (١٦٨/٤).

وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم هو بدعة لأنه لو كان خيراً لسبقونا إليه، لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها)اهـ تفسير ابن كثير: (١٦٨:٤).

وحتى قال أحدهم: ((لو كان محمد نبيا كما يقول، لاتبعه أشرافنا وساداتنا، والله ماتبعه إلا أهل الحاجة مثل ابن مسعود))[1] هذا عن قريش.

وفي المقابل نجد أن المكذبين للرسول من أهل الكتاب يتخذون نفس الموقف في احتقار من آمن منهم فيذكر ابن هشام أنه (لما أسلم عبد الله بن سلام ومن أسلم من يهود معه[2]

---

(١) تفسير الطبري (٣٣٤/١) عند قوله تعالى: ((زين للذين كفروا الحيوة والدنيا ويسخرون من الذين ءامنوا...)) (٢١٢: البقرة).

(٢) ذكر منهم ابن هشام في سيرته: ثعلبة بن شعبة، وأسد بن عبيد، نفر من بني هَدْل وفي هؤلاء أنزل الله عز وجل ((من أهل الكتب أمة قايمة...)) الآية [١١٣، آل عمران]. انظر: سيرة ابن هشام: (٢١٣/١).

ومن أسلم من يهود معه فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام ورسخوا فيه قالت أحبار يهود ((أهل الكفر منهم ماآمن بمحمد ولااتبعه إلا شرارنا ولو كان من أخيارنا ماتركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله تعالى (١) في ذلك قوله جل وعلا: ((ليسوا سواء من أهل الكتٰب أمة قائمة يتلون ءايٰت الله ءاناء اليل وهم يسجدون)) (٢) إلى قوله ((والله عليم بالمتقين)) (٣).

أما موقف الإيذاء والتعذيب فهو أسلوب إيذاء حسي سلكه المعاندون ببسط أيديهم وألسنتهم بالسوء على الرسل وأتباعهم، بغية التنكيل بدعاة الحق والنيل منهم ليصدوهم عن إبلاغ دعوة الله تعالى، أو للخلاص منهم، كما قال تعالى في ذم طائفة استكبرت عن اتباع الحق: ((أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلو ن) (٤) وأخبر جل وعلا عن عداوة المشركين بقوله: ((وإذا تتلى عليهم ءايٰتنا بينٰت تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم ءايٰتنا...)) (٥).

فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يسلم من أذى كفار قريش خاصة وغيرهم عامة.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢١٣/١) ودلائل النبوة للبيهقي (٣١/٤-٣٢) تفسير ابن كثير (٤٠٥/١-٤٠٦).

(٢) بعد أن قال تعالى في ذم من لم يؤمن من أهل الكتب (ولو ءامن أهل الكتٰب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفٰسقون. لن يضروكم إلا أذى وإن يقٰتلوكم يولوكم الأدبار ثم لاينصرون. ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءو بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بـٔايٰت الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذٰلك بما عصوا وكانوا يعتدون * ليسوا سواء..) الآيات (١١٠-١١٣: آل عمران).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١١٣-١١٥).

(٤) سورة البقرة: الآية (٨٧).

(٥) سورة الحج: الآية (٧٢).

* فقد ألقت عليه قريشاً الفرث وسلى الجزور وهو يصلي.(١)

* وفي مرة أخرى هموا بقتله صلى الله عليه وسلم لولا أن قيض الله تعالى له أبو بكر الصديق رضي الله عنه مدافعاً دونه فدافع عنه وهو يبكي ويقول: ((أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله)).(٢)

وبعد وفاة عمه أبي طالب نالت قريش من الرسول صلى الله عليه وسلم مالم تكن تطمع في حياة عمه أبي طالب، حتى ليقول صلى الله عليه وسلم: ((مانالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبوطالب))(٣) وبعدها خرج صلى الله عليه وسلم إلى ثقيف بالطائف يلتمس النصرة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ماجاءهم به من الله عز وجل، ولم يلق منهم إلا التكذيب والاستهزاء وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم حتى دميت قدماه. وألجؤوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، ولايدخل مكة صلى الله عليه وسلم خوفاً من بطش الأعداء إلا بجوار المطعم بن عدي.(٤)(٥)

---

(١) انظر: خبر ذلك في صحيح البخاري كتاب الوضوء، ٦٩- باب إذا ألقى على ظهر المصلي قذر أو جيفه لم تفسد عليه صلاته (٦٥/١).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢٩٠/١).

(٣) المرجع السابق (٤١٦/١).

(٤) هو المطعم بن عدي بن نوفل، بن عبدمناف، من قريش، رئيس بني نوفل في الجاهلية، وقائدهم في حرب الفجار، كانت له مواقف مشرفة من الرسول صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يسلم فقد أجار الرسول صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن أهل الطائف وعاد متوجهاً إلى مكة، وكان أحد الذين مزقوا الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم. وفي البخاري: (لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى -يعني أسارى بدر- لتركتهم له) توفي قبل وقعة بدر وله بضع وتسعون سنة. انظر: نسب قريش (١٩٨، ٢٠٠، ٤٣١)، السيرة لابن هشام (١٩،١٥/٢)، فتح الباري (٣٢٣/٧)، والأعلام (٢٥٢/٧).

(٥) انظر: خروجه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وأسبابه في: الطبقات لابن سعد (٢١٠/٢-٢١٢)، السيرة النبوية لابن كثير (١٥٣/٢-١٥٤)، زاد المعاد لابن القيم (٣١/٣-٣٤)، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لمحمد بن عبدالوهاب (٨٢-٨٣).

وبعد أن قرر صلى الله عليه وسلم الهجرة إلى المدينة، جدت قريش في طلبه، وجعلت مائة ناقة لمن يرده إليهم[(١)].

ويهود بني النضير في المدينة: اجتمع رأيهم على إلقاء الصخرة على الرسول صلى الله عليه وسلم عندما جاءهم في دية رجلين من المسلمين تسببوا في قتلهما، فيخبره الوحي بما دبروا، وينجيه الله تعالى من كيدهم ومكرهم، فرجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وتبعه أصحابه وينزل الله تعالى[(٢)] في ذلك قوله جل وعلا: ((**يأيها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون**))[(٣)] ثم أُمِرَ صلى الله عليه وسلم أن يغدوا إليهم فحاصرهم حتى أنزلهم فأجلاهم.

وأما عن إيذاء الكفار لأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فنقول على سبيل الإستشهاد بأن ذلك يتمثل في عدوان قريش وغيرها على من أسلم واتبع الرسول صلى الله عليه وسلم؛ بالحبس، والتعذيب بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر؛ ليفتنوهم عن دينهم. فمنهم من يفتن من شدة مايصيبه من بلاء، ومنهم من يصلب له ويعصمه الله منه، ونستشهد في هذا المقام بما حصل لبلال[(٤)] رضي الله تعالى عنه من أذى وتعذيب على يد أمية بن خلف.

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤٨٩/١).

(٢) هذا قول في سبيل نزول الآية، وقيل غير ذلك. انظر: تفسير ابن كثير (٣٢/٢).

(٣) سورة المائدة: الآية (١١).

(٤) هو: بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، كان من السابقين إلى الإسلام وممن عذب في الله فصبر على العذاب، شهد بدراً والمشاهد كلها، وكان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته سفراً وحضرا، وهو أول من أذن له في الإسلام، روى عنه: أبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وغيرهم رضي الله عنهم، وسكن الشام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ومات بها سنة ٢٠هـ وقيل غير ذلك.
انظر: أسد الغابة (٢٤٣/١-٢٤٥) الإصابة (١٧٠/١-١٧١).

فيذكر ابن هشام: ((أن أمية[١] كان يخرج بلالا رضي الله عنه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له ((لا والله)) لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتبعد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء ((أحد أحد))

وكذلك أيضا فإن بني مخزوم كانوا يخرجون بعمار بن ياسر[٢] وبأبيه وأمه رضي الله عنه وكانوا أهل بيت إسلام إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ((صبرا آل ياسر موعدكم الجنة))[٣][٤]

---

(١) أمية بن خلف بن وهب، من بني لؤي، أحد طغاة قريش، ومن ساداتهم، أدرك الإسلام ولم يُسلم، وهو الذي عذب بلالا الحبشي في بداءة ظهور الإسلام، أسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر، فرآه بلال فصاح بالناس يحضرهم على قتله فقتلوه.
انظر: سيرة ابن هشام (٥٢/٢) الكامل لابن الأثير (٤٨/٢) الأعلام (٢٢/٢).

(٢) هو: عمار بن ياسر بن عامر، كان من السابقين الأولين هو وأبوه، وكان من المستضعفين الذين يعذبون في الله ليرجعوا عن دينهم، أحرقه المشركون بالنار، فلم يصرفه ذلك التعذيب عن دينه، وشهد بدراً ولم يشهدها ابن مؤمنين غيره، وشهد أحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أن عماراً تقتله الفئة الباغية وأجمعوا على أنه قتل مع علي بصفين رضي الله عنهم، ودفن هناك سنة (٣٧)هـ
انظر: صفة الصفوة (٤٤٢/١-٤٤٦) الإصابة (٢٧٣/٤-٢٧٤).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم، وهو ثقة (مجمع الزوائد (٢٩٣/٩).

(٤) انظر: في اعتداء قريش على المستضعفين. سيرة ابن هشام (٣٢/١). البداية والنهاية لابن كثير (٥٦/٣-٥٧)زاد المعاد لابن القيم (٢٢/٣).

وأما أم عمار [١] فقتلوها وهي تأبى إلا الإسلام، طعنها أبو جهل لعنه الله بحربة في فرجها، فقتلت وقتل زوجها ياسر فكانا أول شهيدين في الإسلام.

وأما عماراً فعذبوه حتى أعطاهم ماأرادوا بلسانه مكرها.

كما روى الحاكم بسنده قال: (أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماوراءك؟ قال: شر يارسول الله، ماتُرِكتُ حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان، قال: إن عادوا فعد [٢]. فأنزل الله في شأنه قوله تعالى: «إلا من أكره [٣]

---

(١) هي: سمية بنت خيّاط رضي الله عنهما، مولاة أبي حذيفة بن المغيرة، وهي أم عمار بن ياسر كانت من السابقين في الإسلام، وعُذّبت في الله عز وجل أشد العذاب لترجع عن دينها فلم تفعل، فمر بها يوما أبو جهل فطعنها في قبلها فماتت، فهي أول شهيدة في الإسلام.
صفة الصفوة (٢/٥٩-٦٠) أسد الغابة (٦/١٥٢-١٥٣).

(٢) رواه الحاكم في مستدركه وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٢/٣٥٧).

(٣) قال العلماء: يجب أن يكون الإكراه الذي يجوز له أن يتلفظ بكلمة الكفر أن يعذب بعذاب لاطاقة له به، مثل: التخويف بالقتل، والضرب الشديد، والإيلامات القوية مثل التحريق بالنار ونحوه.
وأجمعوا على أن من أكره على الكفر لايجوز له أن يتلفظ بكلمة تصريحاً بل يأتي بالمعاريض وبما يوهم أنه كفر فلو أكره على التصريح يباح له ذلك بشرط طمأنينة القلب على الإيمان غير معتقد مايقوله من كلمة الكفر، ولو صبر حتى قتل كان أفضل لأن ياسراً وسمية رضي الله عنهما قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر، ولأن بلالاً صبر على العذاب ولم يُلَمْ على ذلك.

=

وقلبه مطمئن بالإيمان))[1] وهذا في قول لأهل التفسير[2].

ولما رأى صلى الله عليه وسلم شدة مانزل بأتباعه من البلاء وعدم قدرته على دفعه عنهم بما يملك من الأسباب البشرية أذن لهم في الهجرة إلى الحبشة[3] ويصف جعفر بن أبي طالب[4] رضي الله عنه مبلغ نقمة قومه عليهم بسبب إسلامهم وتصديقهم برسوله صلى الله عليه وسلم فيقول بين يدي النجاشي:

((فعدا علينا قومنا فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ماكنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لانظلم عندك أيها الملك))[5].

=== وقال العلماء: من الأفعال مايتصور الإكراه عليها كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير والميتة ونحوها، فمن أكره بالسيف أو القتل على أن يشرب الخمر أو يأكل الميتة أو لحم الخنزير أو نحوها جاز له لقوله تعالى: ((ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)) [١٩٥، البقرة].
وقيل: لايجوز له ذلك ولو صبر كان أفضل).
الخازن (١١٧/٣).

(١) سورة النحل: من الآية (١٠٦).

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٦٤/٣) زاد المعاد لابن القيم (٢٣/٣).

(٣) ذكر هذا الطبري في تفسيره (١٨١/٨-١٨٢) والبغوي (١١٦/٣-١١٧) والقرطبي (١٨٠/١٠) والخازن (١١٦/٣-١١٧) وابن كثير (٦٠٩/٢).

(٤) جعفر بن أبي طالب الهاشمي، ذو الجناحين، الصحابي الجليل، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، استشهد في غزوة مؤتة سنة ثمان من الهجرة، رضي الله عنه.
صفة الصفوة (٥١١/٧-٥١٧) تقريب التهذيب (٥٦).

(٥) تقدم تخريجه من حديث هرقل.. وانظر سيرة ابن هشام (٣٣٦/١).

ويبقى روع التعذيب والتنكيل عالقاً في القلوب حتى يصل الأمر أن لايدخل أحد منهم مكة بعد العودة من الحبشة إلا في أمان رجل خشية أن يعاوده الكفار بالأذى مرة أخرى (١).

ثالثا: مساومة الرسول على طرد الضعفاء:

ويدل عليه ماأخبر الله به من دفاع نوح عليه السلام عن المؤمنين به في قوله تعالى: **(وما أنا بطارد الذين ءامنوا إنهم ملٰقوا ربهم ولٰكنى أرىٰكم قوماً تجهلون)** (٢).

فامتناع نوح عن طرد من آمن برسالته يدل على أن قومه طلبوا إقصاء الضعفاء عن مجلسه، ونوضح ذلك بما أورده الطبري بسنده عن ابن جريج في هذه الآية (٣) بقوله: ((قالوا له يانوح إن أحببت أن نتبعك فاطرحهم وإلا فلن نرضى أن نكون نحن وهم في الأمر سواء فقال ماأوحاه الله إليه ((وما أنا بطارد...)).

ومعنى الآية: أن نوحاً عليه السلام يقول لمن ساومه من قومه على طرد ضعفاء المؤمنين ماأنا بمقص من آمن بالله وأقر بوحدانيته وخلع الأوثان وتبرأ منها، لأنهم لم يكونوا من عِليّتكم وأشرافكم.. فهم صائرون إلى الله فيوفيهم جزاءهم، وينتقم ممن آذاهم، ولكن جهلكم بما يجب عليكم من حق الله وما يلزم من أداء فرائضه أدى بكم إلى سؤال طردهم، وإن استجبت لقولكم فمن ينصرني من الله إن هو عاقبني على طرد من آمن به وَوَحّده؟ أفلا تذكرون أن ماتقولون خطأ فتنتهوا عنه (٤).

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣٦٤/١).
(٢) سورة هود: من الآية (٢٩).
(٣) تفسير الطبري (٢٩:٧-٣٠) وانظر: تفسير ابن كثير (٤٥٩/٢).
(٤) تفسير الطبري (٢٩/٧-٣٠).

ولكن لما لم تنته عن إيذاء المؤمنين أوائل الأمم كفراً لم تترفع عنه طلائع المكذبين للرسالة الخاتمة، ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: ﴿مر الملأ من قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يامحمد أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين مَنّ الله عليهم من بيننا؟ أنحن نصير تبعاً لهؤلاء؟ أطردهم فلعلك إن طردتهم نتبعك، فنزلت هذه الآية: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشى يريدون وجهه..﴾[1].

وفي رواية لسعد بن أبي وقاص قال: نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ابن مسعود قال: ﴿كنا نستبق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وندنو منه، ونسمع منه فقالت قريش تدني هؤلاء من دوننا فنزلت: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي...﴾[2].

ولم يكتف الوحي بتوجيه الرسول بمنع طردهم من مجلسه بل وأمر صلى الله عليه وسلم بالصبر معهم كما قال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هوىٰه وكان أمره فرطا﴾[3].

وقرت عين الرسول صلى الله عليه وسلم بهم فما أن نزلت عليه هذه الآية إلا وقام صلى الله عليه وسلم يلتمس هؤلاء الضعفاء حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله، فقال صلى الله عليه وسلم: ﴿الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات﴾[4].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤٢٠/١)، وابن جرير الطبري (٢٠٠/٧)
والطبراني في الكبير (٢٦٨/١٠)، قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح غير كردوس وهو ثقة (مجمع الزوائد ٢١/٧).
وانظر ترجمة (كردوس) هذا في تهذيب التهذيب لابن حجر (١٣٣/٣).

(٢) سورة الأنعام: الآية (٥٢).

(٣) سورة الكهف: الآية (٢٨).

(٤) ذكر هذه الرواية الطبري في تفسيره (٢٠١/٥).
رواه الطبراني بلفظ قريب منه عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف.
وقال في الزوائد ورجاله رجال الصحيح، وقد ذكر الطبري عبدالرحمن في الصحابة (٢٦/٧).

ويوضح خباب رضي الله عنه مبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم في صبره مع ضعفة قومه وملاطفته لهم فيقول: ﴿كنا نقعد معه -أي مع الرسول صلى الله عليه وسلم فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا ولما نزل عليه قوله تعالى ﴿واصبر نفسك .. الآية﴾ قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم﴾(١).

وفي بعض الروايات لخباب أنه يقول: ﴿فدنونا منه يومئذ حتى وضعنا ركبنا على ركبتيه﴾(٢).

بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم يذكرهم بما يرفع معنوياتهم ويقوي عزائمهم بالاخبار بما لهم عند الله من رفيع المنزلة وعظيم القدر. فعن ابن مسعود رضي الله عنه: "أنه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون! قالوا يانبي الله من دقة ساقيه، فقال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد"(٣).

وهكذا كانوا محل قرب وإعزاز من الرسول صلى الله عليه وسلم.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يشيد ببلال ومن أعتق بلالاً فيقول: "أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا"(٤) وغير ذلك من أقوال الصحابة رضي الله عنهم.

ويتزل الوحي لنصرتهم، ويعدهم التمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصلحون﴾(٥) فالأرض لله جل وعلا يورثها من آمن به قوياً كان أو ضعيفا، غنياً أو فقيراً، فينصر الله عز وجل المستضعفين على من استذ لهم كما هي سنته الجارية، ونصرته الدائمة لمن امن به، كما قال تعالى في بعثة نبيه موسى عليه السلام: "ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامن وجنودهما منهم ماكانوا يحذرون﴾(٦) وينجز الله لهم وعده، كما قال تعالى: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسراءيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وماكانوا يعرشون﴾(٧)

---

(١) و(٢) تفسير الطبري (٢٠١/٥) عند تفسيره للآية (٥٢: الأنعام).

(٣) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٩/٩) وقال رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني من طرق، وأمثل طرقه فيها عاصم بن أبي النجود وهو حسن الحديث على ضعفه، وبقية رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح أ.هـ. وله شاهد أخرجه الحاكم في المستدرك (٣١٧/٣) من طريق شعبة بن معاوية بن قرة عن أبيه، وقال عنه، صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي، وانظر الفتح الرباني للساعاتي (٣١٢/٢٢-٣١٣)

(٤) رواه البخاري في كتاب فضائل الأصحاب، ٢٣- مناقب بلال رضي الله عنه (٢١٧/٤)

(٥) سورة الأنبياء : الآية (١٠٥)

(٦) سورة القصص : الآية (٥-٦)

(٧) سورة الأعراف : الآية (١٣٧)

وأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا قليلين مستخفين مضطهدين يخافون أن يتخطفهم الناس من سائر بلاد الله من مشرك ومجوسي ورومي - إذ كلهم أعداء لهم - لقلتهم وعدم قوتهم، ولم يزل ذلك حالهم حتى أذن الله لهم في الهجرة الى المدينة، فأواهم إليها، وقيض لهم أهلها، فآووا ونصروا، وواسوا بأموالهم وبذلوا مهجهم في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم"(١)، كما قال تعالى مذكراً رسوله والمؤمنين بهذه النعمة في قوله جلا وعلا ﴿واذكروا إذا أنتم قليلون مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾(٢)

قال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية قال: "كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلاً، وأشقاه عيشا، وأجوعه بطونا، وأعراه جلودا، وأبينه ضلالا، من عاش منهم عاش شقيا، ومن مات منهم ردى في النار يُؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلاً من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منزلاً منهم حتى جاء الله بالإسلام، فمكن به في البلاد، ووسع به في الرزق، وجعلهم به ملوكاً على رقاب الناس، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا الله على نعمه فإن ربكم منعم يحب الشكر وأهل الشكر في مزيد من الله"(٣)

وأشفى غيظهم بأن مكنهم من رقاب من كانوا يسومونهم سوء العذاب فنالوا منهم بسيوفهم ورماحهم في بدر وغيرها.

فمن جز رأس أبا جهل إلا ابن مسعود - رضى الله عنه - الذي نال من ابن مسعود منالاً بسبب إسلامة(٤).

وبلال رضي الله عنه الذي يعذبه أمية بن خلف برمضاء مكة يرى ساعة الإقتصاص قد حانت برؤيته أمية هذا أسيراً في يد أحد المسلمين فيصيح بأعلى صوته هذا أمية رأس الكفر لانجوت إن نجا فما يلبث أن تتخطفه سيوف المسلمين حتى يقطعوه بسيوفهم(٥)

وكتب الله لهم في الدنيا النصر والظهور والغلب على أعدائهم أعداء دينه، وأما في الآخرة فإن الله عز وجل أخبر أن هؤلاء المؤمنين في روضات الجنات يجبرون وأعداؤهم الساخرين بهم في دركات جهنم يعذبون، وعن ربهم محجوبون ويقال لهم ما أخبر الله تعالى عنه في قوله: ﴿قال اخسئوا فيها ولاتكلمون. إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا ءامنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين. فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون. إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون﴾(٦)، إلى غير ذلك من الآيات..

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣١٢-٣١٣) بتصرف يسير.
(٢) سورة الأنفال، الآية (٢٦)
(٣) تفسير ابن كثير (٢/٣١٢ - ٣١٣)
(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام: (١/٦٣٦)
(٥) انظر: مقتل "أمية بن خلف" في السيرة النبوية لابن هشام: (١/٦٣١-٦٣٢)
(٤) سورة المؤمنون : الآية (١٠٨-١١١)

الفصل الثالث

صدود المكذبين للرسل عليهم السلام وإعراضهم عن الدعوة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : استكبار المكذبين عن تصديق الرسل عليهم السلام رغم يقينهم بصدق ما يدعون إليه .

المبحث الثاني : استعجال المكذبين بالعذاب

الفصل الثالث

صدود المكذبين للرسل عليهم السلام وإعراضهم عن الدعوة

المبحث الأول

استكبار المكذبين عن تصديق الرسل عليهم السلام رغم يقينهم بصدق ما يدعون إليه

التكبر والاستكبار: التعظم [١].
وهو الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبرا [٢].

والمستكبرون هم أعداء الرسل والرسالات، فلأجل الاستكبار واجه المعاندون دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بثني الصدور واستغشاء الثياب إعراضاً عن دعوة الحق كما قال تعالى في ذمهم: ((**ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه...**)) [٣] وكل ذلك فعلوه ((استكباراً عن عبادة الله أو استكنانا من الله أن لايراهم)) [٤].

هذا على أن الآية نازلة في شأن الكفار كما ذكر ذلك بعض المفسرين.. ومن ذلك:

ماروي عن ابن عباس في إحدى الروايتين عنه أنه قرأ: (ألا إنهم تثنوني [٥] صدورهم).

---

(١) اللسان لابن منظور، مادة (كبر) (129/5).
(٢) المرجع السابق: (126:5) مادة (كبر).
(٣) سورة هود: من الآية (٥).
(٤) اقتباساً من تفسير الطبري (١٨٥/٧).
(٥) (تثنوني) مضارع اثنونى، كاحلولي، فوزنه (تفعوعل) بتكرير العين، وهو من أبنية المزيد الموضوعة للمبالغة، وهذه القراءة في معنى قراءة الجمهور، إلا أن المبالغة ملحوظة فيها فيكون المعنى مثلا: (إلا أنهم تنحرف صدورهم انحرافا بليغا).
انظر: روح المعاني للآلوسي (٢١/١١) وتفسير ابن عباس للحميدي (٤٨٠/١).

ثم قال ومعناه: ((الشك في الله وعمل السيئات ((**يستغشون ثيابهم**)) يستكبر أو يستكن من الله والله يراه ((**يعلم مايسرون وما يعلنون**)) وهذا اسناد ضعيف لانقطاعه (١)(٢).

وقال مجاهد: (أنهم كانوا يثنون صدورهم شكاً وامتراءً في الحق ليستخفوا من الله إن استطاعوا)) (٣).

وقال قتادة: ((كانوا يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كلام الله)) (٤).

وقول آخر: أن بعض المنافقين (٥) كان إذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم غطى وجهه وثنى ظهره (٦).

---

(١) سند الحديث: ماأخرجه ابن جرير قال: حدثنا محمد بن ثور عن معمر قال: أخبرت عن عكرمة أن ابن عباس قرأ: ((إلا إنهم ثنوني صدورهم)). وقد بين الحميدي درجة الحديث بعد بيان حال كل راو من رواته بقوله: ((فرجال هذا الإسناد ثقات إلا أنه فيه انقطاعا مابين معمر وعكرمة حيث قال معمر: ((أخبرت عن عكرمة)) ولم يبين من أخبره)).
انظر: تفسير ابن عباس للحميدي (١/٤٨٠-٤٨١).

(٢) تفسير الطبري: (٧:١٨٥).

(٣) تفسير الطبري: (٧/١٨٣).

(٤) تفسير الطبري: (٥/١٨٤).

(٥) قلت ولا يمنع هذا أن السورة مكية ولم يواجه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد إعراض واستهزاء المنافقين.
إذ ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والمنافقون يتأتى منهم هذا الفعل وما هو أشد منه فيكون داخلا في مدلول الآية.

(٦) تفسير الطبري: (٧/١٨٣).

فهذه الأقوال وإن كانت لاتنهض في قوة السند مارواه البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما بقوله في تفسير الآية: أنهم ((أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم))(١).

إلا أنها أقرب إلى سياق الآية، ونستطيع أن نحمل ماجاء في الرواية الصحيحة عن ابن عباس أن مراده رضي الله عنه تقرير المشابهة في الفعل لا حصراً لسبب النزول.

وفي هذا يقول الحميدي: (الظاهر أن ابن عباس لم يرد أن الآية نزلت بسبب هؤلاء الذين يستحيون من الافضاء إلى السماء ولعله أراد أن هؤلاء الذين يسلكون هذا المسلك وهم يعتقدون أن الله لايراهم يشبهون الكفار الذين نزلت فيهم الآية، حيث كانوا يحنون صدورهم ويغطون رؤوسهم بثيابهم، ليستخفوا من الله حينما يسمعون كلامه الذي يشتمل على ردعهم وزجرهم.

ومما يدل على ذلك أن الإمام البخاري روى عن ابن عباس بعد هذا الحديث أنه فسر قوله تعالى ((يستغشون)) بقوله ((يغطون رؤوسهم)) وهذا لايكون في حال الاستخفاء عند قضاء الحاجة، وإنما يكون عند سماع الكلام الشديد الذي يشتمل على التأنيب والتقريع والتهديد)(٢) والله تعالى أعلم.

وعلى كل فالآية تتضمن التهديد والوعيد للمستكبرين عن عبادة الله والإذعان لطاعته والاستسلام لأمره ونعتهم بأفعالهم المشينة.

فإن ابن آدم أخفى ماتكون حالاته إذا حنى صدره واستغشى بثوبه وأضمر همه في نفسه(٣).

فأخبر الله أنه مطلع على مافي نفوسهم، ويعلم سرهم وعلانيتهم وسيجزي من أحسن بالحسنى، ومن أساء سوءا ولا يظلم ربك أحدا.

---

(١) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، 1- باب قوله تعالى: (ألا إنهم يثنون صدورهم) (٢١٢/٥).

(٢) تفسير ابن عباس: للحميدي (٤٨١/١).

(٣) اقتباساً مما أورده الطبري في تفسيره عن قتادة (١٨٤/٧).

والاستكبار آفة البعد عن هداية الله تعالى والتسليم لأمره والتصديق برسله، فكما حمل غالب القوم على التولي عن الدعوة فكذا الشأن في غيرهم من فئات المدعوين.

فما حمل أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاصرار على كفره وشركه -مع أنه لم يكن في شك من صدق الرسول في رسالته- إلا الحمية لدين قومه وكراهيته أن يشهد عليهم بالكفر، مما جعله يؤثر البقاء على دين قومه ويأبى دين الله الحق (١).

وكذا كفر اليهود والنصارى بالرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كفروا بعد أن عرفوا أن ماجاءهم به صلى الله عليه وسلم هو الحق؛ لما عندهم من البشارات به صلى الله عليه وسلم، حتى أنهم ليعرفون الرسول كما يعرفون أبناءهم كما قال تعالى: ((**الذين ءاتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون**)) (٢).

ولم يكونوا في شك مما أنزل على الرسول قال تعالى: ((**الذين ءاتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق**)) (٣).

ولهذا ذمهم الله على سوء أفعالهم من الحق بقوله: ((**أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون**)) (٤).

فكذبوا الرسول وهم يعلمون أنه جاءهم بالحق من عند الله.

وقصارى القول أنه مامن شبهة ألقيت على الرسول ودعوته وأتباعه وما نيل من الرسل عليهم السلام وأتباعهم من نيل حسي أو معنوي إلا من طريق المستكبرين وبمعاونة من سار في ركابهم وأخضع هواه لهواهم؛ إما عن خداعٍ وتضليل، أو قهرٍ وتنكيل.

---

(١) انظر: موقف أبي طالب من الرسول صلى الله عليه وسلم في: البداية والنهاية لابن كثير: (٣/٢٩-٤٠، ٦٤-٦٧).
(٢) سورة البقرة: الآية (١٤٦).
(٣) سورة الأنعام: الآية (١١٤).
(٤) سورة البقرة: الآية (٨٧).

وكذا الشأن في معاندي الأمم السابقة فما حملهم على الإعراض عن دعوة أنبيائهم إلا الاستكبار، كما قال تعالى في بيان ضلال قوم هود وما استحقوا به العذاب: ((واتبعوا أمر كل جبار عنيد))[1].

ومر معنا أن الجبار هو المتكبر والظلوم.

والعنيد: ((الطاغي الذي لايقبل الحق ولا يذعن له))[2].

وفي دعوة نوح عليه السلام مايبين اصرار المستكبرين عن الحق، كما قصه الله علينا في قوله: ((رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً * فلم يزدهم دعاءى إلا فراراً * وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في ءاذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً))[3].

وما حمل فرعون وقومه على تكذيب موسى عليه السلام وجحد آيات الله بعد الاسيقان إلا الاستكبار، قال تعالى: ((وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا...))[4].

فالله تعالى أمر بتوحيده وإخلاص العبادة له على لسان كل رسول من رسله. وأيد رسله بالحق من عنده بما أقامه من البينات والبراهين الدالة على صدقهم، وأنهم مبلغون عنه سبحانه ماارتضاه لعباده من أمره ونهيه، ((لكن قلوب المستكبرين استنكرت مايقص عليها من قدرة الله تعالى وعظمته، وجميل نعمه عليهم، وأن العبادة لاتصلح إلا له، والألوهية ليست لأحد سواه.

فاستكبروا عن إفراد الله بالألوهية والاقرار له بالوحدانية إتباعا منهم لما مضى عليه من الشرك بالله أسلافهم))[5].

---

(١) سورة هود: الآية (٥٩).

(٢) تفسير القرطبي (٥٤:٩).

(٣) سورة نوح: الآية (٥-٧).

(٤) سورة النمل: الآية (١٤).

(٥) تفسير الطبري: (٩٤:٨) بتصرف يسير عند تفسيره لقوله تعالى: ((إلهكم إله واحد فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون)) [٢٢: النحل].

وما كان استكبارهم إلا أنهم دعوا إلى عبادة الله تعالى فاستكبروا فباستكبارهم أعرضوا وضلوا في أنفسهم وأضلوا غيرهم، كما قال تعالى: ((إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون))(١) وهذا هو الكبر الذي حذّر منه النبي صلى الله عليه وسلم أشد تحذير، كما في الحديث ((لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس))(٢).

وفي رواية: ((لايدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء))(٣).

وفي رواية أيضا: ((لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر))(٤).

قال الخطابي قوله: ((مثقال حبة من كبر)) له وجهان:

الوجه الأول: أن يكون أراد به كبر الكفر والشرك، ألا ترى أنه قد قابله في نقيضه بالإيمان، فقال: لايدخل النار من كان في قلبه مثقال خردلة من إيمان.

الوجه الثاني: أن الله تعالى إذا أراد أن يدخله الجنة نزع مافي قلبه من الكبر حتى يدخلها بلا كبر، ولا غل في قلبه كقوله سبحانه: ((**ونزعنا مافي صدورهم من غل**))(٥) قال الخطابي: قوله: ((مثقال حبة من كبر)) أراد: كبر الكفر والشرك ألا ترى أنه قد قابله في نقيضه بالإيمان فقال: ((لايدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان))(٦).

---

(١) سورة الصافات: الآية (٣٥).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، ٣٩- باب تحريم الكبر وبيانه (٩٣/١).

(٣)و(٤) رواه مسلم عن عبد الله بن مسعو درضي الله عنه، في كتاب الإيمان، ٣٩- باب تحريم الكبر وبيانه (٣٩/١).

(٥) سورة الأعراف: الآية (٤٣).

(٦) معالم السنن: للخطابي (٣٥١/٤) والآية (٤٧) من سورة الحجر.

وجاء في جامع الأصول:

وقوله: ((بطر الحق)) أن يجعل ماجعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا، هذا عند من جعل أصل البطر من الباطل.

ومن جعله من الحَيْرة، فمعناه: أن يتحير عند الحق فلا يقبله حقا.

وقيل: البطر: التكبر، أي: يطغى ويتكبر عند سماع الحق فلا يقبله.

وقوله: (غمط الناس) غمطت حق فلان: إذا احتقرته، ولم تره شيئا، وكذلك غمصته إذا انتقصت به وأذريت به) (١) ا.هـ.

والكفار جمعوا معاني الكبر كلها، فكفروا بالله وأشركوا معه غيره في العبادة التي لا تكون لأحد سواه، وجعلوا ماجعله الله حقا على عباده من توحيده وعبادته وحده جل وعلا، وأن لايشركوا به شيئا باطلا وقالوا: ((أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب)) (٢).

وتكبروا على الحق وأبوا سماعه، وعند سماعه لم يقبلوه عتوّاً وكفراً وطغياناً ولم يذعنوا للحق واستكبروا استكباراً، وغمطوا الرسول والرسالة حقهما، فازدروا بالرسل عليهم السلام واحتقروهم، واستهزؤا بهم كما قال تعالى لرسوله مسلياً من عنت قومه: ((ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ماكانوا به يستهزءون)) (٣).

وكذبوا ماجاءهم من الحق قال تعالى: ((وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل * لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون)) (٤).

وعلى هذا فمن جحد آيات الله بعد إذ أنزلت إليه واستحب العمى على الهدى، وأنكر رسوله بعد معرفته، وكذبه مع يقينه بصدقه، فالسبب في إعراضه راجع إلى ماانطوى عليه قلبه من الاستكبار والعناد. لالشك فيما خوطب به من الرسالة.. فجنوا بذلك على أنفسهم وعاد وبال إعراضهم عليهم.

---

(١) عن جامع الأصول لابن الأثير: (٦١٤:١٠).
(٢) سورة ص: الآية (٥).
(٣) سورة الأنعام: الآية (١٠).
(٤) سورة الأنعام: الآية (٦٦-٦٧).

فباستكبارهم باعدوا بأنفسهم عن الجنة وتعرضوا للنار.

فإن الله حكم على من اتصف بالاستكبار بالخروج من جنته، فإبليس عندما استكبر أخرجه الله من الجنة، كما ذكره الله تعالى في قوله: ((**فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها...**))(١).

يقول الطبري في معنى الآية: ((فاهبط من الجنة فإنه لايسكن الجنة متكبر عن أمر الله، فأما غيرها فأنه قد يسكنها المستكبر عن أمر الله والمستكين لطاعته))(٢). كما في الدنيا فإنه يسكنها المستكبر وغيره.

وكذا النار فقد يدخلها المسلم العاصي ثم يخرج منها بعد أن ينال من العذاب على قدر ذنوبه.

((ومعاملة من الله عز وجل للمستكبر عن اتباع هديه بنقيض قصده.ومكافأة لمراده بضده جازاه من جنس عمله))(٣).

فكما استكبر عن آيات الله بغير حق، أذله الله بالجهل(٤) فزاده صرفاً إلى صرفه ليزداد غياً إلى غيه، ويحمل وزره ووزر غيره، كما قال تعالى: ((**سأصرف عن ءايٰتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق**))(٥).

قال الزجاج: أي: ((أجعل جزاءهم الإضلال عن هداية آياتي))(٦) فيقدمون على الله عز وجل وقد تحقق فيهم ماأراده الله تعالى من الامهال لهم على الكفر به وعصيانه، كما قال تعالى: ((**إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين**))(٧).

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٣).
(٢) تفسير الطبري: (١٣٢/٥).
(٣) تفسير ابن كثير: (٢٠٥/٢).
(٤) المرجع السابق: (٥٧:٢).
(٥) سورة الأعراف: الآية (١٤٦).
(٦) تفسير القرطبي: (٨٢/١٨).
(٧) سورة آل عمران: من الآية (١٧٨).

ليحملوا أوزارهم كاملة وأوزار من أضلوهم، وياله من مطلب لكل من تسبب هؤلاء المستكبرين في إغوائهم، كما قال تعالى في بيان أحوال أتباع المستكبرين يوم القيامة: ((**وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا. ربنا ءاتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً**))(١).

ولكنه لن يغني عمن أغووا من عذاب الله من شيء ((**فيومئذ لاينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون**))(٢).

وسيري المستكبرون أن وبال مكرهم قد عاد إلى أنفسهم وأن عاقبة ذلك قد رجع إليهم دون غيرهم، كما قال تعالى: ((**ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله**))(٣).

يقول محمد بن كعب القرظي: (ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به من مكر، أو بغي، أو نكث، وتصديقها في كتاب الله تعالى: ((**ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله**))(٤) ((**إنما بغيكم على أنفسكم...**))(٥) وقوله ((**فمن نكث فإنما ينكث على نفسه...**))(٦)(٧).

وكثيرا مايذكر الله عز وجل المستكبرين عن آياته بعاقبة الكفر به جل وعلا والصد عن سبيله، بتذكيرهم بمواقف الذل والهوان والحسرة والندامة؛ فعند الاحتضار يهانون، قال تعالى: ((**ولو ترى إذ الظالمون في غمرت الموت والملئكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن ءايته تستكبرون**))(٨).

---

(١) سورة الأحزاب: الآية (٦٧-٦٨).
(٢) سورة الروم: الآية (٥٧).
(٣) سورة فاطر: الآية (٤٣).
(٤) سورة فاطر: من الآية (٤٣).
(٥) سورة يونس: من الآية (٢٣).
(٦) سورة الفتح: من الآية (١٠).
(٧) عن تفسير ابن كثير: (٥٦٩/٢).
(٨) سورة الأنعام: الآية (٩٣).

ولا تفتح لأعمالهم ولا لأرواحهم أبواب السماء (١) لأنهم كانوا مجرمين، كما قال تعالى: ((**إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين * لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين**)) (٢).

وفي حديث أبي هريرةرضي الله عنه: ((وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، أخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج، فيقولون ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان، فيقولون لامرحباً بالنفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث، إرجعي ذميمة فإنه لم تفتح لك أبواب السماء، فترسل بين السماء والأرض فتصير إلى القبر)) (٣).

وفي المحشر يحشرهم الله في صور الذر، يطؤهم أهل الموقف بأرجلهم، إهانة لهم وتحقيراً وتصغيراً كما صغروا أمر الله وحقروا عباده (٤). كما في الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يقال له ((بولس)) تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال)) (٥).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٢١٥) والقول عن ابن جريج واستحسنه ابن كثير.

(٢) سورة الأعراف: الآية (٤٠-٤١).

(٣) تقدم تخريجه من حديث أبي هريرةرضي الله عنه، ص٤٦١من الرسالة.

(٤) انظر: الروح لابن القيم (٣٤١).

(٥) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة، ١- باب (٤٧) رقم الحديث (٢٣٩٢) (٤/٦٥٥).
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح وبمثله قال في جامع الأصول لابن الأثير (١٠/٦١٦) تحقيق الأرناؤوط.

وأخبر تعالى عما يكون من المستكبرين في المحشر من خصام في قوله تعالى: ((ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعضٍ القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين))(١).

وينكر المستكبرون ماكان منهم من استكبار في أنفسم وإغواء لغيرهم، كما قال تعالى: ((وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين))(٢).

ويذكرهم الضعفاء بأفعالهم: ((وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر اليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوُا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ماكانوا يعملون))(٣).

وأخبر تعالى أنهم في النار يتحاجون فقال عز وجل: ((وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاُوا للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار * قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد))(٤).

ويتبرأ المتبوع من التابع: ((إذ تبرأ الذين اتُّبِعُوا من الذين اتَّبَعُوا ورأوُا العذاب وتقطعت بهم الأسباب. وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار))(٥).

---

(١)و(٢)و(٣) سورة سبأ: الآيات (٣١،٣٢،٣٣).

(٤) سورة غافر: الآية (٤٧-٤٨).

(٥) سورة البقرة: الآية (١٦٦-١٦٧).

الفصل الثالث

صدود المكذبين للرسل عليهم السلام وإعراضهم عن الدعوة

المبحث الثاني

استعجال المكذبين بالعذاب

بتتبع مواقف مكذبي الأمم لرسلهم نجد أنه مامن أمة إلا وقابلوا رحمة الله بهم، وامهاله لهم، وقابلوا صبر الرسول عليه السلام وحلمه وشفقته وحرصه على هدايتهم، وبذله غاية النصح لهم، باستعجال العذاب في تحد وعناد.

والاستعجال: هو طلب الشيء قبل وقته [١].

فعرضوا أنفسهم لما لاطاقة لهم به، ولا قدرة لهم على دفعه، كما قال قوم نوح لرسولهم بعد أن لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، داعيا إلى الله تعالى، ومبلغاً لرسالاته، وصابراً على أذى قومه، ماقصه الله علينا في قوله تعالى: ((قالوا يٰنوح قد جٰدلتنا فأكثرت جدٰلنا فأْتنا بما تعدنا إن كنت من الصٰدقين)) [٢].

يقول الطبري في معنى الآية، أي: ((فأتنا بما تعدنا من العقاب والعذاب على تركنا إخلاص التوحيد لله وعبادتنا مانعبد من دونه من الأوثان إن كنت من أهل الصدق فيما تقول وتعد)) [٣] ا.هـ.

وما من رسول إلا وسمع من معاندي قومه مثل هذا التحدي، كماأخبر الله تعالى عن قوم هود في قوله سبحانه: ((قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد ءاباؤنا فاتنا بما تعدنا إن كنت من الصٰدقين)) [٤].

وقوم صالح في قوله سبحانه: ((فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يٰصٰلح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين)) [٥].

وقوم لوط في قوله جل وعلا: (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ٱئتنا بعذاب الله إن كنت من الصٰدقين) [٦].

---

(١) تفسير القرطبي (٦/٤٤٠) عند تفسير الآية (٥٨: الأنعام).
(٢) سورة هود: الآية (٣٢).
(٣) تفسير الطبري (٨/٢٢) عند تفسيره الآية ٧ من سورة الأعراف.
(٤) سورة الأعراف: الآية (٧٠).
(٥) سورة الأعراف: الآية (٧٧).
(٦) سورة العنكبوت: الآية (٢٩).

وكذا قوم شعيب استعجلوا العذاب مع يقينهم بصدق نبيهم، كما قص الله علينا خبرهم في قوله: ((وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكٰذبين فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصٰدقين))[1].

وما قالوا ذلك إلا لأمور لعل أقربها:

أولا: أنهم قالوا ذلك على وجه العناد للرسول صلى الله عليه وسلم والمكابرة عن دعوته، ولإيهام الناس أنهم على بصيرة.

ثانيا: زيادة في اظهار تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم بشبهة كانت في صدورهم[2] وهي زعمهم أن الله لايصطفي من البشر رسلاً فالرسول بشر فمقدرته لاتتجاوز مقدرة غيره من البشر، فهو لايستطيع إنزال مايتوعدهم به من العذاب. وأن العذاب إنما تأخر عنهم لا امهالاً من الله لهم ولكن لكذب الرسول وعجزه عن إنزاله بادعائهم، مع أن الرسل عليهم السلام يصححون هذا الزعم الباطل في كل وقت وحين بتذكير المستهزئين بالخالق جل وعلا وقدرته وارجاع الأمور إليه، وعجز العباد عن دفع مايوعدون من العذاب إن لم يتوبوا، كما جاء عن نوح عليه السلام في قوله: ((قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين))[3].

فنوح عليه السلام يخبر قومه عندما استعجلوا العذاب أنما يستعجلون من عذاب الله ليس إليه، وإنما ذلك إلى الله تعالى وحده، فهو الذي يأتيهم به إن شاء.

وإذا أراد تعذيبكم فلستم بمعجزين، أي بفائتين هرباً منه لأنكم حيث كنتم في ملكه وسلطانه وقدرته وحكمه عليكم جار[4].

---

(١) سورة الشعراء: الآية (١٨٦-١٨٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٣٥٨/٧) عند الآية ٣٢: الأنفال.

(٣) سورة هود: الآية (٣٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣٢/٧).

والرسول صلى الله عليه وسلم يأمر قومه بعبادة الله تعالى وحده، وينذر المكذبين ماأعده الله لهم من عذاب لمن أصر على كفره وشركه واستهزأ برسله، فأمر صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى: ((ألا تعبدوا إلا الله...))[١] وخوف بقول الله عز وجل: ((إني أخاف عليكم عذاب يوم كبير))[٢] وبقوله تعالى: ((أتى أمر الله فلا تستعجلوه))[٣] وحذر بقول الله عز وجل: ((اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون))[٤].

لكن المكذبين جعلوا وعيد الرسول صلى الله عليه وسلم دبر آذانهم فاستعجلوا العذاب كما استعجله من قبلهم.

فعاب الله عليهم استعجالهم وذكرهم بفضله ورحمته، كما جاء في قوله تعالى: ((ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن مايحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم وحاق بهم كانوا به يستهزءون))[٥].

فاللام في ((لئن)) للقسم والجواب ((ليقولن)).

أي: ((ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين من قومك -لأن الضمير في قوله ((عنهم)) عائد إليهم -ماتوعدتهم به من العذاب فلم تعجله لهم بل أنسأنا لهم في آجالهم إلى الأجل المقضي عندنا، كما قال تعالى: ((إلى أمة معدودة...)) أي إلى أجل محدود وحين معلوم.

إذ المراد بالأمة هنا المدة، كما قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين[٦].

---

(١) سورة هود: من الآية (٢).
(٢) سورة هود: من الآية (٣).
(٣) سورة النحل: الآية (١).
(٤) سورة الأنبياء: الآية (١).
(٥) سورة هود: الآية (٨).
(٦) انظر: تفسير الطبري (٦/٧) وتفسير القرطبي (٩/٩).

ولكل عذاب أجل فلا يصرفه عن وقته امهال، فالله يمهل ولا يهمل، ولايقدمه عن وقته استعجال، قال تعالى: ((**وما نؤخره إلا لأجل معدود**))[١]

الأجل: هو الأمد، المعدود: أي المحدود المضبوط في غاية الدقة.

أي: مانؤخر العذاب إلى أجله إلا لأن لكل عذاب أجل مقدر عندنا على وجه الدقة والضبط[٢] ((**فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون**))[٣].

لكن المكذبين لرحمة الله جحدوا، وعن هديه أعرضوا، وعن اتباع الحق استكبروا، وعما أنذروا به استهزؤوا، فاستعجلوا العذاب في استفهام استنكاري استهزائي، كما دل عليه قوله تعالى: ((**ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدود ليقولن مايحبسه...**))[٤].

أي: ((ليقولن هؤلاء المشركون مايحبسه؟ أي أي شيء يمنعه من تعجيل العذاب الذي يتوعدنا به تكذيباً منهم به، وظناً منهم أن ذلك إنما أخر عنهم لكذب الرسول في توعده))[٥] ا.هـ.

وقد استمر عناد واستعجال أئمة الكفر والضلال من قريش لنزول العذاب، كما أخبر الله تعالى عن استفتاحهم على أنفسهم واستعجالهم العذاب وتقديم العقوبة في قوله تعالى: ((**وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم**))[٦].

---

(١) سورة هود: الآية (١٠٤).
(٢) معارج الصعود: (٢٤٩) بتصرف.
(٣) سورة الأعراف: الآية (٣٤).
(٤) سورة هود: من الآية (٨).
(٥) تفسير الطبري: (٧/٧) بتصرف يسير.
(٦) سورة الأنفال: الآية (٣٢).

واختلف فيمن قال هذه المقالة، فقيل النضر بن الحارث[١] وقيل أبو جهل، ثم حل بهم يوم بدر ما سألوا.[٢]

وعجباً لهؤلاء المستكبرين كيف يتحدون الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا مع أنهم يعلمون ما حل بمن قبلهم من الأمم التي عصت ربها، وكذبت رسلها، من عقوبات الله وعظيم بلائه، مما قصه الله عليهم في الكتاب المنزل على رسوله المتلو عليهم آياته!

* فمن الأمم من أهلكها الله بأن مسخها قردة وخنازير.
* ومن الأمم من أهلكت بالرجفة.
* وأخرى بالسخف.[٣]

ويجدون تصديق ما أخبروا به، بما سمعوه ورأوه من أحوال تلك الأمم لأنهم كانوا يمرون على ديار عاد وثمود ولوط، ولذلك خاطبهم الله بما يعلمون من أمرها فقال: ((وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون)).[٤] وقال تعالى: ((أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولى النهى)).[٥]

---

(١) هو النضر بن الحارث. أحد طغاة قريش. أسره المسلمون في غزوة بدر وقتلوه بالأثيل، قرب المدينة بعد انصرافهم من الوقعة.
انظر في بيان عداوته للرسول صلى الله عليه وسلم وانتقام الله منه في: الكامل لابن الأثير (٢٦/٢) جمهرة أنساب العرب (١١٧) الأعلام (٣٣/٨).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٣٩٨:٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠٥/٨).

(٤) سورة الصافات: الآية (١٣٧-١٣٨).

(٥) سورة طه: الآية (١٢٨).

ثم إن المكذبين لو لم يكن لديهم علم بما حل بمن كذب الرسل من العذاب لما أمسك عتبة بن ربيعة بفي الرسول صلى الله عليه وسلم ويأخذ في مناشدته الرحم أن يكف عندما سمع منه قول الله عز وجل: ((**فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صٰعقة مثل صٰعقة عاد وثمود**))(١) ولا يجد من الحجة مايخلصه من مذمة قومه له إلا قوله: ((قد علمتم أن محمداً إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب))(٢).

ثم أخبر الله عز وجل هؤلاء المستهزئين بما يحقق وعده ويصحح خبره بأن مايوعدون من العذاب ليس بينهم وبينه إلا حلول الأجل، فإذا جاءهم العذاب فلا يصرفه عنهم صارف، ولا يدفعه عنهم دافع، ولكنه يحل بهم فيهلكهم(٣) فكما أن العذاب لايقدمه عن وقته استعجالهم له، وكذلك لايصرفه عمن أريد به إمهال الله له: ((**ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم...**)) أي ليس مصروفاً عنهم لا بأنفسهم ولا بغيرهم.

ولو أنهم أرادوا بأنفسهم خيراً لما استعجلوا السيئة قبل الحسنة، ولما قدموا الكفر الذي يوجب العقاب وأخروا الإيمان الذي يجلب إليهم الثواب(٤)، ولسألوا لهم الهداية بقولهم: ((اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له))(٥).

ولاستفادوا من امهال الله لهم بالتوبة والرجوع إليه جل وعلا.

وفي الإمهال تتحقق حكمة الله تعالى من إنظار العباد والنسأ لهم في الآجال.

* فإما أن يتوب المشرك أو الكافر من شركه وكفره، وهذا مايحبه الله ويرضاه.

* وإن لم يتب فقد يخرج من صلبه من يعبد الله ويوحده(٦).

---

(١) سورة فصلت: الآية (١٣).

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٦٢/٣) دلائل النبوة للبيهقي (٢٠٤/٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٧/٧).

(٤) تفسير القرطبي (٢١٤/١٣) عند قوله تعالى: ((قال يٰقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون)) [٤٦:النمل].

(٥) و (٦) انظر: تفسير القرطبي (٣٩٨/٧) عند تفسيره لقوله تعالى [٣٢: الأنفال].

* فإذا لم يتحقق إيمان الكافر وتوبته، ولا خروج من يعبد الله ويوحده من أصلاب آبائهم الكفار: ((والله على كل شيء قدير))[١] ((والله بكل شيء عليم))[٢] حينئذ يكون العذاب أولى من الإمهال، كما جاء في إيحاء الله تعالى لنوح عليه السلام بأنه لن يؤمن من قومه إلا من صدق به واتبعه، قال تعالى: ((وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد ءامن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون))[٣] عندئذ أدرك نبي الله نوح عليه السلام أن لافائدة في بقائه بين أظهرهم فلا استجابة ترجى من الحي، ولا إيمان ينتظر من الغائب، فتوجه إلى الله بطلب نصره على من كفر بالله جل وعلا: ((رب لاتذر على الأرض من الكفرين ديارا * إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً))[٤].

ومكذبي الرسول صلى الله عليه وسلم وان استحقوا العذاب من دون طلب أو استعجال منهم لكن الله رحمهم:

أولا: بكلمة سبقت من الله جل وعلا بتأخير عذاب الاستئصال عن مكذبي هذه الأمة إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: ((ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم...))[٥] أي: ولولا كلمة سبقت يامحمد من ربك بأن لايعجل على أمتك بالعذاب ولكن يتأنى بهم حتى يبلغ الكتاب أجله. لولا ذلك لقضى الله عز وجل بين المكذب منهم والمصدق؛ بإهلاك المكذب به منهم، وإنجاء المصدق به[٦].

---

(١) سورة المائدة: الآية (١٧).
(٢) سورة النساء: الآية (١٧٦).
(٣) سورة هود: الآية (٣٦).
(٤) سورة نوح: الآية (٢٦-٢٧).
(٥) سورة هود: من الآية (١١٠).
(٦) تفسير الطبري: (١٢٣:٧) بتصرف مع المحافظة على المعنى.

ويوضح القرطبي أيضا معنى "الكلمة" بقوله: ((والكلمة هي: أن الله عزوجل حكم أن يؤخرهم إلى يوم القيامة لما علم في ذلك من الصلاح. ولولا ذلك لقضي بينهم أجلهم بأن يثيب المؤمن، ويعاقب الكافر))(١).

وقيل ((من المختلفين فيك يامحمد بتعجيل العقاب؛ ولكن سبق الحكم بتأخير العقاب عن هذه الأمة إلى يوم القيامة))(٢).

ثانيا: أن الله عز وجل رحم هذه الأمة برسول بأمته برٌّ رؤوف رحيم، إذ دعا الله ألا يهلك أمته بسنة عامة، كما في صحيح مسلم من حديث ثوبان(٣) رضي الله عنه وجاء فيه: ((إني سألت ربي أن لايهلكها بسنة عامة))(٤) أي أمته، لما يعلم صلى الله عليه وسلم بما أعده الله من العذاب لمن كذب رسله وأعرض عن هديه. فاستجاب الله سؤله، كما جاء في هذا الحديث: ((قال يامحمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لايرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لاأهلكهم بسنة عامة.. الحديث))(٥).

---

(١) و (٢) تفسير القرطبي (٩/١٠٣-١٠٤).

(٣) هو: ثوبان بن بجدد، ويقال ابن حجدر، أبو عبد الله ويقال: أبو عبد الرحمن الهاشمي، مولى النبي صلى الله عليه وسلم، قيل أصله من اليمن، صحب النبي صلى الله عليه وسلم ولازمه، وروى عن ثوبان هذا أبو أسماء الرحبي، ومعدان بن أبي طلحة، وأبو ادريس الخولاني وجماعة.نزل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بحمص، وتوفي بها سنة (٥٤هـ).

انظر: تهذيب التهذيب (٢/٢٨) تقريب التهذيب (٥٢).

(٤) و (٥) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة؟ ٥- باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض وأوله: (إن الله زوى لي الأرض..) (٣:٢٥).

وجاء ملك الجبال للرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن أعرض قومه عن سماع دعوته صلى الله عليه وسلم وأدمت ثقيف قدميه، فسلم عليه وناداه بقوله: ((يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لايشرك به شيئا)).(١)

ولا يتعارض ماجاء في هذا الحديث مع قوله تعالى إخبارا عن قول رسوله صلى الله عليه وسلم لقومه: ((**قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بينى وبينكم والله أعلم بالظلمين**)). (٢)

فقد جمع ابن كثير رحمه الله تعالى بين هذه الآية وما جاء في الحديث بقوله: ((إن هذه الآية دلت على أنه لو كان إليه وقوع العذاب الذي يطلبونه حال طلبهم له لأوقعه بهم. وأما الحديث: فليس فيه أنهم سألوا وقوع العذاب بهم، بل عرض عليه ملك الجبال. أنه إن شاء أطبق عليهم الأخشبين، وهما جبلا مكة اللذان يكتنفانها جنوبا وشمالا فلهذا استأنى بهم وسأل الرفق لهم)).(٣)

---

(١) تقدم تخريج الحديث ص٤٧٨ من الرسالة.

(٢) سورة الأنعام: الآية (٥٨).

(٣) تفسير ابن كثير: (٢:١٤١-١٤٧).

فدلت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة على فضل الله وإنعامه على هذه الأمة في دفع عذاب الاستئصال عنها إذ لم يؤاخذها بما كسبت من الكفر والعصيان، والذنوب والآثام، بل أمهل لها فأنسأ لها في الآجال عليها تتوب وتفيء إلى أمر الله ورسوله، لكن طبائع أهل الكفر التي ألفت التكذيب والعناد ماقدرت الله حق قدره، وما قامت له بحقه، وما أوفت له بعهده وما اعترفت للمنعم جل وعلا بفضله ورحمته، بل استمرت في عصيانها حتى حاق بها سوء ماكسبته أيديها كما قال تعالى: ((وحاق بهم ماكانوا به يستهزءون))[1].

أي نزل بهم وأصابهم ما كانوا يسخرون به من عذاب الله[2] لأن وعد الله حق، وقد وعد رسوله بإحلال عذابه ونقمته بالمكذبين به في عاجل الدنيا، ففعل ذلك ووفى لهم بما وعدهم فقتلهم يوم بدر[3] ((وللكفرين أمثلها))[4] وما الله بغافل عما يعمل الظالمون ((وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد))[5].

وفي الحديث: ((إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته))[6].

---

(١) سورة هود: الآية (٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (٧/٧).

(٣) تفسير الطبري (١٨٣/١٠) عند تفسيره لقوله تعالى: ((ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده...)) [٤٨:الحج] وتفسير القرطبي (١٠/٩).

(٤) سورة محمد: الآية (١٠).

(٥) سورة هود: الآية (١٠٢).

(٦) الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، رواه البخاري - في كتاب التفسير، ٥- باب قوله: ((وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد)) [٢١٤/٥].

ورواه مسلم في كتاب البر، ١٥- باب تحريم الظلم (١١٩٧/٣).

ورواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، ١٢- باب سورة هود (٢٨٨/٥).

الباب الرابع

بيان أوجه التشابه بين الأمم المكذبة في مواقفهم من الرسل عليهم السلام

الفصل الرابع

بيان أن أظلم الظلم الافتراء على الله تعالى وأعظم الخسران الإعراض عن دعوة الله تعالى

في هذه الآيات يبين الله تعالى حكمه في المفترين عليه الكذب وأنهم من أظلم الظالمين لأنفسهم بقوله جل وعلا: ((ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين))[1].

فقوله: ((ومن أظلم)) إستفهام معناه النفي[2]. أي لا أحد أظلم وهي صيغة مبالغة من ظلم يظلم نفسه ظلماً فهو ظالم وأظلم وظلوم[3].

والظلم: الشرك يوضحه ماجاء في الصحيحين وغيره من حديث عبد الله قال: (لما نزلت: ((الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم))[4] شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس هو كما تظنون إنما هو قول لقمان لابنه: ((يابني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم))[5][6].

---

(١) سورة هود: الآية (١٨).

(٢) تفسير البحر المحيط (٣٥٦/١) عند تفسير الآية (١١٤) من سورة البقرة.

(٣) فتح الباري لابن حجر (٩٥/٥).

(٤) سورة الأنعام: الآية (٨٢).

وراجع سبب النزول في تفسير الطبري (٢٥٤/٥ وما بعدها) وابن كثير (١٥٨/٢) والقرطبي (٣٠/٧).

(٥) سورة لقمان: الآية (١٣).

(٦) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، 41- قول الله تعالى: (ولقد ءاتينا لقمان الحكمة..) (١٣٧/٤). وفي كتاب التفسير، ١- باب لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم (٢٠/٥).
ورواه مسلم في كتاب الإيمان، ٥٦- باب صدق الإيمان وإخلاصه: (١١٤/١-١١٥) واللفظ له.
واستشهد به الطبري في تفسيره (٢٥٥/٥) وابن كثير (١٥٨/٢) والقرطبي (٣٠/٧) وغيرهم.

وإنما كانوا من أظلم الظالمين لأنهم عبدوا غير الله، وافتروا الكذب ليصدوا عن سبيل الله، فبافترائهم ضلوا، ولغيرهم صدوا.

والإفتراء: الإختلاق، ومنه إفترى فلان على فلان، أي: رماه بما ليس فيه، وفريت الشيء قطعته.

وهي كلمة تقال للإصلاح والإفساد، لكن التعبير بها في جانب الإفساد أكثر، ولذلك استعمل في القرآن في: ((الكذب، والشرك والظلم))[1].

وجاء لفظ ((الكذب)) منكراً فقال: ((**فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا...**)) ليعم ماتفوه الكافرين من أنواع الكذب، لأن النكرة في سياق النفي تفيد العموم.

وقد تكرر هذا اللفظ في القرآن كثيراً، ويفسر في كل آية بما يدل عليه السياق، وتفسيره هنا بما يناهض التوحيد أولى، إذ أن العباد الذين لحقهم الذم في الآية دعوا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاءهم في الكتاب المنزل من عند الله عز وجل بعبادة الله وحده والبراءة من كل ماسواه، فأعرضوا عن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصروا على الكفر والشرك: وزاد بعضهم على ذلك افتراء مزاعم متعددة ليخادع بها نفسه، ويضل بها غيره، للبقاء على ماهو فيه من شرك وكفر، ومن ذلك:

اتخاذ الشركاء والأولياء والشفعاء من دون الله، وقالوا: ((**هؤلاء شفعؤنا عند الله...**))[2] وكزعم من زعم أن الله إتخذ له ولداً من الملائكة كقول اليهود في عزير، وقول النصارى في عيسى عليه السلام ومن قال من مشركي العرب في الملائكة أنهم بنات الله[3] تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

---

(١) النهاية في غريب الحديث: لابن الأثير (٤٤٣/٣).

(٢) سورة يونس: من الآية (١٧).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: (١٦٦/٢) عند تفسير الآية (١٠٠: الأنعام).

وذمهم الله تعالى على ضلالهم عن الحق في قوله جل وعلا: (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا[1] له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون)[2].

وكزعم كفار قريش أن هذا القرآن مفترى من دون الله كما قال تعالى إنكاراً عليهم: (أم يقولون افتراه)[3].

فكان كل مفتر متقول على الله بلا علم، فارتكب بتقوله هذا أشد ماحرم الله، وأعظم مانهى عنه مما اتفقت الشرائع والأديان السماوية على تحريمه، كما قال تعالى: (قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون)[4][5].

وقد تعاضدت الأدلة من الكتاب والسنة على النهي عنه، ففي حديث أنس رضي الله عنه: (من تعمد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار)[6].

---

(١) (خرقوا): أي: جعلوا له بنين وبنات، أو كذبوا، أو وضعوا، أو قطعوا. انظر الأقوال في تفسير ابن كثير (٢/١١٦).

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٠٠).

(٣) سورة هود: من الآية (١٣).

(٤) سورة الأعراف: الآية (٣٣).

(٥) انظر: مدارج السالكين لابن القيم: (١/٤٠٣).

(٦) رواه البخاري في كتاب العلم، 38- باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم (١/٣٥).

ورواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، في كتاب الزهد والرقائق، 16- باب التثبت في الحديث، وحكم كتابة العلم (٣/٢٢٩٨-٢٢٩٩).

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (فدل هذا الحديث على أن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم موجب لدخول النار، وإتخاذ منزلة منها مبوءا، وهو المنزل اللازم الذي لايفارقه صاحبه، لأنه متضمن للقول على الله بلا علم، كصريح الكذب عليه، لأن ماانضاف إلى الرسول فهو مضاف إلى المرسل، والقول على الله بلا علم صريح افتراء الكذب عليه: (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا (١)) (٢).

وزيادة في البيان نضيف إلى ماذكره ابن القيم ماذكره القرطبي رحمه الله تعالى في ذم فئات من الناس يبغون بأقوالهم وآرائهم هدم أحكام الإسلام والتطاول على حقوق الأنبياء، فقال عند تفسيره لقول الله تعالى: ((ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء...)) (٣).

(ومن هذا النمط من أعرض عن الفقه والسنن، وما كان عليه السلف من السنن، فيقول: وقع في خاطري كذا، أو أخبرني قلبي بكذا، فيحكمون بما يقع في قلوبهم ويغلب عليهم من خواطرهم، ويزعمون أن ذلك لصفائها من الأكدار، وخلوها من الأغيار، فتتجلى لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكليات، ويعلمون أحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، ويقولون: هذه الأحكام الشرعية العامة، إنما يحكم بها على الأغنياء والعامة، وأما الأولياء وأهل الخصوص، فلا يحتاجون لتلك النصوص.

وقد جاء فيما يقولون: استفت قلبك وإن أفتاك المفتون، ويستدلون على هذا بالخضر، وأنه استفتى بما تجلى له من تلك العلوم عما كان عند موسى من تلك الفهوم) (٤).

---

(١) سورة هود: من الآية (١٨).
(٢) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٤٠٥/١).
(٣) سورة الأنعام: الآية (٩٣).
(٤) تفسير القرطبي (٣٩/٧) وراجع (١٨/١١) وما بعده.

ثم يحكم القرطبي على هذه الفئة الضالة بقوله: ((وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال وإلى جواب، فإنه يلزم منه هدّ الأحكام، وإثبات أنبياء بعد نبينا صلى الله عليه وسلم))[1] ا.هـ.

فهو رحمه الله تعالى يرد على أهل التصوف المذموم، والآية تشمل كل معاند مخالف لما جاء عن الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، كما تشمل بألفاظها هؤلاء المنحرفين الخاطئين من المحسوبين على أمة الإسلام، والحكم بعموم اللفظ لابخصوص السبب، والله أعلم.

ومن عجب أن هؤلاء المفترين يفترون على الله الكذب، وقد أقام الله عليهم الحجة، بما أظره من البينات والحجج، والبراهين الدالة على توحيده، وصدق رسله، وبما أنشأه لهم من جوارح يستطيعون بها معرفة ماجاءهم من الحق على ألسنة رسله.

(فالسمع: يهديهم إلى معرفة حجج الله القولية.

والبصر: يهديهم إلى تأمل آيات الله بأعينهم فيعتبروا ويتذكروا.
والقلب يحكم فيدعو صاحبه إلى الإيقان والتصديق)[2].
لكن لما لم ينتفعوا بها صارت في حقهم في حكم المعدوم، كما قال تعالى في ذمهم: (**ماكانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون**)[3].

---

(١) تفسير القرطبي (٣٩/٧) وراجع (١٨/١١) وما بعده.
(٢) قارن بالتفسير القيم لابن القيم (١٨٩) وشرح العقيدة الطحاوية (٩٣).
(٣) سورة هود: من الآية (٢٠).

((وبدأ بنفي استطاعة السمع تقبيحا لحالهم في عدم إذعانهم للقرآن الذي طريق تلقيه السمع أشد منه في عدم قبولهم سائر الآيات المنوطة بالإبصار))[1].

والإبصار وإن كان متبادر المعنى فيه: أنه الإبصار العيني الذي يبصر به آيات الله في الأنفس والآفاق، إلا أن الإبصار القلبي الذي هو مصدر الحكم على ماترى العين وتسمع الأذن أمر تدل عليه الآية أيضا.

واختلف المفسرون في وجه عدم استطاعتهم السمع والبصر على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنهم لم يقدروا على استماع الخير، وإبصار الحق وفعل الطاعة لأن الله تعالى حال بينهم وبين ذلك، وهذا معنى قول ابن عباس ومقاتل.

قلت: وهو تفسير للآية على إعتبار مجازاة الله للظالم من جنس عمله، فلما أصر المعاند على الباطل وتعالى عن الحق بعد وضوحه ولاه الله ماتولاه، جزاء وفاقا، نظير قوله تعالى: ((فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم...))[2].

الثاني: أن المعنى يضاعف لهم العذاب لما كانوا يستطيعون السمع ولا يسمعونه، وبما كانوا يبصرون حجج الله ولا يعتبرون بها، فحذف الباء، كما تقول العرب: (لأجزينك ماعملت) ذكره الفراء، وأنشد ابن الأنباري في الاحتجاج له.

تعالى اللحم للأضياف نيئاً * ونبذله إذا نضج القدور.

أراد: تعالى باللحم[3].

---

(١) انظر: روح المعاني للآلوسي: (٣٢/١٢).

(٢) سورة الصف: الآية (٥).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي: (٩/٤).

الثالث: أنهم من شدة عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ماكانوا يستطيعون أن يتفهموا مايقول كما في إباية قريش أن يسمعوا مانقل لهم من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تردهم عن ذلك مشيختهم. والتواصي على عدم سماعه، :ما قال تعالى إخباراً عنهم: ((**وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرءان والغوا فيه لعلكم تغلبون**))(١) وكما في حشو الطفيل بن عمرو أذنيه الكرسف(٢) لئلا يسمع ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم(٣).

وعلى كل فهذه الأقوال كلها لاتخرج عن المعنى العام للآية وهو: أن الله تعالى جعل لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء، بل كانوا بآيات الله يجحدون، ولرسل الله يكذبون.

ثم أوقف الله عز وجل هؤلاء الظالمين على منتهى ضعفهم وعجزهم كما في قوله تعالى: ((**أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء**))(٤).

ففي قوله تعالى: (**أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض**) إعلام للمشركين بحالهم، وأنهم لايستطيعون دفع العذاب عن أنفسهم. والإشارة في قوله (أولئك) عائدة للمفترين، أي: ((فلم يكونوا بالذين يعجزون ربهم بهربهم منه في الأرض إذا أراد عقابهم والانتقام منهم، ولكنهم في قبضته وملكه، لايمتنعون منه إذا أرادهم ولايفوتونه هرباً إذا طلبهم))(٥).

---

(١) سورة فصلت: الآية (٢٦).
(٢) انظر: زاد المسير (٩١/٤) والبحر المحيط (٢١٢/٥).
(٣) الكرسف: القطن. غريب الحديث لابن الأثير (١٦٣/٤).
(٤) سورة هود: من الآية (٢٠).
(٥) تفسير الطبري: (٢٢/٧) بتصرف يسير.

ثم ذكرهم الله تعالى بانقطاع النصرة عنهم بقوله تعالى: **(وما كان لهم من دون الله من أولياء)** أي: (أنصار ينصرونهم من الله إذا أراد عقابهم، ويحولون بينهم وبينه إذا هو عذبهم [١] فكما أنهم لايستطيعون دفع العذاب عن أنفسهم فكذلك لايستطيعون دفعه عند الانتصار بغيرهم.

وفي هذا رد لمزاعم الكفار إذ أنهم لايتخذون الأولياء من دون الله إلا رجاء النفع، وطلب الانتصار بهم في دفع العذاب، فأوقفهم الله على عجز أنفسهم وعجز أوليائهم.

وبإثبات الله جل وعلا قدرته على الانتقام من أعدائه، وإثبات عجز أعدائه وأوليائهم، يوقفنا على حكمة الله تعالى في معاملته لخلقه، وإقامة الحجة عليهم، حيث أمهل الكافرين في هذه الدار مع كفرهم به جل علا، وتخرص الكذب عليه، ولم يعاجلهم بعقوبته، ليتحقق بهذا أمرين دل عليهما صريح الكتاب والسنة.

الأمر الأول:

أن الظالم إما أن يتوب إلى ربه جل وعلا من الكفر والإشراك به عز وجل، وهذا مايريده الله ويحبه، ويفرح به، كما في قوله تعالى: **(والله يريد أن يتوب عليكم)** [٢] وقال تعالى: **(إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)** [٣].

---

(١) اقتباسا من عبارات الطبري (٥٣/٧).
(٢) سورة النساء: الآية (٢٧).
(٣) سورة البقرة: الآية (٢٢٢).

وفي الحديث: ((لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح)).(١)

أما الأمر الثاني:فهو إفضاء من أصر على كفره وشركه إلى ربه بعد أن قامت عليه الحجة ولكنه آثر الإعراض بعد أن أشبع نهمه بالإمعان في الباطل، وقضى رغبته من المشاقة لله ولرسوله، والإعراض عن دعوته، وإضلال عباده، ولو شاء الله ما فعلوه، كما قال تعالى: ((**ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون**)) (٢) فجنى بذلك كل ظالم لنفسه من الشر والعذاب مالا طاقة له به، وما ازدادوا بإملاء الله لهم إلا إثما، كما قال تعالى: ((**ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما..**))(٣)

وبإرسال الرسل وإمهال الله لهم قامت عليهم الحجة، وسقطت عنهم حبال المعذرة، كما قال تعالى: ((**رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**)). (٤)

وفي الحديث: ((لا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين ولا أحد أحب إليه المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الله الجنة)).(٥)

---

(١) رواه البخارى في كتاب الدعوات، - باب التوبة (١٤٥/٧-١٤٦).
ورواه مسلم في كتاب التوبة، - باب في الحض على التوبة، والفرح بها (٢١٠٤/٣-٢١٠٥) واللفظ له.

(٢) سورة الأنعام: الآية (١١٢).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٧٨).

(٤) سورة النساء: الآية (١٦٥).

(٥) طرف من حديث عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه. رواه البخاري في كتاب التوحيد، ٢٠- باب قول النبي صلي الله عليه وسلم لاشخص أغير من الله (١٧٤/٨).

وقال تعالى: ((ولو أنا أهلكنٰهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع ءايٰتك من قبل أن نذل ونخزى))[1].

وأما جزاء المفترين فبينه الحق في قوله تعالى: (أولٰئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهٰد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظٰلمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالأخرة هم كٰفرون))[2].

فدلت هاتان الآيتان:

- على اختصاص المفترين بالعرض على الله.
- وتمكين من تتأتى منه الشهادة بالادلاء بشهادته عليهم.
- وحلول لعنة الله وسخطه أيضا.
- ومضاعفة العذاب.
- وتذكيرهم بخسران الأنفس وهو أعظم الخسران.

وها نحن نفصل القول في كل دليل:

أولا: فعن اختصاص المفترين بالعرض على الله دل عليه قوله تعالى: (أولٰئك يعرضون على ربهم).

فالإشارة بقوله (أولٰئك) عائدة إلى الموصوفين بالظلم البالغ الذي هو الافتراء على الله[3].

---

(١) سورة طه: الآية (١٣٤).

(٢) سورة هود: الآية (١٨-١٩).

والعرض في قوله: (**يعرضون على ربهم**) إنما هو بسؤالهم عما كانوا يفترون في الدنيا، وهذا العرض وإن كان عاما لهم ولغيرهم، لأن الله عز وجل أخبر عن عرض عباده عليه ليسألهم عن أعمالهم، كما قال تعالى: (**وعرضوا على ربك صفا**)[1] إلا أنهم اختصوا بعرض زائد على غيرهم بسؤالهم عما كانوا يفترون في الدنيا[2].

وللتشهير بخزيهم[3] وفضيحتهم على رؤوس الخلائق[4] وتوكيداً لحالهم في الانتقام منهم[5] لأن عرض العامل بعمله أفظع من عرض عمله في غيبته)[6] ولأن الجوارح هي محل فعل الأعمال[7].

أما الموقف الثاني: من مواقف الذل والإهانة وإعلان الفضيحة فهو بتمكين الله تعالى من تتأتى منهم الشهادة بالإدلاء بشهادتهم عليهم لقوله تعالى: (**ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم**)[8] فالأشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب[9].

ففي قوله: (**ويقول الأشهاد**)[10] دليل على أنهم معروفون لديهم بكذبهم.

وفائدة إخبار الأشهاد بما يعلمه الله: (تعظيم بالأمر المشهود عليه، ودفع المجاهدة فيه)[11].

---

(١) سورة الكهف: الآية (٤٨).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/٧).
(٣) انظر: تفسير البحر المحيط (٢١٢/٥) والفخر الرازي (٢١٢/٩).
(٤) زاد المسير (٨٩/٤) عن الزجاج.
(٥) تفسير أبي السعود: (١٩٦:٤) وروح المعاني للآلوسي (٤٠/١٢).
(٦) روح المعاني: (١٤٠/١٢).
(٧)
(٨) سورة هود: من الآية (١٨).
(٩) انظر: تفسير الطبري (٢٠/٧).
(١٠) انظر: تفسير أبي السعود: (١٦٩/٤) وتفسير الشوكاني (٤٩٠/٢).
(١١) زاد المسير لابن الجوزي (٨٩/٤).

واختلف المفسرون فيمن تتأتى منهم الشهادة:

فقيل: الملائكة الحفظة.

وقيل: الملائكة عموما.

وقال الضحاك: وهم الأنبياء والمرسلون واستدل بقوله تعالى: (**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا**)(١).

قيل المراد بالأشهاد الملائكة والأنبياء والعلماء الذين بلغوا الرسالات لدخول من بلغ دعوة الرسول في عموم قوله تعالى: (**لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**)(٢).

وقيل: الجوارح، فإن الله تعالى أخبر عن شهادتها بقوله: (**يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون**)(٣)(٤).

وجميع هذه الأقوال يحتملها اللفظ ولا مانع من تأتي الشهادة من جميع ماذكر لأن القصد من العرض، وقول الأشهاد؛ المبالغة في إظهار الفضيحة بنعتهم بما كانوا يفعلون، وإن كان المتبادر أنهم الأنبياء عليهم السلام لأنهم بعثوا إليهم ووجدوا منهم التكذيب.

وكفى بالعرض على الله تعالى وتمكين من كانوا محل سخريتهم واستهزائهم من الأنبياء وأتباعهم للشهادة عليهم خزيا ونكالا، ومن المعلوم أن المجرم يود عدم إظهار جرمه وعقوبته، إذ أن في إعلان جزائه فضيحة له أمام الناس ولهذا وقع أليم زائد على نفسه، وما يناله من العذاب في ذلك اليوم لهو أشد وأوقع، وأدوم وأخزى.

وزيادة في العذاب فقد جمع الله عليهم أنواعاً من العقوبات، فمن حجب ستره عنهم، وحلول لعنته عليهم، إلى مضاعفة العذاب لهم.

---

(١) سورة النساء: الآية (٤١).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٤٣).

(٣) سورة النور: الآية (٢٤).

(٤) انظر أقوال المفسرين في هذا: تفسير الطبري (٢٠/٧) زاد المسير لابن الجوزي (٨٩/٤) القرطبي (١٨/٩) روح المعاني للآلوسي (٣٠/١٢).

فأما حجب الستر فيوضحه ماجاء في حديث صفوان بن محرز[1]

قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذ بيده، إذ عرض رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا، فيقول نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين)[2].

ثم أكد الله تعالى إحلال لعنته عليهم فقال: (ألا لعنة الله على الظلمين)[3].

فـ (ألا) حرف دال على التوكيد والتنبيه.

واللعنة من الله: هي الطرد والإبعاد عن رحمته كما تقدم.

ومن أبعده الله من رحمته عياذاً بالله فما أعظم عذابه كما قال تعالى: **(يضعف لهم العذاب...)**[4].

فقد قضى الله عز وجل بعد أن ينزل على الكافرين **ضعفي العذاب:**

- عذاب استحقوه لكفرهم.

- وعذاب استحقوه لصد غيرهم عن سبيل الله عز وجل، وبغي ماأنزل الله على رسوله عوجاً[5] كما قال تعالى في بيان أفعالهم التي أوردتهم النار: **(الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كفرون)**[6].

---

(١) هو: صفوان بن محرز بن زياد المازني: وقيل الباهلي، روى عن ابن عمر وابن مسعود، وعمر ابن بن الحصين، وابى موسى الأشعري وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم. وروى عنه جامع بن شداء، وقتادة ومحمد بن واسع وآخرون. كان ثقة، وله فضل وورع، مات رحمه الله تعالى سنة (٧٤هـ) في ولاية عبدالملك .
تذكرة الحفاظ: (١/٦٠-٦١)، وانظر: تهذيب التهذيب: (٤/٣٧٧-٣٧٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب المظالم، ٢- باب قول الله تعالى: (ألا لعنة الله على الظلمين) (٣/٩٧).

(٣) سورة هود: من الآية (١٨).

(٤) سورة هود: من الآية (٢٠).

(٥) قارن بابن كثير في تفسيره (٤/١٨٩).

(٦) سورة هود: الآية (١٩).

والمعنى كما ذكره ابن كثير، أى: (يرد دون الناس عن اتباع الحق، وسلوك طريق الهدى الموصلة إلى الله عز وجل، ويباعدون بينهم وبين الجنة)(١).

وقوله: (ويبغونها عوجا) أي يريدون أن يكون طريقهم عوجاً غير معتدلة(٢).

ثم يبين تعالى الحامل لهم على أفعالهم المذمومة والمشينة بقوله: (وهم بالأخرة هم كٰفرون) أي: جاحدون بها مكذبون بوقوعها وكونها(٣).

فمن أدى به عمله إلى هذا المآل فهو من أخسر الخاسرين، كما قال تعالى: ﴿لاجرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾(٤).

ومذهب الخليل(٥) وسيبوية(٦) في (جرم) أنهما ركبا من (لا، وجرم) والمعنى: حق، أي: (حقاً أنهم في الآخرة هم الأخسرون)(٧).

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٤٢).
(٢) (٣) تفسير ابن كثير (٢/٤٤٢).
(٤) سورة هود: الآية (٢٢)
(٥) هو الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، من أئمة اللغة والأدب وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبوية في النحو. ومن كتبه العين، ومعاني الحروف، وكتاب العروض. وغيرها. توفي بالبصرة سنة ١٧٠ وقي غير ذلك، الأعلام: (٢/٣١٤).
(٦) هو عمرو، بن عثمان بن قنبر سيبويه (أبو بشر)، أديب، نحوي، أخذ النحو والأدب عن الخليل بن أحمد ويوسف بن حبيب، وأبي الخطاب الأمقس، وعيسى بن عمر، ومن آثاره كتاب سيبويه في النحو
انظر : سير اعلام النبلاء (٦/٢٣٨-٢٣٩)، معجم المؤلفين)٨/١٠)
(٧) تفسير القرطبي: (٩/٢٠)
وفيات الأعيان ٢/٢٤٤-٢٤٨

والأخسرون: صيغة مبالغة.

جزاءا موافقاً للظلم فكما أنهم من أظلم الظالمين فهم من أخسر الخاسرين، لأنهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى، فخسروا في تجارتهم خسرانا لاخسران أعظم منه)[1] فغبنوا أنفسهم حظها من رحمة الله تعالى التي خلقها لعباده أحوج ماكانوا إليها يوم القيامة[2].

ولما كان خسران الأنفس أعظم الخسران حكم الله عز وجل عليهم بأنهم هم الزائدون في الخسران على كل خاسر فمن سواهم من العصاة مآله إلى الراحة وإلى انقطاع خسرانه كعصاة أهل التوحيد، فإنهم يعذبون في النار على قدر ذنوبهم ثم يخرجون من النار كما جاءت بذلك الأحاديث الشريفة بخلاف هؤلاء فإن خسرانهم لاانقطاع له)[3].

وبين ابن كثير رحمه الله تعالى فداحة الخسران بقوله: ((لأنهم استبدلوا الدركات عن الدرجات، واعتاضوا عن نعيم الجنات بحميم آن، وعن شرب الرحيق المختوم بسموم وحميم وظل من يحموم، وعن الحور العين بطعام من غسلين، وعن القصور العالية بالهاوية، وعن قرب الرحمن ورؤيته بغضب الديان، فلا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون))[4].

---

(١) وقال الفراء: ((لاجرم كلمة كانت في الأصل بمنزلة لابد أنك قائم، ولا محالة أنك ذاهب، فجرت على ذلك وكثر استعمالهم إياها حتى صارت بمنزلة حقا، ألا ترى أن العرب تقول: لاجرم لآتينك، لاجرم قد أحسنت، وكذلك فسرها المفسرون بمعنى الحق. وأصلها من جَرَمت، أي: كسبت الذنب وجرَمته...)).
معاني القرآن للفراء (٢/٨-٩).

(٢) تفسير البحر المحيط (٥/٢١٢).

(٣) انظر: تفسير البحر المحيط (٥/٢١٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/٤٥٧).

وبين الاعلام بالخسران وتأكيده يوقف الله المفترين على ضلال ماكانوا يفترون، فقال: **(وضل عنهم ماكانوا يفترون)**[١].

أي: ذهب ماكانوا يفترون من دون الله من الأنداد والأصنام فلم تجد عنهم شيئاً بل ضرتهم كل الضرر[٢].

وبين الله عز وجل كيف ضل عنهم ماكانوا يفترون في العديد من الآيات كقوله تعالى: **(وإذا حُشِر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كٰفرين)**[٣] وقال تعالى: **(واتخذوا من دون الله ءالهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا)**[٤].

وقال الخليل عليه السلام لقومه: **(إنما اتخذتم من دون الله أوثٰناً مودة بينكم في الحيوٰة الدنيا ويوم القيٰمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأولٰكم النار ومالكم من نٰصرين)**[٥].

---

(١) سورة هود: من الآية (٢١).
(٢) تفسير ابن كثير (٤٥٧/٢).
(٣) سورة الأحقاف: الآية (٦).
(٤) سورة مريم: الآية (٨١-٨٢).
(٥) سورة العنكبوت: الآية (٢٥).

ذلك لأن ماكانوا يعبدون من دون الله تعالى إما عاقل، أو غير عاقل.

فالعاقل: كالملائكة، والآدمي، والجن، وينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: قسم راض بالعبادة: كإبليس، وفرعون، وغيرهما من الطواغيت، فهؤلاء في النار مع عابديهم، كما قال الله عز وجل: (إذ تبرأ الذين اتُّبِعُوا من الذين اتَّبَعُوا ورأوْا العذاب وتقطعت بهم الأسباب، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمٰلهم حسرٰت عليهم وما هم بخٰرجين من النار)[1].

وقال تعالى في شأن إبليس: (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين)[2].

وقال في شأن فرعون: (يقدم قومه يوم القيٰمة فأوردهم النار وبئس الورد المورود)[3].

وقال تعالى عن إضلال الجن: (وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين)[4].

وقال تعالى: (ويوم يحشرهم جميعاً يٰمعشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثوٰكم خٰلدين فيها إلا ماشاء الله إن ربك حكيم عليم)[5] إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٦٦-١٦٧).
(٢) سورة ص: الآية (٨٥).
(٣) سورة هود: الآية (٩٨).
(٤) سورة فصلت: الآية (٢٩).
(٥) سورة الأنعام: الآية (١٢٨).

القسم الثاني: وهو من كان مطيعاً لله وغير راض بالعبادة له من دون الله كعيسى ومريم وعزير والملائكة عليهم السلام وغيرهم فهم برآء ممن عبدهم في الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام: **(وإذ قال الله يٰعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذونى وأُمِىَ إلٰهين من دون الله قال سبحٰنك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك إنك أنت علٰم الغيوب)**(١).

وقال تعالى في شأن الملائكة عليهم السلام: **(ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملٰئكة أهٰؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحٰنك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون)**(٢).

وقال تعالى في شأن كل من عبد من دون الله تعالى من الملائكة وعيسى وأمه وعزير وغيرهم من أولياء الله مطلقا إلى يوم القيامة: **(ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءأنتم أضللتم عبادى هٰؤلاء أم هم ضلوا السبيل•قالوا سبحٰنك ماكان ينبغى لنا نتخذ من دونك من أولياء ولٰكن متعتهم وءاباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراء•فقد كذبوكم بماتقولون فما تستطيعون صرفاً ولا نصرا)**(٣).

وأما غير العاقل: من الأشجار والأحجار وغيرها مما لايعقل فيشملها قوله تعالى: **(إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها وٰردون لو كان هٰؤلاء ءالهة ماوردوها وكل فيها خٰلدون)**(٤).

ويدخل في هذه الآية الطواغيت من الإنس والجن الراضون الذين دعوا الناس إلى عبادتهم ورضوا أن يعبدوا.

---

(١) سورة المائدة: الآية (١١٦).
(٢) سورة سبأ: الآية (٤٠-٤١).
(٣) سورة الفرقان: الآية (١٧-١٩).
(٤) سورة الأنبياء: الآية (٩٨-٩٩).

ولكن الأحجار لا أرواح فيها وإنما يعذب بها من عبدها من دون الله، كما قال تعالى: ((**يأيها الذين ءامنوا قوأ أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة...**))[١].

وكما يعذب عبد الدينار والدرهم بها كما قال الله عز وجل: ((**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون**))[٢].

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الشفاعة بطوله وفيه: (ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ماكانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم)[٣] إلى غير ذلك من الأحاديث[٤].

---

(١) سورة التحريم: الآية (٦).

(٢) سورة التوبة: الآية (٣٤-٣٥).

(٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد، ٢٤- باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرةٌ * إلى ربها ناظرة) (١٨١/٨).

(٤) انظر فيما تقدم معارج القبول (٣٦٣/١-٣٦٥).

الباب الخامس

بيـــان عاقبـــة الأمـــم

ويتضمن:

أن العاقبة الحسنى للمؤمنين

والسوآى على الكافرين

وفي هذا الفصل نعرض للنهاية الحسنى لكل من آمن بالله وصدق رسله، والعاقبة السوآى التي أحاقت بالكافرين بالله المكذبين لرسله، إذ من المعلوم أن كل أمة انقسمت عند سماع دعوة رسولها إلى فريقين :

- فريق آمن وصدق المرسلين، فأقر بوحدانية الله تعالى، وصدق رسله، وأخلص لله عز وجل في العبادة، وأذعن لرسوله بالطاعة، وتبرأ من الشرك وأهله.

- وفريق أعرض، وجحد دين الله تعالى، وأنكر وحدانيته، ورسالة نبيه عليه السلام، وعبد مع الله غيره.

فكانت عاقبة كل من الفريقين كما وعدوا به من البشارة لمن آمن، والهلاك لمن كفر.

وكم شعر أهل الباطل بنشوة الإنتصار على أهل الحق، فنالوا منهم بأيديهم وألسنتهم، كما قال تعالى: ((**تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم ءايٰتنا**..))(١).

وتقدم في الرسالة ما يوضحه(٢) فظنوا أن ذات الشوكة ستكون لهم، وأنهم على رسول الله وأتباعه مقتدرون.

---

(١) سور الحج : الآية (٧٢).
(٢) انظر صفحة ٥٠٤ - ٥١٤ من الرسالة.

لكن الأمر لا كما يظنون، أو يزعمون بل لله الأمر وحده، كما قال تعالى: ((**إنا لننصر رسلنا والذين ءامنوا في الحيوٰة الدنيا ويوم يقوم الأشهٰد**))(١).

فالنصر قرين الطاعة والإنقياد، والهلاك قرين الإباء والإعراض، كما ذكرنوح عليه السلام قومه بقوله: ((**فمن ينصرنى من الله إن طردتهم أفلا تذكرون**))(٢).

وقول صالح عليه السلام لقومه: ((**فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزويدننى غير تخسير**))(٣)

وما إطالة الكافرين على المؤمنين إلا فتنة كما قال تعالى: ((**الٓمٓ . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لايفتنون،ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكٰذبين**))(٤).

وقال تعالى : ((**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين ءامنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب**))(٥).

---

(١) سورة غافر : الآية (٥١).
(٢) سورة هود : الآية (٣٠).
(٣) سورة هود : الآية (٦٣)
(٤) سورة العنكبوت : الآية (١-٣)
(٥) سورة البقرة : الآية (٢١٤).

فأنجز الله تعالى لرسله عليهم السلام وعده، وجعل عاقبة كل من آمن بهم أو كذبهم كما سمعوا على ألسنة رسله عليه السلام من البشارة لمن آمن والهلاك لمن كفر.

فمن حقق العبودية لله وحده نال ما وعده به، ومن استكبر حاق به ما توعد به من الهلاك.

والهلاك يعني :

- الانتقام من الكافرين.
- وزوالهم عن وجه الأرض، وتبطنهم باطن ليذوقوا العذاب بعد العذاب .
- وإسكان المؤمنين أرضهم وديارهم من بعدهم. وهو ما قررته آيات هذه السورة أتم تقرير، لبيان عاقبة الأمم المطيع منهم للرسل. والصاد.

وقد وقفنا في دراستنا لدعوة الرسل عليهم السلام لأممهم على أن الله تعالى أنجى الرسل ومن آمن بهم، ومكنهم أرضه، وأحل بالمكذبين أشد العذاب، فقوم نوح لما كذبوا أخذهم الله بالطوفان، وقوم هود بالريح، وقوم صالح بالصيحة، وقوم لوط بالخسف، وقوم شعيب بالظلة، وفرعون وقومه بالغرق.

فهذه الأمم هان عندها أمر الله فهانت على الله، فأخذها الله بأنواع العقوبات، وفي ذلك عظة للمؤمنين وفرحة، ونقمة على الكافرين وحسرة، كما قال تعالى بعد أن قص أخبارهم: (**لقد جاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرىٰ للمؤمنين**)[١].

فذكر من أخذه الله بكفره في كتابه المنزل المحفوظ مسطور، وزيادة على هذا فآثار إهلاك بعضهم في الكون مرئي منظور؛ فهي لاتزال ماثلة لهم، وأخبارها تروى على أسماعهم كما قال تعالى: (**ذٰلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قآئم وحصيد**)[٢].

ومعنى: قائم أي: عامر، كقرى قوم صالح عليه السلام فهي لاتزال قائمة تشهد على ماكان فيها.

تشهد على مصارع الظالمين، فمع أنهم (**كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً ءامنين**) فكيف غرهم هذا؟

ولم تغن عنهم هذه البيوت التي هي أشبه بالقلاع والحصون ولم تحمهم ولم تدفع عنهم من عذاب الله من شيء.

وكذلك آثار قوم لوط مازالت قائمة ولهذا فإن الله ذكر الخلق بمصارعهم ودعا إلى النظر في آثارهم، فالأثر يدل على شدة الانتقام ليحذروا وينيبوا إلى ربهم من قبل أن يأتيهم ماأصاب غيرهم من العذاب لما كذبوا وأعرضوا: (**وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وباليل أفلا تعقلون**)[٣].

وقال تعالى: (**أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مسٰكنهم إن فى ذلك لأيٰت لأولى النهى**)[٤].

وأما المراد بقوله (حصيد) فهو الهالك[٥] الذي لايرى أثره[٦].

---

(١) سورة هود: من الآية (١٢٠).
(٢) سورة هود : الآية (١٠٠).
(٣) سورة الصافات: الآية (١٣٧-١٣٨).
(٤) سورة طه: الآية (١٢٨).
(٥) تفسير ابن كثير (٤٧٥/٢).
(٦) تفسير زاد المسير لابن الجوزي (١٥٦/٤).

وكما أهلك الله أولئك القرون الظالمة المكذبة لرسله، كذلك يفعل الله بأشباههم[١٤] ممن اقترف مااقترفوا من الشرك بالله وعصيان رسله، كما قال تعالى مذكرا ومحذرا: ((وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد))[١] .

وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)[٢] .

وقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للذين لايؤمنون بما جاء به عن ربه على وجه التهديد[٣] : (وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون * وانتظروا إنا منتظرون)[٤] .

ومعنى الآية: أي قل يامحمد للذين لايصدقونك ولا يقرون بوحدانية الله عز وجل اعملوا على مكانتكم، أي على: (طريقتكم ومنهجكم)[٥] فستعلمون عاقبة أمركم)[٦] (إنا عاملون) مانحن عاملوه من الأعمال التي أمرنا الله بها[٧] (وانتظروا) مايعدكم الشيطان (إنا منتظرون) مايحل بكم من نقمة الله وعذابه[٨] .

---

(١) سورة هود: الآية (١٠٢).
(٢) تقدم تخريجه ص: ٥٦٥
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤٨٣/٢).
(٤) سورة هود: الآية (١٢١-١٢٢).
(٥) تفسير الطبري (١٤٨/٧).
(٦) زاد المسير (١٧٤/٤).
(٧) تفسير الطبري (١٤٨/٧).
(٨) انظر: تفسير الطبري (١٤٨/٧) وتفسير البغوي (٢٥٩/٢).

وتعددت المواقف التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبشر فيها أصحابه بالنصر ويعدهم بالظفر، كما قال لأصحابه بعد أن هم أبا جهل من النيل من الرسول صلى الله عليه وسلم: ((أبشروا فإن الله عز وجل مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه إن هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله بأيديكم عاجلاً))(١) وقد كان ماأخبر به صلى الله عليه وسلم وانتقم الله لنبيه قال عثمان رضي الله عنه: ((فوالله لقد رأيتهم قد ذبحهم الله بأيدينا))(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم لسراقة لما جاء طالباً له لينال جعل قومه على من جاء بالرسول صلى الله عليه وسلم حياً أو ميتاً: (كيف بك وقد لبست سواري كسرى)(٣) قال كل ذلك صلى الله عليه وسلم وأصحابه يؤذون ويطاردون ويعذبون، ولم يكونوا في قوة ولا منعة، فأنجز الله لرسوله وعده ونصره، وأيده، وجعل كلمته سبحانه هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى تحقيقاً لقوله جل وعلا: (إنا لننصر رسلنا والذين ءامنوا في الحيوٰة الدنيا ويوم يقوم الأشهٰد)(٤).

---

(١) هو: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي، أمير المؤمنين، ذو النورين، أحد السابقين الأولين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وثالث الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم. استشهد في ذي الحجة بعد عيد الأضحى سنة (٣٥هـ) وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة، وعمره ثمانون وقيل أكثر وقيل أقل.
انظر: تقريب التهذيب (٢٣٥).

(٢) عيون الأثر (١/١٠٤).

(٣) أسد الغابة (٢/١٨٠).

(٤) سورة غافر: الآية (٥١).

وقوله جل وعلا: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز)[١] وجعل تعالى نصر رسوله وعذاب معاندي ومكذبي أمته[٢] فيما شرعه من قتال الأعداء كما قال تعالى: (قتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين)[٣].

ولم يكتب الله جل وعلا عذاب هذه الأمة بمثل ما عذب به الأمم قبلها كما تقدم إيضاحه عند قوله تعالى: (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب)[٤].

وقال تعالى: (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى)[٥].

أي: لولا الكلمة السابقة من الله وهو أنه لايعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه لجاءهم العذاب بغتة.

والأجل المسمى هو الأجل الذي ضربه الله تعالى لهؤلاء المكذبين إلى مدة معينة[٦].

ولله الحكمة البالغة: (ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض)[٧] وقال تعالى: (وليعلم[٨] الله الذين ءامنوا ويتخذ منكم شهداء والله لايحب الظلمين وليمحص الله الذين ءامنوا ويمحق الكفرين)[٩].

---

(١) سورة المجادلة: الآية (٢١).
(٢) أي أمة الدعوة.
(٣) سورة التوبة: الآية (١٤).
(٤) سورة هود: من الآية (١٠٩).
(٥) سورة طه: الآية (١٢٩).
(٦) تفسير ابن كثير (١٧٨/٣).
(٧) سورة محمد: الآية (٤).
(٨) سبق بيان مايتعلق بمعنى (ليعلم الله) في فصل (الابتلاء) صفحة ٢١٤ من الرسالة.
(٩) سورة آل عمران: الآية (١٤١).

وكانت أول مواطن الإنتقام من الأعداء، موطن غزوة بدر[١] الذي جاءت فيه قريش بخيلها وخيلائها بطرا ورئاء الناس تحاد الله تكذب رسوله (يريدون ليطفؤوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكفرون)[٢] فأمكن الله المؤمنين من رقابهم: (يقتلون ويأسرون) فكان عذاب الكافرين على هذا النحو: أذهب لغيظ قلوب المؤمنين، وأشفى لصدور أهل الإيمان وأشد وقعاً على الكافرين.

فإن قتل أبا جهل في معركة القتال وحومة الوغى أشد إهانة له من موته على فراشه بقارعة أو صاعقة أو نحو ذلك، كما مات أبو لهب لعنه الله بالعدسة[٣] بحيث لم يقربه أحد من أقاربه، وإنما غسلوه بالماء قذفا من بعيد ورجموه حتى دفنوه)[٤].

---

(١) انظر غزوة بدر في: السيرة النبوية لابن هشام (٦٠٦/١، ٧١٥و ٤٣/٢) والطبقات لابن سعد (١١/٢، ٢٧) وتاريخ الطبري (ص٢٦٧) وزاد المعاد (١٧١/٣-١٨٨) والسيرة لابن كثير (٢٨٠/٢-٥١٥).

(٢) سورة الصف: الآية (٨).

(٣) هذا الداء كانت تتشاءم به وتفر عمن ظهر به، فلما أصاب أبا لهب تركه أهله حتى مات، ومكث مدة لايدفن حتى خافوا العار فحفروا له حفرة فرموه فيها.
انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٣١٩/٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٣٠٣/٢) عند تفسير قول الله تعالى (وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) [١٠: الأنفال].
وانظر: دلائل النبوة للبيهقي (٣١٩/٢) تحقيق د. عبد المعطي قلعجي.

وسائر مقاتلي قريش منهم من نال العذاب الحسي، وهو القتل، ومنهم من نال العذاب المعنوي، فرجع بألم الفراق والحسرة، والخيبة والندامة، وتقطعت أنفسها حسرات على من قتل من أفرادها، وأدركت قريش نقمة الله بها، وقدرته عليها كما قال تعالى: (**وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم. ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين**)[1].

فكان ماحل بهم آية على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وعبرة للمكذبين، ولهذا ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم اليهود ماحل بأشباههم في الكفر من القتل على أيدي رسوله والمؤمنين، بعد أن علم صلى الله عليه وسلم أن يهود بني قينقاع قد أكل صدورهم الحقد، وأنهم يتربصون بالمسلمين الدوائر، خاصة بعد أن علموا خذلان قريش أشياعهم في الكفر والمعاداة والتكذيب لرسوله صلى الله عليه وسلم، فقام فيهم الرسول خطيباً فقال: (يامعشر يهود احذروا من الله مثل مانزل بقريش من النقمة وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم)[2] فرد عليه اليهود بقولهم: (يامحمد إنك ترى إنا قومك لايغرنك أنك لقيت قوماً لاعلم لهم بالحرب، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس)[3].

وذكرهم الله تعالى بنصره لرسوله والمؤمنين معه بقوله: (**قد كان لكم ءاية فى فئتين التقتا فئة تقتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار**)[4].

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٢٧).

(٢)و(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج، 22- باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة (٣/٤٠٢-٤٠٣) وانظر تخريجه أيضا في جامع الأصول (٢/٦٦).

(٤) سورة آل عمران: الآية (١٣).

ولكن أنى لقلب طبع عليه الكفر والحسد، أن يعي الخير، أو يكف عن الشر. فلقد تألبت اليهود مع قريش وبعض القبائل على حرب الرسول صلى الله عليه وسلم في الغزوة التي سميت "غزوة الأحزاب" كما بين تعالى ذلك في قوله: ((إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا))(١).

فنقض بنو النضير عهد الله ورسوله، وحالفوا قريشاً ضد الرسول صلى الله عليه وسلم وأرادوا الغدر به عليه الصلاة والسلام، فأذاقهم الله نقمته، بأن سلط عليهم رسوله كما يسلط رسله على أعدائه من دون إيجاف خيل ولا ركاب، وقذف الرعب في قلوب الكفار، وزلزل أقدامهم، فاستسلموا لرسول الله ونزلوا على حكمه، وجعل الله تعالى له أموالهم خاصة يضعها حيث أمره الله، وهو سبحانه القاهر لكل شيء، والقدير الذي لايغالب(٢) قال تعالى: ((وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم(٣) عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير))(٤).

والبعض من اليهود استجاب لتأليب قريش على حرب الرسول صلى الله عليه وسلم وكل منهم قد امتلأ قلبه حنقاً وغيظا على الرسول وأصحابه.

- فقريش تتأثر لقتلاها وتنتصر لدين آبائها.

- ويهود يبكون على انقطاع النبوة منهم، وتحولها إلى نبي من العرب.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية (١٠).

(٢) قارن بتفسير ابن كثير (٣٥٨/٤).

(٣) الإيجاف: الإيضاع، وهو الإسراع في السير، و (الركاب) الإبل.
والمعنى: لاشيء لكم في هذا، إنما هو لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها حيث شاء، فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين.
انظر: تذكرة الأريب لابن الجوزي (٢١٣/٢) وتفسير القرطبي (١٨:١٠-١١).

(٤) سورة الحشر: الآية (٦).

- والقبائل الأخرى توالي هؤلاء أو هؤلاء لحلف أو مطمع، ومآرب أخرى.

- ولكن الله تعالى أخرى ملل أهل الكفر كلها..

وأنزل الحق تبارك وتعالى في ذلك قرآنا يتلوه الخلف بعد السلف ليذكر على الدوام نصر الله لجنده، وتأييده لحزبه، وخذلانه لحزب الشيطان إلى أن تقوم الساعة، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)[1].

ففي الأحزاب[2] رد الله عنهم عدوهم على الأعقاب، وهم في أشد حالات الحنق والغيظ عليهم إذ لم يدرك الأعداء ماأرادوه من الظفر والنصر، وكفى الله عباده المؤمنين قتال خصومهم بما بعثه عليهم من الريح، والملائكة تقذف الرعب في قلوبهم.. فقال تعالى عن هؤلاء الذين تحزبوا على إطفاء نور الله ((**والله متم نوره ولو كره الكٰفرون**))[3] وقال تعالى: ((**يٰأيها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً. إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصٰر. وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا**))[4].

---

(١) قارن: حكم وأحكام في السيرة النبوية (٨٣و٩٦).

(٢) انظر غزوة الأحزاب في (غزوة الخندق) في الواقدي (٢/٤٤٠-٤٩٦) وابن هشام (٣/٢٢٦) وابن سعد (٢/٦٥) وتاريخ الطبري (٣/٤٣) جوامع السيرة لابن حزم (١٨٥).

(٣) سورة الصف: من الآية (٨).

(٤) سورة الأحزاب: الآية (٩-١١).

وبنو قريظة يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم سعد بن معاذ[1] رضي الله تعالى عنه، فيحكم فيهم بقوله: ((فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء)) فقال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد: ((لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات)).

فينزلهم الله من حصونهم صاغرين على حكم رسوله صلى الله عليه وسلم، فقتل مقاتلتهم، وأخذ أموالهم، وسبى النساء والذرية، وأمكن المسلمين من الاستيلاء على ديارهم، كما قال تعالى في شأنهم ومبينا انتقامه جل وعلا منهم: ((**وأنزل الذين ظٰهروهم من أهل الكتٰب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا. وأورثكم أرضهم وديٰرهم وأموٰلهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا**[2]))[3].

---

(١) هو سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري سيد الأوس، شهد بدراً باتفاق، ورمي بسهم يوم الخندق، فعاش بعد ذلك شهرا وأجاب الله دعوته، فحكمه الرسول صلى الله عليه وسلم في بني قريظة، وبعدها انفجر جرحه رضي الله عنه فمات في شوال سنة خمس من الهجرة، وهو ابن سبع وثلاثين سنة، واهتز عرش الرحمن لموته رضي الله عنه، وحملة الملائكة جنازته وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودفن بالبقيع، وله من الولد: عبد الله وعمرو.
انظر: صفة الصفوة (٤٥٥/١-٤٦٠) الإصابة (٨٧/٣-٨٨).

(٢) سورة الأحزاب: الآية (٢٦-٢٧).

(٣) انظر خبر غزوة بني قريظة في صحيح البخاري (٤٩/٥-٥١) السيرة لابن هشام (٢٤٤/٣) الطبقات لابن سعد (٧٤/٢) أنساب الأشراف للبلاذري (٤٩٦/١-٥٣١) زاد المعاد (١٨٧/٢).

ومن قبل هؤلاء وأولئك **بنو قينقاع**: يتجاوز لهم الرسول صلى الله عليهي وسلم عن قطع رقابهم على شرط إخراجهم من المدينة لايستصحبون معهم غير النساء والذرية، وأما مايتبقى من أموالهم، وعدتهم، وعتادهم، وآلة صياغتهم فيكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه (١).

وهكذا في جميع الغزوات يكتب الله عز وجل لرسوله نصره ويظهره على أعدائه.

وقريش رجعت بشر مقام حتى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم واصفاً ماأصابها من الذعر والخوف: ((لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا)) (٢) وصدق الله رسوله فلم تغزوهم قريش حتى دخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة فاتحاً منتصراً يحطم الأصنام ويمحو الأوثان وتلى قول الله تعالى: ((**وقل جاء الحق وزهق البُطل إن البُطل كان زهوقا**)) (٣) ويمن صلى الله عليه وسلم على من شاء.

ويشهد الناس بعفوه وحلمه وصفحه حتى يقول صلى الله عليه وسلم لأهل مكة: ((ماتظنون أني فاعل بكم قالوا أخ كريم، وابن أخ كريم، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم اذهبوا فأنتم الطلقاء)) (٤).

---

(١) انظر خبر بني قينقاع في السيرة لابن هشام (٥٠/٣) الطبقات لابن سعد (٢٨/٢) وابن سيد الناس (٢٩٦/١) جوامع السيرة لابن حزم (١٥٤).

(٢) ورد في صحيح البخاري عن سليمان بن صُرَد رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ((نغزوهم ولا يغزوننا)) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين أجلى الأحزاب عنه ((الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم)).
رواه البخاري في كتاب المغازي، ٢٩- باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (٤٤/٥).
وروى هذا الحديث بلفظ قريب منه أحمد في مسنده (٢٦٢/٤) (٣٩٤/٦).
وانظر خبر الفتح الأعظم في: السيرة لابن هشام (٣/). تاريخ الطبري (١١٠/٣) زاد المعاد (٣٩٤/٣).

(٣) سورة الإسراء: الآية (٨١).

(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤١٢/٢) دلائل النبوة للبيهقي (٥٨/٥) وزاد المعاد لابن القيم (٤٠٨/٣).

ولا يزال دين الرسول صلى الله عليه وسلم قائماً منصورا ظاهراً على كل دين، فلهذا فتح الله لأصحابه رضوان الله عليهم مشارق الأرض ومغاربها، واحتازوا جميع الممالك، ودانت لهم جميع الدول، وكسروا كسرى، وقصرو قيصر، وغنموا كنوزهما وأنفقت في سبيل الله تعالى، كما أخبرهم بذلك نبيهم[١] عن ربهم عز وجل في قوله: (وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصلحٰت ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا...))[٢].

وتحقق لهم موعود رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا[٣] هلك كسرى فلا كسرى بعده والذي نفسي بيده لتنفق كنوزهما في سبيل الله)) ولبس سراقة سواري كسرى[٤] وسار

---

(١) قارن بتفسير ابن كثير (٣/٣١٢).

(٢) سورة النور: الآية (٥٥).

(٣) رواه البخاري في كتاب المناقب، ٢٥- باب علامات النبوة في الإسلام (٤/١٦٨).

(٤) إذ انه لما قدم سعد رضي الله عنه بمغانم كسرى كان بينهما ثياب كسرى وحليه وسيفه: (فلما أتى عمر رضي الله عنه بتاج كسرى ومنطقه دعا سراقة بن مالك المُدْلِجي وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال له يوم الغار كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟ فألبسه السوارين، وقال الله أكبر، ارفع يديك، وقل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما أعرابياً من بني مُدْلِج، ورفع عمر بها صوته ثم قسم ذلك بين المسلمين.

انظر: أخبار عمر لعلي الطنطاوي (٨٣-٨٤) وأبو بكر الصديق للمؤلف أيضا (٨٧).

الراكب من صنعاء[١] إلى حضرموت لايخاف إلا الله والذئب على غنمه[٢]، ((وخرجت الظعينة من الحيرة فطافت بالبيت في غير جوار أحد))[٣].

والوعد قائم من الله تعالى لكل من نصر دينه في كل وقت وحين، والله على مايشاء قدير: ((ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز))[٤].

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((بشر هذه الأمة بالسناء[٥] والرفعة، والدين، والنصر والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب))[٦].

---

(١) قال في الفتح: (يحتمل أن يريد صنعاء اليمن وبينها وبين حضرموت من اليمن أيضا مسافة بعيدة نحو خمسة أيام، ويحتمل أن يريد صنعاء الشام والمسافة بينهما أبعد بكثير، والأول أقرب) (٦/٦٢٠) فتح الباري.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣:٣١٣) عند الآية (٥٥: النور) وهذا كما جاء في حديث عدي بن حاتم وفيه: (فقال: -أي الرسول صلى الله عليه وسلم- ياعدي هل رأيت الحيرة قلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف إلا الله..) الحديث، رواه البخاري - في كتاب المناقب،٢٥- باب علامات النبوة في الإسلام (٤/١٧٥).

(٤) سورة الحج: الآية (٤٠).

(٥) السناء: السناء من المجد والشرف والرفعة، أي: بشر أمتي بارتفاع المنزلة والقدر عند الله تعالى.

(٦) انظر: غريب الحديث [illegible] لسان العرب لابن منظور (١٤/٣٠٤) مادة (سنا).

هذه شواهد لما أنجزه الله لرسوله وأوليائه في هذه الدار، وما وعدهم به من النعيم المقيم لهو أدوم وأنعم.

وشواهد أيضا لما أصاب المكذبين في الدنيا، وماينتظرهم من العذاب أسوأ وأفظع وأعظم كما قال تعالى: ((إن في ذلك لأية لمن خاف عذاب الأخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأتِ لاتكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقى وسعيد))(١).

فالله عز وجل وعد ووعده حق وصدق، يبعث العباد يوم القيامة على ما أفضوا إليه في الدنيا، فالشقي كما نال عاقبة شقائه وكفره في الدنيا، فله في الآخرة أشد العذاب، كما قال تعالى مخبراً عن حال الكافرين: ((فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق))(٢)

قال ابن عباس: ((الزفير في الحلق والشهيق في الصدر))(٣).

---

(١) حلية الأولياء (٢٥٥/١) (٤٢/٩) مجمع الزوائد (٢٢٠/١٠) وعزاه الهيثمي لأحمد (١٣٤/٥) وابنه من طرق، ورجال أحمد رجال الصحيح. ابن كثير (٣١٣/٣) كنز العمال (٣٤٤٦٥) الدر المنثور (٢١٦/٦ ، ٣٤٤/٧).

(٢) سورة هود : الآية (١٠٣-١٠٥).

(٣) سورة هود : الآية (١٠٦)

أي : ((تنفسهم زفير، وأخذهم النفس شهيق لما هم فيه من العذاب عياذا بالله))[١].

ثم قال تعالى مبينا ديمومة العذاب ((**خٰلدين فيها مادامت السمٰوٰت والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد**))[٢].

قال ابن جرير الطبري : ((من عادة العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام قالت: هذا دائم دوام السموات والأرض، وكذلك يقولون هو باق ما اختلف الليل والنهار، وما سمر أبناء سمير، ومالألأت العير بأذنابهم)) يعنون بذلك كله أبداً. فخاطبهم جل ثناؤه بما يتعارفونه بينهم فقال: ((**خٰلدين فيها مادٰمت السمٰوٰت والأرض**))

ولابن كثير توجيه على كلام الطبري اذ يقول في تفسيره قلت : ((ويحتمل أن المراد بما دامت السموات والأرض)) الجنس، لأنه لابد في عالم الآخرة من سموات وأرض كما قال تعالى: ((**يوم تبدل الأرض غير الأرض** والسموٰت))[٣] ولهذا قال الحسن البصري في قوله تعالى: ((**مادٰمت السمٰوٰت والأرض**)) بأنها سماء غير هذه السماء وأرض غير هذه فما دامت تلك السماء وتلك الأرض[٤]. أ.هـ.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤٧٦/٢)
(٢) سورة هود : الآية (١٠٨)
(٣) سورة إبراهيم : الآية (٤٨).
(٤) تفسير ابن كثير (٤٧٦/٢).

وأخبر الله عن أهل الجنة أنهم قالوا: ((**وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العملين**))[١].

فالحاصل: أن المقصود دوام أرض الجنة، ودوام سماواتها، فالجنة لاتفنى والنار لاتفنى كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، قال الإمام أحمد[٢] رحمه الله تعالى: ((والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء، ولم يكتب عليهن الموت))[٣].

وقال الطحاوي رحمه الله تعالى: ((والجنة والنار مخلوقتان لاتفنيان أبدا))[٤].

وقال ابن حزم[٥] رحمه الله تعالى: (.. وأن النار حق وأنها دار عذاب أبدا لاتفنى، ولا يفنى أهلها أبداً بلا نهاية[٦])[٧].

---

(١) سورة الزمر: الآية (٧٤).

(٢) هو الإمام المعروف أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، كان قوي الصلة بالله جل وعلا، وعُرف بالعلم وقوة الحجة فيه، والورع والزهد والصبر على المكاره، والثبات على المبدأ، وهو إمام المذهب الحنبلي، وينسب إليه، وأحد الأئمة الأربعة، ومن شيوخه سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، ومن تلاميذه: يحيى بن آدم، وعبدالرزاق بن همام، ومن كتبه: المسند، وفضائل الصحابة، والزهد، توفي رحمه الله تعالى سنة ٢٤١هـ.
انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٠/٣٤٠-٣٥٨)، طبقات الحنابلة (٤:١) ومابعدها.

(٣) كما نقل ذلك عنه شارح قصيدة الإمام ابن القيم (الكافية الشافية) (٩٧/١) وهي قصيدة طويلة في العقيدة للإمام ابن القيم، وقد شرحها الشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى في كتاب (توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم) طبع المكتب الإسلامي.

(٤) العقيدة الطحاوية مع شرحها (٤٧٦).

(٥) هو: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري، ولد بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة. كان فقيهاً مجتهداً ذكياً حافظاً. له سعة دائرة في كثير من العلوم. وصنف كتباً كثيرة منها: المحلى، الإيصال إلى فهم كتاب الخصال والإحكام والعقل. توفي سنة ٤٥٦هـ.
تذكرة الحفاظ للذهبي ١١٤٦/٣ ومابعدها، والبداية والنهاية لابن كثير (٩٨/١٢).

(٦) مراتب الإجماع لابن حزم (١٧٣).

(٧) ولمزيد من الاطلاع في مسألة أبدية الجنة والنار وعدم فنائها انظر (رفع الأستار لابطال أدلة القائلين بفناء النار) تأليف محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق الألباني.

ثم رد الله عز وجل دوام عذاب أهل النار إلى مشيئته، فقال جل وعلا: ((خلدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد))(١).

ليبين جل وعلا أن عذاب أهل النار في النار دائم مردود إلى مشيئته وأنه بعدله وحكمته عذبهم(٢) كقوله ((لايسئل عما يفعل وهم يسئلون))(٣) وكقوله جل وعلا ((النار مثوىكم خلدين فيها إلا ماشاء الله إن ربك حكيم عليم))(٤).

وقد اختلف المفسرون في المراد من الاستثناء في قوله تعالى: ((خلدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد)) على أقوال كثيرة حكاها ابن الجوزي(٥) في تفسيره زاد المسير، وغيره من علماء التفسير ونقل كثيرا منها الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في تفسيره، واختار هو قول من قال: إن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والمؤمنين حتى يشفعون في أصحاب الكبائر، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين فتخرج من لم يعمل خيراً قط؛ وقال يوماً من الدهر ((لا إله إلا الله)) كما وردت بذلك الأخبار(٦) الصحيحة المستفيضة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سورة هود: الآية (١٠٧).
(٢) تفسير ابن كثير (٤٧٦/٢).
(٣) سورة الأنبياء: الآية (٢٣).
(٤) سورة الأنعام: الآية (١٢٨).
(٥) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (١٦٠/٤).
(٦) من ذلك ماجاء في حديث أنس رضي الله عنه الطويل، وفيه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير مايزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير مايزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه مايزن من الخير ذرة)).
رواه البخاري في كتاب التوحيد، 19- باب قول الله تعالى: (لما خلقت بيدي) (١٧٣:٨) وفي (٢٠٢/٨).

يمضون ذلك من حديث أنس[١] وجابر وأبي سعيد وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة، ولا يبقى بعد ذلك في النار إلا من وجب عليه الخلود فيها ولا محيد له عنها، وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديماً وحديثاً في تفسير هذه الآية الكريمة[٢].

فمن حكم الله تعالى عليه بالخلود فيها فهو معذب ومخلد فيها أبدا، كما قال تعالى: ((ولهم عذاب مقيم))[٣] ((لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون))[٤] ((فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا))[٥] ((خالدين فيها أبدا))[٦] ((وما هم منها بمخرجين))[٧] ((وما هم بخارجين من النار))[٨].

---

(١) هو: أنس بن مالك بن النضر، صحابي خزرجي، أنصاري، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن المكثرين من الرواية، توفي رضي الله عنه سنة (٩١هـ) وقد جاوز المائة من عمره.
انظر: الإصابة (١:٧١-٧٢) تقريب التهذيب (٣٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٤٧٧).

(٣) سورة المائدة: الآية (٤٠).

(٤) سورة الزخرف: الآية (٤٣).

(٥) سورة النبأ: الآية (٣٠).

(٦) سورة الأحزاب الآية (٦٥)

(٧) سورة الحجر: الآية (٤٨).

(٨) سورة البقرة: الآية (١٦٧).

((لايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط))[١] ((لايقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها...))[٢] ((إن عذابها كان غراما))[٣] أي ((مقيماً لازما))[٤][٥].

ومما تقدم من الآيات والأحاديث يتبين لنا أن النار يدخلها الكافر والعاصي لكن الكافر يقاسي فيها عذاب الخلد أبدا.

وأما العاصي من أهل التوحيد فإن الله عز وجل يدخله النار ليطهره من ذنوبه ومعاصيه، ثم يخرجه الله منها بقبول الله شفاعة الشافعين فيه، وتداركه برحمته.

يقول شارح الطحاوية في الاستثناء في قوله تعالى عن أهل النار: ((خلدين فيها إلا ماشاء ربك))[٦] ((وهذا حكم مختص بهم -أي بأهل التوحيد- فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان، وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما بل بإبقاء الله لهما))[٧].

وأما أهل الطاعة والإنابة فهم السعداء وهم الذين خصهم الله تعالى بالخلود في جنته كما قال تعالى: ((وأما الذين سعدوا ففى الجنة خٰلدين فيها مادامت السمٰوٰت والأرض إلا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ))[٨] أي غير مقطوع[٩] ولا ينافي ذلك قوله: ((إلا ماشاء ربك)) واختلف السلف في هذا الاستثناء فقيل معناه:

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٤٠).
(٢) سورة فاطر: الآية (٣٦).
(٣) سورة الفرقان: الآية (٦٥).
(٤) شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٨٦).
(٥) انظر: تفسير البغوي (١٠٨/٣).
(٦) سورة هود: الآية (١١٧).
(٧) شرح الطحاوية (٤٨٦).
(٨) سورة هود: الآية (١٠٨).
(٩) تفسير القرطبي (١٠٣/٩).

إلا مدة مكثهم في النار، وهذا يكون لمن دخل منهم النار ثم أخرج منها لا لكلهم.

- وقيل: إلا مدة مقامهم في الموقف.

- وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور والموقف[١].

- وقيل: الاستثناء هنا ليس المراد منه احتمال الانقطاع، وإنما القصد منه اخبار الله عباده بفضل الله ورحمته عليهم.

(ولا ينافي ذلك عزيمته جل وعلا وجزمه لهم بالخلود في الجنة، كما في قوله تعالى: ((**ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ثم لاتجد لك به علينا وكيلا**))[٢] وقوله تعالى: ((**فإن يشأ الله يختم على قلبك...**))[٣] وقوله: ((**قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به...**))[٤] ونظائره كثيرة، يخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن)[٥].

وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد، كما في قوله تعالى: ((**عطاء غير مجذوذ**)) أي غير مقطوع[٦] كما تقدم.

وقوله أيضا: ((**إن هذا لرزقنا ماله من نفاد**))[٧] وقوله: ((**أكلها دائم وظلها**))[٨] وقوله: ((**وما هم منها بمخرجين**))[٩].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٤٨١).
(٢) سورة الإسراء: الآية (٨٦).
(٣) سورة الشورى: الآية (٢٤).
(٤) سورة يونس: الآية (١٦).
(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٤٨٢).
(٦) تفسير القرطبي (١٠٣/٩).
(٧) سورة ص: الآية (٥٤).
(٨) سورة الرعد: الآية (٣٥).
(٩) سورة الحجر: الآية (٤٨).

وأخبر تعالى أنهم: ((**لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى**))[١] وهذا الاستثناء في هذه الآية منقطع، وإذا ضم إلى الاستثناء في قوله تعالى: (**إلا ماشاء ربك**) تبين أن المراد من الاثنين استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وذلك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها[٢].

وقد جاء في الصحيحين ((يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: ياأهل الجنة خلود ولا موت وياأهل النار خلود فلا موت))[٣].

وفي رواية عند مسلم: ((فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم))[٤].

وفي الصحيح أيضا ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا[٥])) فذلك قوله عز وجل: ((**ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون**))[٦][٧].

---

(١) سورة الدخان: الآية (٥٦).

(٢) شرح الطحاوية (٤٨٢).

(٣)و(٤) الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رواه البخاري في كتاب التفسير،١- باب قوله تعالى: (وأنذرهم يوم الحسرة) (٥/٢٣٦-٢٣٧).

ورواه مسلم في كتاب الجنة، 13- باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٣/٢١٨٨).

(٥) فلا تبأسوا، يقال: بئس يبأس بؤساً وبأساً افتقر واشتدت حاجته، والإسم منه بائس.
(غريب الحديث لابن الأثير (١/٨٨) حرف الباء.

(٦) الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رواه مسلم في كتاب الجنة،٨- باب في دوام نعيم أهل الجنة (٣/٢١٨٢).

(٧) سورة الأعراف: الآية (٤٣).

الخـــاتمـــــة

وبعد استعراض مباحث الدعوة إلى الله تعالى من خلال ما تهدى إليه آيات سورة هود عليه السلام، نود أن نوجز مادلت عليه في الآتي:

* أن الله عز وجل إنما جعل كتابه في غاية الاحكام، وأكمل التفصيل من أجل أن يخلص العباد العبادة لله الواحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد رب العالمين وحده لا شريك له ويذروا ماكانوا يعبدون من دونه (**الر كتٰب أحكمت ءايٰته ثم فصلت من لدن حكيم خبير. ألا تعبدوا إلا الله إننى لكم منه نذير وبشير**)(١).

واقترن الأمر بما يبعث عليه من الترغيب والترهيب.. فَدُعِيت بالترغيب لأن النفس مفطورة على حب الخير وتسعى في حصوله وتتألم عند فقده..

وقُرِعت بالترهيب لأن النفس مفطورة على حب البقاء.. وتبعد نفسها عن كل مافيه ألم لها، فإذا علمت أن ما أقدمت عليه يكون بسببه هلاكها خافت وانزجرت.

وذُكِّر العباد على ألسنة الرسل عليهم السلام بفضل الله عليهم، ونعمته وإحسانه إليهم.. ليتذكروا المنعم فيعبدوه، فإن من حق الخالق الرازق أن يُعبد ولا يُكفر، وأن يُطاع فلا يُعصى (**هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب**)(٢).

(إنى أراٰكم بخير) فلا خير إلا من عنده: (**وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتٰب مبين**)(٣).

(**يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين**)(٤) (**يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم**)(٥).

---

(١) سورة هود : الآية (١-٢).
(٢) سورة هود : الآية (٦١).
(٣) سورة هود : الآية (٦).
(٤) سورة نوح : الآية (١١-١٢).
(٥) سورة هود : الآية (٥٢).

وأنذروهم انتهاء الآجال.. وما ينتظرهم من إحصاء الأعمال ليلاقي المحسن جزاء احسانه، والمسئ عاقبة إساءته (إلى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير)[١] ليطمع من أحسن ويرهب من أساء.

لكن المعاندين استكبرت قلوبهم عن توحيد الله تعالى بالعبادة وقالو: (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشئ عجاب)[٢].

وألقوا الشبه على الرسول صلى الله عليه وسلم لتوهين عزيمته وصد الناس عن الاستجابة لدعوته (لولا أنزل عليه كنز أو جاء مع ملك..)[٣].

وجحدوا معجزة هذا القرآن الذى قرعهم الرسول صلى الله عليه وسلم بنزوله وتلى عليهم آياته، ودعاهم به، وألقى إليهم أمره ونهيه، وحذرهم وعيده، ورغبهم بوعده.

وإنما جحدوا هذه المعجزة الإلهية فراراً مما يأمرهم به من التوحيد وإخلاص العبادة لله رب العالمين.. فأنكر الله تعالى عليهم فريتهم فقال تعالى: ((أم يقولون افتراه))[٤].

وتحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات كما يزعمون، وأن يستعينوا بمن يرون أن فيه قدرة على نصرتهم وبلوغ حجتهم.

((وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين))[٥] سواء من العرب أو من أهل الكتاب، وأعلمهم الله بعجزهم (فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا الله هو فهل أنتم مسلمون)[٦]..

ثم قص الله عز وجل أحوال من سبق من الأمم ليتبين للمدعوين جزاء الموحدين، وما أكرمهم به في الدنيا من النصر على اعدائهم، وجعل العاقبة الحسنى لهم وما وعدهم به في الآخرة لهو أنعم وأدوم.

---

(١) سورة هود : الآية (٤).
(٢) سورة ص : الآية (٥).
(٣) سورة هود : الآية (١٢)
(٤) (٥) سورة هود : الآية (١٣)
(٦) سورة هود : الآية (١٤)

وليقفوا على جزاء من أعرض عن توحيد الله من أمم سلفت كفرت بالله وأشركت به جل وعلا، وكذبت رسله، وجحدت آياته، كانوا أشد قوة وأكثر أموالا وأولادا، وأشد تمالأ وبغيا،منهم من قال: ((من أشد منا قوة)) واستكبروا على عبادة الله كما استكبر عنه المكذبين من قوم الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا لرسولهم ((أصلوٰتك تأمرك أن نترك ما يعبد ءاباؤنا))(١)

وكذبوا الرسل في رسالاتهم واحتقروا أتباعهم،وقالوا: ((ما نرىٰك إلا بشراً مثلنا وما نرىٰك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كٰذبين))(٢)

وأنكروا البعث والنشور،كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله تعالى ((ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين))"٣"

واستبعدوا العذاب،كما قال تعالى: ((ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون))(٤)

واستحل قوم شعيب مع الكفر بالله تعالى أكل أموال الناس بالباطل.. فنقصوا المكيال والميزان إذا باعوا،وأوفوهما إن اشتروا.. فكان ذلك تعديا على أموال العباد بالباطل، وإثراءا لأموالهم بغير حق،وأساؤوا المعاملة مع الخلق فبخسوا الحقوق، وعاثوا في الأرض فسادا..

وقوم لوط استحلوا فعل الفاحشة فأتوا الذكران من العالمين، فاستعاضوا بالحرام عن الحلال، واستبدلوا الخبيث بالطيب، ولم يرهبوا وعيدا.. ولم يزجرهم تحذيرا..

وفرعون.. بغى وطغى، وادعى انه رب الناس الأعلى. واستخف قومه إلى تكذيب نبي الله موسى عليه السلام،والصد عنه،وجحود آيات الله، فأطاعوه انهم كانوا قوم سوء فاسقين، فذم الله القائد وأتباعه على سوء صنيعهم وانسلاخ الرشد عنهم، كما قال تعالى في ذمهم: ((فأتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد))(٥).

فأخذ الله عز وجل المعاندين للرسل بأنواع من العقوبات فالمكذبين من قوم نوح أهلكهم الله بالطوفان.. وقوم هود بعذاب الريح، وقوم صالح بالصيحة.. وقوم لوط بالخسف.. وقوم شعيب بالظلة.. وفرعون وقومه بالغرق.

ففي قص أحوال هذه الأمم تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ((فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضايق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إما أنت نذير والله على كل شئ وكيل))(٦).

---

(١) سورة هود : الآية (٨٧)
(٢) سورة هود : الآية (٢٧)
(٣) سورة هود : الآية (٧)
(٤) سورة هود : الآية (٨)
(٥) سورة هود : الآية (٩٧)
(٦) سورة هود : الآية (١٢)

وتثبيت لفؤاده صلى الله عليه وسلم وتقوية لقلوب أهل الحق،وموعظة وتذكير لهذه الأمة ليتبين لها عاقبة المؤمنين،ولئلا تسلك سبيل المجرمين، قال تعالى: ((وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكر للمؤمنين))(١).

وإنذار للكافرين، فإن أعرضوا فإن لهم أشباها في الكفر أهلكهم الله لما كفروا.. ((فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء مايعبدون إلا كما يعبد ءاباؤهم وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص))(٢).

فبرحمة من الله وفضل لم يعاجل أهل الكفر بعذابه،بل أنظرهم وأنسأ لهم في الآجال.

- علهم يتوبون ويستغفرون وهذا ما يحبه الله ويرضاه ((والله يحب التوابين ويحب المتطهرين))(٣).
- أو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده ولايشرك به شيئا.
- وإن أصر الكافر على كفره وشركه يكون قد قدم على ربه بعد أن قامت عليه الحجة كاملة:-

• بافساده لما فطره الله عليه من توحيده ((فطرة الله التي فطر الناس عليها))(٤).

• وإضاعته لما أخذ عليه من عهد ((وإذ أخذ ربك من بني ءادم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غفلين أو تقولوا إنما أشرك ءاباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون))(٥).

• وبجحوده لرسالات ربه واتباعه الشيطان والهوى، وإيثاره الشهوات على ماجاءه من ربه من الهدى، وتقليد الآباء مع ما كانوا عليه من ضلال.

• وانكاره فضل الله تعالى وإمهاله له إذ لم يعاجله بعقوبته، ولم يحجب عنه مغفرته ((ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة))(٦).

---

(١) سورة هود : الآية (١٢٠)
(٢) سورة هود : الآية (١٠٩)
(٣) سورة البقرة : الآية (٢٢٢)
(٤) سورة الروم : الآية (٣٠)
(٥) سورة الأعراف : الآية (١٧٢-١٧٣)
(٦) سورة النحل : الآية (٦١)

وبإعراضه عن دعوة رسل الله عليهم السلام، جاؤوا بالحق ودعوة إليه.. وأيدهم الله بالبينات الدالة على صدقهم.

●واتسمت دعوتهم بالحكمة والرفق.. والتودد للمدعو والعفو عنه.. ومقابلة استهزائه وعناده بالهجر الجميل، والصفح الجميل.

●وواجهوا كل عنت وعناد من أعدائهم بالصبر والجلد وقوة الإحتمال .

●وواجهوا كل عنت وعناد واستهزاء بالصفح الجميل، والرد الحكيم، والهجر الجميل.. وقرعوا كل شبهة ببليغ الحجة، وقذعوها بنور الحكمة علّ القوم يتذكرون أو يعقلون، ولربهم وخالقهم ورازقهم وحده يعبدون.

لكن المعاندين قابلوا كل ذلك بالعناد والخصام، وأظهروا التغافل عن أمر الله، وأعلنوا الكره للناصحين، وتزعم لواء العناد من كل أمة أكابر مجرميها.. وتلك سنة الله تعالى في خلقه يبتلي أهل الحق بأهل الباطل ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ((واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين))(١) ((وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها))(٢) .

((وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيرا))(٣)

((وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شيُطين الإنس والجن..))(٤) .

فلم يكتف هؤلاء الكبراء بضلالهم وبعدهم عن الحق بل عملوا جهدهم في الكيد للرسول والرسالة والصد عن دين الله وبغيها عوجا.

- وحاول هؤلاء المعاندون أن يوجدوا سُبلا يضلوا بها غيرهم.

- وأعملوا أفكارهم للصد عن دين الله حسداً للرسل عليهم السلام أن اتاهم الله من فضله لئلا ينفض عنهم الأتباع ومن ثم يبقون في ساحة المعارضين للرسل وحدهم.

---

(١) سورة هود : الآية (١١٦).

(٢) سورة الأنعام : الآية (١٢٣).

(٣) سورة الفرقان : الآية (٣١).

(٤) سورة الأنعام : الآية (١١٢).

واتحد انكارهم لأمور ثلاثة:

في أمر التوحيد : فقالوا ما أخبر الله عنهم في قوله: ((أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد ءاباؤنا))(١) وتواصى قوم نوح فقالوا: ((لا تذرن ءالهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا))(٢) ((اصلوٰتك تأمرك أن نترك مايعبد ءاباؤنا))(٣) ((وما نحن بتاركي ءالهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين))(٤). وأنكروا المعاد: ((وإن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين))(٥).

وأنكروا النبوات: وزعموا أنه الله لا يرسل رسلا من البشر.. فإذا جاز ذلك فهم أولى بالرسالة من دونه: ((لولا أنزل هذا القرءان على رجل من القريتين عظيم))(٦).

واستبعدوا ما يتوعدهم الرسل به من العذاب إن اصروا على الكفر واعرضوا عن الحق.. وأنكروا نعمة الله عليهم بالإمهال وعدم معاجلتهم بالعذاب كما تقدم الاستشهاد على ذلك.

والرسل يخبرونهم بأن وبال عنادهم راجع على أنفسهم، وأنهم ليسوا بمعجزي الله هربا فحيث أراد جل وعلا الانتقام منهم فهم في قبضته، وحكمه عليهم جار. ومازال المكذبون في عنادهم حتى أحل الله بهم البأس الشديد. فرجع وبال مكرهم على أنفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون.

قدم الله المعاندين على على إعراضهم: ((فلولا كان القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين))(٧).

---

(١) سورة الأعراف : الآية (٧٠).
(٢) سورة نوح : الآية (٢٣).
(٣) سورة هود : الآية (٨٧).
(٤) سورة هود: الآية (٥٣).
(٥) سورة هود : الآية (٧).
(٦) سورة الزخرف: الآية (٣١).
(٧) سورة هود : الآية (١١٦).

وحذر الحق تبارك وتعالى هذه الأمة صنيع الأمم قبلها من الكفر به تعالى ومشاقة الرسل عليهم السلام لئلا تفعل ما فعلوا فيحل بهم العذاب فيهلكهم: ((وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد))(١).

وما الزلازل والبراكين والفيضانات وانتشار الأمراض المستعصية إلا بسبب الذنوب والمعاصي والبعد عن الله جل وعلا، وماهي إلا نذر وما تغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون.

والعبد مأمور بالدعوة إلى الله تعالى ولادعوة إلا بالاستقامة على ما أمر الله تعالى به.

ولا مخلص للداعية ولا منقذ له من كيد الأعداء ومكرهم ولامقوى لعزيمته أمام عناد الطغاة، وتهديد العتاة، إلا بالاستقامة على ما أمر الله به: ((فاستقم كما أمرت ومن تاب معك..))(٢) والاعتدال مطلوب ((ولاتطغوا))(٣) وعنوان الاستقامة إقامة الصلاة والمداومة على الطاعات.

((وأقم الصلوٰة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنٰت يذهبن السيئات ذلك ذكرىٰ للذٰكرين))(٤).

ومن الاستقامة عدم الركون الى الظالمين وموالات الكافرين وقد توعد الله عز وجل على الركون إليهم النار فقال تعالى: ((ولاتركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون))(٦).

---

(١) سورة هود : الآية رقم (١٠٢)
(٢)،(٣) سورة هود : الآية (١١٢)
(٤) سورة هود : الآية (١١٤)
(٥) سورة هود : الآية (١١٥)
(٦) سورة هود : الآية (١١٣)

وحتى لا يفت في عضد الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه إلى يوم الدين اختلاف المدعوين عليهم،أعلم الله تعالى أن سنته تعالى في خلقه جرت بابتلاء أهل الحق بأهل الباطل ((ليميز الله الخبيث من الطيب))(١) ((وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز))(٢).

فالاختلاف سنة قائمة فقد اختلف الرسل على أنبيائهم ممن قص الله خبرهم في كتابه وقد اختلف أهل الكتاب على نبيهم موسى عليه السلام: ((ولقد ءاتينا موسى الكتب فاختلف فيه..))(٣). فكانت العاقبة له.

وقد قال تعالى عن الخلق عامة: ((ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين))(٤).

وليؤدي أهل الحق حق الله عليهم من التمسك بأمره والقيام بدعوته، ولينتظروا ما وعدهم الله به من النصر والتمكين، ولا يخافن الداعية من كثرة أهل الباطل، ولا تضعضع عزيمته قلة أعداد أهل الحق، فإن الله يكرم من أطاعه واتقاه، ويدافع عنه : ((إن الله يدافع عن الذين ءامنوا))(٥) ويؤيده بنصره وتمكينه: ((وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصلحت ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذين ارتضى لهم))(٦).

---

(١) سورة الأنفال : الآية (٣٧).
(٢) سورة الحديد : الآية (٢٥).
(٣) سورة هود : الآية (١١٠).
(٤) سورة هود : الآية (١١٨-١١٩).
(٥) سورة الحج : الآية (٣٨).
(٦) سورة النور : الآية (٥٥).

وقد أهلك الله الظالمين على كثرتهم كما قال تعالى بعد ذكر اهلاكهم: ((وما كان أكثرهم مؤمنين))(١) وأنجى المؤمنين مع أنهم كانوا قلة: ((وما ءامن معه إلا قليل))(٢).

ولئن أصر أهل الباطل على باطلهم فلينتظروا ما توعدهم الله به من العذاب، فلهم فيما حل بأمثالهم في الكفر من قوم نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وما أخذ الله به المعاندين للرسل في بدر من قتل لصناديدهم، وأسر لخيارهم، سلف ومثل.. وعظمة وعبرة.. وتخويف وتذكير.. إن كانت لهم قلوب تقبل الحق، وأبصار لم تعمها الضلالة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

---

(١) سورة الشعراء : الآية (١٥٨).

(٢) سورة هود : الآية (٤٠).

الفهارس

(١) فهرس الآيات القرآنية الكريمة
(٢) فهرس الأحاديث النبوية
(٣) فهرس الأعلام
(٤) فهرس الأبيات الشعرية
(٥) فهرس المصادر والمراجع
(٦) فهرس الموضوعات

(١)

فهرس
الآيات القرآنية الكريمة

طرف الآيـــة	رقمها	صفحة ورودها
سورة البقرة		
ألم ذلك الكتٰب لاريب فيه	١	٦٠
ذلك الكتٰب لاريب فيه	٢	٦٠
خالدين فيها أبدا	٨	٦٠٦،١٣
وإذا قيل لهم ءامنوا	١٣	٥٣١
يٰأيها الناس اعبدوا ربكم	٢١	٤٣٦،٤٢٠
وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا	٢٣	٢٠٦،٢٠٥
يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً...	٢٦	١٦١
الذين ينقضون عهد الله ..	٢٧	٤٤٩
هو الذي خلق لكم مافى الأرض جميعاً	٢٩	١١٨
الذين يظنون أنهم ملٰقوا ربهم	٤٦	١٢٧
وإذ نجينٰكم من ءال فرعون يسومونكم	٤٩	٣٩٧
ثم بعثنٰكم من بعد موتكم	٥٦	١٣٥،١٢٧
فقلنا اضربوه ببعضها كذٰلك يحى الله الموتى...	٧٣	١٣٦
أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى	٨٧	٥٤٧،٥٣٣،٢٤٠
فما جزاء....	٨٥	٢٤٢
ولما جاءهم كتٰب من عند الله ..	٨٩	٤٩٩
ود كثير من أهل الكتٰب	١٠٩	٥١١
لهم فى الدنيا خزى...	١١٤	٢٤٢
قل إن هدى الله هو الهدى..	١٢٠	٣٥٧
أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب...	١٣٣	٣١٠
لتكونوا شهداء على الناس ..	١٤٣	٥٧٨
الذين ءاتينٰهم الكتٰب يعرفونه	١٤٦	٥٤٧،٤٩٨
ولنبلونكم بشىء من الخوف ..	١٥٥	١٥٨
إذ تبرأ الذين اتبعوا	١٦٦	٥٨٣،٥٥٤
وقال الذين كفروا لو أن لنا كرة	١٦٧	٦٦٠،٥٨٣،٥٥٤

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
وإذا سألك عبادي عني...	١٨٦	٢٨٩
ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ..	١٩٩	٦٩
ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله ..	٢٠٧	١٤٣
زُين للذين كفروا الحيوٰة الدنيا...	٢١٢	٥٣٠
كان الناس أمة واحدة فبعث الله...	٢١٣	٢٢٣
أم حسبتم أن تدخلوا الجنة	٢١٤	٥٨٩
وعسى أن تكرهوا شيئا	٢١٦	٢٧
والله يحب التوابين ويحب المتطهرين	٢٢٢	٥٧٤
ألم تر إلى الذين خرجوا ..	٢٤٣	١٣٦
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض	٢٥١	٣٥٠
أو كالذي مر على قرية	٢٥٩	١٣٧
وإذ قال إبرٰهيم رب أرنى	٢٦٠	١٣٧
والله يضٰعف لمن يشاء	٢٦١	٤٦٢
لانفرق بين أحد من رسله	٢٨٥	٢٨٠
آل عمران		
ألم	١	٦٠
الله لا إلٰه إلا هو الحي	٢	٦٠
نزل عليك الكتٰب بالحق...	٣	٦٠
ءامنا به كل من عند ربنا	٧	٥٨
قد كانت لكم ءاية في فئتين	١٣	٥٩٥
شهد الله أنه لا إلٰه إلا هو	١٨	٣٥
فبشرهم بعذاب أليم	٢١	٤٤٤
ويعلمه الكتٰب والحكمة	٤٨	١٩٩
ورسولاً إلى بنى إسراءيل	٤٩	١٩٩
ومصدقاً لما بين يدى	٥٠	١٩٩
إن الله ربى وربكم فاعبدوه	٥١	١٩٩ ٤٢٠
قل يٰأهل الكتٰب تعالوا	٦٤	٥٢٠

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
ومن يبتغ غير الإسلام ديناً	٨٥	٣١
يٰأيها الذين ءامنوا اتقوا الله	١٠٢	٥
واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء	١٠٣	٥٢٤
ولو ءامن أهل الكتٰب لكان خيراً لهم	١١٠	٤٩٨
ليسوا سواء من أهل الكتٰب أمة	١١٣	٥٣٣
والله عليم بالمتقين	١١٥	٥٣٣
وما النصر إلا من عند الله	١٢٦	٥٩٥
ليقطع طرفاً من الذين كفروا	١٢٧	٥٩٥
الذين ينفقون في السراء	١٣٢	٥٢٤
وليعلم الذين ءامنوا	١٤١	٥٩٣
وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل	١٤٤	٥٢٤
فٰاتٰىهم الله ثواب الدنيا ..	١٤٨	١٤٣
ولئن قتلتم في سبيل الله	١٥٧	٤٣
ولئن متم أو قتلتم لإلى الله....	١٥٨	٤٣
ولو كنت فظا غليظ القلب	١٥٩	٤٧٩
لقد من الله على المؤمنين...	١٦٤	١٨٣ ٤٥٤
ولا يحسبن الذين كفروا ..	١٧٨	٧٤ ،٥٥١، ٧٥٥
وإذ أخذ الله ميثق الذين أوتوا الكتٰب	١٨٧	٣٧
ألم تر إلى الذين خرجوا من ديٰرهم	٢٤٣	١٣٦
أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها	٢٥٩	١٣٧
وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحى الموتى	٢٦٠	١٣٧

النساء

يٰأيها الناس اتقوا ربكم	١	٥
والله يريد أن يتوب عليكم	٢٧	٥٧٤
فكيف إذا جئنا من كل أمة	٤١	٥٧٨
أم يحسدون الناس على ماءاتٰىهم الله من فضله	٥٤	٥١٠

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
فمنهم من ءامن به ومنهم	٥٥	٥١٠
ومن يطع الله والرسول فأولٰئك	٦٩	٣٥ ٥٠١ ٥٢٥
ذٰلك الفضل من الله	٧٠	٣٥ ٥٠١ ٥٢٥
ولو كان من عند غير الله	٨٢	٢٧
وقد نزل عليكم في الكتٰب	١٤٠	٤٧
إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح	١٦٣	٨٥ ٢٢٠
ورسلا قد قصصنٰهم عليك	١٦٤	٨٥
رسلاً مبشرين ومنذرين	١٦٥	٣٠ ٣٤ ٤٤٣ ٤٦٣ ٥٧٥
والله بكل شيء عليم	١٧٦	٥٦٢
المائدة		
اليوم أكملت لكم دينكم	٣	٣١
مايريد الله ليجعل عليكم...	٦	١٦٣
يٰأيها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم	١١	٥٣٥
والله على كل شيء قدير	١٧	٥٦٢
ولهم عذاب مقيم	٤٠	٦٠٦
وأنزلنا إليك الكتٰب بالحق مصدقا	٤٨	٥
والله لايحب المفسدين	٦٤	٤٤٩
يٰأيها الرسول بلغ...	٦٧	١٦٠
قل يٰأهل الكتٰب لاتغلوا...	٧٧	١٠١
لتجدن أقربهم مودة للذين ءامنوا	٨٢	٢٠٩
وإذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول...	٨٣	٢٠٩
وإذ قال الله يعيسىٰ	١١٦	٥٨٤
الأنعام		
وقالوا لولا أنزل عليه	٨	٥١٨
ولو جعلنٰه ملكا	٩	٥١٨

طرف الآيـــة	رقمها	صفحة ورودها
ولقد استهزئ برسل	١٠	٥٥٠
وأوحى إلى هذا القرءان	١٩	٥٥، ٨٠
ثم نقول للذين أشركوا	٢٢	٤٣٤
وما نرسل المرسلين إلا مبشرين	٤٨	٤٤٢
قل لا أقول لكم عندى خزائن الله	٥٠	٨٦
ولا تطرد الذين يدعون	٥٢	٥٤، ٥٤٠
كذلك فتنا بعضهم ببعض	٥٣	٥٣١
وكذلك نفصل الأيٰت ولتستبين	٥٥	٧٨
قل لو أن عندى ماتستعجلون به	٥٨	٥٦٤
وهو الذى يتوفكم بالليل	٦٠	١٣٤
وكذب به قومك وهو الحق	٦٦	٥٥٠
لكل نبئ مستقر	٦٧	٥٥٠
وإذا رأيت الذين يخوضون في ءايٰتنا	٦٨	٤٧، ١٠٤
وإذ قال إبرهيم لأبيه ءازر	٧٤	٣٠٤
الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمٰنهم بظلم	٨٢	٥٦٧
وتلك حجتنا ءاتينٰها إبرٰهيم على قومه	٨٣	١٩٧، ٢٢١
ووهبنا له اسحٰق ويعقوب كلا هدينا	٨٤	٢٢١، ٣٠٤، ٣١٠
أولٰئك الذين هدى الله فبهدٰىهم اقتده	٩٠	٣٤
ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا	٩٣	٥٥٢، ٥٧٠
وجعلوا لله شركاء الجن	١٠٠	٥٦٩
ذٰلكم الله ربكم لا إلٰه إلا هو	١٠٢	١١٧، ٤٣٦
وكذٰلك جعنا لكل نبى عدواً شيطين الإنس والجن	١١٢	٦١٥
ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم	١١٢	٥٧٥
وإن تطع أكثر من في الأرض	١١٦	٤٣، ٤٩٩، ٥٠٥
الذين ءاتينٰهم الكتٰب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق	١١٤	٥٤٧
أومن كان ميتا فأحييٰنٰه	١٢٢	٢٨
وكذٰلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها	١٢٣	٦١٥
فمن يرد الله أن يهديه	١٢٥	١٨٩
وهذا صرٰط ربك مستقيماً	١٢٦	٧٥

طرف الآيـــة	رقمها	صفحةورودها
ويوم يحشرهم جميعا يٰمعشر الجن	١٢٨	٥٨٣، ٦٠٥
ولكل درجٰت مما عملوا	١٣٢	٤٦٢
وقالوا هذه أنعٰم وحرث	١٣٨	٧٧
وقالوا مافى بطون هذه الأنعٰم خالصة	١٣٩	٧٤ ٧٧
قل تعالوا أتل ماحرم	١٥١	٣٢٠
وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه	١٥٣	٧٦
ثم ءاتينا موسى الكتٰب	١٥٤	٦٩
وهذا كتٰب أنزلنٰه مبٰرك فاتبعوه	١٥٥	٦
فقد جاءكم بينة من ربكم	١٥٧	١٩٧
من جاء بالحسنة فله	١٦٠	٤٦٢
الأعراف		
المص.	١	٦٠
كتٰب أنزل إليك فلا يكن	٢	٦٠
أجئتنا لنعبد الله وحده	٧	٦٦
قال مامنعك ألا تسجد	١٢	٥١٤
اخرج منها فما يكون لك	١٣	٥٥١
كما بدأكم تعودون	٢٩	١٢٦
قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده	٣٢	٧٧
قل إنما حرم ربى الفوٰحش	٣٣	٣٢٥، ٥٦٩
فإذا جاء أجلهم لايستأخرون	٣٤	٥٥٩
إن الذين كذبوا بـٰايٰتنا	٤٠	٥٥٣، ٦٠٧
لهم من جهنم مهاد	٤١	٥٥٣
ونزعنا مافى صدورهم من غل	٤٣	٥٤٩، ٦٠٩
ونادى أصحٰب النار أصحٰب الجنة	٥٠	١٥٢
ولقد جئنٰهم بكتٰب فصلنٰه	٥٢	٧٥
ألا له الخلق والأمر	٥٤	٢٥، ١١٣، ١١٨

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
واكتب لنا في هٰذه الدنيا حسنة	٥٦	٢٨١
إنا لنرٰىك في ضلٰل مبين	٦٠	٤٧٧
يٰقوم ليس بي ضلٰلة	٦١	٤٧٧
أبلغكم رسٰلٰت ربى	٦٢	٤٧٧ ٤٨٧
أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم	٦٣	٥١٣
أبلغكم رسٰلٰت ربى وأنا لكم ناصح أمين	٦٨	٤٨٧ ٤٨٨
واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح	٦٩	٢٦١
أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم	٦٩	٢٦٦ ٤٥٢،٥١٤
أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر..	٧٠	٢٦٩ ، ٥٥٦
قد جاءتكم بينة من ربكم	٧٣	١٧٩
واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح	٧٤	٢٦٦ ٤٥٢
فعقروا الناقة وعتوا	٧٧	٥٥٦
فأخذتهم الرجفة	٧٨	٣٠١
وتولى عنهم وقال يٰقوم	٧٩	٤٨٩
ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفٰحشة	٨٠	٣٢٢،٣٢٤
إنكم لتأتون الرجال شهوة	٨١	٣٢٥ ٣٢٩ ٣٤٢ ٣٤٤
فأنجينٰه وأهله إلا امرأته	٨٣	٣٥٧
وأمطرنا عليهم مطراً فانظر	٨٤	٣٥٧
قد جاءتكم بينة من ربكم	٨٥	١٩٧ ٣٧٥ ٤٧٦
لنخرجنك يٰشعيب والذين ءامنوا	٨٨	٣٣٣
لئن اتبعتم شعيباً إنكم	٩٠	٣٨٦
فأخذتهم الرجفة فأصبحوا	٩١	٣٨٦
فتولى عنهم وقال يٰقوم ..	٩٣	٤٨٩
وما وجدنا لأكثرهم من عهد	١٠٢	٥٠٤
قل سيروا فانظروا	١٠٣	٤٤٩
قد جئتكم ببينة من ربكم	١٠٥	١٩٧
فألقى عصاه فإذا هى	١٠٧	٣٩٩

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
ونزع يده فإذا هي بيضاء للنٰظرين	١٠٨	٤٠٠
قالوا إن لنا لأجرا	١١٣	٤٠٢
قال نعم وإنكم لمن المقربين	١١٤	١١٤ ، ٤٠٢
قل يٰموسى إما أن تلقى	١١٥	٤٠٣
قال ألقوا فلما ألقوا	١١٦	٤٠٣
وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك	١١٧	٤٠٣
فوقع الحق وبطل	١١٨	٤٠٣
فغلبوا هنالك وانقلبوا صٰغرين	١١٩	٤٠٣
وألقى السحرة سٰجدين	١٢٠	٤٠٣
قالوا ءامنا برب العٰلمين	١٢١	٤٠٣ ، ٤٠٩
رب موسى وهٰرون	١٢٢	٤٠٣، ٤٠٩ ١٥٣
إن هذا لمكر مكرتموه	١٢٣	٤٠٥
وقال الملأ من قوم فرعون	١٢٧	٤٠٦
ولقد أخذنا ءال فرعون بالسنين	١٣٠	٤٠٧
فإذا جاءتهم الحسنة	١٣١	٤٠٧
وقالوا مهما تأتنا به من ءاية	١٣٢	٤٠٧
فأرسلنا عليهم الطوفان	١٣٣	٤٠٨
ولما وقع عليهم الرجز	١٣٤	٤٠٨
وأورثنا القوم الذين كانوا	١٣٧	٤١٢
قالوا أوذينا من قبل أن	١٣٩	١٦٥
قال أغير الله أبغيكم إلٰها	١٤٠	٤٢٠
يٰموسى إني اصطفيتك على الناس برسٰلتي وبكلٰمي..	١٤٤	٣٩٢
سأصرف عن ءايٰتي	١٤٦	٥٥١
الذين يتبعون الرسول النبى	١٥٧	١٩٤
قل يٰأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً	١٥٨	٥٥

طرف الآيـــة	رقمها	صفحةورودها
وبلونهم بالحسنٰت والسيئات	١٦٨	١٥٧
وإذ أخذ ربك من بنى ءادم	١٧٢	٩٥،٥٠٣،٦١٤
او تقولوا إنما أشرك ءاباؤنا من قبل	١٧٣	٥٠٣، ٦١٤
ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها	١٨٠	٢٦ ٤٣٧
أولم ينظروا في ملكوت السمٰوٰت والأرض	١٨٥	٢٤ ١١٧
قل لاأملك لنفسى نفعا	١٨٨	٨٦
أيشركون مالايخلق شيئا	١٩١	٤٢٩
الأنفال		
يٰأيها الذين ءامنوا استجيبوا	٢٤	٢١ ،١٦٣
واذكروا إذ أنتم قليلون مستضعفون فى الأرض	٢٦	٥٤٢
وإذا تتلى عليهم ءايٰتنا قالوا قد	٣١	٢٠٠
وإذ قالوا اللهم إن كان هذا	٣٢	٥٥٩
ولولا كتٰب من الله سبق	٦٨	٩٠
استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم	٢٤	١٦٣
التوبة		
قٰتلوهم يعذبهم الله بأيديكم	١٤	٥٩٣
يبشرهم ربهم برحمة منه	٢١	٤٤٣
والذين يكترون الذهب والفضة	٣٤	٥٨٥
يوم يحمى عليها في نار جهنم	٣٥	٥٨٥
ليميز الله الخبيث من الطيب	٣٧	٦١٨
عفا الله عنك لم أذنت لهم	٤٣	٩٠
لو كانوا فيكم مازادوكم إلا خبالا	٤٧	٢٩٤
وإن جهنم لمحيطة بالكٰفرين	٤٩	٣٧١
ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم	٧٠	٢٢١،٢٥٩،٢٢١،٣١٧
الذين يلمزون المطوعين	٧٩	٥٣١
والسٰبقون الأولون من المهٰجرين والأنصار	١٠٠	٩٩

طرف الآيـــة	رقمها	صفحةورودها
إن الله اشترى من المؤمنين	١١١	١٤٠ ، ١٤٤
وإذا ما أنزلت سورة	١٢٤	١٦١
وأما الذين في قلوبهم مرض	١٢٥	١٦١
لقد جاءكم رسولا من	١٢٨	٧٠ ١٨٣ ٤٧٧
وإذا ماأنزلت سورة	١٢٤	١٦١
وأما الذين فى قلوبهم مرض	١٢٥	١٦١
يونس		
الر تلك ءايٰت الكتٰب الحكيم	١	٤٧
أكان للناس عجباً أن أوحينا	٢	٥١٣
قل لو شاء الله ماتلوته عليكم	١٦	٦٠٨
ويعبدون من دون الله مالايضرهم	١٧	٢٢٧ ٥٦٨
وما كان الناس إلا أمة واحدة	١٩	٢٢٢
إنما بغيكم على أنفسكم	٢٣	٥٥٢
والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة	٢٧	٣٥٦
وما يتبع أكثرهم إلا ظنا	٣٦	٥٠٥
وما كان هذا القرءان أن يفترى من دون الله	٣٧	٢٠٥
أم يقولون افتريٰه قل فأتوا بسورة	٣٨	٢٠٥
وما يتبع الذين يدعون من دون الله	٦٦	٥٠٥
فإن توليتم فما سألتكم عليه من أجر	٧٢	٤٦٧
فلما جاءهم الحق من عندنا	٧٦	٤٠١
أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه	٧٨	٣٥٤
وقال موسى ربنا إنك ءاتيت فرعون	٨٨	٤٠٨
قال قد أجيبت دعوتكما	٨٩	٤٠٨
فلولا كانت قرية ءامنت	٩٨	٢٤٢
قل يٰأيها الناس إن كنتم في ريب	١٠٤	١٣٤

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
يوسف		
وما أكثر الناس ولو حرصت	١٠٣	٤٣ ٤٩٩
وما يؤمن أكثرهم بالله	١٠٦	٤٢٩
قل هذه سبيلي أدعو	١٠٨	٢٤ ٣٥
واتبعت ملة ءاباءى ابرٰهيم	٣٨	١٨٥
الرعد		
والذين ينقضون عهد الله	٢٥	٤٤٩
أكلها دايم وظلها	٣٥	٦٠٨
إبراهيم		
الر	١	
كتٰب أنزلنه إليك لتخرج الناس	١-٢	٦ ، ٦٠
وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه	٤	٧٠
وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله	٦	٥٤
وإذ تأذن ربكم لين شكرتم	٧	٣٦٩
ألم يأتكم نبؤ الذين من قبلكم	٩	١٦٢، ٥٢١
قالت رسلهم أفى الله شك	١٠	١٢٠، ٥١١ ٥٢١
قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر	١١	٥٢١
وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا	١٣	٣٣٣ ، ٥٠٥
يوم تبدل الأرض غير الأرض والسمٰوٰت	٤٨	٦٠٤
الحجر		
إنا نحن نزلنا الذكر	٩	٧ ، ٥١٩
ونزعنا مافى صدورهم من غل	٤٧	١٤١
وما هم منها بمخرجين	٤٨	٦٠٦ ٦٠٨
إنا منكم وجلون	٥٢	٣٠٨
قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلٰم عليم	٥٣	٣٠٨
فأسر بأهلك بقطع من اليل	٦٥	٣٥٣
وجاء أهل المدينة يستبشرون	٦٧	٣٤١

طرف الآيـــة	رقمها	صفحةورودها
قال إن هؤلاء ضيفى فلا تفضحون	٦٨	٣٤١
واتقوا الله ولا تخزون	٦٩	٣٤١
قالوا أولم ننهك عن العٰلمين	٧٠	٣٣٩
فأخذتهم الصيحة مشرقين	٧٣	٣٥٤
فجعلنا عٰليها سافلها	٧٤	٣٥٤
إن فى ذلك لأيٰت للمتوسمين	٧٥	٢١٦ ٣٥٥
وإنها لبسبيل مقيم	٧٦	٢١٦ ٣٥٥
إن فى ذلك لأية للمؤمنين	٧٧	٢١٦، ٣٥٥
ولقد كذب أصحٰب الحجر...	٨٠	٢٨٤
وءاتينٰهم ءايتنا فكانوا	٨١	٢٨٨
وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا ءامنين	٨٢	٢٨٨، ٥٩٠
إن فى ذلك لأية	٧٧	٢١٦

النحل

أتى أمر الله فلا تستعجلوه	١	٥٥٨
ينزل الملٰئكة بالروح من أمره	٢	٤٢٦
والأنعٰم خلقها لكم	٥	٤٥٨
ولكم فيها جمال حين تريحون	٦	٤٥٨
وحين تسرحون	٧	٤٥٨
وتحمل أثقٰلكم	٧	٤٥٨
والخيل والبغال والحمير لتركبوها	٨	٤٥٨
وسخر لكم اليل والنهار	١٢	١١٨
أفمن يخلق كمن لايخلق	١٧	٤٣٦
ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا	٣٦	٤١٩ ٥٠٤
وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم	٤٤	٦٧
إن الله يأمر بالعدل والإحسٰن	٥٠	١٢١
ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا	٦١	٦١٤
والله جعل لكم من بيوتكم	٨٠	٤٥٨
زدنٰهم عذاباً فوق العذاب	٨٨	٤٤٩

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
إلا من أكره وقلبه	١٠٦	٥٣٧ ، ٥٣٨
وضرب الله مثلاً قرية	١١٢	٤٥٣
إن إبرٰهيم كان أمة	١٢٠	٩٤
ادع إلى سبيل ربك بالحكمة	١٢٥	٢٤ ٣٥
واصبر وما صبرك إلا بالله	١٢٧	١١٠ ١٦٠
الإسراء		
وكل شيء فصلنٰه تفصيلا	١٢	٦٦
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا	١٥	٣٠
ولا تقربوا الزنى إنه كان فٰحشه	٣٢	٣٢٤
وقالوا أءذا كنا عظٰما	٤٩	١٣٩
قل كونوا حجارة أو حديدا	٥١	١٣٩
أو خلقاً مما يكبر في صدوركم	٥٢	١٣٩
وءاتينا ثمود الناقة مبصرة	٥٩	١٩٨
ولقد كرمنا بنى ءادم وحملنٰهم	٧٠	٢٥ ١١٨ ، ١٩٨
جاء الحق وزهق البٰطل	٨١	٦٨ ، ٥٥٩
ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك	٨٦	٦٠٨
قل لئن اجتمعت الإنس والجن	٨٨	٢٠١
وقالوا لن نؤمن لك حتى	٩٠	٥٢١
أو تكون لك جنة يأكل منها	٩١	٥٢١
أو تسقط السماء كما زعمت	٩٢	٥٢١
أو يكون لك بيت من زخرف	٩٣	٥٢١
وما منع الناس أن يؤمنوا	٩٤	٥١٢
قل لو كان في الأرض ملٰئكة	٩٥	٥١٧
لقد علمت ماأنزل هؤلاء	١٠٢	٤٣١
قرءانا فرقنٰه لتقرأه	١٠٦	٦٨

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
الكهف		
الحمد لله الذي أنزل	١	
قيماً لتنذر	٢	
مٰكثين فيه أبداً	٣	
إنا جعلنا ماعلى الأرض	٧	١٥٨
وربطنا على قلوبهم إذ قاموا	١٤	١١٩
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم	٢٨	٥٤٠
والبٰقيٰت الصٰلحٰت خير عند ربك	٤٦	٣٧٢
وعرضوا على ربك صفا	٤٨	٥٧٧
ووضع الكتٰب فترى	٤٩	٤٥٠
فمن كان يرجو لقاء ربه	١١٠	٨٢ ٨٦ ٤٧٤
مريم		
يٰإبرهيم لئن لم تنته لأرجمنك	٤٦	١٦٢
فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله	٤٩	٣١٠
رب السمٰوٰت والأرض وما بينهما	٦٥	١١٧
وإن منكم إلا واردها	٧١	٤١٤
ثم ننجى الذين اتقوا	٧٢	٤١٤ ٤١٥
واتخذوا من دون الله ءالهة	٨١	٥٨٢
كلا سيكفرون بعبٰدتهم	٨٢	٥٨٢
ونسوق المجرمين إلى جهنم	٨٦	٤١٤
فإنما يسرنٰه بلسانك لتبشر به المتقين	٩٧	٤٤٦
طه		
وهل أتٰك حديث موسىٰ	٩	١٨١ ٣٩٢
إذ رءا ناراً	١٠	١٨١ ٣٩٢
فلما أتٰها	١١	١٨١ ٣٩٢
وأنا اخترتك	١٢	١٨١ ١٨٦
إنى أنا الله	١٣	١٨١ ١٨٦

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
وأقم الصلوٰة	١٤	١٨١ ٣٩٣
إن الساعة ءاتية	١٥	١٨١ ٣٩٣
فلا يصدنك عنها	١٦	١٨١ ٣٩٣
وما تلك بيمينك	١٧	١٨١
قال هي عصاى	١٨	٣٩٣
قال ألقها يٰموسى	١٩	٣٩٣
فألقٰها فإذا هي	٢٠	١٨١ ٣٩٣
قال خذها ولا تخف	٢١	٣٩٣
واضمم يدك	٢٢	٣٩٣
لنريك من ءايٰتنا الكبرى	٢٣	١٨١ ٣٩٣
اذهب إلى فرعون	٢٤	٣٩٣
قال رب اشرح لى صدرى	٢٥	٣٩٤
ويسر لي أمرى	٢٦	٣٩٤
واحلل عقدة من لسانى	٢٧	٣٩٤
يفقهوا قولي	٢٨	٣٩٤
واجعل لي وزيرا من أهلي	٢٩	٣٩٤
هٰرون أخي	٣٠	٣٩٤
اشدد به أزرى	٣١	٣٩٤
وأشركه في أمرى	٣٢	٣٩٤
كي نسبحك كثيرا	٣٣	٣٩٤
ونذكرك كثيرا	٣٤	٣٩٤
إنك كنت بنا بصيرا	٣٥	٣٩٤
قال قد أوتيت سؤلك يٰموسى	٣٦	٣٩٤
وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى	٣٩	١٨٦ ٢٤١ ، ٣٩٢
واصطنعتك لنفسى	٤١	٣٩١
آذهبا إلى فرعون إنه طغى	٤٣	١٠٠

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
فقولا له قولاً لينا	٤٤	٣٩٩
فمن ربكما يٰموسى	٤٩	٤٣١
منها خلقنٰكم وفيها نعيدكم	٥٥	٢٨٧
قال ءامنتم له قبل أن ءاذن لكم إنه لكبيركم...	٧١	٤٠٤ ٤٠٥
قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينٰت...	٧٢	١٩٨ ٤٠٤
إنا ءامنا بربنا ليغفر لنا	٧٣	٤٠٤
إنه من يأت ربه مجرما	٧٤	٤٤٨
فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى	١٢٣	٦ ٢٥
ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة...	١٢٤	٦ ٢٥
قال رب لم حشرتني أعمى	١٢٥	٢٥
قال كذٰلك أتتك ءايٰتنا	١٢٦	٢٥
أفلم يهد لهم كم أهلكنا ...	١٢٨	٥٦٠ ، ٥٩٠
ولولا كلمة سبقت من ربك..	١٢٩	٥٩٣
وامر أهلك بالصلوٰة...	١٣٢	١١٠
ولو أنا أهلكنٰهم بعذاب	١٣٤	٤٦٤ ٥٧٦
سورة الأنبياء		
اقترب للناس حسابهم	١	٥٥٨
وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا	٧	٥١٩
بل نقذف بالحق على الباطل	١٨	٦٨
لايُسأل عما يفعل	٢٣	٥١٦ ٦٠٥
وما أرسلنا من قبلك من رسول	٢٥	١٩٣ ، ٤٢٥ ، ٥٠٤
وجعلنا من الماء كل شيء حى	٣٠	٤٥٧
ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك	٤٦	١٠٤
ونضع الموازين القسط	٤٧	١٤٢
ولقد ءاتينا إبرٰهيم رشده...	٥١	١٨٥

طرف الآيـــة	رقمها	صفحةورودها
أن لا إله إلا أنت	٨٧	٥٠٠
فاستجبنا له ونجيناه	٨٨	٥٠٠
إنكم وما تعبدون من دون الله حصب	٩٨	٤١٤ ٥٨٤
لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها	٩٩	٥٨٤
ولقد كتبنا في الزبور	١٠٥	٤٤
إن فى هذا لبلاغاً	١٠٦	٤٤
الحج		
وتضع كل ذات حمل حملها	٢	٥٠٢
يأيها الناس إن كنتم في ريب	٥	١٣٤
إن الله يدافع عن الذين ءامنوا	٣٨	٦١٨
ولينصرن الله من ينصره	٤٠	٥٠٦، ٦٠١
الذين إن مكنـٰهم فى الأرض	٤١	٤٤
ويستعجلونك بالعذاب	٤٧	٤٥٢
وإذا تتلى عليهم ءايٰتنا	٧٢	٥٣٣، ٥٨٨
الله يصطفي من الملٰئكة رسلا	٧٥	٥١٧
هو اجتبٰكم وما جعل عليكم...	٧٨	١٦٣
المؤمنون		
ولقد خلقنا الانسٰن من سلٰلة	١٢	
ثم جعلنٰه نطفة....	١٣	٢٨٦
ثم خلقنا النطفة	١٤	١١٤، ٢٨٦
ما هذا إلا بشر مثلكم	٢٤	٥١٦
وأنشأنا من بعدهم قرناً	٣١	٢٨٤
ماهذا إلا بشر مثلكم	٣٣	٢٦٨، ٥١٥
ولئن أطعتم بشرا مثلكم	٣٤	٥١٦
وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا	٣٧	٦١٣
فأخذتهم الصيحة بالحق	٤١	٢٨٤
ثم أرسلنا تترى كلما جاء	٤٤	٣٠
وقلوبهم وجلة أنهم	٦٠	٧

طرف الآيـــة	رقمها	صفحة ورودها
ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت	٧١	٢٦
قل لمن الأرض ومن فيها	٨٤	٤٣٤
سيقولون لله قل أفلا تذكرون	٨٥	٤٣٤
مااتخذ الله من ولد وما كان معه	٩١	٤٣٢
قال اخسئوا فيها ولاتكلمون	١٠٨	٥٤٢
إنه كان فريق من عبادي يقولون	١٠٩	٥٤٢
فاتخذتموهم سخريا	١١٠	٥٤٢
إني جزيتهم اليوم بما صبروا	١١١	٥٤٢
النـــور		
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج	٢	٣٥٨
يعظكم الله أن تعودوا	١٧	٢٥٥
يوم تشهد عليهم ألسنتهم	٢٤	٥٧٨
وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين	٣٢	٣٥٧
وعدالله الذين ءامنوا منكم	٥٥	٢١٣، ٥٢٥، ٦٠٠، ٦١٨
الفرقان		
وقال الذين كفروا إن هذا إلا	٤	٨٥ ١٦٣ ٢٠٠
وقالوا أساطير الأولين	٥	٨٥ ١٦٤
قل أنزله الذي يعلم	٦	٨٥ ١٦٤
مالهذا الرسول يأكل الطعام	٧	٥١٥
أو يلقى إليه كنز	٨	٥١٥
انظر كيف ضربوا	٩	٥١٥
تبارك الذي إن شاء جعل	١٠	٥١٥
ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله	١٧	٥٨٤
قالوا سبحانك ماكان ينبغي	١٨	٥٨٤
فقد كذبوكم بما تقولون	١٩	٥٨٤
وجعلنا بعضكم لبعض فتنة	٢٠	١٦١
وكذلك جعلنا لكل نبي	٣١	١٦١، ٦١٥
وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرءان...	٣٢	٦٧

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
ولو شئنا لبعثنا في كل قرية	٥١	٤١
فلا تطع الكٰفرين وجٰهدهم	٥٢	٤١
إن عذابها كان غراما	٦٥	٦٠٧
الشعراء		
إن فى ذٰلك لأية وما كان أكثرهم مؤمنين	٨	١٦ ، ٤٩٧
وإن ربك لهو العزيز الرحيم	٩	٤٩٧
قال فرعون وما رب العٰلمين	١٢٣	٣٩٨
قال ربُّ السمٰوٰت	٢٤	٣٩٨
قال لمن حوله	٢٥	٣٩٨
قال ربكم	٢٦	٣٩٨
قال إن رسولكم	٢٧	٣٩٨
قال رب المشرق والمغرب ...	٢٨	٣٩٨
قال لئن اتخذت إلٰها غيري	٢٩	٣٩٨
واتل عليهم نبأ إبراهيم	٦٩	٤٣٣
إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون	٧٠	٤٣٣
قالوا نعبد أصناما	٧١	
قال هل يسمعونكم	٧٢	
أو ينفعونكم أو يضرون	٧٣	
قالوا بل وجدنا ءاباءنا	٧٤	
قالوا أفرءيتم ما كنتم تعبدون	٧٥	
تالله إن كنا لفي ضلٰل مبين	٩٧	٤٣٣ ، ٤٣٤
إذ نسويكم برب العٰلمين	٩٨	٩٨ ، ٤٣٤
إن أجرى إلا على الله	١٠٩	١٢٧ ٤٦٦
فأنجيناه ومن معه	١١٩	٤٩٦
أتبنون بكل ريع...	١٢٨	٢٦٠ ٢٦٧
وتتخذون مصانع...	١٢٩	٢٦٠ ٢٦٧
وإذا بطشتم بطشتم	١٣٠	٢٦٨
فاتقوا الله وأطيعون	١٣١	٢٦٨
واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون	١٣٢	٢٦٦
أمدكم بأنعٰم وبنين	١٣٣	٢٦٦
وجنٰت وعيون	١٣٤	٢٦٦
فكذبوه فأهلكنٰهم	١٣٩	٤٩٧
أتتركون في مٰهٰنا ءامنين	١٤٦	٢٨٨
في جنٰت وعيون	١٤٧	٢٨٨

طرف الآيـــة	رقمها	صفحة ورودها
وزروع ونخل طلعها هضيم	١٤٨	٢٨٨
وتنحتون من الجبال بيوتا...	١٤٩	٢٨٨
قالوا إنما أنت بشر مثلنا	١٥٤	٢٩٥
قال هذه ناقة لها شرب	١٥٧	٢٩٧
فأهلكنـٰهم وما كان أكثرهم مؤمنين	١٥٨	٦١٩
كذبت قوم لوط المرسلين	١٦٠	٣٢٣
إذ قال لهم أخوهم لوط	١٦١	٣٢١
إنى لكم رسول أمين	١٦٢	
فاتقوا الله وأطيعون	١٦٣	٣٢١
وما أسئلكم عليه من أجر	١٦٤	٣٢١
أتأتون الذكران من العٰلمين	١٦٥	٣٢١ ٣٢٥ ، ٣٤٤
وتذرون ماخلق لكم ربكم...	١٦٦	٣٢١، ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٤٤
قالوا لئن لم تنته يٰلوط	١٦٧	٣٣٢
رب نجنى وأهلى مما يعملون...	١٦٩	٣٣٦
فنجينٰه وأهله أجمعين	١٧٠	٣٥٣
إلا عجوزا في الغٰبرين	١٧١	٣٥٣
كذب أصحٰب لـْٔيكة المرسلين	١٧٦	٣٦٠
وما أنت إلا بشر مثلنا	١٨٦	٥٥٧
فأسقط علينا كسفاً...	١٨٧	٣٨٦ ٧٥٥
فكذبوه فأخذهم عذاب ...	١٨٩	٣٨٦
وأنذر عشيرتك ألاقربين	٢١٤	٨٣، ٤٤٦
النمـــل		
وإنك لتلقى القرءان من لدن حكيم	٦	٧٠
فلما رءاها تهتز	١٠	٣٩٩
وأدخل يدك فى جيبك	١٢	٤٠٠

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
وجحدوا بها واستيقنتها...	١٤	٢٧٩،٤٠١،٤٣١،٥٤٨
وكان في المدينة تسعة رهط...	٤٨	٢٩٨ ٤٣٣
قالوا تقسموا بالله لنبيتنه وأهله	٤٩	٢٩٨ ٤٣٣
ولوطا إذ قال لقومه	٥٤	٣٢٨
إنكم لتأتون الرجال شهوة...	٥٥	٣٢٥،٣٢٩،٣٣٠
فما كان جواب قومه إلا أن قالوا	٥٦	٣٣٤
إلا امرأته قدرنٰها من الغٰبرين	٥٧	٣٥٤
القصص		
إن فرعون علا في الأرض	٤	٣٩٦
ونريد أن نم على الذين استضعفوا	٥	٣٩٢
ونمكن لهم فى الأرض	٦	٣٩٢
ولما ورد ماء مدين وجد عليه	٢٣	٣٦٠ ٣٦١
وقال فرعون يٰأيها الملأ ماعلمت لكم من إلٰه غيرى	٣٨	٤١٠،٤٣٠
أوقد لي يهمن على الطين	٣٨	
وجعلنٰهم أئمة يدعون إلى النار	٤١	٤١٧
وأتبعنٰهم فى هذه لعنة ويوم القيمة	٤٢	٤١٧
ولولا أن تصيبهم مصيبة	٤٧	٤٦٤
إن قارون كان من قوم موسى...	٧٦	١٧١
إنما أوتيته على علم عندى...	٧٨	١٧١
العنكبوت		
ألم	١	١٤،٥٨٩
أحسب الناس أن يتركوا	٢	١٤، ٥٨٩
ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله	٣	٤١،١٦٤، ٥٨٩
فلبث فيهم ألف سنة	١٤	٤٩٦
وتخلقون إفكا	١٧	١١٤

طرف الآيـــة	رقمها	صفحةورودها
إنما اتخذتم من دون الله	٢٥	٥٨٢
فآمن له لوط	٢٦	٣١٧ ٣٢٢ ٤٩٧
وتأتون فى ناديكم المنكر	٢٩	٣٢٦
ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصٰدقين	٢٩	٦١٣
فما كان جواب قومه إلا أن قالوا	٢٩	٣٢٦، ٣٣٦ ٥٥٦
قال رب انصرنى على القوم المفسدين...	٣٠	٣٣٦
تركنا منها ءاية بينة	٣٥	٣٥٥
فكلا أخذنا بذنبه	٤٠	٤٥٥
أولم يكفهم أنا أنزلنا	٥١	٢٠٠
ولئن سألتهم من خلق السمٰوٰت والأرض	٦١	١٣٨، ٤٣٤
ولئن سألتهم من نزل من السماء	٦٣	٤٣٤
وإن الدار الأخرة لهى	٦٤	١٤١
فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله	٦٥	٤٩ ١٢٠ ٤٣٥
والذين جٰهدوا فينا	٦٩	٤٣
الـروم		
ألم	١	٢١٣
غلبت الروم	٢	٢١٣
ومن ءايٰته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا	٢١	٣٥٧
وهو الذى يبدؤا الخلق...	٢٧	١٢٦ ١٣٤ ١٣٨
فطرة الله التي فطر الناس عليها	٣٠	٦١٤
وإذا مس الناس ضر دعو ربهم منيبين إليه...	٣٣	١٢٠
الله الذى خلقكم ثم رزقكم	٤٠	٤٣٦
فيومئذ لاينفع الذين ظلموا	٥٧	٥٥٢
لقمان		
يٰبنى لاتشرك بالله	١٣	٥٦٧
ولئن سألتهم من خلق السمٰوات	٢٥	٩٣ ٢٦٣
ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة	٢٨	١٣٨

طرف الآيـــة	رقمها	صفحة ورودها
السجدة		
ألم	١	٦٠
تنزيل الكتب لاريب فيه	٢	٦٠
ولنذيقنهم من العذاب الأدنى	٢١	٣٥٦
إنا من المجرمين منتقمون	٢٢	٢٦٧
الأحزاب		
النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم	٦	٣٤٤، ٣٤٥
وإذ أخذنا من النبين ميثقهم	٧	٢٢٠
يأيها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم	٩	٥٩٧
إذ جاءوكم من فوقكم	١٠	٥٩٦، ٥٩٧
هنالك ابتلى المؤمنون	١١	٥٩٧
لقد كان لكم فى رسول الله أسوة	٢١	٩٧
من المؤمنين رجال صدقوا ما عهدوا الله عليه	٢٣	١٤٥
وأنزل الذين ظهروهم من أهل الكتب	٢٦	٥٩٨
وأورثكم أرضهم وديرهم	٢٧	٥٩٨
ماكان محمد أبا أحد من رجالكم	٤٠	٣٠
يأيها النبى إنا أرسلنك شهدا	٤٥	١٩٥
وقالوا ربنا إنا أطعنا	٦٧	٥٥٢
ربنا ءاتهم ضعفين من العذاب	٦٨	٥٥٢
يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وقولوا	٧٠	٥
يصلح لكم أعملكم ويغفر لكم ذنوبكم	٧١	٥
سبأ		
ولقد صدق عليهم ابليس	٢٠	٤٩٩
وإنا أو إياكم لعلى هدى	١٤	٣٨٥
ولو ترى إذ الظلمون موقوفون	٣١	٥٥٤
وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا	٣٢	٥٤٤
قال الذين استضعفوا للذين استكبروا	٣٣	٣٣، ٥٥٤
ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملئكة	٤٠	٥٨٤
قالوا سبحنك أنت ولينا	٤١	٥٨٤

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
قل ماسألتكم من أجر فهو لكم	٤٧	٤٧٠
فاطر		
هل من خٰلق غير الله يرزقكم	٣	٤٣٦
يٰأيها الناس أنتم الفقراء...	١٥	١٥٠ ٢٧٤
إنما يخشى الله من عباده العلمؤ	٢٨	٣٦
والذى أوحينا إليك من الكتٰب	٣١	٨٠
والذين كفروا لهم نار جهنم	٣٦	٤٥٢ ٦٠٧
ولايحيق المكر السىء إلا بأهله	٤٣	٥٥٢
يس	١	٧٠
والقرءان الحكيم	٢	٧٠
وكل شىء أحصينٰه في إمام مبين	٢	٧٠
وجاء من أقصى المدينة رجل	٢٠	٤٦٨ ٧٧٤
اتبعوا من لايسألكم أجرا	٢١	٤٦٨ ٤٧٤
وءاية لهم أنا حملنا ذريتهم	٤١	٤٩٦
أوليس الذى خلق السمٰوٰت والأرض...	٨١	١١٨ ١٣٣
الصافات		
إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إلٰه إلا الله يستكبرون	٣٥	٥٤
أذٰلك خير نزلا أم شجرة الزقوم	٦٢	٣٤٥
ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين	٧١	٣٠٥
فانظر كيف كان عٰقبة المنذرين	٧٣	٣٠٥
وبشرنٰه بإسحٰق نبيًّا من الصٰلحين	١١٢	٣٠٩
فكذبوه فإنهم لمحضرون	١٢٧	٣٠٥
وإنكم لتمرون عليهم مصبحين	١٣٧	٣٥٨ ٥٩٠ ٥٦٠
وبالليل أفلا تعقلون	١٣٨	٣٥٨
وأرسلنٰه إلى مائة ألف	١٤٧	
فٰامنوا فمتعنٰهم إلى حين	١٤٨	٥٠٠

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
ص		
أجعل الآلهة إلها واحدا	٥	٤٨ ٤٢٨ ٥٥٠
- وهذا كتب أنزلناه مبارك فاتبعوه	٢٩	٦
إن هذا لرزقنا ماله من نفاذ	٥٤	٦٠٨
لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين	٨٥	٥٨٣
الزمر		
الله نزل أحسن الحديث كتبا	٢٣	٢١١
- وهذا كتب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا	٢٩	٦
إن هذا لرزقنا ماله من نفاد	٥٤	٦٠٨
قل أفغير الله تأمرونى	٦٤	٤٦٨
ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك	٦٥	٨٢
بل الله فاعبد وكن من الشكرين	٦٦	٨٢ ٤٦٨
وقالوا الحمد لله الذى صدقنا	٧٤	
غافر		
ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطن مبين	٢٣	٤٠٦
إلى فرعون وهمن وقرون	٢٤	٤٠٦
فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا...	٢٥	٤٠٦
وقال فرعون ذرونى	٢٦	٤١١
كذلك يطبع الله على كل قلب...	٣٥	٢٨١
ويقوم مالى أدعوكم إلى النجوة	٤١	٢١
تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به...	٤٢	٢١
لاجرم أنما تدعوننى إليه	٤٣	٢١
النار يعرضون عليها غدوا	٤٦	٤١٧
وإذ يتحاجون في النار	٤٧	٥٥٤
قال الذين استكبروا	٤٨	٥٥٤

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
إنا لننصر رسلنا والذين ءامنوا	٥١	٥٨٨ ٥٩٢
لخلق السمٰوٰت والأرض	٥٧	١١٨
الله الذى جعل لكم الأنعٰم	٧٩	٤٥٧
فصلت		
حم	١	٧٥
تنزيل من الرحمٰن الرحيم	٢	٧٥ ٤٧٢
كتٰب فصلت	٣	٧٥ ٤٧٢
فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون	٤	٤٩٨
فاستقيموا إليه واستغفروه	٦	٩٧
قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق	٩	١١٣
وجعل منها رواسى	١٠	١١٣
ثم استوى إلى السماء	١١	١١٣
فقضٰهن سبع سمٰوٰت	١٢	١١٣
فإن أعرضوا فقل أنذرتكم	١٣	٤٧٢ ٥٦١
فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا		
من أشد منا قوة ـ ـ ـ	١٥	٢٧٤٢٧٤
فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً...	١٦	٢٧٧
وقال الذين كفروا لاتسمعوا...	٢٦	٢١٠ ٥٧٣
وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا	٢٩	٥٨٣
إن الذين قالوا ربنا الله	٣٠	٤٦١
نحن أولياؤكم في الحيوٰة	٣١	٤٦١
مايقال لك إلا ماقد قيل	٤٣	١٦١ ٥١٣
سنريهم ءايٰتنا فى الآفاق	٥٣	٢٤

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
الشورى		
حم.	١	٦٠
عسق.	٢	٦٠
كذٰلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك	٣	٦٠ ٨٧
وكذٰلك أوحينا إليك قرءانا عربيا	٧	٨٠
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير	١١	٤٣٩
شرع لكم من الدين ماوصى	١٣	١٩٣
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم	١٤	٢٧٩
أم لهم شركٰؤا شرعوا لهم	٢١	٧٧
فإن يشأ الله يختم على قلبك	٢٤	٦٠٨
وجزاء سيئة سيئة مثلها	٤٠	٢٤١
وكذٰلك أوحينا إليك روحا	٥٢	٨٠
الزخرف		
ولئن سألتهم من خلق السمٰوات	٩	١٢٠
الذى جعل لكم الأرض مهدا	١٠	١١٧
وكذٰلك ماأرسلنا من قبلك في قرية	٢٣	٥٢٩
وقالوا لولا أنزل هذا القرءان	٣١	٥١٠ ٥١٢
أهم يقسمون رحمة ربك	٣٢	٥١٠
لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون	٤٣	٦٠٦
واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا	٤٥	١٩٣ ٤٢٦ ٥٠٤
أليس لى ملك مصر	٥١	٤١٠
أم أنا خير من هذا الذى	٥٢	٤١١
فلولا ألقى عليه أسورة	٥٣	٤١١
فاستخف قومه فأطاعوه	٥٤	٤٠٥
يطاف عليهم بصحاف من ذهب	٧١	٧١ ، ١٤١
إن المجرمين فى عذاب جهنم	٧٤	٤٤٨
لقد جئنٰكم بالحق ولٰكن	٧٨	٧٨

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله...	٨٧	٤٩ ١٢٠ ١٣٨ ٤٣٤
الدخان		
لايذوقون فيها الموت إلا الموتة	٥٦	١٤٣، ٦٠٩
ثم جعلنٰك على شريعة	١٨	٧٧
الأحقاف		
وإذا حشر الناس كانوا	٦	٥٨٢
وقال الذين كفروا للذين ءامنوا	١١	٥٣١
واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه...	٢١	٢٦٠
هذا عارض ممطرنا	٢٤	٢٧٧
تدمر كل شيء بأمر ربها...	٢٥	٢٧٧
فما أغنى عنهم سمعهم	٢٦	٢٦٩
وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن	٢٩	٢١٠
قالوا يٰقومنا إنا سمعنا كتٰبا أنزل	٣٠	٢١٠
يٰقومنا أجيبوا داعي الله	٣١	
ومن لايجب داعي الله فليس	٣٢	٢١٠
أولم يروا أن الله الذى خلق...	٣٣	١٣٣
محمد		
ولو يشاء الله لانتصر منهم	٤	٥٩٣
وللكٰفرين أمثٰلها	١٠	٥٦٥
وكأين من قرية هى أشد	١٣	٣٣٤
ولنبلونكم حتى نعلم	٣١	١٥٨
والله الغنى وأنتم الفقراء...	٣٨	١٥٠
الفتح		
ومن نكث فإنما ينكث	١٠	٥٥٢
قل للمخلفين من الأعراب	١٦	٢١٣

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
لقد رضى الله عن المؤمنين...	١٨	٩٩
لقد صدق الله رسوله الرؤيا...	٢٧	٢١٣
محمد رسول الله والذين معه	٢٩	٩٩ ١٩٦
الحجرات		
ولكن الله حبب إليكم	٧	١٨٩
إن أكرمكم عند الله أتقكم	١٣	٥٢٩
الذاريات		
وفى أنفسكم أفلا تبصرون	٢١	٢٤
سلم قوم منكرون	٢٥	٣٠٨
فأقبلت امرأته فى صرة	٢٩	٣١١
حجارة من طين	٣٣	٣٥٧
فأخرجنا من كان فيها	٣٥	٣٢٣ ٤٩٧
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين	٣٦	٣٢٣ ٣٤٥ ٤٩٧
وتركنا فيها ءاية للذين يخافون	٣٧	٣٥٨
أتواصوا به بل هم	٥٣	٥١٣
وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	٥٦	٢٤
إن الله هو الرزاق	٥٨	١٤٨
الطور		
أم يقولون تقوله	٣٣	٢٠١
فليأتوا بحديث مثله	٣٤	٢٠١
أم خلقوا من غير شيء	٣٥	٢١١
أم تسألهم أجراً فهم	٤٠	٤٦٧
النجم		
إن يتبعون إلا الظن	٢٣	٣٠٣ ٥٠٥
وأنه أهلك عاداً الأولى...	٥٠	٢٥٩ ٢٨٢
وثمود فما أبقى...	٥١	٢٥٩

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
وقوم نوح من قبل إنهم كانوا...	٥٢	١٠١
والمؤتفكة أهوى...	٥٣	٣١٧ ٣٥٨
فغشّـها ما غشى	٥٤	٣٥٨
القمر		
فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر	١٠	٢٣٨
وفجرنا الأرض عيونا...	١٢	٢٤٣
تجرى بأعيننا جزاءً	١٤	٢٣٩
إنا مرسلوا الناقة فتنة...	٢٧	٢٩٧
ونبئهم أن الماء قسمة...	٢٨	٢٩٧
ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم	٣٧	٣٥١
إن المتقين في جنّـت ونهر	٥٤	٤٣
سيهزم الجمع ويولون الدبر	٤٥	٢١٣
في مقعد صدق عند مليك مقتدر	٥٥	٤٣
الواقعة		
لايسمعون فيها لغوا	٢٥	١٤١
إلا قيلا سلـٰماً سلـٰماً	٢٦	١٤١
أفرءيتم الماء الذى تشربون	٦٨	٤٥٧
ءأنتم أنزلتموه من المزن	٦٩	٤٥٧
لو نشاء جعلـٰنه أجاجا	٧٠	٤٥٧
الحديد		
ولقد أرسلنا رسلنا بالبيـّنـٰت...	٢٥	١٧٩ ١٧٩
المجادلة		
يرفع الله الذين ءامنوا...	١١	٣٦
كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ...	٢١	٥٩٣
لاتجد قوما يؤمنون بالله...	٢٢	١٩٦

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
الحشر		
وما أفاء الله على رسوله منهم	٦	٥٩٦
لو أنزلنا هذا القرءان...	٢١	٢١١
الصف		
فما زاغوا أزاغ الله قلوبهم	٥	٥٧٢
وإذ قال عيسى ابنُ مريم	٦	١٩٥
والله متم نوره ولو كره الكٰفرون	٧	٥٩٧
يريدون ليطفئوا نور الله	٨	٥٩٤
الجمعة		
هو الذى بعث في الأميين رسولا منهم	٢	٣٠ ٦٧
الطلاق		
يٰأيها النبي إذا طلقتم النساء	١	٢٣١
التحريم		
يٰأيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم	٦	٥٨٥
يٰأيها النبى جٰهد الكفار	٩	٤١
ضرب الله مثلا للذين كفروا	١٠	١٦٢
الملك		
الذى خلق الموت والحيوٰة ليبلوكم	٢	١٥٧
الذي خلق سبع سمٰوٰت طباقا	٣	١١٦
هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا	١٥	١١٧ ١٢٧
قل أرءيتم إن أصبح ماؤكم غوراً	٣٠	٤٥٨
الحاقة		
فأما من أوتى كتٰبه...	١٩	٤٥٠
إنى ظننت أني ملٰق...	٢٠	٤٥٠
فهو فى عيشة راضية	٢١	٤٥٠
فى جنة عالية	٢٢	٤٥٠
قطوفها دانية	٢٣	٤٥٠
كلوا واشربوا	٢٤	٤٥٠
فما منكم من أحد عنه حٰجزين	٤٧	٨٣

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
وأما من أوتى	٢٥	٤٥٠
ولم أدر ماحسابيه	٢٦	٤٥٠
يالليتها كانت القاضيه	٢٧	٤٥٠
ولو تقول علينا بعض الأقاويل	٤٤	
لأخذنا منه باليمين	٤٥	
ثم لقطعنا منه الوتين	٤٦	
نوح		
إنا أرسلنا نوحاً...	١	٤٧
إنى لكم نذير مبين	٢	٤٤٢
رب إني دعوت قومى	٥	
فلم يزدهم دعاءى	٦	٥٤٨
وإنى كلما دعوتهم	٧	٥٤٨
فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً	١٠	٤٥٧ ٢٢٨
يرسل السماء عليكم مدراراً	١١	٤٥٧ ٤٣٧٢٢٨
ويمددكم بأموال وبنين	١٢	٤٥٧ ٢٢٨
مالكم لاترجون لله وقارا	١٣	٢٢٨
وقد خلقكم أطوارا	١٤	٢٢٨
ألم تروا كيف خلق الله	١٥	٢٢٨
وجعل القمر فيهن نورا	١٦	٢٢٨
والله أنبتكم من الأرض نباتا	١٧	٢٢٨
ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا	١٨	٢٢٨
والله جعل لكم الأرض بساطا	١٩	٢٢٨
لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً	٢٠	
وقالوا لاتذرن ءالهتكم...	٢٣	٢٢٥
رب لاتذر على الأرض من الكفرين ديارا	٢٦	٥٦ ٢٣٨٢
إنك إن تذرهم يضلوا عبادك	٢٧	٥٦٢

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
الجن		
إنا سمعنا قرءانا عجبا	١	٨
يهدي إلى الرشد	٢	٨
عٰلم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا	٢٦	١٨٠
إلا من ارتضى من رسول	٢٧	١٨٠
المدثر		
يٰأيها المدثر	١	٨١
قم فأنذر	٢	٨١
إنه فكر وقدر	١٨	٢٠٨
فقتل كيف قدر	١٩	٢٠٨
ثم قتل كيف قدر	٢٠	٢٠٨
ثم نظر	٢١	٢٠٨
ثم عبس وبسر	٢٢	٢٠٨
ثم أدبر واستكبر	٢٣	٢٠٨
فقال إن هذا إلا سحر يؤثر	٢٤	٢٠٨
الإنسان		
هل أتى على الإنسٰن	١	١٥٧
إنا خلقنا الإنسٰن من نطفة	٢	١٥٧
النباء		
فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا	٣٠	٦٠٦
النازعات		
اذهب إلى فرعون	١٧	١٨٦
فقل هل لك	١٨	٣٩٩
وأهديك إلى ربك	١٩	٣٩٩
أنا ربكم الأعلى	٢٤	٤٠٥ ٤١٠

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
والأرض بعد ذٰلك دحٰها	٣٠	١١٧
أخرج منها ماءها ومرعٰها	٣١	١١٧
إنما أنت منذر من يخشٰها	٤٥	٤٤٣
عبس		
ثم إذا شاء أنشره	٢٢	١٢٧
فلينظر الإنسٰن إلى طعٰمه	٢٤	٤٥٧
أنا صببنا الماء صبا	٢٥	٤٥٧
ثم شققنا الأرض شقا	٢٦	٤٥٧
فأنبتنا فيها حبا	٢٧	٤٥٧
وعنبا وقضبا	٢٨	٤٥٧
وزيتونا ونخلا	٢٩	٤٥٧
وحدائق غلبا	٣٠	٤٥٧
وفٰكهة وأبا	٣١	٤٥٧
متٰعاً لكم ولأنعمكم	٣٢	٤٥٧
المطففين		
ويل للمطففين	١	٣٦٤
الذين إذا اكتالوا	٢	٣٦٤
وإذا كالوهم أو وزنوهم...	٣	٣٦٤
ألا يظن أولٰئك أنهم...	٤	٣٦٤
ليوم عظيم	٥	٣٦٤
يوم يقوم الناس	٦	٣٦٤
البروج		
إنه هو يبدئ ويعيد	١٣	١٢٦
الطارق		
إنه لقول فصل	١٣	٦٥ ٦٦

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
الفجر		
ألم تر كيف فعل ربك **بعاد**	٦	٢٦٠
إرم ذات العماد	٧	٢٦٠
وثمود الذين جابوا	٩	٤٤٩
وفرعون ذى الأوتاد	١٠	٤٤٩
الذين طغوا	١١	٤٤٩
فأكثروا فيها	١٢	٤٤٩
فصب عليهم ربك	١٣	٤٤٩
إن ربك لبالمرصاد	١٤	٤٤٩
ألم تر كيف فعل ربك بعاد	١٨	٢٦٠
إرم ذات العماد	١٩	٢٦٠
البلد		
فك رقبة	١٣	٦٩
أو اطعٰم في يوم	١٤	٦٩
يتيما ذا مقربة	١٥	٦٩
أو مسكينا ذا متربة	١٦	٦٩
ثم كان من الذين ءامنوا	١٧	٦٩
العلق		
اقرأ باسم ربك الذي خلق	١	٨١
خلق الإنسٰن من علق	٢	٨١
اقرأ وربك الأكرم	٣	٨١
كلا إن الإنسٰـن ليطغى..	٦	١٠٠
الشمس		
كذبت ثمود بطغوٰها	١١	١٠١
الزلزلة		
فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره	٧	١٤١

طرف الآية	رقمها	صفحة ورودها
ومن يعمل مثقال ذرة	٨	١٤١
العصر		
والعصر	١	
إن الإنسٰن لفى خسر	٢	١٧٢
إلا الذين ءامنوا وعملوا	٣	١٧٢
قريش		
فليعبدوا رب هذا البيت	٣	١٥١
الذى أطعمهم من جوع	٤	١٥١
الكافرون		
قل يٰأيها الكفرون	١	٤٦٧
المسد		
تبت يدا أبى لهب وتب	١	٤٤٧

(٢)

فهرس
الأحاديث النبوية والآثار

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

طرف الحديث	صفحة وروده
أ أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا	٥٤١
أخذ المشركون عمار بن ياسر	٥٣٧
أخرج بعث النار	٥٠٢
إذا حضر المؤمن أتت ملائكة الرحمة	٤٦١
إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا	٤٥٩
إذا مات ولد العبد	١٧٣
إذا هلك قيصر	٦٠٠
أرأيتم لو أخبرتكم	١٨٣
أرأيتم لو أن نهرا	١٠٨
أسألك بكل اسم هو لك	٤٣٨
أعددت لعبادي الصالحين	١٥١
ألا وإن لكل ملك حمى	٧٢ ١٢٢
اللهم ارحمني ومحمداً	٤٨٠
أما والله إني لأخشاكم لله	١٠٢
أمرت أن أقاتل الناس	٤٢٦
أن تؤمن بالله وملائكته	١٢٨
أن رجلا أصاب من امرأة	١٠٨
أن أكثر ما أخاف على هذه الأمة	٣٥٥
إن الأنبياء لم يورثوا دينارا	٣٦
إن أول مايؤتى به الأنبياء	١٨٠
إن الحمد لله نحمده ونستعينه	٥ ١٩٢
إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل	١٨٣
إن الله جميل يحب الجمال	٥٤٩
إن الله قد حرم النار	٤٢٧
إن الله ليلمي للظالم حتى	٥٩١
إن الله نظر في قلوب العباد	١٨٣
إن الله وضع عن أمتي الخطأ	٧٣
إن الله يحب الرفق في الأمر كله	٤٨٠
إن الله لايقبل من العمل	٤٧٤

	طرف الحديث	صفحة وروده
	إن الله عز وجل لاينظر إلى صوركم	٥٣٠
	إن الله يدني المؤمن	٥٧٩
	إن الدين يسر	١٠٢
	إن الرفق لايكون في شيء إلا زانه	٤٨٠
	إن روح القدس نفث في روعي	١٤٩
	أن علم الخلائق في علم الله تعالى	٧٥
	أنه كان يجتني سواكاً من الأراك	٥٤١
	إن الله تعالى يبعث الملك	١٤٨
	إنا لانكذبك ولكن نكذب بما جئت به	٥٢٠
	أناس كانوا يستحيون	٥٤٦
	أنسيت أم قصرت الصلاة	٥٢٣
	إنك تقدم على قوم أهل الكتاب	٤٢٢
	إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم	٥٢٢
	إنما بعثتم ميسرين	٤٨١
	إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل	٤٧٨
	إنما مثلي ومثل مابعثني الله به	٤٤٧
	إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي	٧٦
	إن من أبر البر أن يصل	٤٦٠
	إني خلقت عبادي حنفاء	٩٤
	إني سألت ربي أن لايهلكها بسنة عامة	٥٦٣
	إني لأعرف حجرا	١٨٢
	أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي	٨١
	أيكم أحسن عقلا	١٥٥
	أيها الناس أربعوا على أنفسكم	٢٨٩
ب	بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة	٤٩١
	بلغوا عني ولو آية	٣٧
ت	تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا	٧
ث	ثلاثة حق على الله عونهم	٣٥٧

	طرف الحديث	صفحةوروده
ح	الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي	٥٤٠
خ	خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده	٧٦
	خمس إذا ابتليتم بهن	٣٥٥
د	الدين النصيحة قلنا لمن	٤٩١،٩
ر	رأس الأمر الصلاة	١٠٥
	رفع القلم عن ثلاثة	٢٥
ش	شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد	١٦٦
ص	صبرا آل ياسر	٥٣٦
ع	عرضت علي الأمم فرأيت النبي	٥٠٢
ف	فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا	٤٢٣
	فليكن أول ماتدعوهم إليه عبادة الله	٤٢٣
	فوالله لولا الحياء من أن يأثروا	١٨٤
	فيأتون آدم فيقولون ياآدم	٢٢١
	فيه نبأ ماقبلكم	٧٥
ق	قال نعم نبي مكلم	٢٢٢
	قد تركتكم على البيضاء	٣١
	قل آمنت بالله ثم استقم	٩٧
	قولوا لا إلٰه إلا الله تفلحوا	٤٢٥
ك	كان الله ولم يكن شيء غيره	١١٦
	كان الرجل منا إذا تعلم	٦
	كانوا يحذفون أهل الطريق	٣٢٧
	كانوا لايتجاوزون عشر آيات	٦
	كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم	٨ ، ٧٥
	كل مولود يولد على الفطرة	٩٤
	كم تعبد من إلٰه	٤٣٥
	كنا نستبق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم	٥٤٠
	كنا نقعد مع الرسول صلى الله عليه وسلم	٥٤
ل	لئن يهدي الله بك رجلا	٣٩
	لبيك لا شريك لك	٤٣٤

طرف الحديث	صفحة وروده
لله أشد فرحا بتوبة عبده	٥٧٥
لم يبق من مبشرات النبوة	٤٦١
لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئته لأنظر إليه	١٩١
لما نزلت (الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك	٥٦٧
لما نزلة (وأنذر عشيرتك الأقربين) صعد النبي	٨٣
لما نشأت بغضت إلي عبادة الأوثان	١٨٧
لئن يهدين الله بك رجلاً واحداً	٣٩
لن تغزوكم قريش	٥٥٩
لن ينجي أحدا منكم عمله	٢٧٦
لو كان المطعم حيا	٥٣٤
ليبلغ الشاهد الغائب	٣٧
ليتني أكون فيها جَذْعاً	٣٣٣
لا أحد أحب إليه العذر	٥٧٥
لايحل دم امرء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله	٣٥٨
لايدخل الجنة من كان في قلبه	٥٤٩
لايصلح آخر هذه الأمة	٨
م مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا حتى	٢٧٧
ماكان الرسول صلى الله عليه وسلم يسرد كسردكم	٦٥
ما من الأنبياء نبي إلا أعطى مامثله	٨٨
مالاعين رأت ولا أذن سمعت	١٤١
من تعمد علي كذبا فليتبوأ	٥٦٩
مر الملأ من قرش	٥٤٠
من دعا إلى هدى	٣٨
من سلك طريقا يلتمس فيه	٣٦
من سن في الإسلام سنة	٣٢٤

	طرف الحديـــث	صفحةوروده
	من شهد أن لا إلٰه إلا الله	٤٢٧
	من كان آخر كلامه لا إلٰه إلا الله	٤٢٦
	من يحرم الرفق يحرم الخير	٤٨١
ن	نضر الله امرءا سمع منا	٣٩
هـ	هذا جبريل أتاكم يعلمكم	٢٣
	هذه أسماء رجال صالحين	٢٢٥
	هون عليك فإني لست	٥٢٢
و	وإذا تخيلت السماء تغير لونه	٢٧٧
	والذي تدعونه أقرب	٢٨٩
	والذي نفس محمد بيده	
	والذي نفسي بيده إني لأطمع	٤٩٧،٥٠١
	والله إنك لخير أرض الله	٣٤٥
	والله إني لأستغفر الله	٢٦٤
	والله يزع بالسلطان مالايزع	٤٤
	والأنبياء لم يورثوا دينارا	٣٧
	وإن تقرب إلي شبرا	٢٩٠
	وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تابعا	٤٩٧
	وسألتكم هل يرتد أحد منهم	١٩٦
	ولا شخص أحب إليه العذر من الله	٤٦٤
ي	ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا	١٩٥
	يارسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد	٤٧٨
	يارسول الله هل بقي من بر أبوي شيء	٤٦٠
	يارسول الله هلكت الأموال	٤٥٩
	يارسول الله هلكت الماشية	٤٥٩
	يارسول الله هلك المال وجاع العيال	٤٥٨

طرف الحديث	صفحة وروده
ياعائشة ماأزال أجد ألم الطعام	٥٢٤
ياعبادي كلكم جائع	١٥٠
ياعدي هل رأيت الحيرة	٦٠٠
يافلان ابن فلان ويافلان بن فلان هل وجدتم	٤٩٠
يامعاذ أتدري ماحق الله	٤٢٧
يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة	٣٥٧
يامعشر يهود احذروا من الله مثل مانزل بقريش	٥٩٥
يبتلى الرجل على حسب دينه	١٦٠،١٥٩
يحشر المتكبرون يوم القيامة	٥٥٣
يحمل هذا العلم من كل خلف	٤٠
يخرج من النار من قال لا إله إلا الله	٦٠٥
يرحم الله لوطا لقد كان	٣٤٩
ينادي مناد ليذهب كل قوم	٥٨٥

(٣)

فهرس الأعلام

العلم	صفحة وروده
إبراهيم بن اسحاق النظام (المعتزلي)	٢١٥
إبراهيم بن السري الزجاج (أبو اسحاق)	٦٥ ،٣٧٨
أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي	١٨٤ ٥٢٨
أبي بن خلف (لعنه الله)	١٣٣
أبي بن كعب بن قيس (أبو المنذر)	٣٤٤
أحمد بن حنبل (أبو عبد الله)	١٥
أحمد بن الحسن (أبو بكر) البيهقي	١٩٩
أحمد بن بن عبد الحليم (أبو العباس) ابن تيمية	٢٢،٢٨،٦٣،٢١٤،٤٢١،٤٢٥،
أحمد بن علي بن حمد الكناني العسقلاني (ابن حجر)	٢٢٤
أحمد بن محمد بن سلامة (أبو جعفر الطحاوى)	١٩٤،٦٠٤
أسعد بن زرارة بن عدس الأنصاري الخزرجي	٤٢،٢٢٤
إسماعيل بن حماد الجوهر (أبو نضر)	٤٢١
إسماعيل بن كثير الدمشقي	٥٨،٥٩،٦٠،٦٧،١٥٧،١٦٩
أصحمه بن أبجر (النجاشي)	٢٩،٢٠٩ ،٣٩٤،٥٣٨،٥٣٨
أم سلمة	٥٢٢
أمية بن خلف	٥٣٥ ٥٣٦
أنس بن مالك	٦٠٦
بلال بن رباح	٥٣٥،٥٣٦،٥٤٠
ثوبان بن بجد (أبو عبد الله)	٥٦٣
جابر بن عبد الله	٦٠٦
جبير بن مطعم	٢١١
جرير بن عبد الله	٤٩٠
جعفر بن أبي طالب	٢٠٩،٥٣٨
الحسن بن يسار البصري	٣١٩،٣٧٥،٥١٤،٥١٤
الحسين بن الفضل بن عمير البجلى الكوفي	٢٩٥
حسين بن محمد بن المفضل (الراغب الأصبهانى)	١٠١
الحسين بن مسعود بن محمد (أبو محمد) الفراء البغوي	٢٧٠،٢٩٩،٣٢٧،٣٢٨،٤١٣
الحصين بن عبيد بن خلف الخزاعي	٤٣٥

العلم	صفحة وروده
حمد بن محمد أبو سليمانالخطابي	١٤٨ ٢١١، ٤٩٢
خالد بن الوليد	٩٨ ٤٧٩
خباب بن خبذله الخزاعي	١٦٦، ٥٤١
خديجة بنت خويلد	٤٥، ٤٦، ١٨٩
الخرباق السلمي	٥٢٣
الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي	٥٨٠
خنيس بن حذافة القرشي	٢١٠
دحية بن خليفة بن مروة الكلبي	٥١٨
رشيد رضا	٣٤١، ٣٧٦
رفيع بن مهران الرياحي البصري	١٠٣
زهير بن أبي سلمى	١٣١
زيد بن أسلم	٥١٩
زيد بن حارثة	١٨٨
سراقة	٦٠١ ٥٩٢ ٦٠٠ ٦٠١
سعيد بن جبير	٤٧٢
سعد بن معاذ	٥٩٨
سعد بن أبي وقاص	١٦٠، ١٧٢، ٥٤٠
سفيان بن عبد الله الثقفي	٩٧
سمية بنت خياط (أم عمار)	٥٣٧
شيبة بن ربيعة	٥٣٤
صهيب بن سنان بن مالك	١٤٣ ، ٥٤٠
الضحاك بن مزاحم الهلالي	١٧٥ ، ٤١٧
ضماد أو ضمام بن ثعلبة الأزدي	١٩٢
الطفيل بن عمرو	٥٧٣
عائشة بنت أبي بكر الصديق (أم المؤمنين)	٦٥، ٢٧٧ ٤٧٨ ٤٨٠ ٥٢٤
عبادة بن الصامت	٤٢٧
عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (أبو محمد)	٢٠٣ ، ٤٤٣

العلم	صفحة ورود
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم	١٠٣
عبد الرحمن بن صخر (أبوهريرة)	١٠٧ ٢٦٤ ٤٧٨ ٥٣٠
	٦٠٦
عبد الرحمن بن علي بن محمد (ابن الجوزي)	٢٨٧ ٣٤٢
عبد الله بن أمية المخزومي	١٦٨
عبد الله بن سلام بن الحارث (أبو يوسف)	١٩١ ١٩٥ ٥٣٢
عبدالله بن عبـاس	
١٧٤،١٧٥،١٩٢،٢٢٣،٣٣٤،٣٥٧،٣٦٦،٣٦٩،٤٠٤،٥٠٢،٥١٣،٥١٤،٥٤٤،	
٥٤٦،٤١٤،٤١٧،٤٢٢،٤٧٢،٥١٣،٥١٤،٥٥٨،٦٠٣	
عبد الله عبد المطلب والد الرسول صلى الله عليه وسلم	٤٧١
عبدالله بن عثمان بن عامر التميمى (أبو بكر الصديق)	١٨٩
عبد الله بن عمر بن الخطاب	١٥٥
عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي	٤٥٣
عبد الله بن مسعود	٥٣٢ ٥٤٠
عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف (أبو الحارث)	٤٧١
عبد الملك بن عبد العزيز أبو خالد (ابن جريج)	١٠٣ ، ٥٣٩
عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري	١٨٩ ٥٣٢ ،٥٣٦
عكرمة ابو عبدالله البربرى (مولى ابن عباس)	٤٧٢
عبد مناف بن عبد المطلب (أبو طالب) عم النبي صلى الله عليه وسلم	٤٥ ٤٦ ٥١٣ ٥٣٤ ٥٤٧
عتبة بن ربيعة بن عبد شمس (أبو الوليد)	٤٧١ ٤٧٢ ٥٣٤
عتبان بن مالك بن عمرو العجلاني الأنصاري	٤٢٧
عثمان بن عفان	٥٩٢
علي بن أبي طالب	٣٩ ،٥١٩
علي بن أحمد بن حزم الظاهري	٣٥٠ ٦٠٤
علي بن أحمد بن محمد الواحدي	١٦٨
علي بن حمزة الكسائي	٣٤٠ ٤١٦

العلم	صفحة وروده
علي بن على بن محمد أبن أبى العز الحنفى	١٩٤
على بن محمد بن ابراهيم الشيخى ابو الحسن (الحارث)	٣٠١
عمار بن ياسر	٥٣٦ ٥٣٧ ٥٤٠
عمر بن الخطاب	٩٨ ٢٠٨
عمران بن حصين	١١٥ ٤٣٥
عمرو بن الجموح بن زيد السلمي	١٤٥
عمرو بن العاص بن وائل (أبو عبد الله) أو (أبو محمد)	٢٠٩،٢١١
عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي (سيبويه)	٥٨٠
عمرو بن هشام بن المغيرة (أبو جهل)	٣٩٥،٥٣٧،٥٣٦،٥٣٧
عمير بن الحمام بن الجموح الأنصاري	١٤٤
الفضيل بن عياض بن مسعود التيمي	١٥٨،٣٥١
قتادة بن دعامة السدوسي	١٧٤،٢٦٥،٣٣٤،٣٦٩،٤٠٧،٤١٧،٥٤٥،٥٥٨
قيصر	٣٩٤،٦٠٠،٦٠٤
كسرى	٣٩٤،٦٠١
مالك بن ربيعة الساعدي	٤٦٠
مجاهد بن جبر أبو الحجاج	١٧٥،٣٣٤،٣٦٩،٥٤٥، ٥٥٨
محمد بن ابراهيم بن على (ابن الوزير)	٤٤٥
محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية	٢٩،٣٩،٤٦،٤١،
محمد بن أبى محمد الأبتاري	١٧٠
محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي	١٠٦
محمد بن أحمد بن أزهر الهروي (أبو منصور)	٤٢١
محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي	٤٦،٤٧٢
محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي	٣٥٥
	١٧٤ ١٧٦
محمد بن أبي الحسن اسماعيل بن ابراهيم (أبو عبد الله) البخاري	٢٢،٢٦٤،٥٤٦
محمد بن جرير الطبري	١٤ ٣٤٠ ٤٩٠ ٦٠٣

العلم	صفحة وروده
محمد بن سلامة الأزدي (الطحاوي)	٦٠٤
محمد بن سيرين	٥١٤
محمد بن عبد الله بن بهادر (أبو عبد الله) الزركشي	٢١٢
محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه الحاكم	
محمد بن علي بن محمد الشوكاني	٢٢٦،٣٤٩،٣٥١
محمد بن عيسى بن سورة (أبو عيسى) الترمذي	١٩١
محمد بن كعب القرظي (أبو حمزة)	٢٢٦
محمد بن محمد بن مصطفى (أبو السعود)	٥١٧
محمد بن أبي محمد القاسم أبو بكر الأنباري	١١٣ ٣٧٨
محمد بن يوسف بن علي (أبو حيان)	١٣٥،١٥٦،٣٧٠،٤١٠،٤٤٥
محمود بن محمد بن عمر (الزمخشرى)	٥٩،٦٩،٣٣٠،٣٣٥
مسلم بن الحجاج القشيري	٤٢٣،٤٢٧،٤٨٨
مصعب بن عمير	٥٢٦
المطعم بن عدي بن نوفل القرشي	٥٣٤
معاذ	٤٢٢،٤٢٧،٥٢٦
معمر بن المثنى التيمي (أبو عبيدة)	٤١٦
ميمون بن مهران	٣٢١،٣٢٧
النحاس	٥٢٨
النضر بن الحارث	٥٦٠
نعيم بن حماد (أبو عبد الله) شيخ البخاري	٤٣٩
هرقل (ملك الروم)	١٨٤،١٩٦،٥٢٨،٥٢٩
هند بنت أبي أمية بن المغيرة (أم المؤمنين) (أم سلمة)	٣٢٧ ٥٢٢
ورقة بن نوفل بن أسد	١٩٠،٣٣٣
الوليد بن المغيرة بن عبد الله	١٦٧،٢٠٨،٣٣١
يحيى بن زياد بن عبد الله (أبو زكريا الفراء)	١٧٦ ٣٤٠
يحيى بن شرف (أبو زكريا) النووي	٤٩١

(٤)

فهرس
الأبيات الشعرية

فهرس الشعر
مرتباً حسب القوافي

		الصفحة
د		
سبحانه ثم سبحانه يعود له	وقبلنا سبح الجودي والحمـــد	٢٥٤
ر		
تعالى اللهم للأضياف نيئاً	ونبذله إذا نضجت القـــــدور	٥٧٢
ولأنت تفـري ما خلقـــــت	وبعض القوم يخلق ثم لا يفري	١١٤
دع المكارم لا تنهض لنعيتها	واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي	٢٤٩
م		
فلا تكتمن الله مافي قلوبكم	ليخفى ومهما يكتم الله يعلم	١٣١
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخـر	ليوم حساب أو يعجل فينقـــم	١٣١
ن		
واصدع بما قال الرسول ولاتخف	من قلة الأنصار والأعـــوان	٥٠٦
ولا تخشى كثرتهم فهم همج الورى	وذبابه أتخاف من ذبـــــان	٥٠٦
وإذا تكاثرت الخصوم وصيحـــوا	فاثبت فصيحتهم كمثل دخـــان	٥٠٦
فالله ناصر دينه وكتابـــــه	والله كاف عبده بأمـــــان	٥٠٦
و		
جزى الله بالإحسان مافعلا بكم	وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو	١٥٥

(٥)

فهرس
المصادر والمراجع

- أ -

- القرآن الكريـــم

١- **أبجد العلـوم (الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم):**
لصديق بن حسن القنوجي المتوفي سنة ١٤٠٧هـ.
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٢- **الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية:**
لعبدالعزيز المحمد السلمان، الطبعة الخامسة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٣- **أسد الغابة في معرفة الصحابة:**
لابن الأثير عـز الـدين بن الأثـير ، أبي الحســن عـلى بن محمـد الجـزري، المتوفى سنة ٦٤٠هـ.
دار الفكر - بيروت - لبنان ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٤- **أسس الدعوة وآداب الدعاة :**
لمحمد السيد الوكيل .
دار الطباعة والنشر الإسلامية - القاهرة.

٥- **الأصنام :**
لابن الكلبي. أبي المنذر هشام ابن النصر محمد بن السائب بن بشر. تحـقيق أحمد زكي. المطبعة الأميرية- القاهرة- ١٣٣٢هـ- ١٩١٤م.

٦- **أصول الدعوة :**
لعبد الكريم زيدان .
دار الوفاء للطباعة والنشر - المنصورة.
الطبعة الثالثة - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

٧- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن :**
لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطي المتوفى سنة١٣٩٣هـ - عالم الكتب - بيروت .

٨- **الأعلام للزركلي :**
خير الدين - دار العلم للملايين - الطبعة السادسة ١٩٨٤م.

٩- **اعلام الموقعين عن رب العالمين :**
لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزيه.
مراجعة وتقديم وتعليق طه عبدالرؤوف سعد- الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٨٦م .

- إ -

١٠- **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين:**
لمحمد بن محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني الزبيدي، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ - دار الفكر.

١١- **إجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم :**
لعبد الجليل عيسى أبو النصر - دار البيان - الكويت - ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

١٢- **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان :**
لعلاء الدين علي بن بلبان، المتوفى سنة ٧٣٩هـ قدم له وضبط نصه: كمال يوسف الحوت- دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان.

١٣- **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب :**
المعروف بمعجم الأدباء ، لياقوت بن عبدالله الرومي الحموي- المتوفي سنة ٦٢٦هـ ،طبعة مرجليوث، بمصر ١٩٠٧هـ - ١٩٢٥م.

١٤- **إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات:**
لمحمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ - الناشر دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان- الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٥- **إرشاد الساري في شرح البخاري :**
للقسطلاني ، المتوفى سنة ٩٢٣هـ - الطبعة الميمنية.

١٦- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل :**
لمحمد ناصر الدين الألباني . المكتب الاسلامي. بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

١٧- **الاستقامة :**
لابن تيمية تقي الدين أحمد عبدالحليم، المتوفى سنة ٧٢٨هـ- تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم- الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

١٨- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب :**
لابن عبدالبر، أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر- تحقيق علي محمد البجاوي - طبع ونشر مكتبة نهضة مصر ومطبعتها- الفجالة - مصر.

١٩- **اشتقاق اسماء الله الحسنى :**
للزجاج ، أبي القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي، المتوفى سنة ٤٦٣هـ، تحقيق الدكتور عبدالمحسن المبارك، - مؤسسة الرسالة- بيروت- الطبعة الثانية- ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٠- **الإصابة لابن حجر:**
أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ. دار الكتب العلمية- بيروت.

٢١- **إعتقادات فرق المسلمين والمشركين :**
لمحمد الرازي، فخر الدين بن ضياء الدين عمر، المتوفى سنة ٦٠٤هـ- بمراجعة علي سامي النشار- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٢٢- **إعراب القرآن :**
لمحيي الدين الدرويش - اليمامة- للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق - بيروت.

٢٣- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان :**
للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيه- المتوفى سنة ٧٥١ هـ . تحقيق محمد حامد الفقي- بيروت- لبنان.

٢٤- **إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدةوالمتاع:**
للمقريزي : تقي الدين أحمد بن علي المتوفى سنة ٨٤٥هـ، صححه وشرحه محمود محمد محمود شاكر- القاهرة- مطبعة لجنة التأليف والترجمةوالنشر- ١٩٤١م.

٢٥- ايثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق في أصول التوحيد:
لأبي عبدالله محمد بن المرتضى اليماني المشهور بابن الوزير- المتوفى ٨٤٠هـ. تصحيح جماعة من العلماء- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

- ب -

٢٦- البداية والنهاية :
لابن كثير: أبو الفداء الحافظ اسماعيل بن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، تحقيق: د. أحمد أبي ملحم وآخرين- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

٢٧- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع :
لمحمد بن علي الشوكاني ، المتوفى سنة ١٢٥٠هـ- الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨هـ، مطبعة السعادة - القاهرة.

٢٨- البرهان في توجيه متشابه القرآن :
لمحمد بن حمزة بن نصر الكرماني ، المتوفى سنة ٥٠٥هـ ، تحقيق عبدالقاهر أحمد عطا، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م - دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

٢٩- البرهان في علوم القرآن :
لمحمد بن عبدالله الزركشي - تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم. دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت- لبنان - الطبعة الثانية.

٣٠- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز :
للفيروز أبادي . لمحمد بن يعقوب، المتوفى سنة ٨١٧هـ - المكتبة العلمية- بيروت- لبنان .

٣١- بغية الوعاة في طبقات :
اللغويين والنحاة. لعبدالرحمن السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم- الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م- مطبعة عيسى الحلبي وشركاه- مصر.

٣٢- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب :
لمحمود شكرى الألوسي البغدادى - المتوفى سنة ١٣٤٢هـ - الطبعة الثانية بمصر ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م.

٣٣- **البيان والتبيين :**
لعمرو بن بحر الجاحظ - المتوفى سنة ٢٥٥هـ - الشركة اللبنانية للكتاب - بيروت .

- ت -

٣٤- **تاج العروس من جواهر القاموس :**
لمحمد مرتضى الزبيدى المتوفى سنة ١٢٠٥هـ - الناشر دار مكتبة الحياة - بيروت- لبنان.

٣٥- **تاريخ الأمم والملوك :**
للطبرى : أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ- دار احياء التراث العربي- بيروت- لبنان .

٣٦- **تاريخ بغداد :**
للخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي المتوفى سنة ٤٦٣هـ - دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان .

٣٧- **التاريخ الكبير :**
للبخاري : أبي عبدالله محمد بن إسماعيل المتوفى سنة ٢٥٦هـ- تحقيق يحيى المعلمي اليماني- مصور عن الطبعة الهندية.

٣٨- **تأويل مشكل القرآن :**
لابن قتيبة أبي محمد عبدالله بن مسلم ، المتوفى سنة ٢٧٦هـ، شرح أحمد صقر - الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م- دار التراث - القاهرة.

٣٩- **التبيان في علوم القرآن :**
لمحمد بن على الصابوني - الطبعة الثانية ١٤٠١هـ- ١٩٨١م- مكتبة الغزالي بدمشق .

٤٠- **تحريم اللواط :**
لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ، المتوفى سنة ٣٦٠هـ - مطبوع بعنوان : كتابان في اللواط ، تحقيق خالد علي محمد، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - مكتبة المصاحف الذهبية- الرياض.

٤١- **التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية:**
لفالح بن مهدى آل مهدي - الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.

٤٢- **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي :**
لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ - تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف - الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م ، دار الكتب الحديثة - مصر .

٤٣- **تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي :**
عبدالرحمن بن محمد بن علي بن محمد البغدادي الحنبلي - المتوفى سنة ٥٩٧هـ - تحقيق الدكتور على حسين البواب - مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٤٤- **تذكرة الحفاظ للذهبي :**
أبي عبدالله شمس الدين محمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ - ١٣٤٨م - دار الفكر العربي.

٤٥- **تذكرة المسلم :**
لمحمد الطيب بن محمد يوسف - طُبع باشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - مطابع المتنبي - بيروت - لبنان - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٤٦- **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف :**
للمنذري : أبي محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، المتوفى سنة ٦٥٦هـ - طبعة المكتبة العصري - بيروت.

٤٧- **تزكية النفوس وتربيتها :**
جمع وترتيب د. أحمد فريد، تحقيق ماجد بن أبي الليل دار القلم - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤٨- **التسهيل لعلوم التنزيل :**
لمحمد بن جزي الكلبي ، المتوفى سنة ٧٤١هـ، الطبعة الثانية - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م،دار الكتاب العربي - بيروت.

٤٩- **تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد :**
لمحمد بن اسماعيل اليمني الصنعاني ، المتوفى سنة ١١٨٢هـ ، علق عليه الشيخ اسماعيل الأنصاري - الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ- المكتب الاسلامي- بيروت- لبنان.

٥٠- **التعريف بالقرآن والحديث :**
لمحمد الزفزاف - الطبعة الثانية - مكتبة الفلاح - الكويت.

٥١- **التعريفات :**
لعلي بن محمد الجرجاني، المتوفى سنة ٨٣٨هـ- الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م-دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

٥٢- **تفسير البحر المحيط :**
لأبي حيان، محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي ، المتوفى سنة ٧٥٤هـ - الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٧٣م - دار الفكر.

٥٣- **تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل :**
لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى ، المتوفى سنة ٥١٦هـ ، مطبوع مع (تفسير الخازن) - دار الفكر ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٥٤- **تفسير البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل :**
لأبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المتوفى سنة ٦٨٥هـ - مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع- بيروت.

٥٥- **تفسير أبي السعود : المسمى "ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم":**
محمد بن محمد العمادي - المتوفى سنة ٩٥١هـ - دار احياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

٥٦- تفسير سورة الأعراف :
لأحمد السيد الكومي، ومحمد سيد طنطاوي - القاهرة- مطبعة السعادة ١٣٩٦هـ.

٥٧- **تفسير ابن عباس :**
للحميدي . الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله، الناشر: جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

٥٨- **تفسير غريب القرآن :**
لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، المتوفى سنة ٢٧٦هـ، تحقيق أحمد صقر- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٥٩- **تفسير الفخر الرازي : المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب:**
لمحمد الرازي فخر الدين ابن ضياء الدين عمر ، المتوفى سنة ٦٠٤هـ - دار الفكر للطباعة والنشر- الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٦٠- **تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار :**
لمحمد رشيد رضا. المتوفى سنة ١٣٥٤هـ، دار المعرفة- بيروت- لبنان- الطبعة الثانية- معاد بالأوفست.

٦١- **تفسير القرآن العظيم لابن كثير:**
لعماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ - الطبعة الأولى- دار الأرقم- الكويت .

٦٢- **التفسير القيم :**
للإمام ابن القيم، أبي عبدالله محمد بن أبي بكر ، المتوفى سنة ٧٥١هـ، جمع : محمد أويس الندوى، وتحقيق : محمد حسان الفقي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٦٣- **تفسير النهر الماد من البحر :**
لأبي حيان : محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، المتوفى سنة ٧٥٤هـ ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م. دار الفكر- مطبوع بهامش تفسير البحر المحيط المتقدم.

٦٤- **التفسير والمفسرون :**
للدكتور محمد حسين الذهبي - الطبعة الثانية- دار الكتب الحديثة - مصر - الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

٦٥- **تقريب التهذيب :**
لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ - الناشر: دار نشر الكتب الإسلامية كوجرانولد- الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٦٦- **تلخيص المستدرك :**
للذهبي أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ، المتوفى سنة ٧٤٨هـ - مطبوع في ذيل المستدرك للحاكم.

٦٧- **تمام النعمة بالدين الكامل :**
لمحمد الأمين الشنقيطي - المتوفى سنة ١٣٩٣هـ - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - دار ابن القيم للنشر والتوزيع - الدمام.

٦٨- **تنبيه أولى الأبصار إلى كمار الدين وما في البدع من الأخطار:**
للدكتور صالح بن سعد السحيمي - الطبعة الأولى - ١٤١٠هـ - الناشر: دار ابن حزم للنشر والتوزيع - الرياض.

٦٩- **تهذيب الأسماء واللغات للنووي :**
أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووى ، المتوفى سنة ٦٧٦هـ - الناشر : شركة العلماء بمساعدة ادارة الطباعة المنيرية.

٧٠- **تهذيب التهذيب :**
لابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني ، المتوفى سنة ٨٥٢هـ - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م - دار الفكر .

٧١- **تهذيب اللغة :**
لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري - المتوفى سنة ٣٧٠هـ - الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٧٢- **توضيح المقاصدوتصحيح القواعد للشرقي:**
أحمد بن ابراهيم بن عيسى في شرح قصيدة الامام ابن القيم، الموسوعة "بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية". الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م- دمشق- المكتب الاسلامي.

٧٣- **التيسير بشرح الجامع الصغير في أحاديث المناوي :**
لزين الدين محمد بن عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الجدادي - مصور عن طبعة بولاق ١٢٨٦هـ.

٧٤- **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد :**
للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب - المتوفى سنة ١٢٣٣هـ - الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - بإشراف محمد زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت.

٧٥- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :**
للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدى ، المتوفى سنة ١٣٧٦هـ - طبع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.

- ث -

٧٦- **ثلاث رسائل في اعجاز القرآن :**
للرماني والخطابي وعبدالقاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله بالاشتراك- الطبعة الثالثة- دار المعارف بمصر.

- ج -

٧٧- **جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم :**
لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير ، المتوفى سنة ٦٠٦هـ- تحقيق عبدالقادر الأرنؤوط ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م - الناشر مكتبة الحلواني- مطبعة الملاح- مكتبة دار البيان.

٧٨- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن :**
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - المتوفى سنة ٣١٠هـ - دار الفكر - بيروت - لبنان ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

٧٩- **جامع الرسائل :**
لشيخ الاسلام ابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد عبدالحليم .المتوفى سنة٧٢٨هـ، تحقيق الدكتور/ محمد رشاد سالم، الطبعةالثانية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م- مطبعة المدني- المؤسسة السعوديةبمصر.

٨٠- **الجامع لأحكام القرآن:**
للقرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى، المتوفى سنة ٦٧١هـ- الطبعة الثانية- دار الكتاب العربي ١٣٧٢هـ- ١٩٥٢م.

٨١- **الجرح والتعديل :**
لابن أبي حاتم محمد بن ادريس الرازي الحنظلي المتوفى سنة ٣٢٧هـ - الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت- مصور عن الطبعة الهندية- تاريخ الطبع ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.

٨٢- **جمهرة أنساب العرب :**
لابن حزم: أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، المتوفى سنة ٤٥٦هـ . الطبعة الأولي ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م - دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

٨٣- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح:**
لشيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ - مطابع المجد التجارية .

٨٤- **جوامع السيرة وخمس رسائل لابن حزم:**
أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦هـ، تحقيق الدكتور/ احسان عباس بالإشتراك ومراجعة محمد شاكر- ادارة احياء السنة باكستان.

٨٥- **جواهر الأدب :**
لأحمد الهاشمي - مؤسسة المعارف - بيروت .

- ح -

٨٦- **حجة القراءات :**
لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة ، المتوفى سنة٤٠٣هـ، تحقيق سعيد الأفغاني - مؤسسة الرسالة- بيروت - لبنان- الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٨٧- **حكم وأحكام من السيرة النبوية :**
للشيخ عبدالله عبدالغني خياط - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ- ١٩٨١م - منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع.

١٨٨- **الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى :**
للدكتور محمد ربيع مدخلي - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م- مكتبة لينة للنشر والتوزيع - دمنهور - مصر .

١٨٩- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء :**
لأبي نعيم الأصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠ هـ - الناشر : دار الكتاب العربي- بيروت.

- خ -

٩٠- **الخصائص الكبرى :**
للسيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ، المتوفى سنة ٩١١هـ - دار الكتب الحديثة.

٩١- **خطر الجريمة الخلقية:**
جمع وتحقيق عبدالله بن جار الله بن ابراهيم الجارالله- الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م- مطابع دار طيبة- الرياض.

٩٢- **خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال :**
للإمام صفي الدين أحمد بن عبدالله الخزرجي تحقيق محمود عبدالوهاب فايد- الناشر مكتبة القاهرة - مصر .

- د -

٩٣- **درء تعارض العقل والنقل :**
لشيخ الاسلام ابن تيمية، أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، المتوفى سنة٧٢٨هـ - تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى- طبعة جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية- المملكة العربية السعودية- الرياض ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٩٤- **دراسة حديث (نضر الله امرءاً سمع مقالتي ..) رواية ودراية:**
بقلم الشيخ عبدالمحسن بن حمد العباد - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - مطابع الرشيد بالمدينة المنورة.

٩٥- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة:**
للحافظ ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ - تحقيق محمد سيد جاد الحق - ط. دار الكتب الحديثة - مصر.

٩٦- **الدر المنثور في التفسير المأثور :**
لعبدالرحمن جلال الدين السيوطي ، المتوفى سنة ٩١١هـ - الناشر : دار الفكر- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٩٧- **الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها:**
للدكتور أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب المصرية- القاهرة- ودار الكتاب - لبنان - بيروت.

٩٨- **دعوة الرسل إلى الله تعالى :**
لمحمد أحمد العدوي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاد بمصر- ١٣٥٤هـ- ١٩٣٥م.

٩٩- **الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان:**
لمحمد سعيد البارودي - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م- دار الوفاء للنشر والتوزيع- المملكة العربية السعودية- جدة.

١٠٠- **دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب :**
للشيخ محمد الأمين الشنقيطي المتوفى سنة١٣٩٣هـ.

١٠١- **دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية:**
جمع وتقديم وتحقيق الدكتور محمد السيد الجليند- الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م - مؤسسة علوم القرآن - سوريا- دمشق.

١٠٢- **دلائل النبوة :**
لأبي نعيم، أحمد بن عبدالله الأصبهاني، المتوفى سنة ٤٣٠هـ- عالم الكتب - بيروت.

١٠٣- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة :**
للبيهقي : أبي بكر أحمد بن الحسين المتوفى سنة ٤٥٨هـ، دقق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور عبدالمعطي قلعجي - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م - دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

١٠٤- **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين:**
لابن علامة، محمد بن علي بن محمد بن ابراهيم الصديقي، الطبعة الأخيرة ١٣٩١هـ- ١٩٧١م. تصحيح محمود حسن ربيع- القاهرة- جمعية النشر والتأليف الأزهرية- ١٣٤٧هـ .

١٠٥- **دور المنهج الرباني في الدعوة الإسلامية :**
عدنان النحوي: دار الاصلاح للطبع والنشر والتوزيع- السعودية- الدمام.

١٠٦- **ديوان أمية بن أبي الصلت :**
جمع وتحقيق ودراسة الدكتور عبدالحفيظ السلطي - الطبعة الثانية- المطبعة التعاونية - بدمشق سنة ١٩٧٧م.

١٠٧- **ديوان الحطيئة :**
بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق نعمان أمين طه سنة ١٣٧٨هـ - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر.

١٠٨- **ديوان زهير بن أبي سلمى :**
تحقيق كرم البستاني - دار صادر- بيروت - ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

- ذ -

١٠٩- **ذم اللواط :**
لأبي محمد الهيثم بن خلف الدوري - المتوفى سنة ٣٠٧هـ- مطبوع بعنوان كتابان في اللواط، تحقيق خالد علي محمد- الطبعة الأولى- ١٤٠٩هـ- مكتبة المصاحف الذهبية- الرياض.

١١٠- **الذيل على طبقات الحنابلة :**
لابن رجب ، أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي الحنبلي، المتوفى سنة ٧٥١هـ - تصحيح محمد حامد الفقي- مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢هـ- ١٩٥٢م.

- ر -

١١١- **رفع الأستار لأبطال أدلة القائلين بفناء النار:**
لمحمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني- تحقيق محمد ناصر الدين الالباني- المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

١١٢- **الروح :**
للإمام ابن قيم الجوزيه شمس الدين محمد بن أبي بكر المتوفى سنة ٧٥١هـ. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

١١٣- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:**
للآلوسي أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، المتوفى سنة ١٢٧٠هـ - دار احياء التراث العربي- بيروت.

١١٤- **روضة الناظر لابن قدامة مع شرحها :**
للشيخ محمد الأمين الشنقيط - مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.

١١٥- **الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية :**
ليزيد بن عبدالعزيز بن فياض - الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨هـ- مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

١١٦- **رياض الصالحين :**
لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي المتوفى سنة ٦٧٦هـ، تحقيق عبدالعزيز رباح بالاشتراك، مراجعة شعيب الأرنؤوط- دار المأون للتراث- الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

١١٧- **زاد المسير في علم التفسير:**
لابن الجوزي عبدالرحمن بن علي بن محمد ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ- المكتب الاسلامي- بيروت- الطبعة الثالثة- ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١١٨- **زاد المعاد في هدي خير العباد :**
لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن القيم المتوفى سنة ٧٥١هـ- الطبعة الثانية- ١٤٠١هـ- ١٩٨١م- مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.

- س -

١١٩- **سبل الهدى والرشاد في سير خير العباد :**
لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، المتوفى سنة ٩٤٢هـ - تحقيق الدكتور مصطفى عبدالواحد، الناشر : المجلس الأعلى للشؤن الاسلامية- لجنة احياء التراث الاسلامي، مصر ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

١٢٠- **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير:**
لخطيب الشربيني محمد بن أحمد، المتوفى سنة ٩٧٧هـ - القاهرة - دار الطباعة .

١٢١- **سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني :**
لمحمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ- الدار السلفية - الكويت.

١٢٢- **سنن الترمذي :**
للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ، المتوفى سنة ٢٧٩هـ - الناشر : دار الدعوة .

١٢٣- **سنن الدارمي :**
للحافظ أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل الدرامي، المتوفى سنة (٢٥٥هـ) - الناشر: دار الدعوة.

١٢٤- **سنن أبي داود:**
للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، المتوفي سنة (٢٧٥هـ) - الناشر: دار الدعوة.

١٢٥- **السنن الكبرى:**
للبيهقي الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المتوفي سنة (٤٥٨هـ) - دار المعرفة - بيروت - لبنان.

١٢٦- **سنن ابن ماجه:**
للحافظ محمد بن يزيد الربعي القزويني، المتوفي سنه (٢٧٥هـ) - الناشر: دار الدعوة.

١٢٧- **سنن النسائي :**
للحافظ أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، المتوفي سنة (٣٠٣هـ) - الناشر: دار الدعة.

١٢٨- **سير أعلام النبلاء:**
لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفي سنة (٧٤٨هـ) - تحقيق شعيب الأرنؤوط - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م - مؤسسة الرسالة - بيروت .

١٢٩- السيرة النبوية:
لابن كثير القرشي، المتوفي سنة (٧٧٤هـ) - تحقيق مصطفى عبدالواحد- دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان - ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

١٣٠- **السيرة النبوية لابن كثير :**
أبي الفداء اسماعيل إبن هشام تحقيق مصطفى السقا بالاشتراك - الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م - الناشر : مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر.

-ش-

١٣١- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب:**
لأبى الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي، المتوفي سنة (١٠٨٩هـ) . المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

١٣٢- **شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماعالصحابة والتابعين ومن بعدهم:**
للالكائي. أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، المتوفي سنة (٤١٨هـ) - تحقيق الدكتور أحمد سعيد حمدان - الناشر: دار طيبة - الرياض.

١٣٣- **شرح صحيح مسلم :**
للنووي أبي زكريا محيي الدين النووي، المتوفي سنة (٦٧٦هـ)- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

١٣٤- **شرح العقيدة الطحاوية:**
لابن أبي العز، علي بن علي بن محمد الحنفي، المتوفى سنة
تحقيق جماعة من العلماء - المكتب الاسلامي- بيروت- الطبعة.

١٣٥- **شرح العقيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصارللفرقة الناجية:**
للإمام ابن القيم شرحها وحققها الدكتور محمد خليل هراس - الناشر: دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

١٣٦- **شرح العقيد الواسطية:**
لشيخ الاسلام ابن تيمية، لمحمد خليل هراس، ومراجعة عبدالرزاق عفيفي وتعليق اسماعيل الأنصاري- مطبعة المدني- المؤسسة السعودية بمصر- القاهرة.

١٣٧- **شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري:**
للشيخ عبدالله بن محمدالغنيمان - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - مطبعة المدني - القاهرة.

١٣٨- **شرح لمعة الاعتقاد :**
لابن قدامة. للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين.

١٣٩- **شرف أصحاب الحديث :**
للحافظ أبى بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، المتوفي سنة (٤٦٣هـ) - تحقيق الدكتور محمد سعيد خطيب أوغلى - الناشر: كلية الإلهيات ، جامعة أنقرة.

١٤٠- **الشعر والشعراء:**
لابن قتيبة الدينوري، أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة المتوفي سنة ٢٧٦هـ، الطبعة الثالثة - تحقيق أحمد محمد شاكر - دار التراث العربى - ١٣٩٧هـ.

١٤١- **الشفاء - بتعريف حقوق المصطفى:**
للقاضي عياض بن موسى اليحصبى الأندلسي ، المتوفي سنة ٥٤٤هـ تحقيق محمد امية قرة علي وأخرين - مكتبة الفاربي - دمشق.

-ص-

١٤٢- **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء:**
لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، المتوفي سنة (٨٢١هـ). دار الكتب الخديوية ١٣٣١هـ- ١٩١٣م.

١٤٣- **الصحاح للجوهري:**
لإسماعيل بن حماد الجوهري المتوفي سنه ٣٩٣هـ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار - الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان.

١٤٤- **صحيح البخاري:**
للإمام الحافظ، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري المتوفي سنة (٢٥٦هـ) الناشر: دار الدعوة.

١٤٥- **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير):**
لمحمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م - المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان.

١٤٦- **صحيح سنن أبى داود:**
لمحمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م - المكتب الإسلامي - بيروت.

١٤٧- **صحيح سنن ابن ماجه:**
لمحمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م - المكتب السلامي - بيروت.

١٤٨- **صحيح مسلم:**
للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، المتوفي سنة (٢٦١هـ) الناشر: دار الدعوة.

١٤٩- **صفة الصفوة:**
لأبي الفرج بن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد، المتوفي سنة (٥٩٧هـ) - الطبعة الثالثه - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - تحقيق محمود فاخوري بالاشتراك - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

١٥٠- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع:**
لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، المتوفي سنة (٩٠٢هـ) الناشر: مكتبة الحياة - بيروت - لبنان.

-ط-

١٥١- **طبقات الحنابلة:**
لأبي الحسين ابن أبى يعلى، محمد بن محمد بن الحسين الفراء، المتوفي سنة (٢٥٦هـ) - دار المعرفة - بيروت.

١٥٢- **طبقات الشافعيه الكبرى:**
للسبكي - تاج الدين أبى النصر عبدالوهاب بن على السبكي الشافعي ، المتوفي سنة (٧٧١هـ) تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود الطناجي - الطبعة الأولى - مطبعة عيسى البابى الحلبي - القاهرة.

١٥٣- **الطبقات الكبرى لابن سعد:**
محمد بن سعد بن منيع البصري، المتوفى سنة ٢٣٠هـ- دار الفكر- بيروت.

١٥٤- **طبقات المفسرين للداودي:**
للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، المتوفي سنة (٩٤٥هـ) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٥٥- **طبقات المفسرين :**
للسيوطى جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، المتوفي سنة (٩١١هـ) دار الكتب العلميه - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٥٦- **طريق الهجرتين وباب السعادتين :**
لابن القيم ، شمس الدين محمد بن أبي بكر، المتوفي سنة (٧٥٢هـ) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

-ظ-

١٥٧- **ظلال الجنة في تخريج أحاديث السنة :**
للشيخ محمد ناصر الدين الألباني - نشر المكتب الإسلامية - بيروت.

-ع-

١٥٨- **العبودية :**
لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، المتوفي سنة (٧٢٨هـ) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٥٩- **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين :**
للعلامة الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيه، المتوفى سنة(٧٥٠)هـ تصحيح ومراجعة نعيم زرزور - دار الكتب العلميه - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٦٠- **عظمة القرآن:**
لعبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

١٦١- **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير:**
لابن سيد الناس أبي الفتح ، محمد بن محمد بن عبدالله سيد محمد بن يحيى ،المتوفي سنة (٧٣٤هـ) دار الكتب للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

١٦٢- **عيون الأخبار:**
لابن قتيبة محمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م.

-غ-

١٦٣- **غاية النهاية في طبقات القراء :**
لابن الجزري، شمس الدين أبي الخير محمد ، المتوفي سنة (٨٣٣هـ) الناشر: ج برجستراسر القاهرة - مطبعة السعادة - ١٣٥٢هـ - مكتبة الخاخجي بمصر - ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

١٦٤- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان:**
للنيسابوري نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي -تحقيق عطوه عوض - مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨١هـ - ١٣٩١هـ .

١٦٥- **غضب الله تعالى يلاحق المتمردين على الفطرة:**
لفؤاد سيد عبدالرحمن الرفاعي- الناشر: مكتبة الحصين، السعودية- بريدة.

- ف -

١٦٦- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري:**
للحافظ ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفي سنة (٨٥٢هـ) اشترك في تحقيقه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ومحمد فؤاد عبدالباقي، ومحب الدين الخطيب - نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

١٦٧- **فتح البيان في مقصد القرآن:**
للتنوحي أبي الطيب صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري - مطبعة العاصمة ١٩٦٥هـ - القاهرة.

١٦٨- **الفتح الرباني لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني:**
مختصر شرحه بلوغ الاماني من أسرار الفتح الرباني، كلاهما لأحمد عبدالرحمن البنا الشهير بالساعاتي، الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ.

١٦٩- **الفتح السماوي:**
بتخريج تفسير القاضي البيضاوي لزين الدين عبدالرؤوف المناوي ، المتوفي سنة (١٠٣١هـ) دراسة وتحقيق وتعليق أحمد مجتبى بن نذير عالم السلفي - دار العاصمة - الرياض .

١٧٠- **فتح القدير:**
للشوكاني ، محمد بن علي بن محمد، المتوفى ١٢٥٠هـ. شركة ومكتبة الحلبي بمصر- الطبعة الثانية- ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م.

١٧١- **الفتح المبين في طبقات الأصوليين:**
لعبدالله مصطفي المراغى - الطبعة الثانيه ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

١٧٢- **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد:**
للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، المتوفى سنة ١٢٨٥هـ- الناشر الرئاسة العامة لاداراة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية- ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٧٣- **الفتوحات الربانية على الأذكار النّواويَّه:**
لمحمد بن علان الصديق الشافعي، المتوفي سنة (١٠٥٧هـ) الناشر: المكتبة الإسلامية.

١٧٤- **الفرق بين الفرق:**
لعبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفرائيني التميمي ، المتوفي سنة (٤٢٩-١٠٣٧م) تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

١٧٥- **الفصل في الملل والأهواء والنحل:**
لابن حزم أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظأهري ، المتوفي سنة (٤٥٦هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية بالأوفست ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٧٦- **فضائل القرآن :**
لابن كثير ، أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، والدمشقي ، المتوفي سنة (٧٧٤هـ) الطبعة الخامسة.

١٧٧- **الفوائد**
للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٧٥١هـ) حققه محمد عثمان الخشت - الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م - الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.

١٧٨- **فيض القدير شرح الجامع الصغير:**
لمحمد بن عبدالرؤوف المناوي - المكتبة التجارية الكبرى - مصر - الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.

١٧٩- **في ظلال القرآن :**
لسيد قطب - دار الشرق - بيروت - القاهرة - الطبعة التاسعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

- ق -

١٨٠- **القاموس المحيط:**
للفيروز أبادي محمد بن يعقوب الفيروُ آبادي - مطبعة مصطفي البابي الحلبي ١٣٧١هـ.

١٨١- **قصص الأنبياء لابن كثير:**
أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، المتوفي سنة (٧٧٤هـ) تحقيق: محمد أحمد عبدالعزيز - توزيع : دار الكتاب الإسلامي - المدينة المنورة .

١٨٢- **قصص الأنبياء :**
لعبد الوهاب النجار - دار الفكر - بيروت .

١٨٣- **قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث:**
لمحمد جمال الدين القاسمي - الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٣٧٩هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - دار إحياء السنة النبوية .

١٨٤- **القواعد المثلى في صفات الله واسمائه الحسنى:**
للشيخ محمد بن صالح العثيمين - الناشر: مكتبة وتسجيلات الكوثر الإسلامية ١٤٠٦هـ.

- ك -

١٨٥- **الكامل في التاريخ:**
لابن الأثير علي بن محمد الشيباني، المتوفى سنة ٦٣٠هـ- دار صادر بيروت- ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

١٨٦- **الكامل في ضعفاء الرجال :**
لابن عدي أبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني، المتوفي سنة (٣٦٥هـ) تحقيق: لجنة من المختصين بإشراف الناشر - دار الفكر للطباعة والنشر - الطبعة الأولى - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

١٨٧- **كتاب الأسماء والصفات للبيهقي:**
أحمد بن الحسين بن علي المتوفى سنة - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م، دار الكتب العلمية- بيروت.

١٨٨- **كتاب الكشف عن وجود القراءات السبع وعللها وحججها:**
لأبي محمد بكر بن أبي طالب القيسي، المتوفى سنة ٤٣٧هـ- تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، مؤسسة الرسالة بيروت.

١٨٩- **كتاب المغازي :**
للواقدي محمد بن عمر واقد، المتوفي سنة (٢٠٧هـ) تحقيق: الدكتور مارسدن جونسى، الناشر: مؤسسة الأعظمى للمطبوعات - بيروت - لبنان.

١٩٠- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون :**
لمصطفي بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة وبكاتب حلب ، منشورات مكتبة المثنى - بيروت .

١٩١- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية:**
لأبي البقاء، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ت (١٠٩٤هـ) معجم قابله على نسخة خطيه وأعده للطبع ووضع فهارسه د/ عدنان درويش ومحمد المصيرى منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي - دمشق ١٩٧٦م.

١٩٢- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال:**
لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فورى، المتوفي سنة (٩٧٥هـ) ضبط وتصحيح بكري جباتي وصفوت السقا - الطبعة الأولى - ١٣٩٤هـ - مكتبة التراث الإسلامي - حلب .

- ل -

١٩٣- **اللباب في تهذيب الانساب :**
لعز الدين بن الأثير الجَزْري، المتوفي سنة (٦٣٠هـ) - دار صادر - بيروت.

١٩٤- **لسان العرب:**
لابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري، المتوفي سنة (٧١١هـ) دار صادر - بيروت .

١٩٥- **لسان الميزان :**
لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ. دار الفكر الفكر- الطبعة الثانية.

- م -

١٩٦- **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . لأبي الحسن علي الحسني الندوي - الطبعة السادسة - ١٣٨٥هـ - دار الكتاب العربي - بيروت .**

١٩٧- مباحث في علوم القرآن :
للدكتور صبحي الصالح - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - الطبعة الخامسة عشرة ١٩٨٣م.

١٩٨- **مباحث في علوم القرآن:**
لمناع القطان. دار غريب للطباعة - القاهرة - الطبعة الخامسة .

١٩٩- **المجروحين من الضعفاء والمتروكين :**
لابن حبان ، الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، المتوفي سنة (٣٥٤هـ) تحقيق: محمود إبراهيم زائد - الطبعة الأولى - ١٣٩٦هـ - دار الوعي - حلب.

٢٠٠- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :**
للحافظ نور الدين أبي بكر الهيثمي المتوفي سنة (٨٠٧هـ) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٢٠١- **مجموعة التوحيد وتحتوي على ست عشرة رسالة:**
لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، وشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، ونخبة من علماء المسلمين الأفاضل رحمهم الله تعالى - المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

٢٠٢- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية:**
جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد - الطبعة السعودية (تصوير) عن الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ.

٢٠٣- **المحبر:**
لمحمد بن حبيب بن أمية بن عرو الهاشمي البغدادي المتوفي سنة (٢٤٥هـ) الناشر: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت .

٢٠٤- **مختصر الأسئلة والأجوبة على العقيدة الواسطية :**
للشيخ عبدالعزيز المحمد السلمان - الطبعة العاشرة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٢٠٥- **مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم :**
للإمام محمد بن عبدالوهاب ، المتوفى سنة ١٢٠٦هـ - تحقيق محمد حامد الفقى. تحقيق محمد حامد الفقي ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م - الطبعة الرابعة- من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

٢٠٦- **مختصر الشمائل النبوية :**
للترمذي ، أبي عيسى بن سورة السلمي البوغي ، المتوفي سنة (٢٧٩هـ) إختصار وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - المكتبة الإسلامية - الأردن .

٢٠٧- **مدراج السالكين بين منازل (إياك نعبد وإياك نستعين):**
لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية ، المتوفي سنة (٧٥١هـ).

٢٠٨- **المدخل لدراسة القرآن الكريم:**
لمحمد أبي شهبة - الطبعة الثانيه - دار الكتب - القاهرة.

٢٠٩- **مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والمعتقدات:**
لأبي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري، المتوفى سنة ٤٥٦هـ. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة - منشورات - دار الآفاق الجديدة - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢١٠- **المستدرك على الصحيحين :**
للحاكم الحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري المتوفي سنة (٤٠٥هـ) الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت.

٢١١- **مشكاة المصابيح :**
للتبريزي ولي الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن الخطيب العمري - تخريج محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى - ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م - دمشق - المكتب الإسلامي ١٣٨٠ - ١٩٨٢م.

٢١٢- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:**
للرافعي، مؤلفه الفيومي أحمد بن محمد بن على المقري الفيومي، تحقيق الدكتور عبدالعظيم الشناوي - دار المعارف - القاهرة.

٢١٣- **معارج الصعود إلى تفسير سورة هود:**
لمحمد بن الأمين محمد المختار الحكبي الشنقيطي المتوفي سنة (١٣٩٣هـ) كتبه عن فضيلة المفسر الدكتور عبدالله بن أحمد قادري - الطبعة الأولى - دار الجتمع للنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية.

٢١٤- **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد:**
للشيخ حافظ بن أحمد حكمى - دار الفتح بالإسكندرية.

٢١٥- **معالم السنن :**
للخطابي أبي سليمان حمد بن محمد بنن إبراهيم المتوفي سنة (٣٨٨هـ) الناشر دار الدعوة - مطبوع مع سنن أبي داود السابق .

٢١٦- **معاني القرآن:**
للفراء يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديليمي، المتوفي سنة (٢٠٧هـ) تحقيق ومراجعة محمد علي النجار - الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٢١٧- **معجم الأدباء :**
لياقوت الحمودي شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي ، المتوفي سنة (٦٢٦هـ) تحقيق د.س مرجليوث - شرح أحمد فريد الرفاعي - دار المأمون - الطبعة الأخيرة.

٢١٨- **المعجم الأوسط:**
للطبراني الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفي سنة (٣٦٠هـ) تحقيق د. محمود الطحان - طبع مكتبة المعارف - الرياض.

٢١٩- **معجم البلدان:**
شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحمي الرومي البغدادي المتوفي سنة (٦٢٦هـ) دار صادر - بيروت.

٢٢٠- **المعجم الكبير:**
للطبراني للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفي سنة (٣٦٠هـ) طبعة وزارة الأوقاف العراقية - إحياء التراث الإسلامي .

٢٢١- **المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم :**
إعداد وترتيب عبدالعزيز عز الدين السيروان - دار العلم للملاين - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

٢٢٢- **معجم معالم الحجاز:**
لعاتق بن غيث البلادي، دار مكة للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى.

٢٢٣- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي:
إعداد جماعة من المستشرقين مع مشاركة محمد فؤأد عبدالباقي - مطبعة بريل في مدينة لندن ١٩٥٥م.

٢٢٤- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن:
محمد فؤاد عبدالباقي ، تصوير دار إحياء التراث العربي .

٢٢٥- المعلقات العشر وأخبار قائليها:
للشنقيطي - أحمد بن الأمين، الطبعة الثالثة- القاهرة- المطبعة الرحمانية ١٣٣٨هـ.

٢٢٦- المغني في أصول الفقه :
لعمل بن عمر الخباري - تحقيق د. مظهر بغا.

٢٢٧- مفتاح دار السعادة:
لابن القيم ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ، المتوفى سنة (٧٥١)هـ - دار الكتب العلمية .

٢٢٨- المفردات في غريب القرآن:
للأصفهاني، أبى القاسم الحسين بن محمد المتوفي سنة ٥٠٢هـ - دار المعرفه للطباعة والنشر - بيروت - تحقيق محمد سيد كيلاني.

٢٢٩- من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم:
للشيخ عبدالمحسن بن حمد العباد - الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ - الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.

٢٣٠- مناقب الإمام الشافعي:
لفخر الدين الرازي محمد بن عمر الحسين المتوفي سنه (٦٠٦هـ) تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا - الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٣١- مناقب الإمام الشافعي:
لفخر الدين الرازي. محمد بن عمر الحسين. المتوفي سنة ٦٠٦هـ - تحقيق د/ أحمد حجازي السقا - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة- الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٣٢- **مناهج الجدل في القرآن الكريم :**
للدكتور زاهر بن عواض الألمعي - مطابع الفرزدق التجاريه - الرياض.

٢٣٣- **مناهل العرفان في علوم القرآن:**
لمحمد عبدالعظيم الزرقاني - دار الفكر .

٢٣٤- **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى فيه الحكمة والعقل:**
للدكتور ربيع بن هادي المدخلي - الدار السلفية - الكويت - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٣٥- **منهج الدعوة الإسلامية في البناء الإجتماعى على ضوء ما جاء في سورة الحجرات:**
لمحمد بن محمد بن الأمين الأنصاري - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - مكتبة الأنصار - الرياض.

٢٣٦- **منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان :**
للدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهى - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٢٣٧- **منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات :**
لمحمد بن الأمين الشنقيطى المتوفي سنه ١٣٩٣هـ - من مطبوعات الجامعة الأسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠١هـ.

٢٣٨- **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان :**
للهيثمي، الحافظ نور الدين على بن أبي بكر، المتوفي سنة (٨٠٧هـ) حققه ونشره : محمد عبدالرزاق حمزة، دار الكتاب العربي - بيروت.

٢٣٩- **موارد الظمآن لدروس الزمان:**
للشيخ عبدالعزيز المحمد السلمان - رئاسة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد - الرياض - المملكة العربية السعودية - الطبعة الحادية عشر - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٤٠- **الموافقات في أصول الأحكام :**
لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، المتوفي سنة (٧٩٠هـ) شرح وتعليق الأستاذ محمد الشيخ عبدالله دراز - المكتبة التجارية الكبرى - مصر .

٢٤١- **الموطأ :**
للإمام أبي عبدالله مالك بن أنس رضي الله عنه - الناشر: دار الدعوة.

٢٤٢- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال :**
للذهبي الحافظ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، المتوفي سنة (٧٤٨هـ) تحقيق علي محمد البجاوي - الناشر: دار المعرفة - بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٣٨٢هـ.

- ن -

٢٤٣- **النبأ العظيم :**
لمحمد عبدالله دراز - مطبعة السعادة - ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

٢٤٤- **النبوات :**
للإمام العلامة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - دار القلم - بيروت - لبنان.

٢٤٥- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:**
لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي المتوفي سنة (٨٧٤هـ) نسخة مصورة عن سبعة دار الكتب - وزارة الثقافة والارشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر.

٢٤٦- **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر:**
لابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن ، المتوفي سنة (٥٩٧هـ) دراسة وتحقيق محمد عبدالكريم كاظم الراحضي - مؤسسو الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - بيروت - لبنان.

٢٤٧- **نزهة الألباء:**
للأنباري أبى البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد المتوفي سنة ٥٧٧هـ - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - دار نهضة مصر - ١٣٨٦ - ١٩٦٧م القاهرة.

٢٤٨- **نسب قريش:**
للزبيري أبي عبدالله مصعب بن عبدالله مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوام صححه وعلق عليه ليفي بروفتنتال - الطبعة الثانية - القاهرة - المعارف ١٩٧٦م.

٢٤٩- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب:**
لشيخ الاندلس أحمد بن محمد التلمساني - تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد - نشر دار الكتاب العربي - بيروت - لنان.

٢٥٠- **النهاية في غريب الحديث لابن الأثير:**
المبارك بن محمد بن بك عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني ، الجزري. المتوفي سنة ٦٠٦هـ - تحقيق طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي - دار الفكر

٢٥١- **النهج السديد في تخريج أحاديث تفسير العزيز الحميد:**
لأبي سليمان جاسم الفهيد الدوسري - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.

٢٥٢- **نيل الوطر عن تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر من هجرة سيد البشر صلى الله عليه وسلم :**
لمحمد بن محمد بن يحيي زباره الحسنى اليمني الصنغاني - المطبعة السلفية ومكتبتها.

- هـ -

٢٥٣- **هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة :**
للشيخ علي محفوظ - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

٢٥٤- **هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين:**
لإسماعيل باشا البغدادي.

- و -

٢٥٥- **الوحي المحمدي :**
لمحمد رشيد رضا - المكتب الإسلامي - الطبعة التاسعة - ١٣٩٩ - ١٩٧٩م - بيروت.

٢٥٦- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:**
لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان المتوفي سنة (٦٨١هـ) حققه الدكتور إحسان عباس - دار صادر - بيروت - ١٩٧٠م.

(٦)

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥ - ١٨	- المقدمة
١٩	- التمهيد:
	أ- تعريف الدعوة لغة واصطلاحا
٢٠	- تعريف الدعوة لغة
٢٠	- تعريف الدعوة اصطلاحاً
٢١	- تعريف الدعوة كعلم مصطلح قائم بذاته
٢٢	- تعريف الدعوة كدين
٢٥	ب - حاجة البشرية لارسال الرسل عليهم السلام
٣٣	ج - أهمية الدعوة إلى الله وبيان فضلها
٤٥	د - في الظروف والملابسات التي نزلت فيها سورة هود عليه السلام
٤٧	هـ - في المقارنة بين منهج هذه السورة في الدعوة إلى الله تعالى ومناهج بعض السور المتشابهة
٥٢	و - الحكمة من تكرار القصص في القرآن وبيان مقاصد إيراد قصص الرسل عليهم السلام مع أممهم في القرآن الكريم

الصفحة	الموضوع
	الباب الأول
٥٦	ـ أسس الدعوة إلى الله تعالى كما تجليها السورة:
	الفصل الأول:
٥٧	ـ الدعوة إلى الله تعالى صادرة من لدن حكيم خبير
٥٧	ـ في بيان الحروف المقطعة من حيث المعنى
٥٨	ـ في الحكمة من ورودها في القرآن الكريم
٦٠	ـ في بيان ما يتعلق بالكتاب والإحكام
٦٤	ـ في بيان التفصيل
٦٩	ـ ما دل عليه قول الله تعالى ﴿من لدن حكيم خبير﴾
٧٠	ـ ما دل عليه قوله تعالى ﴿حكيم﴾
٧٠	ـ في بيان حكمة الله تعالى في خلقه.
٧٠	ـ في بيان حكمة الله تعالى في دعوته.
٧١	ـ في بيان حكمة الله تعالى في شرعه
٧٢	ـ في بيان حكمة الله تعالى في معاملته لخلقه.
٧٤	ـ ما دل عليه قوله تعالى ﴿خبير﴾
	ـ في دلالة الآية على أن التفصيل من لدن ﴿خبير﴾
٧٥	ـ أ- في تفصيل الكتاب
٧٥	ـ ب- تفصيل الآيات لهداية العباد إلى صراط الله المستقيم
٧٦	ـ ج - التفصيل لبيان الحلال والحرام
٧٧	ـ د- التفصيل في الأنفس
٧٧	ـ هـ- التفصيل لبيان عاقبة المؤمنين
٧٨	ـ و- التفصيل لبيان عاقبة المعرضين عن الدعوة

الصفحة	الموضوع
	الفصل الثاني:
٧٩	ـ الدعوة إلى الله تعالى مصدرها الوحي لا الاجتهاد البشري
٨٠	ـ توطئة.
٨٠	ـ في بيان أن مضمون الوحي الكتاب والسنة
٨١	ـ إيضاح ابن القيم لمراتب الدعوة
٨٢	ـ في بيان أن الرسول ﷺ إنما يأمر وينذر بالوحي
٨٢	ـ في نزول الوحي مؤيداً للرسول ﷺ ومثبتاً لفؤاده على أمر الرسالة
٨٤	ـ في إقامة البرهان بالوحي على صدق الرسول ﷺ في دعوته
٨٥	ـ في بيان أن الوحي مصدر الرسالات جميعاً
٩٠	ـ بيان مسألة اجتهاد الأنبياء عليهم السلام
	الفصل الثالث:
	الدعوة إلى الله تعالى وموافقتها للفطرة
٩٣	ـ في المقصود بالفطرة وبيان معناها
٩٤	ـ أن الله تعالى فطر عبادة على توحيده
٩٥	ـ في الأمر بلزوم الفطرة
٩٨	ـ وتصحيحها بالتوبة
١٠٠	ـ في تعاضد الأمر والنهي لتزكية الفطرة وحمايتها:
	أ- في جانب النهي
١٠٠	ـ ١- التحذير من الطغيان
١٠٢	ـ ٢- التحذير من الركون إلى الظالمين

الصفحة	الموضوع
١٠٥	ب- في جانب الأمر
١٠٧	- في الحث على الطاعة وإرشاد المذنبين إلى ما يمحو خطاياهم
١٠٩	- شروط التوبة
١١٠	- في الأمر بالصبر
	الفصل الرابع
١١٢	* تفرد الله تعالى بالخلق والأمر وصلة ذلك بأصول الدعوة
١١٣	- بيان معنى الخلق
١١٥	- في جعل الله عز وجل عرشه على الماء ودليل ذلك على كمال قدرته وأنه جل وعلا لا يعجزه شيء
١١٦	- في بيان أن من أكبر آيات الله الدالة على وحدانيته وقدرته خلق السموات والأرض
١١٩	- الصلة بين صفة الخالقية والعبادة
١٢١	- قضية الأمر
١٢١	- أن أعظم ما أمر الله به التوحيد وأعظم ما نهى الله عنه الشرك
١٢١	- أن الله تعالى له الأمر كله
	الفصل الخامس
١٢٣	عقيدة المعاد وصلتها بأهداف الدعوة
١٢٥	- في قدرة الله تعالى على ارجاع الخلائق اليه وبعثها بعد الموت
١٢٦	- في معنى الرجوع، والمعاد، والبعث، والنشور

الصفحة	الموضوع
١٢٩	- في تقرير ثواب المطيع وعقاب العاصي
١٣٢	- في إقامة القرآن الكريم البراهين المتعددة لبيان قدرة الخالق على البعث والنشور
١٣٣	١- بخلق الله جل وعلا للسموات والأرض
١٣٤	٢- واحياء الله تعالى الأرض بعد موتها
١٣٥	٣- قياس النشأة الآخرة على النشأة الأولى
١٣٥	٤- في نوم الإنسان ويقظته
١٣٥	٥- فيما أراه الله عز وجل أنبياءه عليه السلام وأجراه على أيديهم كما يتضح في:
١٣٥	- إماتة الله المعاندين من قوم موسى عليه السلام وإحيائهم.
١٣٦	- في إحياء الله عز وجل قتيل بني اسرائيل
١٣٦	- في إماتة الله عز وجل للألوف الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت
١٣٧	- في إماتة الله تعالى وإحياء من استبعد إحياء الله جل وعلا للقريه الخاوية على عروشها
١٣٧	- فيما أراه الله عز وجل خليله إبراهيم عليه السلام من قدرته على إحياء الموتى
١٣٨	* في رد القرآن الكريم على منكري البعث ودحض شبههم
١٤٠	* أثر الإيمان بالبعث والنشور في إصلاح أحوال الناس في دنياهم وأخراهم

الصفحة	الموضوع
	الفصل السادس
١٤٦	**بيان شدة فقر الإنسان إلى خالقه**
١٤٧	- أن أرزاق بني آدم مكتوبة واصلة إليهم فكل يأخذ نصيبه وما كتب له
١٤٩	- تذكير الله عز وجل خلقه بفقرهم وحاجتهم إليه.
١٥٠	- تهديد الكفار بأن الله الذي يرزقهم يعلم ما تنطوي عليه نفوسهم
١٥١	- أن المؤمن يجمع الله له بين الرزق في الدنيا والنعيم في الآخرة وأما الكافر فمآله إلى العذاب.
	الفصل السابع
١٥٣	**الإبتلاء بالنعم والنقم من ضروب التذكير بالله تعالى:**
١٥٤	- في معنى الابتلاء وأنواعه
١٥٧	* شروط قبول العمل:
	- أن يكون خالصا لله
	- وعلى شريعة رسول الله ﷺ
١٥٧	**في أنواع الإبتلاء:**
١٥٧	- النوع الأول: الإبتلاء العام
١٥٧	- النوع الثاني: الإبتلاء بالنعم والنقم
١٥٨	- النوع الثالث: الإبتلاء بالنعم
١٥٨	- النوع الرابع: بالإبتلاء بالنقم
١٥٩	- عموم الابتلاء وتفاوت الناس فيه
١٥٩	- ابتلاء الأنبياء عليهم السلام

الصفحة	الموضوع
١٦١	- الإبتلاء في جانب المدعوين
١٦٣	- الابتلاء بالأوامر والنواهي
١٦٧	- في المراد بالإنسان في قوله : ﴿ولئن أذقنا الإنسن منا رحمة﴾
	- في بيان أن موقف الكافر من الابتلاء:
١٦٩-١٧١	* يأس وكفر عند امتحانه بالضراء
	* وفرح وفخر عند ابتلائه بالنعماء
١٧١	- في بيان موقف المؤمن من الابتلاء.
١٧٤	- في بيان الفئة الخاسرة في دار الابتلاء
	الفصل الثامن
١٧٨	**في تأييد الله عز وجل لرسله عليهم السلام في دعوتهم**
١٧٩	- في البينة ومعناها
١٧٩	- في تنوع الدلائل والبراهين التي أيد الله تعالى بها رسله عليهم السلام:
١٨٠	أولاً : في الآيات التي جعلها الله عز وجل للرسل عليهم السلام أنفسهم
١٨٢	ثانياً: فيما جرت به سنة الله تعالى في اصطفاء رسله عليهم السلام
١٨٥	ثالثا: في حفظ الله تعالى لفطرة رسله عليهم السلام
١٩١	رابعاً: في دلالة خلق الرسول ﷺ على صدقه
١٩٢	خامسا: في دلالة قول الرسول ﷺ على صدقه
١٩٣	سادساً: في أن دعوة الرسول ﷺ فيها الدليل على صدقه

الصفحة	الموضوع
١٩٦	سابعاً: الدلالة على صدق الرسول ﷺ في أتباعه
١٩٧	ثامناً: فيما أيد الله عز وجل به رسله عليهم السلام من :
	- الحجج القولية
	- والمعجزات الحسية مثل:
١٩٨	– معجزة صالح عليه السلام
١٩٨	– معجزة موسى عليه السلام
١٩٩	– معجزة عيسى عليه السلام
١٩٩	- في بيان أن الله عز وجل قد أعطى رسوله ﷺ من الآيات ما لم يعطه نبيا قبله وهي على نوعين:
٢٠٠	١– منها ما مضى وصار معلوماً بالخبر
٢٠٠	٢– ومنها ما هو باق إلى اليوم كالقرآن الكريم
٢٠٠	- في تحدى المعاندين بالقرآن
	- بيان أوجه إعجاز القرآن المتعددة.:
٢٠٧	١– إعجاز القرآن البياني
٢٠٧	٢– تأثير القرآن في القلوب
٢١٠	- في محاولة قريش صد الناس عن سماع القرآن
٢١٠	- في شهادة الجن بصدق ما أنزل على الرسول ﷺ لمَّا سمعو آياته
٢١٢	٣– إعجاز القرآن في إخباره بالأمور المستقبلية
٢١٣	٤– إعجاز القرآن العلمي
٢١٣	٥– في بقاء معجزة القرآن الكريم
٢١٥	تاسعاً: في تأييد الله عز وجل لرسله بحسن العاقبة

الصفحة	الموضوع
	الباب الثاني
٢١٧	مواقف الرسل مع أممهم من خلال هذه السورة :
	الفصل الأول:
٢١٨	ـ دعوة نوح عليه السلام
٢٢٠	* أولاً : في التعريف بالنبي عليه السلام وقومه
٢٢٠	ـ نسبه عليه السلام
٢٢٠	* كونه أول رسول إلى أهل الأرض بعد حدوث الشرك
٢٢٠	ـ الدليل على ذلك من الكتاب
٢٢١	ـ ومن السنة
٢٢٢	ـ في الجمع بين أولوية نوح عليه السلام في الرسالة مع ما ثبت أن آدم عليه السلام نبي
٢٢٣	ـ في انحراف قومه عن التوحيد
٢٢٧	* ثانياً: دعوته عليه الصلاة والسلام
٢٢٧	ـ أسلوبه في الدعوة
٢٢٩	* ثالثاً: موقف قومه من دعوته عليه السلام
	ـ الشبه التي أثاروها :
٢٣٠	ـ الشبهة الأولى: أن الرسول بشر
٢٣٠	ـ الشبهة الثانية: انتقاص أتباع الرسول واحتقارهم
٢٣١	ـ الشبهة الثالثة: عدم رؤية فضل للرسول وأتباعه
٢٣١	ـ الشبهة الرابعة: الشك في صدق رسولهم

الصفحة	الموضوع
٢٣٢	* رابعاً : في موقف نوح عليه السلام من هذه الشبهات :
٢٣٢	- إعلانه عليه السلام وضوح صدقه في دعوته لكونه على بينة من ربه
٢٣٣	- إعلانه عليه السلام تجرد دعوته عن المطامع الدنيوية
٢٣٣	- إعلانه عليه السلام تساوي الجميع أمام دعوته
٢٣٤	- في التذكير بنصر الله تعالى لمن أطاعه
٢٣٥	- في التذكير بحكمة الله تعالى فى معاملته لخلقه
٢٣٦	* خامساً: في موقف قومه بعد إقامة الحجة عليهم
٢٣٦	- عدِّهم نصح الرسول عليه السلام من قبيل الجدل
٢٣٧	* سادساً : في رده عليه السلام على استعجال قومه واستهزائهم بدعوته
٢٣٧	* سابعاً : في تيئيس الله تعالى لنبيه عليه السلام من إيمان قومه
٢٣٨	* ثامناً : في تسلية الرسول عليه السلام بالإنتقام من مكذبيه.
٢٣٩	* تاسعاً : في المفاصلة بينه وبين قومه
٢٣٩	أ- في أمره بصنع السفينة
٢٣٩	ب- في نهيه عن الشفاعة في الظالمين
٢٤٠	* عاشراً : في صنعه - عليه السلام - السفينة واستمرار قومه في العناد
٢٤٢	* الحادي عشر: التهديد بالعذاب
٢٤٣	* الثاني عشر: في الاشعار ببدء ساعة الهلاك
٢٤٤	* الثالث عشر: في أمره بالأخذ بأسباب النجاة
٢٤٥	* الرابع عشر: في ركوب السفينة وجريانها
٢٤٦	* الخامس عشر: في موقف نوح عليه السلام من ابنه
٢٤٨	* السادس عشر: في اصرار ابن نوح على كفره واستمرار نبي الله - نوح عليه السلام - في نصحه له
٢٥٠	* السابع عشر: في سؤال نوح عليه السلام ربه نجاة ابنه

الصفحة	الموضوع
٢٥٢	* الثامن عشر: أمر الله تعالى برفع ماء الطوفان
٢٥٤	* التاسع عشر: في رفع الله تعالى لنبيه نوح عليه السلام لمقام العارفين
٢٥٥	* العشـــرون: في اعتذار نوح لربه جل وعلا
	الفصل الثـاني
٢٥٧	- **دعوة هود عليه السلام**
٢٥٨	- توطئة
٢٥٩	* نسبه عليه السلام
٢٥٩	* في التعريف بعاد
٢٦١	* دعوته عليه السلام:
٢٦١	- الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده
٢٦١	- في التحذير من الافتراء
٢٦٢	* في اعلانه عليه السلام طلب الأجر من ربه
٢٦٢	- ترغيبه عليه السلام قومه في الإيمان بالله تعالى.
٢٦٤	- والتذكير بنعم الله تعالى
٢٦٥	- التحذير من التولى عن الدعوة
٢٦٧	* في موقف قومه من دعوته:
٢٦٩	- جحودهم لبينته عليه السلام
٢٦٩	- الإصرار على الكفر
٢٦٩	- في عقد العزم على تكذيب الرسول عليه السلام
٢٧٠	- إعلانهم تقديس آلهتهم

الصفحة	الموضوع
٢٧٠	* في تحدي هود عليه السلام لقومه وإقامته البرهان على صدقه:
٢٧٠	- ببراءته عليه السلام من كل ما يعبدون من دون الله تعالى.
٢٧٠	- بتحديه عليه السلام لقومه بطلب الكيد له وعدم إنظاره
٢٧١	* في إعلانه عليه السلام توكله على ربه
٢٧٣	* إعلانه عليه السلام إقامة الحجة على قومه
٢٧٣	* التهديد بعذاب الاستئصال
٢٧٤	* في المفاصلة بين هود عليه السلام وقومه
٢٧٩	* في بيان أسباب هلاكهم
٢٧٩	- جحودهم لآيات الله
٢٨٠	- عصيانهم لرسله
٢٨٠	- واتباعهم أمر كل جبار عنيد
٢٨١	* في بيان تتابع سخط الله تعالى وغضبه عليهم
	الفصل الثالث
	- دعوة صالح عليه السلام
٢٨٤	* **ثمود:** نسبهم ومساكنهم
٢٨٥	* عقيدة قوم ثمود قبل بعثه صالح عليه السلام
٢٨٥	* في نسب نبي الله صالح عليه السلام
	* في دعوته عليه السلام:
٢٨٥	- الدعوة إلى توحيد الله تعالى
٢٨٦	- التذكير بالخالق وقدرته
٢٨٧	- التذكير بنعمة الاستعمار في الأرض
٢٨٩	- الترغيب في الاستغفار والتوبة

الصفحة	الموضوع
	* موقف قومه من دعوته:
٢٩١	- محاولة قومه توهين عزيمته عليه السلام
٢٩	- الإصرار على تقليد الآباء في كفرهم
٢٩٢	- التصميم على الكفر
	* موقف صالح عليه السلام من قومه:
٢٩٢	- تحذيره عليه السلام لقومه عاقبة إعراضهم عن دعوته
٢٩٥	- في إقامة الحجة على قومه بالمعجزة الحسية
٢٩٦	- في تحذيره عليه السلام لقومه من عقر الناقة
٢٩٧	- في نقضهم العهد وعقرهم الناقة
٢٩٩	* في امتنان الله تعالى بانجائه المؤمنين وإهلاك الكافرين
٣٠١	* في بيان عذاب الظالمين
	الفصل الرابع
٣٠٣	**- دعوة إبراهيم عليه السلام**
٣٠٤	* نسبه عليه السلام
٣٠٤	- في وجه ذكر خبر إبراهيم في سورة هود دون مثيلاتها من السور
٣٠٦	- عرض لما تضمنته آيات السورة في خبر إبراهيم مع الملائكة:
٣٠٦	- في قدوم الملائكة عليهم السلام
٣٠٧	- في اكرامه عليه السلام لأضيافه ومن ثم ايجاسه منهم
٣٠٨	- في كشف الملائكة عن شخصيتهم، وبيان مهمتهم
٣٠٩	- في معنى (الضحك) قي قوله ﴿فضحكت﴾
٣٠٩	- في البشارة بإسحاق عليه السلام وتحقيق القول في الذبيح

الصفحة	الموضوع
٣١٠	- في الدلالة على أن الذبيح إنما هو اسماعيل عليه السلام
٣١١	- في تعجب زوجة الخليل عليه السلام من البشارة
٣١١	- في المراد بالتعجب
٣١١-٣١٢	- في معنى قوله تعالى : ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾
٣١٢	- في مجادلة نبي الله إبراهيم عليه السلام عن قوم لوط
٣١٣	- في ثناء الله على خليله إبراهيم عليه السلام
	الفصل الخامس
٣١٤	**- دعوة لوط عليه السلام**
٣١٧	- نسبه عليه السلام
٣١٧	- قومه عليه السلام
٣١٨	- معتقد قومه ومعصيتهم
	* دعوته عليه السلام
٣١٩	أ- الدعوة إلى توحيد الله تعالى وبيان هل في القوم شرك
٣١٩	- إلى جانب فعل الفاحشة أم لا؟ وإيراد أقوال العلماء في ذلك
٣٢٣	ب- نهيه عليه السلام قومه عن ارتكاب الفاحشة
٣٣١	* موقف قومه من دعوته:
٣٣١	أ- جحودهم لأمر التشريع
٢٣٢	ب- تهديده عليه السلام بالإخراج
٣٣٣	- بيان أن التهديد بالإخراج هو ديدن أهل الباطل

الصفحة	الموضوع
٣٣٤	- تبجحهم باحتقار الفضيلة وأهلها
٣٣٤	- سخريتهم بالرسول عليه السلام وذمه بالتطهر
٣٣٤	- في المراد بقوله ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾
٣٣٥	- في بيان دركات أهل الفسق والفجور
٣٣٦	* استعجال المكذبين بالعذاب
٣٣٦	* في طلب لوط عليه السلام نصر ربه
٣٣٧	* في استجابة الله تعالى سؤل نبيه عليه السلام
٣٣٧	* في قدوم الملائكة لإهلاك المكذبين من قومه
٣٣٨	* في استيائه عليه السلام من مجيء الأضياف وسببه
٣٤٠	* موقف قومه من أضيافه
٣٤٢	* في مدافعة لوط عليه السلام عن أضيافه وإرشاده ونصحه لقومه ﴿هن أطهر لكم﴾
٣٤٣	- في المراد بالعَرْض في قوله : ﴿هؤلاء بناتي﴾ وهل هو على حقيقته؟
٣٤٣	- في المراد بقوله : ﴿بناتي﴾ ، وهل هن بناته لصلبه أو عني عليه السلام نساء أمته؟
٣٤٥	- في قوله : ﴿أطهر﴾ وهل المراد به التفضيل؟
٣٤٦	* تذكيره عليه السلام قومه بتقوى الله تعالى
٣٤٧	* موقف قومه عليه السلام من وعظه ونصحه
٣٤٧	- أ- إعراضهم عن نصحه عليه السلام وإرشاده
٣٤٨	- ب- شهادتهم على أنفسهم بتأصل الجريمة في نفوسهم
٣٤٨	- إظهاره عليه السلام اشتداد كربه ونفاذ وسعه في المدافعة عن أضيافه
٣٤٩	- في المراد بقوله ﷺ : (يرحم الله لوطا)

الصفحة	الموضوع
٣٥١	* في فصل الملائكة عليه السلام للموقف وتطمينه عليه السلام بأن أعداءه لن يصلوا إليه
٣٥١	- في طمس الملائكة عليه السلام لأعين الذين تدافعوا بباب نبي الله لوط عليه السلام ابتداءً
٣٥٢	- في أمره بالاسراء بأهله ليلاً
٣٥٢	- في معنى قوله (ولا يلتفت) وتوجيه الاستثناء في كل قراءة
٣٥٤	* صفة هلاك ظلامي قوم لوط
٣٥٥	* في خطر جريمة الفاحشة على الفرد والمجتمع
٣٥٧	* في علاج الإسلام لهذه الفاحشة الشنعاء والجريمة النكراء
	الفصل السادس
٣٥٩	**دعوة شعيب عليه السلام**
٣٦٠	* في نسبه عليه السلام
٣٦٠	* في التعريف بقومه
٣٦٢	* عقيدة قوم شعيب
	* دعوته عليه السلام
٣٦٣	- الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده
٣٦٣	- النهي عن البخس والتطفيف في الكيل والوزن
٣٦٤	- في الأمر بالإيفاء
٣٦٥	- في النهي عن بخس الناس أشياءهم
٣٦٦	- في أنواع البخس

الصفحة	الموضوع
٣٦٧	- البخس يكون في المحسوسات
٣٦٧	- ويكون في المعنويات
٣٦٧	- من صور البخس المعنوي :
٣٦٧	١ - أن يبخس الناس أقدارهم
٣٦٧	٢ - أن ننال من فضل ذوي الفضل
٣٦٧	٣ - أن نطعن بغير بينة في علم أهل العلم حقداً أو حسداً
٣٦٧	- النهي عن العياث في الأرض فساداً
٣٦٨	- تذكيره عليه السلام قومه بما ينعمون به من خير من ربهم
٣٧٠	- تخويف قومه بالعذاب إن أعرضوا
٣٧١	* الترغيب في الوفاء بوعدهم بما ينالون من حظ في الدنيا والآخرة:
٣٧١	**- في الدنيا ديمومة التجارة والبركة في الأرباح**
٢٧٢	**- وفي الآخرة يوفيهم الله أجورهم لاتباعهم الصالحات**
٣٧٣	- التهديد إن أعرضوا ﴿وما أنا عليهم بحفيظ﴾
	* موقف قومه من نصحه عليه السلام وإرشاده :
٣٧٣	- الاستهزاء بالدعوة
٣٧٤	- الاستهزاء بالدين
٣٧٤	- الاستهزاء بشخصه عليه السلام
	* في موقفه عليه السلام من عناد قومه:
٣٧٥	- إعلانه عليه السلام وضوح دعوته وكونه على بينة من ربه
٣٧٦	- إقامة البرهان على خير ما يدعو إليه
٣٧٧	- إعلانه عليه السلام الالتزام الكامل بما يدعوهم إليه
٣٧٩	- بيانه عليه السلام الهدف من دعوته

الصفحة	الموضوع
٣٧٩	* التهديد بعذاب الاستئصال
٣٨٠	* الترغيب في الأخذ بأسباب الخلاص من العذاب
٣٨١	* في عناد قومه :
٣٨١	- ادعاؤهم عدم فقه كلامه عليه السلام
٣٨٢	- احتقار شخصه عليه السلام
٣٨٢	- تهديده عليه السلام بالرجم
٣٨٣	- وتأكيد احتقاره
٣٨٣	* في موقفه عليه السلام من عناد قومه
٣٨٣	- إنذارهم عاقبة عملهم وكفرهم واعراضهم
٣٨٦	* في إنجاء الله تعالى من آمن واهلاك من كفر
	الفصل السابع
٣٨٨	**دعوة موسى عليه السلام**
٣٨٩	- عرض لدعوته عليه السلام
	* **التعريف بالرسول عليه السلام :**
٣٩١	- نسبه عليه السلام
٣٩١	- اصطفاؤه عليه السلام بالرسالة
٣٩٢	- بدؤه بالوحي
٣٩٤	* التعريف بالمرسل إليه: وهو فرعون
٣٩٦	- عتوه وطغيانه

الصفحة	الموضوع
	* في التعريف بملأ فرعون
	* **بيان دعوة نبي الله موسى عليه السلام وتأييد الله تعالى له بالآيات وتشمل:**
٣٩٧	أ- الآيات القولية
٣٩٧	ب- الأيات الحسية
٣٩٧	- في المراد بالسلطان المبين
٣٩٨	- في بيان الآيات القولية
٣٩٨	- في بيان الآيات الحسية
٤٠٠	* في موقف فرعون من دعوة موسى عليه السلام
٤٠١	- عده الآيات سحراً
٤٠١	- تحريض فرعون ملأ قبطه على مخالفة موسى عليه السلام وموافقة الملأ لفرعون
٤٠٢	- في استعانة فرعون بالسحرة لابطال معجزة موسى عليه السلام
٤٠٢	- في إقامة الحجة على فرعون بإيمان السحرة
٤٠٤	- في إعراض فرعون وتوعده بمن آمن شرا
٤٠٦	* في تحريض الملأ لفرعون على التنكيل بموسى عليه السلام وأتباعه
٤٠٧	* في تتابع آيات العذاب عليهم وموقفهم منها
٤٠٨	* في ذم الله تعالى لفرعون وملئه
٤١٠	* في بيان أوجه انسلاخ الرشد عن فرعون ونفيه عنه
٤١٠	- من جهة كفره وادعائه الألوهية من دون الله تعالى
٤١٠	- من جهة ادعائه الربوبية
٤١١	- من جهة استخفافه بالرسول عليه السلام

الصفحة	الموضوع
٤١١	- من جهة استبداده بأمر الناس
٤١١	- من جهة عاقبته
٤١١	* في تجهيل متبعي فرعون
٤١٢	* في اثبات الرشد لموسى عليه السلام
٤١٣	* في سوء عاقبة فرعون وأتباعه
٤١٣	- في ذم الله تعالى الورد الذي ورده فرعون وقومه
٤١٣	- بيان أن الورد في القرآن يأتي على أربعة أوجه:
٤١٥	* في ذم الله تعالى لفرعون وملئه وترادف اللعنة عليهم
	الباب الثالث
	دعوة الرسل عليهم السلام واحدة (وجوه التشابه والاتفاق)
	الفصل الأول
٤١٨	**- الدعوة إلى توحيد الله تعالى**
٤١٩	- بيان أن الدعوة إلى توحيد الله تعالى هي أصل الدين وجماع دعوة المرسلين
٤٢١	- في معنى العبادة لغة وشرعاً.
٤٢٢	- في بيان أن الأمر بعبادة الله يراد به التوحيد والأدلة على ذلك
٤٢٣	* في أقسام التوحيد
٤٢٤	- وبيان أن غالب سور القرآن شاهدة به داعية إليه
٤٢٤	*** في توحيد الألوهية أو توحيد العبادة**
٤٢٥	- وبيان أن توحيد الألوهية أساس التوحيد كله وأصله الذي ترجع إليه سائر أنواعه

الصفحة	الموضوع
٤٣٠	* توحيد الربوبية
٤٣٧	- موقف الامم من توحيد الربوبية
	* توحيد الأسماء والصفات
٤٣٧ - ٤٤٠	- مضمونه وأهميته
	- وبيان ما يجب على العبد تجاه أسماء الله وصفاته
	الفصل الثاني
٤٤١	- الدعوة إلى الله تعالى بشارة وإنذار
٤٤٢	- في ارتباط الأمر والنهي بالبشارة والإنذار
٤٤٣	- في معنى الانذار
٤٤٣	- في معنى البشارة
٤٤٥	* في الغرض من الإنذار
٤٤٥	- وأنه جاء من أوليات المنهج في الدعوة إلى الله تعالى
٤٤٥	- مواقفة الإنذار لما ركز في الإنسان من فطرة
٤٤٦	- وما عليه القوم من حال
٤٤٦	* في وجه الإقتصار على الإنذار دون البشارة في بعض الأحوال
٤٤٦	- بدؤه ﷺ بالانذار في دعوته كما حفظ من سنته ﷺ
٤٤٨	- في إنذار المكذبين بأوصافهم
٤٤٩	- في الانذار بأسماء الله وصفاته
٤٥١	- في أنواع الإنذار
٤٥١	- الإنذار بعذاب الآخرة

الصفحة	الموضوع
	* الترهب بما يلحق المكذبين للرسل من عذاب عاجل في الدنيا ويشمل:
٤٥٢	- رفع النعم وحلول النقم
٤٥٤	- عذاب الاستئصال مقروناً
٤٥٥	- بالتذكير بما أصاب الأمم السالفة المكذبة للرسل عليهم السلام
	* البشارة:
٤٥٦	- البشارة بالمتاع الحسن إلى الأجل المسمى
٤٥٧	* تنوع البشارة لتأتي على تحقيق متطلبات الجسد وطبيعة النفس:
٤٦١	- الرؤيا الصالحة
٤٦١	- بشارة الملائكة للعبد عند احتضاره
٤٦١	- وفي قبره
٤٦٢	- وفي منازل الآخرة الأخرى
٤٦٣	* في إقامة الحجة على العباد بالبشارة والإنذار
	الفصل الثالث:
٤٦٦	- **احتساب الرسل عليهم السلام في الدعوة إلى الله تعالى**
٤٦٧	- في بيان الأجر المنفي والمثبت على ألسنة الرسل عليهم السلام
٤٦٨	- دلالة احتساب الرسل عليهم السلام في الدعوة إلى الله تعالى على صدقهم
٤٦٩	- سمات دعوة الرسل من خلال احتسابهم في الدعوة
٤٧١	- إقامة الحجة على المعاندين وإلقاء اللائمة على المعرضين

الصفحة	الموضوع
٤٧٣	- في تنزيه الرسول ﷺ عن كل مطمع
	- في دعوة الدعاة إلى الله تعالى إلى الالتزام بمنهج الرسول ﷺ في الدعوة
	الفصل الرابع
٤٧٥	- **الحكمة والرفق من وسائل الدعوة إلى الله تعالى**
٤٧٥	* أن دعوة الرسل عليهم السلام تجلت فيها مظاهر الرفق والشفقة على
٤٧٦	أوضح صورها وأسمى معانيها في :
	- أمرهم أممهم بعبادة الله وحده والتحذير من عبادة غيره
٤٧٦	- وإلانة القول منهم في الإبلاغ والتلطف مع أقوامهم في الإقناع
	- واحتمال الرسل عليهم السلام ما صدر من أقوامهم من أذى
٤٧٦	- وإظهار الشفقة بالتخوف من نزول العذاب على مكذبيهم
٤٧٧	- ومقابلة جفاء المعرضين واستهزائهم بالصفح والهجر الجميل
٤٧٩	- أن الرفق عنوان خير
٤٧٩	- وشاهد حق يشهد للداعي بحسن نيته وسلامة مقصده
	- بيان أن الداعي إلى الله تعالى يصل بالرفق إلى ما يريد من دعوته:
٤٧٩	- بقبول الدعوة
٤٧٩-٤٨٢	- أو إقامة الحجة
	- والاستشهاد على ذلك
٤٨٢	- في دعوة الدعاة إلى الله تعالى إلى التحلي بالرفق في الدعوة

الصفحة	الموضوع
	الفصل الخامس
	بذل الرسل عليهم السلام غاية النصح لأممهم وإشفاقهم عليهم من عاقبة تكذيبهم
٤٨٤	- توطئة
٤٨٥	- في معنى النصح
٤٨٦	- وبيان حقيقته
٤٨٦	- بيان الأصل في النصيحة
٤٨٧	- أن الأنبياء جاؤوا بالصدق واتسمت دعوتهم بالنصح
٤٨٧	- وصارحوا أقوامهم به بيانا لحقيقة الرسالة وترغيبا لهم في الاستجابة للدعوة
٤٨٧	* أن نصح الأنبياء عليهم السلام يرتكز على: - علم في التلقي - وأمانة في الأداء
٤٨٩	* إلقاء الرسل عليهم السلام اللائمة على المعرضين عن نصحهم
٤٩٠	* أن الرسول ﷺ عَرَّف صحابته بالنصح من أول أيام دعوته ﷺ
	* أنواع النصيحة:
٤٩١	- النصيحة لله تعالى
٤٩٢	- النصيحة لرسول الله ﷺ
٤٩٢	- النصيحة لكتابه
٤٩٣	- النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم

الصفحة	الموضوع
	الباب الرابع
٤٩٤	- بيان أوجه التشابه بين الأمم المكذبة في مواقفهم من الرسل عليهم السلام
	الفصل الأول
٤٩٥	- **قلة أتباع الرسل عليهم السلام وكثرة المكذبين لهم**
٤٩٦	- إكرام الله تعالى لهذه القلة المؤمنة به سبحانه بالنصر والتمكين والتأييد
٤٩٧-٤٩٨	* أن النبي ﷺ وإن كان أكثر الناس تابعاً يوم القيامة إلا أن المعرضين عن دعوته أيضاً كثير
٤٩٨	- في إعراض قريش
٤٩٨	- في إعراض أهل الكتاب
٤٩٩	* نبي الله يونس عليه السلام وإعراض قومه عنه أولاً
٥٠٠	- ثم إرسال الله تعالى إياه إلى مائة ألف وإيمانهم جميعا
٥٠٠	* تمكين الله تعالى لأتباع رسوله ﷺ
	* **بيان السبب في إعراض الأمم:**
٥٠٣	- السبب الأول: إضاعتهم لعهد الله تعالى
٥٠٥	- السبب الثاني: مقابلة الحق بالجحود والنكران
٥٠٥	- السبب الثالث: إتباع الظن والهوى
٥٠٥	* المطلوب من الداعية إلى الله تعالى تذكر هذه المواقف من سيرة دعوة الرسل عليهم السلام فلا يفت في عضده كثرة أهل الباطل

الصفحة	الموضوع
	الفصل الثاني
٥٠٧	- دعاوى الأمم المكذبة على الرسل عليهم السلام وأتباعهم:
٥٠٨	- **المبحث الأول: أن الرسل بشر**
٥٠٩	- توطئة
٥٠٩	* في الأسباب المثيرة لأعداء الرسل لإلقاء الشبهات على الرسل عليهم السلام وأتباعهم:
٥٠٩	- التقليد
٥٠٩	- الاستكبار
٥١٠	- الحقد والحسد
٥١١	* في الهدف من إلقائهم الشبهات:
٥١١	١ - إبطال دعوة الرسل عليهم السلام
٥١١	٢ - رفع الملامة عن أنفسهم في عدم إتباعهم للرسل عليهم السلام
٥١١	* في الغاية التي يقصدونها:
٥١١	١ - الابقاء على إمرتهم الجاهلية الفاجرة
٥١١	٢ - الخوف من البقاء في ساحة المعارضة وحدهم
	- عرض هذه الشبهة «أن الرسل بشر» تفصيلاً:
	- تذرع الكافرين:
٥١٣	- بجنس الرسول
٥١٤	- بصفة الرسول
٥١٦	* في رد القرآن الكريم على شبههم:
٥١٦	- ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾
٥١٧	- سنة الله في الاصطفاء

الصفحة	الموضوع
٥١٨	- في إقامة البرهان على صدق الرسول
٥١٩	- دعوة كفار قريش لسؤال أهل الكتاب عما شكوا فيه من أمر الرسالة
٥٢٠	* موقف الرسل عليهم السلام في الرد على هذه الشبهة
٥٢١	- إثبات الرسل البشرية لأنفسهم في مواطن :
٥٢١	- الجدال
٥٢٢	- في موطن القضاء
٥٢٢	- في تقوية عزائم السائلين بين يديه
٥٢٣	- في مقام التشريع
٥٢٤	* فيما جرى على جسده الشريف
٥٢٤	* في انتهاء آجال الرسل عليهم السلام
٥٢٤	* أن خير الدعوة ينالها الرسل وأتباعهم
	المبحث الثاني
٥٢٧	**- أن أتباع الرسل من الضعفاء**
٥٢٨	- توطئة
٥٢٨	- بيان أن أهل الباطل لا يزنون الأمور إلا بموازينهم المختلة التي لا تعبأ بقيم الخير والحق
٥٢٨	* مراد الأعداء بإلقاء هذه الشبهة ومقصودهم منها
٥٢٨	* بيان فساد شبهتهم
	* في أساليب إيذاء الملإ للرسل وأتباعهم:
٥٣٠	١- أسلوب السخرية بالمؤمنين عامة والضعفاء خاصة
٥٣٣	٢- الإيذاء والتعذيب.
٥٣٩	٣- مساومة الرسل عليهم السلام على طرد من آمن من الضعفاء

الصفحة	الموضوع
	الفصل الثالث
	- صدود المكذبين للرسل عليهم السلام وإعراضهم عن الدعوة
	- **المبحث الأول :**
٥٤٣	- استكبار المكذبين عن تصديق الرسل رغم يقينهم بصدق ما يدعون إليه .
٥٤٤	- في معنى التكبر والاستكبار
	- بيان أن المستكبرين هم أعداء الرسل والرسالات
٥٤٤	- بيان أن سبب الاستكبار واجه المعاندون الرسول ﷺ بثني الصدور واستغشاء الثياب
٥٤٧	* بيان أن الاستكبار آفة البعد عن هداية الله تعالى والتسليم لأمره والتصديق برسله وإيضاح ذلك :
٥٤٧	- بموقف أبي طالب
٥٤٧	- وكفر اليهود والنصارى
٥٤٨	- وكذلك الأمم السابقة
٥٤٩	* بيان معنى الكبر في قوله : (بطر الحق وغمط الناس)
٥٥٠	* بيان أن الكفار جمعوا معاني الكبر كلها
٥٥١-٥٥٤	* في عقاب المستكبرين
	المبحث الثاني
٥٥٥	- استعجال المكذبين بالعذاب
٥٥٦	- معنى الاستعجال

الصفحة	الموضوع
٥٥٦	* بيان أن المعاندين ما استعجلوا العذاب إلا على:
٥٥٦	- سبيل العناد والمكابرة
٥٥٧	- ولإيهام الناس أنهم على بصيرة
	- وزيادة في إظهار تكذيب الرسول ﷺ لشبهة كانت في صدورهم
٥٥٩	* بيان أن العذاب له أجل محدود فلا يصرفه عن وقته امهال ولا يقدمه استعجال
٥٥٩	- إنكار الكافر لرحمة الله تعالى به وفضله عليه
٥٦١	- في الحكمة من تأخير العذاب عن الكفار
٥٦٢	* **رحمة الله تعالى على هذه الأمة:**
	- بكلمة سبقت من الله
٥٦٣	- وبرسول بها رؤوف رحيم
٥٦٤	* في الجمع بين قوله ﷺ: (بل أرجو أن يخرج الله ...)
٥٦٤	- وبين قوله تعالى: ﴿قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم﴾
	الفصل الرابع
٥٦٦	**- بيان أن أظلم الظلم الافتراء على الله وأعظم الخسران الإعراض عن دعوة الله**
	- في معنى قوله: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾
٥٦٧	- المراد بالظلم
٥٦٨	- في معنى الافتراء
٥٦٨	- لفظ الافتراء في القرآن يُفَسَّرُ في كل آية بما يدل عليه السياق

الصفحة	الموضوع
٥٦٩	- أن المفترى متقول على الله بلا علم
٥٦٩	* وعيد المفترين
٥٧٠	- كلام لابن القيم رحمه الله
٥٧١	- كلام للقرطبي رحمه الله
٥٧١	* في تعطيل المعرض عن الحق لما أنعم الله تعالى عليه من جوارح (السمع والبصر والقلب)
٥٧٤	* في انقطاع النصرة عنهم
	*** تذكير الظالم بمواقف الذل والهوان**
٥٧٧	- بالعرض على الله تعالى
٥٧٧	- وتمكين من تتأتى منهم الشهادة بالشهادة عليهم بما كانوا يعملون
٥٧٩	- وحجب الله تعالى ستره عنهم
٥٧٩	- وفي لعنة الله لهم
٥٧٩	- وفي مضاعفة العذاب عليهم لكفرهم وإضلال غيرهم
٥٨١	- وتأكيد خسرانهم
٥٨٢-٥٨٥	- وذهاب ما كانوا يعبدون من دون الله عنهم
	الباب الخامس
	بيان عاقبة الأمم ويتضمن:
٥٨٦-٦٠٩	- أن العاقبة الحسنى للمؤمنين والسوآي على الكافرين
٦١٠-٦١٩	**الخاتمة**

الصفحة	الموضوع
	الفهارس:
٦٢١-٦٥٦	- فهرس الآيات القرآنيه الكريمة
٦٥٧-٦٦٣	- فهرس الأحاديث النبوية
٦٦٤-٦٦٩	- فهرس الأعلام
٦٧٠	- فهرس الأشعار
٦٧١-٧٠٢	- فهرس المصادر والمراجع
٧٠٤-٧٣٤	- فهرس الموضوعات

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا
شعبة الدعوة

الدعوة إلى الله تعالى
في
سورة هود عليه السلام

إعداد الطالب

عبد الرحمن بن راجي بن رجاء العوفي

رسالة لنيل شهادة العالمية العالية « الدكتوراة »

إشراف

فضيلة الدكتور / فتح الرحمن عمر محمد

عضو هيئة التدريس بالدراسات العليا
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المجلد الأول

١٤١٣هـ/١٩٩٢م

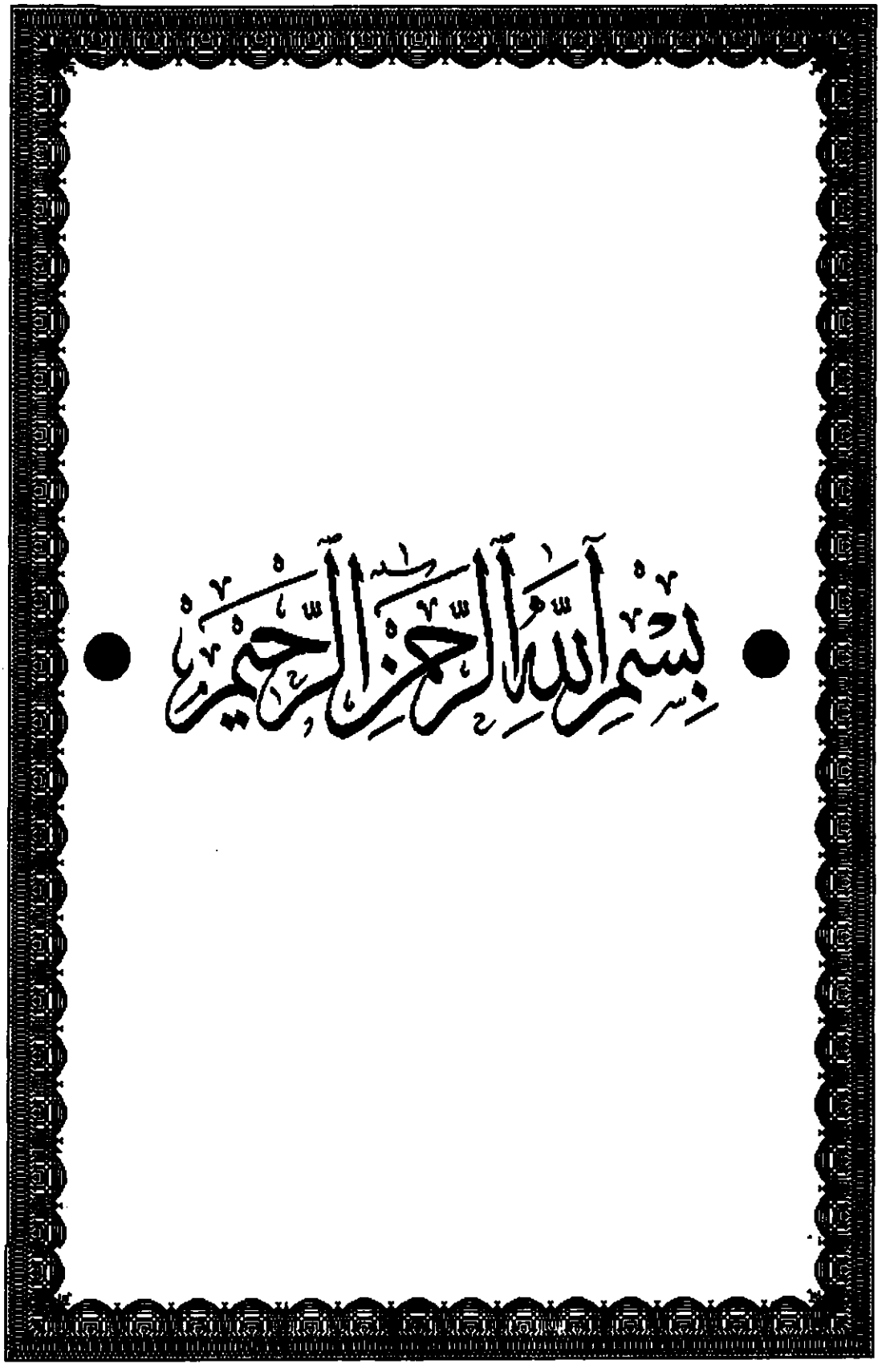
بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الأول

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ
رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ
كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ
يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ
يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾
۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا
وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ
عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ
إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧﴾ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ
أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ

مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨﴾
وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ
لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ﴿٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ
مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ
وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ
وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ
مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾
أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ
وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾
فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ
ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ
﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ
مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ
عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ

مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ
مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ
مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ
عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ
رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ
ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ
وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾

أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ
﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا
مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ
ٱلرَّأْىِ ۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ
﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً
مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ۚ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ
أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ
قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ
أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ
أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا
لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ
إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ
نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ

هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ
قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾
وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾
وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا
مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا
مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ارْكَبُوا
فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ
تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ
فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ
الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ

مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ
أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ
بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ
ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾
قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ
مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا
تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ
ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ
وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ
مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ
مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ
أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ

عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا
مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾
إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ
وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي
جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا
مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ
مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا
فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا
بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ
يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ
وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ

﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن
نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾
قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى
مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى
غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ
ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ
﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا
لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟
سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا
رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ
قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ

فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾
قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا
لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ
وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ
عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ
قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا
جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا
يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِى ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ
﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟
يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ
مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا
مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ
وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ
وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ
وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ
أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾
بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم
بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن
نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ
إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن
كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ
مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾
وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ

قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم
بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى
رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ
ٱللَّهِ ۖ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾
يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ
ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ

ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ
مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾
وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ
أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ
ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا
نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى
ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ
﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾
فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ

سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ
﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ
إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ
اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ
﴿١١٤﴾ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا
كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ
فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ
﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ
عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ

ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ
﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ
فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

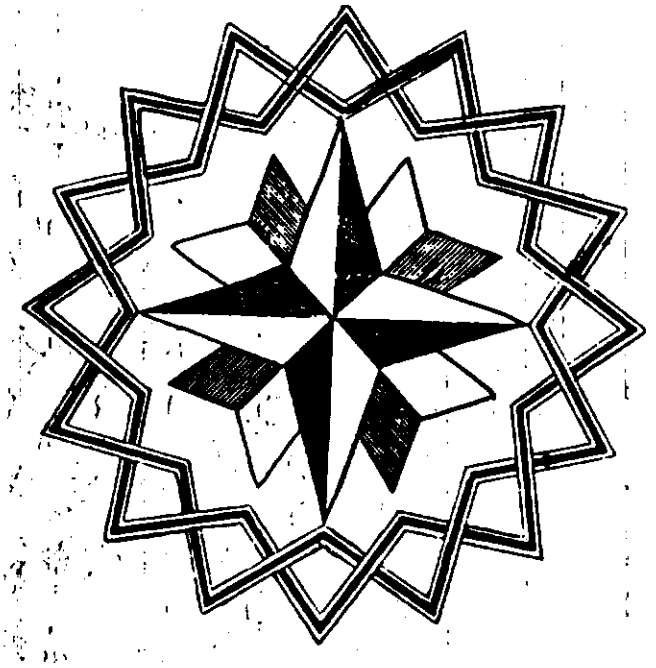

المقـــدمـة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ((**يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**))(١) ((**يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن اللَّهَ كان عليكم رقيباً**))(٢) ((**يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً**))(٣)(٤).

أما بعد: فإن أفضل مايتنافس فيه المتنافسون، ويتسابق إليه المتسابقون ويهتم به الدارسون، ويُعنى به الباحثون، علم كتاب الله تعالى المحكم في آياته أتم إحكام، والمفصل في أخباره أتم تفصيل: ((**كتاب أحكمت ءاياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير. ألا تعبدوا إلا الله إننى لكم منه نذير وبشير**))(٥).

جعله الله تعالى مصدقاً لما قبله من الكتب ومهيمناً عليها قال تعالى: ((**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديهِ من الكتاب ومهيمناً عليه..**))(٦).

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٢).
(٢) سورة النساء: الآية (١).
(٣) سورة الأحزاب: الآية (٧٠-٧١).
(٤) هذه الخطبة تسمى بخطبة الحاجة وهي مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، رواها أبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح (٢:٥٩١-٥٩٢). والترمذي في كتاب النكاح ١٧- باب ماجاء في خطبة النكاح (٣:٤١٣-٤١٤). والنسائي في كتاب النكاح ٣٩- باب مايستحب من الكلام عند النكاح (١:٨٩). وابن ماجة في كتاب النكاح ١٩- باب خطبة النكاح (١:٦٠٩).
وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١:٣). وقد أفردها الألباني أيضاً برسالة مستقلة.
(٥) سورة هود: الآية (١-٢).
(٦) سورة المائدة: الآية (٤٨).

أنزله الذي يعلم السر في السمٰوات والأرض لإخراج عباده من الظلمات إلى النور، وهدايتهم إلى صراطه المستقيم، لتتحقق لهم به السعادة في دنياهم، ويفوزوا بجنة ربهم في أخراهم، قال تعالى: ((**كتٰب أنزلنٰه إليك لتخرج الناس من الظلمٰت إلى النور بإذن ربهم إلى صرٰط العزيز الحميد**))(١).

فضرب جل وعلا فيه الأمثال، ونوّع فيه من الأخبار، وصَرّف فيه من الوعد والوعيد، لعلهم يتقون أو يُحدث لهم ذكرا.

وأمر العباد باتباع آياته وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده، قال تعالى: ((**وهذا كتٰب أنزلنٰه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون**))(٢).

وحثهم على تدبر مافيه، قال تعالى: ((**كتٰب أنزلنٰه إليك مبٰرك ليدبروا ءايٰته وليتذكر أولوا الألبٰب**))(٣).

فمن اتبعه هُدِي ورَشُد، قال تعالى: ((**فمن اتبع هُداىَ فلا يضل ولا يشقى**))(٤).

ومن أعرض عنه خاب وخسر، قال تعالى: ((**ومن أعرض عن ذكرى فإنَّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيٰمة أعمىٰ**))(٥).

ولقد عَرَفَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر هذا الكتاب فقدروه حق قدره، وعظموه حق تعظيمه فكان همهم حفظ القرآن وتلاوته وتنفيذ أوامره وتطبيق أحكامه، فتجاثت ركبهم حول الرسول صلى الله عليه وسلم يقرؤهم القرآن، ويعلمهم تأويله وقرنوا القول بالعمل ((فكانوا لايتجاوزون عشر آيات حتى يتعلمونهن ويعملوا بهن))(٦).

---

(١) سورة ابراهيم: الآية (١).
(٢) سورة الأنعام: الآية (١٥٥).
(٣) سورة ص : الآية (٢٩).
(٤)و(٥) سورة طه: الآية (١٢٣-١٢٤).
(٦) كما في الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن). انظر تفسير ابن كثير (١٠:١).

فكانوا لآياته تالين.. وبهديه مستنيرين ومسترشدين.. ولأحكامه متبعين.. وعند حدوده واقفين.. ولنواهيه مجتنبين.. وبمواعظه متأثرين.. وفي وعده راغبين.. ولوعيده حاذرين.. ((**وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون**))(١).

فطّهرهم الله به من أدران الشرك تطهيرا.
وزكّى به أنفسهم وهداهم للتي هي أقوم وأحسن سبيلا.
فجاءهم من الخير مالم يحتسبوا.
ووَرّثهم الله أرض من لم يؤمنوا.
وَوَعّدهم في الآخرة جنّة وحريرا.
ومن أصدق من الله قيلا. ومن أصدق من الله حديثا.

ولتدوم النعمة وينال الخلف من الخير مانال السلف تكفل الله تعالى بحفظ هذا الكتاب إلى أن يأذن بانتهاء هذا العالم وأفول شمسه، كما قال تعالى: ((**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحٰفظون**))(٢) تبصرة وذكرى لكل عبد منيب، وإقامة للحجة على كل جبار عنيد.

فبه العصمة من الزلل والأمن من الخطل كما في الحديث: ((تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي))(٣).

---

(١) سورة المؤمنون: الآية (٦٠).
(٢) سورة الحجر: الآية (٩).
(٣) رواه مالك في الموطأ بلاغا - كتاب القدر،١- باب النهي عن القول بالقدر (٨٩٩:٢) ورواه الحاكم في المستدرك موصولا (٩٣:١) وأصله في صحيح مسلم - كتاب الحج ١٩- باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٨٩٠:١) عن جابر رضي الله عنه.

وهو كما قال عنه صلى الله عليه وسلم: ((كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لاتزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق من كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذاسمعته حتى قالوا: ((**إنا سمعنا قرءانا عجباً. يهدى إلى الرشد فئامنا به..**))[1] من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم))[2].

فانطلقت الألسن تصف هديه، وخيره وبره، وتحذر مغبّة الإعراض عنه، ففي الأثر: ((لايصلح آخر هذه الأمة إلا ماصلح به أولها))[3].

---

(١) سورة الجن: من الآيتين (١-٢).

(٢) الحديث بألفاظ متقاربة في الترمذي - كتاب فضائل القرآن، ١٤- باب ماجاء في فضل القرآن (١٧٢:٤).
قال الترمذي: هذا حديث لانعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول وفي الحارث مقال.
وأورد ابن كثير في كتاب فضائل القرآن (١٠-١١) عدة روايات للحديث، وعقب على كلام الترمذي بأنه روي من وجه آخر وقال عن الحارث الأعور رواية عن علي رضي الله عنه، وقد تكلموا فيه بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه قد كذب في الحديث فلا، والله أعلم.
وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح، على أنه قد رُوِي له شاهد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم..))اهـ.انظر في ذلك كتاب الاستقامة لابن تيميه (٢٠/١) تحقيق محمد رشاد سالم.

(٣) هذا الأثر مروي عن الإمام مالك رحمه الله تعالى، نقلا عن الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٢٠٥:٢).

وقد قيض الله عز وجل في كل عصر وجيل من يناصر دينه وينافح عنه، ويعمل على حفظ كتابه رسماً ومعنىً.. فكانت هذه الدولة المباركة ممثلة في هيئاتها الدينية، ومؤسساتها العلمية الشرعية عَلَمَ حَقٍّ، وشاهد صدق في العناية بكتاب الله تعالى وعلومه، تلقيناً وتدريساً وبحثاً.. كما نراه في هذه الجامعة الفتية المباركة، التي حرصت. أول ماحرصت، على بناء أسسها المنهجية في مقاعد الدرس والتعليم بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله الله صلى الله عليه وسلم.

ولتكون إنارة السبيل متكررة على أوثق عراها، ولتتم المنفعة العلمية من أوسع أبوابها، وأكمل غاياتها، وأقوى أسسها، شجعت الطلاب على ربط موضوعاتهم العلمية في ((الماجستير والدكتوراه)) بهذين المصدرين الجليلين.

فأكرم بالمنهج منهجاً في سمو غاية، وحسن هدف؛ فما من شك أنه منهج حق رشيد، ويسعى لتحقيق مقصد حميد.

وإنّ طالب العلم لايرضى بغيره بديلاً.. ولا عنه تحويلاً.

وحيث وُفّقت للإلتحاق بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية - قسم الدعوة- وكان من متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه أن يقوم الطالب بالكتابة في موضوع له علاقة بتخصصه، لذلك عقدت العزم على أن أتناول ((سورة هود)) وأبين دلالة الدعوة من خلال آياتها، وسميت الموضوع باسم السورة مدار البحث:

((الدعوة إلى الله تعالى في سورة هود عليه السلام))

ولما تقدم فإني أعتقد أن جلالة الموضوع تعفيني من تسخير القلم فيما درج عليه الباحثون من إعمال فكرهم في إيجاد الأسباب المبررة والداعية لاختيار الموضوع؛ لأن المواضيع المتعلقة بكتاب الله الكريم ومعرفة دلالة آياته ليست بحاجة إلى بيان الأسباب الداعية، ويكفي أنه من النصح لكتاب الله تعالى -كما في الحديث- (الدين النصيحة قلنا لمن يارسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))[1].

---

(١) الحديث عن تميم الداري رضي الله عنه. رواه مسلم - في كتاب الإيمان ٢٣- باب بيان أن الدين النصيحة (٧٤:١).

لكـن تمشياً مع مادرج عليه الباحثون أذكر بعض الأسباب الـداعية وإن كانت في حقيقتها مزايا مرغبة وفيما يلي بعضاً منها:

أولاً: الـوقوف على منهـج الـرسـل عليهـم الصلاة والسلام وجهـادهم مـن أجل توصيـل القول لأممهم، وصبرهم على عنت الخصوم وكيد الأعـداء ليكون لنا في اتباع منهجهم وصبرهم واصطبارهم أسوة حسنة.

ثانياً: الـرغبة في معـرفة الكتب التى عنيـت بتفسير كتاب اللـه تعـالى، لأقف على جهـود علماء الإسلام في خدمة أصـول الدين ومصادر التشريع، وجهـاد علماء الأمة في الذب عنها من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين.

ثالثاً: الـرغبة في التمـرن العلمـي والعملي على دراسـة سـورة مـن سـور الكتاب العزيز، من خلال البحث الأكاديمي الخاضع للتوجيه والتقييم، من قبل رجال مشهود لهم بالعلم والفضيلة، ممن حرصت الجامعة على أن يكونوا من أسرتها العلمية الخيرة.. ليكون نموذج حق يُصار إليه في البحث والتحصيل، ومعالجة المواضيع المماثلة، وصياغتها بدلالة آيات الذكر الحكيم.

رابعاً: الإسهام قدر الإمكان في تزويد المكتبة الإسلامية بموضوع يهتم بمعالجة سورة من سور الكتاب العزيز، ليكـون خاضعـاً للإطلاع عليـه مـن أولي الفهـم والبصيرة، ومـاإخالهم يضنون على من طرحه على أنظـارهم بالإشارة إليـه بتكميل ناقصه، وتوضيح مجملـه، وشرح غامضه، وتسديد أبوابه وفصوله، كيف وقد قيـل حتى أصبح مثلاً سائراً: ((لـو غير هذا لكان أحسن، ولـو زيد هذا لكان يستحسن، ولـو قدم هذا لكان أفضل، ولـو ترك هـذا لكان أجمل، وهذا مـن أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقـص على جملة البشر)).[1]

---

(١) إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٣:١) وهو من كلام القاضي عبدالرحيم البيساني.

وقد سرت في بحث هذا الموضوع على خطة قوامها مقدمة، وتمهيد، وخمسة أبواب، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد بينت فيها سبب اختيار الموضوع، وخطة البحث.

وأما التمهيد: فقد رأيت أن أتناول فيه مواضيع ذات صلة بالرسالة ويشتمل على مايأتي:

أ- التعريف بالدعوة لغة واصطلاحاً.

ب- حاجة البشرية لإرسال الرسل عليهم السلام.

ج- أهمية الدعوة إلى الله تعالى وفضلها.

د- في الظروف والملابسات التى نزلت فيها سورة هود عليه السلام.

هـ- المقارنة بين منهج هذه السورة في الدعوة ومناهج بعض السور المتشابهة.

و- في الحكمة من تكرار القصص في القرآن الكريم وبيان مقاصد إيراد قصص الرسل مع أممهم في القرآن الكريم.

ثم تأتي الأبواب:

فالباب الأول: أسس الدعوة كما تجليها سورة هود، وفيه ثمانية فصول:

الفصل الأول: الدعوة إلى الله تعالى صادرة من لدن حكيم خبير.

الفصل الثاني: الوحي مصدر الدعوة لا الاجتهاد البشري.

الفصل الثالث: الدعوة إلى الله تعالى وموافقتها للفطرة.

الفصل الرابع: تفرد الله تعالى (بالخلق والأمر) وصلة ذلك بأصول الدعوة.

الفصل الخامس: عقيدة المعاد وصلتها بأهداف الدعوة.

الفصل السادس: بيان شدة فقر الإنسان إلى خالقه.

الفصل السابع: الإبتلاء بالنعم والنقم تذكير بالله تعالى.

الفصل الثامن: في تأييد الله تعالى لرسله عليهم السلام في دعوتهم.

الباب الثاني: مـواقف الرسل عليهم السلام مـع أممهم (من خلال هـذه السـورة) وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: دعوة نوح عليه السلام.

الفصل الثاني: دعوة هود عليه السلام.

الفصل الثالث: دعوة صالح عليه السلام.

الفصل الرابع: دعوة إبراهيم عليه السلام.

الفصل الخامس: دعوة لوط عليه السلام.

الفصل السادس: دعوة شعيب عليه السلام.

الفصل السابع: دعوة موسى عليه السلام.

الباب الثالث: دعوة الرسل عليهم السلام واحدة (وجوه الاتفاق والتشابه) وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: الدعوة إلى توحيد الله تعالى.

الفصل الثاني: الدعوة إلى الله تعالى بشارة وإنذار.

الفصل الثالث: إحتساب الرسل في الدعوة إلى الله تعالى.

الفصل الرابع: الحكمة والرفق من وسائل الدعوة إلى الله تعالى.

الفصل الخامس: بذل الرسل عليهم السلام غاية النصح لأممهـم واشفاقهم عليهم من عاقبة تكذيبهم.

الباب الرابع: بيان أوجه التشابه بين الأمم المكذبة في مواقفهم مـن الرسل عليهم السلام وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: قلة أتباع الرسل عليهم السلام وكثرة المكذبين لهم.

الفصل الثاني:دعاوى الأمم المكذبةعلى الرسل عليهم السلام وأتباعهم،وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أن الرسل بشر.

المبحث الثاني: أن أتباع الرسل من الضعفاء.

الفصل الثالث: صدود المكذبين للرسل عليهم السلام وإعراضهم عن الدعوة وفيه مبحثان:

المبحث الأول: استكبار المكذبين عن تصديق الرسل رغم يقينهم بصدق مايدعون إليه.

المبحث الثاني: استعجال المكذبين بالعذاب.

الفصل الرابع: بيان أن أظلم الظلم الإفتراء على الله تعالى وأعظم الخسران الإعراض عن دعوة الله تعالى.

الباب الخامس: بيان عاقبة الأمم ويتضمن:

- أن العاقبة الحسنى للمؤمنين والسوآى على الكافرين.

الخاتمة.

الفهارس.

وقد ألحقت بهذه الرسالة خمسة فهارس:

الفهرس الأول: للآيات القرآنية الكريمة مرتبة على السور فالآيات.

الفهرس الثاني: للأحاديث النبوية والآثار مرتبة حسب الأحرف الهجائية.

الفهرس الثالث: للأعلام الذين ترجم لهم مرتبةأسماؤهم على الحروف الهجائية.

الفهرس الرابع: للأبيات الشعرية.

الفهرس الخامس: للمصادر والمراجع مرتبة على الحروف الهجائية أيضاً.

الفهرس السادس: للموضوعات.

وأما الطريقة التى سلكتها في بحث هذا الموضوع على الخطة التي رسمتها سابقاً على النحو التالي:

أولا: فبعد تمعن آيات السورة واستقراء ماتدل عليه بقدر الإمكان، جمعت الآيات المتماثلة في السورة مدار البحث، ومن ثم جعلتها في موضوع واحد تحت فصل أو باب مستقل، يصلح لأن يكون لها عنواناً.

ولا يفوتني في هذا الجانب أن أستدرك بأنه قد يتكرر الاستشهاد بالآية أو الآيات في مواضع متعددة من الرسالة، وذلك للاستدلال بها في كل موضع حسب مايقتضيه المقام.

- إما لتعدد الأمور التي تدل عليها الآية.
- أو لاحتمال اللفظ الوارد في الآية لعدة معان.

ثانيا: وحيث أن هذه الرسالة تعالج موضوعاً له جانب من التفسير فلا بد من مراعاة الأصول والأسس التي يلزم الأخذ بها في تفسير القرآن للمحافظة على المعنى المراد من الآية. ومن ثم صياغته في أسلوب يجمع بين أصول التفسير وأسس الدعوة، وأول مايفسر به القرآن القرآن، لذلك حاولت عند تفسير الآية الرجوع إلى الآيات المماثلة.

ثالثا: عمدت بعد هذا إلى كتب التفسير، فنقّبت فيها عما يُوضح المقصود، ويُجلي المطلوب مما سطره يراع المفسرين، وبخاصة أولي الفهم والعلم من سلف هذه الأمة ومن تبعهم بإحسان.

فإن فسروا الآية بما هو أولى تفسيراً بعد كتاب الله تعالى من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، عمدت إلى نقله وعملت على تخريجه من مظانه الأصلية، وبينت درجته من الصحة والضعف.

ثم أتبعه بما أورده بعض المفسرين الثقات كالطبري، وابن كثير، والبغوي.. وغيرهم، من قبيل الاستئناس بأقوالهم ولأنه لايخرج في الجملة عن دلالة الأحاديث الصحيحة.

وإن كان التفسير بالدراية قدمت ماهو أقرب وأولى إلى الأخذ به من أقوال سلف هذه الأمة، وقد يكون للمفسر المتأخر حسن أسلوب في توضيح المعنى، مستقىً من قول السلف رحمهم الله تعالى، فيكون حينئذ لاضير في اعتماده.

رابعا: ثم تلى ذلك فيما اعتمدته من مراجع لإيضاح الموضوع كتب المغازي والسير.

إذ أن في هذين المصدرين مواقف دعوة قولية وعملية من الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله تعالى عنهم في نشر الدعوة، ومنابذة أعداء الرسالة.

فإن كان ماورد فيها له سند في كتب الحديث عمدت إلى أخذه من مظانه في الكتب الحديثية إلى جانب عزوه أيضاً إلى كتب المغازي والسير.

وإن لم أجد له سنداً اكتفيت بعزوه إلى كتب المغازي والسير لصعوبة الوقوف على درجته من الصحة والضعف.. وقد قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: ((ثلاثة أمور ليس لها إسناد التفسير، والملاحم، والمغازي، ويروى ليس لها أصل، أي إسناد لأن الغالب عليها المراسيل))[١][٢].

---

(١) مراسيل الصحابة مقبولة وأما مراسيل غيرهم ففيها خلاف، والراجح أنها تقبل بشروط مذكورة في كتب الحديث ومصطلحه.

انظر: تدريب الراوي للسيوطي (١:١٩٥-٢٠٧) وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث لمحمد القاسمي (١٣٣) وما بعدها.

(٢) مجموع الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١٣:٣٤٦).

خامسا: وحيث أن علوم الشريعة مترابطة يخدم بعضها بعضاً ويوضح بعضها البعض الآخر، لذلك استعنت بكتب العقيدة، والحديث وشروحه، وأصول الفقه، لتوضيح مالزم إيضاحه في الرسالة.

واستعنت بالمعاجم اللغوية لبيان معاني الألفاظ، وإيضاح دلالاتها.

وكذا كتب دواوين الشعر وأخبار الشعراء، وكتب الأنساب والأماكن وتواريخ البلدان والأمم وأفدت منها.

وقد واجهتني صعوبة جمع المادة في موضوع يتحدث عن الدعوة من خلال هذه السورة، إذ أن المصدر الأساسي هو ماذكر في كتب التفسير وأسلوب الدعوة من خلال التفاسير المتداولة لم يفرد بتآليف خاصة، وإنما هو موجود من خلال مايذكره المفسرون عند تفسيرهم للآية، وقد يكون مايذكر متقدماً أو متأخراً على موطن السورة مدار البحث.

ثم إن مايذكره المفسرون في الآية لايتجاوز ألفاظاً وكلمات معدودات، أو أقل مايطلق على بضعة أسطر، ومع هذا نكاد نجد من المفسرين إجماعاً على تفسير الآية الواحدة.

وغير المفسرين لايورد أصحابها الآية إلا من قبيل الاستدلال، أو التمثيل، وما يذكره من كلام قبلها أو تعليق بعدها، هو في جملته مستنبط من أقوال المفسرين وإن لم يعزوه إليهم.

ولهذا كله وتمشياً مع أصول البحث العلمي، كان لابد من إقامة أسس البيان والتوضيح للموضوع المراد على المصدرين الكريمين، وهما: **الكتاب الكريم والسنةالمطهرة**.

لذلك استعنت بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لاستخراج الآيات المماثلة لما جاء في سورة هود والتي تعالج الموضوع الواحد.

وكذلك معجم الحديث النبوي لاستخراج الأحاديث المفصِّلة والشارحة لما هدت إليه الآيات القرآنية الكريمة.

كل ذلك مراعاة لترابط الوحدة الموضوعية ولإيضاح المعنى المراد وتجليته من خلال تعاضد الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، مضافاً إليها ماقتبسته من كتب العقائد والتاريخ والسير لإيضاح الموضوع وتجليته قدر ما أمكن.

ثم وثقت ماورد في الرسالة:

١ - بعزو ماورد في البحث من آيات قرآنية إلى سورها، وذكرت أرقامها.

٢ - وقمت بتخريج ماورد في البحث من أحاديث نبوية من مصادرها الأصلية، ولتمام الفائدة ذكرت الكتاب، فالباب، ورقم الجزء والصفحة. وبينت درجة الحديث فإن كان في الصحيحين اكتفيت بعزوه إليهما، وإن كان في غيرهما حاولت أن أذكر درجة الحديث المستشهد به صحةً أو ضعفاً قدر الإمكان، معتمداً على الكتب التي عنيت بالحكم على الحديث.

٣ - شرحت الغريب من الألفاظ فإن كان في الحديث فمن الكتب التي تعنى بشرح غريبه وإن كان لغوياً فمن كتب اللغة.

٤ - قمت بترجمة مناسبة لما ورد في البحث من أعلام وذكرت مصادر الترجمة مع عدم الاقتصار على مصدر واحد.

٥ - نسبت الأبيات الشعرية إلى قائليها معتمداً على دواوين أصحابها، أو الكتب التي تعنى بالشعر وأخبار الشعراء.

وأخيرا فهذه الرسالة وتلك أبوابها وفصولها، وقد بذلت غاية جهدي في إخراج هذا البحث.. فإن وُفِّقْتُ فالحمد لله فهو صاحب الفضل والمن له الحمد في الأولى والآخرة وهو الحكيم الخبير، له الحق علينا دائماً في دوام تذكر نعمه والثناء بها عليه، غير مكفيّ ربنا ولا مستغنىً عنه.

وإن كانت الأخرى فأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم، لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب

وقبل أن أنهي هذا العرض عن الرسالة لايفوتني أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير لكل من:

* فضيلة الدكتور/ عبدالفتاح إبراهيم سلامة، عضو هيئة التدريس بالدراسات العليا بالجامعة، الذي كانت له لمسات حق على هذه الرسالة تجلت فيها معاني وفاء العالم ونصحه، ورعايته لأمانته، وإدراكه لمسئوليته، فقد تعهدها بالتوجيه والتقويم منذ أن كانت خطة إلى أن تكاملت أبوابها وانعقدت فصولها.

* وفضيلة الدكتور/ فتح الرحمن عمر محمد، عضو هيئة التدريس بالدراسات العليا بالجامعة، الذى آل إليه أمر تتمة الإشراف على الرسالة، وإن من نعم الله التي يتحدث بها أن تؤول الرسالة عندما تؤول إلى شخص فضيلته، فقد لمست فيه سمت العلماء وبذل الأوفياء للعلم ولطالبيه، فقد أشار عليّ بالتسديد والتصويب حتى صح اللفظ وانعقد مبناه، واستقام الأسلوب ووضح معناه.

فجزى الله كلاً من الدكتورين الفاضلين على ماتعهدا به طلابهما من النصح والتوجيه خيراً وصلاح شأن في الآخرة والأولى إنه أكرم مسئول وخير مأمول.

كما لايفوتني أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير للمسؤولين عن هذه الجامعة الإسلامية وعلى رأسهم معالي رئيسها فضيلة الدكتور عبدالله بن صالح العبيد.

وخالص الشكر أيضا للقائمين على الدراسات العليا بالجامعة، وفضيلة عميد كلية الدعوة وأصول الدين، وفضيلة رئيس قسم الدعوة بالكلية، لما بذلوه ويبذلونه من جهود موفقة لخدمة العلم وأهله فجزى الله الجميع خيراً.

كما أسأله جل وعلا أن يشمل الجميع ممن حضر، أو قرأ، أو سمع، بعفوه، وإحسانه إنه ولي ذلك والقادر عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

ويشتمل على:

أ - تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً.

ب ـ حاجة البشرية لإرسال الرسل عليهم السلام.

ج - أهمية الدعوة إلى الله تعالى وفضلها.

د - في الظروف والملابسات التي نزلت فيها سورة هود عليه السلام.

هـ - المقارنة بين منهج هذه السورة ومناهج بعض السور المتشابهة.

و - في الحكمة من تكرار القصص في القرآن وبيان مقاصد إيراد قصص الرسل مع أممهم في القرآن الكريم.

التمهيد

أ - تعريف الدعوة لغةً واصطلاحاً

أ - تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً:

الدعوة لغة: مصدر دعا يدعو دعاء ودعوة، فهي المرة من الدعاء، يقال: دعاه يدعوه دعاء إذا ناداه (١).

جاء في اللسان: ((دعا الرجل دعواً ودعاء ناداه، والإسم الدعوة. ودعوت فلاناً أي: صحت به واستدعيته)) (٢).

وفي المصباح: ((دعوت زيداً ناديته وطلبت إقباله)) (٣).

وذكر صاحب القاموس لمعنى الدعوة معان أخرى فقال: (الدعاء: الرغبة إلى الله تعالى.

دعا دعاء ودعوى .

وتداعوا عليه: تجمعوا .

ودعاه ساقه .

والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الله.

ويطلق على المؤذن. والداعية صريخ الخيل في الحروب.

ودعوته: سميته.

وادعى: كذا: زعم.

والاسم: الدعوة والدعاوة، ويكسران.

والدعوة: الحلف والدعاء إلى الطعام.

دعيت لغة: في دعوت) (٤).

---

(١)و(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور مادة (دعا) (١٤:٢٥٨-٢٥٩).
وتهذيب اللغة لأبي منصور (٣:١٢٠).
(٣) المصباح المنير للفيومي (١:١٩٤) مادة (دعا).
(٤) القاموس المحيط : مادة "دعا" : (٤/٣٢٩-٣٣٠).

وعلى هذا فالدعوة لغة إسم لما يتكلم به الداعي، بالكلمات الدالة عليها من الدعاء، والنداء، والاستعانة، والحث، والطلب، والصياح، والتجمع، والزعم، والسؤال.

وهذه الألفاظ المتنوعة، والمعاني المتعددة، يجمعها مطلق الطلب، أي مطلق طلب أي شيء ما، حسي كطعام، أو معنوي، كعقيدة وفكرة.

وسواء كانت إلى خير؛ كعمل طاعة وبر وإحسان، أو إلى أمر سيء كاقتراف معصيه، أو الانضواء تحت مبدأ هدام، كل هذا يتناوله أصل المعنى اللغوي لهذه الكلمة. **ولكننا نقصد من الدعوة هنا:** دعوة الحق، والخير، والصلاح، والفلاح، دعوة الخلق للإستجابة لأمر الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ((**يأيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم...**))(١).

وجاء التفريق بينهما على لسان مؤمن آل فرعون في قوله تعالى: ((**ويٰقوم مالي أدعوكم إلى النجٰوة وتدعوننى إلى النار* تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفّٰر* لاجرم أنما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا في الأخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحٰب النار**))(٢).

جاء في اللسان: ((والدعاة قوم يدعون إلى هدى أو ضلالة، واحدهم داع، ورجل داعية الذي يدعو إلى دين أو فكرة أدخلت الهاء فيه للمبالغة))(٣) والجمع دعاة وداعون.

وبعد معرفة الدعوة لغويا نأتي إلى بيان **تعريفها اصطلاحاً**، لكن لابد من التفريق بين تعريف الدعوة كعلم مصطلح قائم بذاته، وتعريف الدعوة كدين، فنقول في تعريفها اصطلاحا كعلم هو:

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٢٤).
(٢) سورة غافر: الآية (٤١-٤٣)
(٣) لسان العرب لابن منظور، مادة (دعا) (١٤:٢٥٨).

هو : العلم الذي يستمد منه الداعي إلى الله تعالى معرفة مضمون دعوة الإسلام والطريق الذي يسلكه الداعي في مخاطبة المدعوين، ومعرفة الوسيلة التي يبلغ بها دعوة الإسلام إلى الناس كافة بامتثال مايحيو يه من أوامر واجتناب مانهى عنه (١).

ومن تعريف الدعوة كدين ماذكره ابن تيمية (٢) رحمه الله تعالى بقوله:

((الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا)) (٣).

ثم عرض رحمه الله تعالى مايتضمنه هذا التعريف بقوله: ((وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله تعالى وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه)) (٤).

وهذا التعريف اشتمل على الدعوة إلى أركان الإسلام وأركان الإيمان وركن الإحسان.

---

(١) قارن بما جاء في كتاب الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان : الآيه (٢٤).

(٢) هو: شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس المشهور بابن تيمية، السلفي، الحافظ، المجتهد، المفسر، الأصولي، الواعظ، الخطيب، الزاهد، المجاهد القدوة، نادرة عصره، ناصر السنة وقامع البدعة، ومجدد القرن السابع الهجري، تمسّك بالعقيدة الصحيحة ودعا إليها، وذبَّ عنها، وامتحن بسبب ذلك كثيراً، وحبس أكثر من مرة، وصودرت كتبه ومنع من الفتوى، وأخذت منه أدوات الكتابة، فكان ذلك من أصعب الأمور عليه، توفي رحمه الله تعالى سنة (٧٢٨هـ) بدمشق بعد أن أمضى عمره مجاهداً في سبيل دعوة الله تعالى ونصرتها. انظر: الدرر الكامنة (١/١٥٤-١٧٠) البداية والنهاية لابن كثير (١٤/١٤١-١٤٥) شذرات الذهب (٦/٨٠-٨٦) الفتح المبين (٢/١٣٠-١٣٣).

(٣)و(٤) مجموع الفتاوى الكبرى لاين تيمية (١٥٧١٥-١٥٨).

كما جاء في تقرير جبريل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وسلم وتعريف الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة بقوله: ((هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم))[١].

وعرف بعضهم الدعوة اصطلاحاً فقال: هي ((حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل))[٢].

ومنهم من قال: هي ((إبلاغ الناس دعوة الإسلام في كل زمان ومكان بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال المدعوين))[٣].

وقال آخر: ((هي جمع الناس على الخير ودلالتهم على الرشد بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر))[٤].

وألفاظ هذه التعاريف كلها متقاربة:

إذ أن الدعوة إلى الإسلام هي الدعوة إلى الله تعالى، وإلى دينه القويم، وصراطه المستقيم، بدعوة الناس إلى الخير والرشد ونهيهم عن الغي والفساد.

وإذا كان لي أن أشارك بتعريف للدعوة أقول: الدعوة هي قيام من له أهلية البلاغ بدعوة غيره من الناس إلى اتباع الهدي الرباني وبيان الحجج الدالة على ذلك، على أن يكون سابقهم في تطبيق مايدعو إليه.

فقولي (القيام) يعني العمل الجاد من أجل إبلاغ دعوة الله عز وجل، وضده الخمول والكسل.

---

(١) الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. رواه مسلم في كتاب الإيمان،١- باب الإيمان والإسلام والإحسان.. الخ (١:٣٦-٣٨).
ورواه أبو داود في كتاب السنة، ١٧- باب في القدر :٥٠/٦٩-٧٣).
(٢) هداية المرشدين لعلي محفوظ (١٧).
(٣) الدعوة الإسلامية أصولها، ووسائلها لأحمد غلوش : (١٠).
(٤) أسس الدعوة للسيد الوكيل : (٩).

وقولي: (من له أهلية البلاغ) وهو المتبصر في دين الله تعالى الذي عرف الحق وعرف كيف يدعو إليه، كما قال تعالى: ((**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني...**))[١].

(بدعوة غيره من الناس) وهم المكلفون لقوله تعالى: ((**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**))[٢].

وقولي: (إلى اتباع المنهج الرباني) وهو أمر الله عز وجل ونهيه كما تضمنه الكتاب والسنة، ومتبعاً في دعوته منهج الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاء في قوله تعالى: ((**أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن...**))[٣].

وقولي: ((وبيان الحجج الدالة على ذلك)) وهي الأدلة التي أقامها الله تعالى في الكون والأنفس والآفاق، كما قال تعالى: ((**أولم ينظروا في ملكوت السموٰت والأرض...**))[٤] قال تعالى: ((**سنريهم ءايٰتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق...**))[٥].

وقال تعالى: ((**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**))[٦].

وكذلك ماأيد الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من الآيات القولية والحسية.

وقولي: (على أن يكون سابقهم فيما يدعو إليه) لالزام الداعي بالقدوة الحسنة، كما قال شعيب عليه السلام لقومه ((**وما أريد أن أخالفكم إلى ماأنهٰكم عنه...**))[٧].

---

(١) سورة يوسف: الآية (١٠٨).
(٢) سورة الذاريات: الآية (٥٦).
(٣) سورة النحل: الآية (١٢٥).
(٤) سورة الأعراف: الآية (١٨٥).
(٥) سورة فصلت: الآية (٥٣).
(٦) سورة الذاريات: الآية (٢١).
(٧) سورة هود: الآية (٨٨).

التمهيد

ب - حاجة البشرية لإرسال الرسل عليهم السلام

ب - حاجة البشرية لإرسال الرسل عليهم السلام :

إن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم وكرمه وفضله على كثير من خلقه، قال تعالى: ((**ولقد كرمنا بنى ءادم وحملنٰهم في البر والبحر ورزقنٰهم من الطيبٰت وفضلنٰهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**)) (١) وأخرجه من العدم إلى الوجود ليكون خليفة له في أرضه يعبده وحده، ويأتمر بأمره وينتهي عما نهاه الله عنه، فينال بذلك رضا ربه والخلود في جنته، قال تعالى: ((**فإما يأتينكم منى هدىً فمن اتبع هداىَ فلا يضل ولايشقى * ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيٰمة أعمىٰ* قال رب لم حشرتنىٓ أعمىٰ وقد كنت بصيرا* قال كذٰلك أتتك ءايٰتنا فنسيتها وكذٰلك اليوم تنسى**)) (٢).

وكرمه بالعقل وعلق التكليف على سلامته: ((رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يفيق)) (٣) وأكرم مافي الإنسان عقله، لكن العقل وإن هدى صاحبه إلى الإيمان بالله عز وجل لما يرى من آثار خلق الله ومظاهر قدرته بدءا من الإنسان نفسه وانتهاء بالكون الذي يعش بين جنباته، ويتفيء ظلاله، ويسير في رحابه ويأكل مما يخرجه الله من خيراته، إذ أن كل جزء من هذا الكون وكل حركة منه وكل سكون يشهد بوجود إله خالق مدبر منعم متفضل أتقن كل شيء صنعا ((**ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العٰلمين**)) (٤).

إلا أن العقول وإن اهتدت إلى الإيمان بالله جل وعلا فإن العقل البشري يبقى عاجزاً عن إدراك تلك الحقائق الإلهية، والأمور الغيبية التي عليها مدار تحقيق عبودية العبد لربه، وصلاحه وفلاحه في دنياه التي يعيش فيها وآخرته التي سينتقل إليها.

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٧٠).

(٢) سورة طه: الآية (١٢٣-١٢٧).

(٣) الحديث رواه أبو داود في كتاب الحدود، ١٦- باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا (٥٦٠:٤).

ورواه الترمذي في كتاب الحدود، ١- باب ماجاء فيمن لايجب عليه الحد (٣٢/٤)، ورواه الحاكم (٢٥٨/١) وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

(٤) سورة الأعراف: الآية (٥٤).

فمن أين للعقل أن يدرك كنه ماالله من أسماء حسنى وصفات عليا ولا يمكن لأحد أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله تعالى وصفاته، ليعبد ربه على بصيرة، قال تعالى: ((**ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها**..))[١] والعلم بهذه الأسماء والصفات هو العلم بالله جل وعلا، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله، ومصالح دنياه وآخرته، والجهل بها مستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكمالها وما تزكو وتفلح به فالعلم به سعادة العبد والجهل به أصل شقاوته[٢][٣].

ومن أين للعقول إن لم تستهد بهدي الله تعالى أن ترسم للناس مناهج الخير والعدل والإصلاح؟ إذ ليس من غرائزها الوقوف على حقائق الأمور وإن وصلت إلى الغاية القصوى من الإدراك فقد تميل بها الأهواء من الحق إلى الباطل.

وإن اهتدت إلى إدراك الخير والشر فقد تغلب عليها الشهوات أو يشتد بها الغضب والحسد فيصرفها ذلك عن النافع فتقع في الضار ((**ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السمٰوٰت والأرض**...))[٤].

وإن خلصت العقول من أسر الشهوات أو تسلط الغضب والحسد فقد لاتسلم من الخلاف والنزاع، قال تعالى: ((**ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك**..))[٥] لاختلاف المدارك والمشارب في أصل الفطرة والجبلة.

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٨٠).
(٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لفضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين (٥).
(٣) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم (٨٦).
(٤) سورة المؤمنون: الآية (٧١).
(٥) سورة هود: من الآيتين (١١٨-١١٩).

فترى الإنسان يستحسن عين مايستقبحه غيره.

بل الإنسان الواحد يظهر له الشيء حسنا في وقت فإذا لم يلائم غرضه في وقت آخر عده قبيحا.

وكثيرا مايكون الشيء الواحد مشتملاً على مصلحة ومفسدة فيحب الإنسان جلب مصلحته فيبادر إليه ويميل آخر إلى درء مفسدته فيفر منه ((**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً**))[١].

وكثيراً مايبدو لها الشر في لباس الخير فتقنع به.

وكثيرا مايظهر لها الخير في صورة الشر فتعرض عنه، وقد أخبر الله تعالى عباده بهذه الحقيقة في قوله: ((**وعسىٰ أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسىٰ أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم...**))[٢]

ومن أين للعقول أن تقف على اليوم الآخر ومواقفه ؟ والمرء يواجه حياتين أولى يعايشها وأخرى سينتقل إليها، فالله ماخلق الإنسان إلا ليميته، وما أماته إلا ليحييه.

فإما أن يتمتع بعد ذلك بنعيم مقيم، أو يشقى فيها بعذاب أليم.

والسعادة والشقاء في تلك الحياة الباقية معقودان بأعمال المرء في حياته الفانية، سواء كانت تلك الأعمال قلبية كالاعتقادات والمقاصد والإرادات أو بدنية كأنواع العبادات والمعاملات.

ثم إنه ليس في مدارك العقول ولا طرق التفكير وأساليب النظر مايمكن الإنسان من الإهتداء إلى معرفة ماقدر له في تلك الحياة التي وعد[٣] بها وقد يشتاق إليها.

---

(١) سورة النساء: الآية (٨٢).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢١٦).

(٣) قارن بمنهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان للدكتور علي بن محمد الفقيهى: (١٨٢).

فلما تبين وثبت قصر العقول البشرية عن إدراك الأمور الغيبية، والحقائق الإلهية، وقصرها عن أمور التشريع؛ التي عليها مدار الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة، واستحالة اجتماع الناس على كلمة واحدة لوقوع الخلق في أسر الأهواء، والميل إلى الشهوات، وانتصار كل ذي رأي لرأيه، ونقمته على من سفه قوله، وخالف رأيه.. فلهذه الأمور وغيرها اشتدت حاجة الإنسان لهدي ربه.

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (فالرسالة ضرورية للعباد لابد له منها وحاجته إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالمِ، ونوره، وحياته....

فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟

والدنيا مظلمة ملعونة إلا ماطلعت عليه شمس الرسالة.

وكذلك العبد مالم تشرق في قلبه شمس الرسالة وينالـه من حياتها ونورها فهو في ظلمة، وهو من الأموات. قال تعالى: ((**أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها**[1] ..))[2].

وكان لزاما للنفوس أن تسلم مقادتها لله رب العالمين، وأن تخضع لربها وخالقها، وإلهها ومعبودها؛ بالذل ،والانقياد، والطاعة، والامتثال، ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة ماجاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام ((بطاعتهم فيما أمروا وتصديقهم فيما أخبروا واجتناب ماعنه نهوا وزجروا لأنه لايعبد الله إلا بما شرعوا)).

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٢٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٩:٩٣).

وفي هذا يقول ابن القيم[١] أيضا:

((ومن ههنا نعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر به، فإنه لاسبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم فالطيب من الأعمال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم توزن الأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الضلال. فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها))[٢].

---

(١) هو: محمد بن أبي بكر الحنبلي شمس الدين بن قيم الجوزية، ولد سنة ٦٩١هـ فقيه أصولي مجتهد مفسر نحوي عرف بكثرة العبادة والورع والتقوى، وجاهد في سبيل الدعوة إلى الله تعالى بنفسه وقلمه وقاله، ولقد امتحن وأوذي مرات عديدة، وحبس مع شيخه ابن تيمية، وكان في مدة حبسه مشتغلا بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر. وكان يقول: ((بالصبر والفقر تنال الإمامة في الدين)) ومن أقواله أيضا: ((لابد للسالك من همة تسيره وترقبه)) وتتلمذ على مشايخ كثيرين منهم: ابن تيمية، والقاضي تقي الدين، وأبي بكر عبد الدايم.. ومن تلاميذه: ابن كثير، وابن عبد الهادي.. ومن كتبه: زاد المعاد، وأعلام الموقعين، واجتماع الجيوش الإسلامية. توفي رحمه الله تعالى بدمشق سنة (٧٥١هـ).
انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٤:٢٤٦-٢٤٧). الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٢١-٢٣). الدرر الكامنة لابن حجر (٤:٢١-٢٣). معجم المؤلفين لعمر كحالة (٩:١٠٦-١٠٧).

(٢) زاد المعاد لابن القيم (١:٦٩).

فاقتضت حكمة أحكم الحاكمين، ورحمة أرحم الراحمين، أن يتعهد خلقه بالوحي والرسالة، إنارة للسبيل، وإقامة للحجة: ((**رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل...**))(١) وإزالة لكل معذرة ((**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا...**))(٢) فتتابع على البشرية موكب الرسل والرسالات منذ أول انحراف حصل بعد وفاة آدم عليه، السلام فبعث إليهم نبيه نوحاً عليه السلام ((**ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين * أن لاَّتعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم**))(٣) وهكذا تتابع على البشرية رسل الله يهدونهم إلى صراطه المستقيم وينذرونهم لقاءه، ويبشرونهم بما أعده لأوليائه ((**ثم أرسلنا رسلنا تترا كل ما جاء أمةً رسولُها كذبوه...**))(٤). حتى ختم الله الرسل والرسالة برسالة عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ((**ماكان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولٰكن رسول الله وخٰتم النبيين...**))(٥).

وامتن على العباد ببعثته ((**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم ءايٰته ويزكيهم ويعلمم الكتٰب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلٰلٍ مبينٍ**))(٦).

---

(١) سورة النساء، الآية: (١٦٥).
(٢) سورة الإسراء، الآية: (١٥).
(٣) سورة هود، الآية: (٢٥).
(٤) سورة المؤمنون، الآية: (٤٤).
(٥) سورة الأحزاب، الآية: (٤٠).
(٦) سورة الجمعة، الآية: (٢).

فقام صلى الله عليه وسلم بما أمره به ربه فبلغ البلاغ المبين، ونصح النصح المستبين، وأقام الحجة على الخلق أجمعين، ((وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك))[١].

(وقد أعلن القرآن الكريم بوضوح أن هذا الدين قد كمل كمالاً مطلقاً ليس فيه زيادة لمتزيد، ولا نقص يستدعي الاضافة، وأن الله قد أكمل به العقيدة والشريعة معاً، وأن نعمته قد تمت وأنه دين كامل من عند الله لايقبل التطوير ولا التحوير، وأن الله جل شأنه قد ارتضاه لعباده ديناً ومنهجاً فقال تعالى: ((**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا...**))[٢].

وزيادة في التأكيد أخبر بأنه بعد أن رضي الإسلام منهاجاً كاملاً وطريقاً موصلاً إلى الله فقد سد كل طريق غيره فقال ((**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**))[٣].

---

(١) كما جاء في الحديث عن العرباض بن سارية رضي الله عنه وفيه قال صلى الله عليه وسلم: (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها بعدي إلا هالك)).
رواه ابن ماجة، المقدمة ٦- باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (١٦:١) وصحيح ابن ماجه للألباني (٦:١) وقال عنه الألباني: حسن، وسلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٨٨٦). وظلال الجنة في تخريج أحاديث السنة (٢٤٧) ورواه أحمد (٤٦:٤) ضمن حديث العرباض. وانظر أيضا: تنبيه أولى الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار للدكتور صالح السحيمي (١٨).

(٢) سورة المائدة: الآية (٣).

(٣) سورة آل عمران: الآية (٨٥).

وبهذا تقرر وأصبح من العقائد الإسلامية أن هذا الدين خالد إلى يوم القيامة، وأنه بعقيدته وشريعته طريق الصلاح والنجاة للناس في دنياهم وأخراهم، وأن العالم مهما طال به الزمن وامتدت به الحياة لايحتاج في صلاحه إلى شيء غير التمسك بتعاليم هذا الدين والاستظلال بظله الوارف، والعمل بمبادئه السامية ومن هنا استقر في الأذهان أن شريعة الإسلام كاملة شاملة، خالدة صالحة لكل زمان ومكان، ولكل جيل من الأجيال إلى أن تقوم الساعة)[1].

---

(٤) تذكرة المسلم لمحمد الطيب (٦٢-٦٣).

التمهيد

ج - أهمية الدعوة إلى الله تعالى وفضلها

توطئـــة:

عـــرفنا ممـا تقـدم حاجـة البشريـة للرسـالة، وتبين لنـــا أن الرسـل عليهـم الصلاة والسلام قـد قـاموا بمهمـةالبلاغ، وسلمـوا مـن عهدة العباد، وأقاموا عليهم الحجة، قال اللـه تعالى:((**رسلاً مبشـرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل...**))[1] وأن اللـه عز وجل ختم رسالته ورسلـه برسالة عبده ورسـوله محمد صلى الله عليه وسلم.. وأن الـرسول صلى الله عليـه وسلم قد بلغ ماأنزل إليه من ربه أتم إبلاغ، ونصح أكمل نصح وأتمه.

ومـا هـذه الآيات المسطورة في الكتـاب المحفوظ بحفظ اللـه تعـالى وإلى أن يرث اللـه جل وعلا الأرض ومـن عليهـا والتي تسجـل لأنبيـاء اللـــه ورسلـه عليهـم السلام جهادهم في الدعوة إليه والنصح لعباده، والصبر على أمره، حتى لقوا الله إلا شاهد حق، ولسان صدق، يشهد لهم بعظيم القدر، وجليل الفعل، وعظيم المنزلـة، قال تعالى: ((**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده..**)).[2]

ولم يك الـذكر قـاصراً على الثنـاء عليهـم فحسب بل للاقتـداء بهـم والسير على خطاهم.

وقـد ختم اللـه عز وجل رسالتـه ورسله ببعثه عبده ورسولـه محمـد صلى اللـــه عليـه وسلم، بعـد أن بلغ عليه الصلاة والسلام الـرسالة، وأدى الأمـانة، ونصـح الأمـة، وجاهد الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه ولئن مضى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ربه بعد أن ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنهـا إلا هالك، فإن أمانة النصح والبلاغ والبيان وتوصيل القول لأمته تقع على أتباعه من بعده وهو مانود أن ننبه إليه في هذا المبحث عن:

---

(١) سورة النساء: الآية (١٦٥).

(٢) سورة الأنعام: الآية (٩٠).

ج- أهمية الدعوة إلى الله تعالى وبيان فضلها :

فمن فضل الله تعالى على هذه الأمة وكرمه عليها أن أشركها مع رسوله في هذه المهمة الشريفة ألا وهي مهمة إبلاغ دعوة الله تعالى للعباد، كما أمر رسوله أن يخاطب أمته بقوله جل وعلا: ((**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحٰن الله وما أنا من المشركين**))(١).

والداعي إلى الله خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلزاماً عليه أن يسير على منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم وطريقته من نصحه للأمة وإرشاده الضال، وتعليمه الجاهل، ونصره المظلوم، والأخذ على يد الظالم، والأمر بالمعروف وفعله والنهي عن المنكر وتركه، متبعا أسلوب رسوله صلى الله عليه وسلم في البيان: ((**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجٰدلهم بالتي هي أحسن إنَّ ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**))(٢).

ولا يتأتي هذا الأمر ولا يقوم به إلا أولوا العلم الذين قاموا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم علماً وعملاً، وهدايةً، ورشاداً، وصبراً، وجهاداً.

فهم أفضل تابع لأفضل متبوع، قال تعالى: ((**ومن يطع الله والرسول فأولٰئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصّٰلحين وحسن أولٰئك رفيقا* ذٰلك الفضل من الله وكفىٰ بالله عليماً**))(٣)

وقد أثنى الله تعالى على العلماء في آيات عديدة من كتابه إظهاراً لمنزلتهم، وتنويهاً بشأنهم، وتذكيراً لهم بمسؤوليتهم، فقد استشهد الله جل وعلا بهم مع الملائكة الأبرار، ورسله الأخيار، في أعظم مشهود به وهو تقرير وحدانيته، فقال تعالى: ((**شهد الله أنه لا إلٰه إلا هو والملٰئكة وأولوا العلم قائماً بالقسط..**))(٤).

---

(١) سورة يوسف: الآية (١٠٨).
(٢) سورة النحل: الآية (١٢٥).
(٣) سورة النساء: الآية (٦٩).
(٤) سورة آل عمران: الآية (١٨).

وأخبر جل وعلا أنهم أحق الناس بخشيته وتقواه، فقال جلا وعلا: ((**إنَّما يخشىٰ اللهَ من عباده العلمؤاُ..**))[١].

ووعدهم بالأجر ورفعة الدرجات فقال تعالى: ((**يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجٰت..**))[٢].

والداعي إلى الله تعالى يسعى في تحصيل مالايتم نصح العباد إلا به وهو العلم الشرعي.

وهو ماورثه الرسول عن ربه: كما جاء في الحديث ((إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر))[٣].

والعلم هو مضمون كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

فإذا سلك هذا السبيل جعل الله جزاءه من جنس عمله، كما في الحديث: ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علما سهل الله له طريقاً إلى الجنة،.

---

(١) سورة فاطر: الآية (٢٨).

(٢) سورة المجادلة: الآية (١١).

(٣) جزء من حديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه أوله: (من سلك طريقاً..)) رواه أبو داود، في كتاب العلم، ١ - باب الحث على طلب العلم (٨٥:٤).
ورواه الترمذي في كتاب العلم، ١٩- باب ماجاء في فضل الفقه على العبادة (٤٨:٤-٤٩).
ورواه ابن ماجة في المقدمة، ١٧- باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٨١:١).
وصححه ابن حبان موارد الظمأن (١٧٦/١) رقم الحديث (٨٠).

وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له مافي الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب)).(١)

فإذا تعلم لزم عليه تبليغ وبث ماعلم في الأمة امتثالاً لما أمر الله تعالى به في قوله: ((**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن..**)).(٢)

ومتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة لما جاء في قوله تعالى: ((**قل هذه سبيلى ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين**)).(٣)

وامتثالاً لأمر رسوله صلى الله عليه وسلم في إبلاغ ميراثه لأمته من بعده: ((والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)).(٤)

وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((بلغوا عني ولو آية)).(٥)

وقال: ((ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه)).(٦)

---

(١) تقدم تخريجه قريباً في حديث ((إن العلماء ورثة الأنبياء)).

(٢) سورة النحل، الآية: (١٢٥).

(٣) سورة يوسف، الآية: (١٠٨).

(٤) تقدم تخريجه قريبا من حديث أبي الدرداء.

(٥) الحديث عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه رواه البخاري في كتاب الأنبياء ٥٠- باب ماذكر عن بني اسرائيل (١٤٣:٤).
ورواه الترمذي في كتاب العلم،١٣- باب ماجاءفي الحديث عن بني اسرائيل(٤٠:٤).
والدارمي في المقدمة ٤٦- باب البلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليم السنن (١٣٦:١) وأحمد في مسنده (١٥٩:٢،٢٠٢).

(٦) جزء من حديث عن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه وأوله: ((أي يوم هذا..)) رواه البخاري في كتاب العلم، ٩- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم رب مبلغ أوعى من سامعه (٢٤:١).
ورواه مسلم من حديث أبي شريح رضي الله عنه في كتاب الحج، ٨٢- باب تحريم مكة وصيدها. الخ (٩٨٧:٢-٩٨٨).

فأمر صلى الله عليه وسلم بالتبليغ عنه لما في ذلك من حصول الهدى بالتبليغ، وله صلى الله عليه وسلم أجر من بلغ عنه، وأجر من قبل ذلك البلاغ.

وكلّما كثر التبليغ، عنه تضاعف له الثواب، فله من الأجر بعدد كل مبلغ وكل مهتد بذلك البلاغ سوى ماله من أجر عمله المختص به، فكل من هدى واهتدى بتبليغه فله أجره، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم الداعي إليه، ولو لم يكن في تبليغ العلم عنه إلا حصول مايحبه صلى الله عليه وسلم لكفى به فضلا.

وعلامة المحب الصادق أن يسعى في حصول محبوب محبوبه، ويبذل جهده وطاقته فيها.

ومعلوم أنه لاشيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إيصاله الهدى إلى جميع الأمة، فالمبلغ عنه ساع في حصول محبوب الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو أقرب الناس منه وأحبهم إليه وهو نائبه وخليفته في أمته وكفى بهذا فضلاً وشرفاً للعلم وأهله (١).

وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لاينقص من أجورهم شيئا..)) (٢).

---

(١) مفتاح السعادة لابن القيم (٧٣).

(٢) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه وتمامه: ((ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئا)). رواه مسلم - في كتاب العلم، ٦- باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة: (٢٠٦٠:٢) وأحمد في مسنده (٣٩٧:٢).

ووعد الرسول صلى الله عليه وسلم أتباعه عظيم الأجر وجزيل الثواب، كما قال صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب[١] رضي الله عنه: (لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم)[٢].

يقول ابن القيم في تعليقه على هذا الحديث: (وهذا يدل على فضل العلم والتعليم وشرف منزلة أهله بحيث إذا اهتدى رجل واحد بالعالم كان ذلك خيراً له من حمر النعم وهي خيارها وأشرفها عند أهلها فما الظن بمن يهتدي به كل يوم طوائف من الناس)[٣]

ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لمن سمع كلامه ووعاه وبلّغه بالنضرة وهي البهجة ونضارة الوجه وتحسينه كما قال صلى الله عليه وسلم: (نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع، فرب مبلغ أوعى من سامع)[٤]

فما أعظم الدعوة إلى الله تعالى، وأكرم أهلها على الله، فهم أعلام الهدى ونجوم الدجى، يحيون بدعوة الله الملة، وينشرون كل فضيلة، ويدعون لكل محمدة، وينهون عن كل رذيلة.

---

(١) هو: أمير المؤمنين رابع الخلفاء الراشدين، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته فاطمة، وأحد المبشرين بالجنة، وأول من أسلم من الصبيان، مات شهيداً سنة (٤٠هـ) قتله عبد الرحمن الخارجي، وهو خارج الى الصلاة سابع عشر رمضان، ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف، وسنّه ستون سنة أو أقل أو أكثر بسنة أو سنتين رضي الله تعالى عنه. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٥٨٨-٦٢٢) وتذكرة الحفاظ الذهبي (١:١٠-١٣) والإصابة لابن حجر (٤:٢٦٩-٢٧١).

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل الأصحاب، ٩- باب مناقب على ابن أبي طالب رضي الله عنه..(٥/٢٠٧) ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، ٤-باب من فضائل علي بن ابي طالب رضي الله عنه : (٤/٨٧٢).

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١:٦٢).

(٤) الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رواه الترمذي في كتاب العلم، ٧- باب ماجاء في الحث على تبليغ السماع (٣:٣٣-٣٤) وقال حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجة- في المقدمة، ١٨- باب من بلغ علماً (١:٨٥)، وأحمد في مسنده (١:٤٣٧) وابن حبان في صحيحه، الاحسان (٤:٦٥،٦) وقد أفرد فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد هذا الحديث بدراسة مستقلة بعنوان "دراسة حديث نضر الله امرءاً سمع مقالتي .." رواية ودراية.

وهم حراس دين الله وحفظة دينه، ورجوماً لأعدائه وأعداء رسله.

وفي الأثر المعروف: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[١].

فهم أمن للأمة إن قاموا بواجبهم من التحلل والضياع، والفرقة والانقسام.

فألسنتهم سيوف صلت مشرعة لبيان الحق، وصد هجمات أهل الإلحاد والوقوف في وجه أرباب البدع والأهواء.

ينشرون في الأرض كل فضيلة، ويدعون الناس إلى كل محمدة، ويذبون عن دين الله كل شبهة، ويدحضون عنه كل فرية.

فما أحسن أثرهم على الناس، وما أحسن أثر الدعوة عليهم.

فحذار حذار لأنفسهم من أنفسهم أن يبيعوها لغير اللّه، فإن اللّه تعالى قال: ((**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرءان ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**))[٢].

---

(١) هذاالحديث حسن بكثرة طرقه، رواه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (٢٨-٢٩).
وابن عدي في الكامل من عدة طرق في (١٥٢:١-١٥٣) و (٩٠٢:٣) ونقل تصحيحه عن الإمام أحمد.
وأورده العلائي في بغية الملتمس (٣٤-٣٥).
وقال القسطلاني في ارشاد الساري (٤:١) (وهذا الحديث رواه من الصحابة علي، وابن عمر، وابن مسعود، وابن عباس، وجابر بن سمرة، ومعاذ، وأبو هريرة رضي الله عنهم).
وأورده ابن عدي من طرق كثيرة كلها ضعيفة كما صرح به الدارقطني، وأبو نعيم، وابن عبد البر، لكن يمكن أن يتقوى بتعدد طرقه ويكون حسناً كما جزم ابن كليدي العلائي.
وانظر: تنبيه أولي الأبصار للدكتور صالح السحيمي (٦٤).

(٢) سورة التوبة: الآية (١١١).

وليعلم الداعي إلى الله تعالى أنه مجاهد في سبيل الله تعالى، والجهاد نوعان:

- جهاد باليد واللسان.
- جهاد بالحجة والبيان.

يقول ابن القيم: وهذا هو جهاد الداعية، وهو جهاد الخاصة من أتباع الرسل وهو جهاد الأئمة، وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته وشدة مؤنته وكثرة أعدائه.

وقد أمر الله رسوله أن يجاهد المعرضين بالقرآن، فقال تعالى: ((**ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكٰفرين وجٰهدهم به جهاداً كبيراً**))(١).

فهذا جهاد لهم بالقرآن وهو أكبر الجهادين، وهو جهاد المنافقين أيضا؛ فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين؛ بل كانوا معهم في الظاهر، وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم ومع هذا فقد قال تعالى: ((**يٰأيها النبيُّ جٰهد الكفار والمنٰفقين واغلظ عليهم...**))(٢) ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والقرآن(٣)،))(٤).

فالله. الله. في رسالتهم فإن الله تعالى ماخلق الخلق إلا ليعبدوه، وما أرسل الرسل إلا لتطاع بإذنه، وما أنزل الكتب إلا لتتبع، ووعدهم عليها الجنة، وجعل العاقبة في الدنيا لهم ولناصريها من بعدهم.. ولا يفتن في عضدك أيها الداعية ماتواجهه من صنوف البلاء، فإن لله حكماً فيما يفعل، ويقضي به ويأمر ((**فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكٰذبين**))(٥).

---

(١) سورة الفرقان: الآية (٥١-٥٢).
(٢) سورة التحريم: الآية (٩).
(٣) مفتاح دار السعادة (١:٧٠).
(٤) وانظر: تفسير ابن كثير: (٣/٣٣٤).
(٥) سورة العنكبوت: الآية (٣).

ولله در الصحابي الجليل أسعد بن زرارة[١] رضي الله عنه، عندما قال في بيعة العقبة مذكراً قومه بما قد يلحقهم من البلاء والامتحان لقاء نصرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن إخراجه اليوم[٢] مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف)).[٣]

وليستشعروا واجبهم فما أكثر العقبات في الطريق، فإن البشرية اليوم تواجه شيوعية ملحدة، وصليبية حاقدة، وماسونية فاجرة، وعلمانية ماكرة، وأدعياء أمانة، وناشدى فرقة، يبتغون للبرءاء العيب، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وأحزاب ضالة، هم في الحقيقة دعاة لأبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها.

فعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يقوموا بواجب النصيحة والبيان لهؤلاء وأمثالهم ومن ثم الحذر والتحذير من مكائدهم ومكرهم ومخططاتهم.

فالله. الله. أن يتهاونوا في أمرها، حتى يتركوها لأدعياء يبيعونها بعرض من الدنيا، يبيعون آخرتهم بدنيا غيرهم، ويصلحون دنياهم بفساد آخرتهم.

أو لأصحاب أهواء، ومروجي أفكار باطلة، ونحل هدامة، يأتون للناس بما تهواه أنفسهم، يلبون بأنظمتهم وآرائهم وأفكارهم نداءات الهوى والشهوة، فأضلوا غيرهم بعد أن ضلوا في أنفسهم، وأبعدوا الناس عن طريق

---

(١) هو: أسعد بن زرارة، الأنصاري، الخزرجي، يقال له أسعد الخير، وكنيته أبو أمامة وهو أول الأنصار إسلاماً، أسلم مع النفر الذين سبقوا قومهم إلى الإسلام بالعقبة، وشهد بيعة العقبة الأولى، والثانية، والثالثة، وبايع فيها، وهو أول من صلى الجمعة بالمدينة في نقيع الخضمات، ومات رضي الله عنه في السنة الأولى من الهجرة في شوال قبل بدر.
انظر: أسد الغابة لابن الأثير(١:٨٦-٨٧)، الإصابة لابن حجر:(١/٣٢-٣٣).

(٢) أي إن إخراج الرسول صلى الله عليه وسلم من بلده مكة وقدومه عليكم معشر الأنصار في يثرب وهي: (المدينه). مفارقة العرب كافة...الخ.

(٣) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه، مسند أحمد (٣:٣٢٢،٣٤٠) قال في مجمع الزوائد ٦/٤٦ ورجال أحمد رجال الصحيح.

الحق، فأضلوا غيرهم فإن تركو أهل الحق وشأنهم فإن عزائم أهل الحق ستضعف، والأمر سيستفحل، ويسير البون شاسعاً ويتسع الخرق على الراقع، فيأتي أهل الخير اليأس من كل أبوابه ثم بعد ذلك تداعى الأمم على مجتمعه وهو أحد أفراده كما تدعى الأكلة على قصعتها.

وتفقد الأمة شرط الأمان من الله تعالى في عدم هلاكها بتهاون دعاة الحق الذين عليهم واجب النصح والبيان ((**وما كان ربك ليهلك القرىٰ بظلمٍ وأهلها مصلحون**))(١).

ولا يخذلن الدعاة إلى الله كثرة المعرضين والصادين، فإن الله أرسل رسوله وأوحى إليه بقوله جل وعلا: ((**وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله...**))(٢) ((**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين**))(٣).

وليجاهدوا أنفسهم على التمسك بالحق والنصرة له، والانتصار في سبيله ليبقوا حصناً وملاذاً لعز الإسلام ونصرة أهله، فيكونوا للإسلام حماة، وللدعوة دعاة أمناء، وللناس نصحاء.

فيظهر أثرهم في أنفسهم، ويبقى أثرهم على الناس من بعدهم، فإن مضوا إلى الله مضوا بخير وداع من الدنيا وأفضوا إلى أحسن مقام في الآخرة كما قال تعالى: (**إن المتقين ف جنّٰتٍ ونهرٍ * فى مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر**))(٤) وقال جل وعلا أيضاً: ((**ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرةٌ من الله ورحمةٌ خيرٌ مما يجمعون * ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون**))(٥).

والله محقق لهم وعده ولو على أيدي خلفهم، قال تعالى: ((**والذين جٰهدوا فينا لنهدينَّهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**))(٦).

---

(١) سورة هود: الآية (١١٧).
(٢) سورة الأنعام: الآية (١١٦).
(٣) سورة يوسف: الآية (١٠٣).
(٤) سورة القمر : الآية (٥٤-٥٥).
(٥) سورة آل عمران: الآية (١٥٧،١٥٨).
(٦) سورة العنكبوت: الآية (٦٩).

وليعلم أولو الأمر أن عليهم واجب حماية الدعوة إلى الله تعالى وتيسير السبل لها، والعمل على نشرها، والذود عنها، والذب عن أحكامها، وتسخير مايملكون لنشرها فهي أساس التمكين في الأرض: ((**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادىَ الصّٰلحون * إن فى هذا لبلٰغاً لقوم عٰبدين**))(١).

وهي عنوان شكر الله تعالى والقيام بأمره، وحراسة دينه، امتثالاً لقوله تعالى: ((**الذين إن مكنّٰهم في الأرض أقاموا الصلوٰة وءاتوا الزكوٰة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عٰقبة الأمور**))(٢).

وليعلم أهل الباطل أن الدعوة مؤيدة بالسلطان ((والله يزع بالسلطان مالايزع بالقرآن))(٣).

---

(٢) سورة الأنبياء: الآية (١٠٥-١٠٦).

(٣) سورة الحج: الآية (٤١).

(٤) هذا الأثر مروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأورد نصه ابن كثير في تفسيره ((٦٣:٣)) عند قوله تعالى: ((واجعل لى من لدنك سلطٰناً نصيراً)) (الإسراء:٨٠).

التمهيد
د - في الظروف والملابسات التي نزلت فيها سورة هود عليه السلام

د- في الظروف والملابسات التي نزلت فيها سورة هود عليه السلام

لقد نزلت سورة هود عليه السلام في فترة كانت من أحرج الفترات وأشقها على تاريخ الدعوة بمكة[١]. فقد سبقها موت أبي طالب وخديجة[٢] رضي الله عنها وجرأة المشركين على مالم يكونوا ليجرؤوا عليه في حياة أبي طالب، وخاصة بعد حادث الإسراء، واستغراب المشركين له، واستهزاؤهم به، وارتداد بعض من كانوا أسلموا قبله، وفقد الرسول صلى الله عليه وسلم لزوجه خديجة رضي الله عنها، في الوقت الذي تجرأت فيه قريش عليه وعلى دعوته؛ وبلغت الحرب المعلنة عليه وعلى دعوته أقسى وأقصى مداها؛ وتوقف الناس عن الدخول في الإسلام حتى ماكاد يدخل في الإسلام أحد من مكة وما حولها.. وذلك قبيل أن يفتح الله على رسوله، وعلى القلة المسلمة معه، بيعة العقبة الأولى ثم الثانية...

---

(١) هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، أبو طالب، والد علي رضي الله عنه، وعم النبي صلى الله عليه وسلم، وكافله، ومربيه ومناصره، كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء، الأباة، وله تجارة كسائر قريش، نشأ النبي صلى الله عليه وسلم في بيته، وسافر معه إلى الشام في صباه، ولما أظهر الدعوة إلى الإسلام همَّ أقرباؤه "بنو قريش" بقتله، فحماه أبو طالب، وصدهم عنه، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، فامتنع خوفاً من أن تعيره العرب بتركه دين آبائه، ووعد بنصرته وحمايته واستمر على ذلك إلى أن توفي، فاضطر المسلمون للهجرة من مكة، مولده ووفاته بمكة.
انظر: طبقات ابن سعد (١:٩٣و١١٩-١٢٥). الإصابة (٧:١١٢-١١٦) الكامل لابن الأثير (٢:٥٠و٦٠-٦٦) والأعلام (٤:١٦٦).

(٢) خديجة بنت خويلد، أم المؤمنين، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أول امرأة تزوجها، وأول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين، ولم يتقدمها رجل ولا امرأة، ولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم، والطيب، والطاهر، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، توفيت رضي الله عنها قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل أربع، وقيل بثلاث سنين، وهذا هو الصواب.انظر: أسد الغابة (٦:٧٨-٨٥). الإصابة لابن حجر (٨:٦٠-٦٢).

قال ابن اسحاق [١] : ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب -بهلك خديجة رضي الله عنها- وكانت له وزير صدق في الإسلام يشكو إليها -وبهلك عمه أبي طالب- وكان له عضداً وحرزاً في أمره، ومنعة وناصراً على قومه- وذلك قبل مهاجرته إلى المدينة بثلاث سنين.

فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه ترابا.. ولما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التراب، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها: ((لاتبكي يابنية، فإن الله مانع أباك)) قال: ويقول بين ذلك: ((مانالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب)) [٢] .

جاء في امتاع الأسماع: ((فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بموتهما، وسماه "عام الحزن" وقال: "مانالت قريش مني شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب" لأنه لم يكن في عشيرته وأعمامه حامياً له، ولا ذاباً عنه غيره)) [٣] .

ففي هذه الفترة نزلت سورة هود، ويونس قبلها، وقبلهما سورة الإسراء، وسورة الفرقان، وكلها تحمل طابع هذه الفترة، وتحدث عن مدى تحدي قريش وتعديها [٤] .

---

(١) هو: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: من أقدم مؤرخي العرب، من أهل المدينة، له السيرة النبوية، وهذبها ابن هشام، وكتاب الخلفاء، وكتاب المبدأ. توفي سنة ١٥١هـ.
انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٣٤:٩-٤٠). الأعلام للزركلي (٢٨:٦).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: (٤١٦:١).

(٣) إمتاع الأسماع للمقريزي (٢٧)

(٤) في ظلال القرآن: لسيد قطب (١٨٤٠:٤-١٨٤١).

التمهيد

هـ - المقارنة بين منهج هذه السورة في الدعوة ومناهج بعض السور المشابهة.

و - الحكمة من تكرار القصص في القرآن الكريم وبيان مقاصد إيراد قصص الرسل مع أممهم في القرآن الكريم.

هـ- المقارنة بين منهج هذه السورة في الدعوة ومناهج بعض السور المتشابهة:

(إن كتاب الله تعالى في غاية الحكمة والإحكام، في أسلوبه، وتشريعاته، وترتيب سوره وآياته، وموضوعات سوره، وهي حكمة قد يدركها الناس، أو يدركون بعضها، أو لايدركون منها شيئا، والمطلوب الإيمان بغيب حكمة الله تعالى ماظهر منها، وما بطن، والإيمان هذا في حد ذاته إيمان وعمل.

أما الذين يخوضون ويلعبون حول هذه الحكم وتلك الأسرار في كتاب الله تعالى إذا ظهرت لهم أخذوا بها بدعواهم، وإن خفيت عليهم أنكروها وجحدوها بعقولهم المحدودة، وذهبوا يخوضون في الغيبيات والأسرار خوضاً يخرجهم من ثناء الله تعالى على المؤمنين بالغيب، إن هؤلاء إلا فتنة قديماً وحدثناً في شريعتنا وإسلامنا، يجب الحذر منهم على كل حال وفي كل زمان ومكان.. والمناسبة بين السور وإن لم يأت نص يبين حكمة ترتيبها، فإنها مما يستخرجه أهل التأويل بالاجتهاد)[1] وقد ذكر أهل التفسير مناسبة خاصة وعامة بين سورة هود ومثيلاتها من السور المكية كسورة الأعراف، ويونس، والشعراء.. وغيرها من السور المكية، وهي مناسبة خاصة، وعامة:

---

(١) منهج الدعوة الإسلامية في البناء الإجتماعي: لمحمد بن محمد الأنصاري (١٤).

فأما الخاصة: فما ذكروه من وجه اتصال سورة هود بسورة يونس عليه السلام: إذ إنه ذكر في سورة يونس قصة نوح عليه السلام مُختصرة جدا، مُجملة، فشُرِحت في هذه السورة، وبُسطت فيها مالم تبسط في غيرها من السور، ولا سورة الأعراف على طولها، ولا سورة نوح[1] التي أُفردت لقصته، فكانت هذه السورة شرحاً لما أجمل في تلك السورة، وبسطاً لها، ثم إن مطلعها شديد الارتباط بمطلع تلك فإن قوله تعالى هنا: ((الر كتٰب أحكمت ءايٰته))[2] نظير قوله سبحانه هناك: ((الر تلك ءايٰت الكتٰب الحكيم))[3] بل بين مطلع هذه وختام تلك شدة ارتباط أيضا، حيث ختمت بنفي الشرك واتباع الوحي، وافتتحت هذه ببيان الوحي والتحذير من الشرك[4].

وأما المناسبة العامة فهي: المماثلة بين هذه السورة ومثيلاتها من السور المكية.. إذ إن أكثرها نزل في اثبات التوحيد، والنبوات، والمعاد، وللرد على الكفار فيما أنكروه من هذا كله..

واستعرضت موكب الرسالات الإلٰهية وجهادهم من أجل توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة، ونبذ كل مايعبد من دون الله تعالى.. وجهاد الرسل عليهم السلام من أجل عقيدة التوحيد، ونبذ مايضادها في العبادة والتوكل، والإنابة، والخوف، والخشية.. إلى غير ذٰلك مما هو من مستلزمات عقيدة التوحيد.

---

(١) سورة نوح: الآية (١).
(٢) سورة هود: الآية (١).
(٣) سورة يونس: الآية (١).
(٤) روح المعاني للآلوسي: (٢٠٢:١٢).

وما سورة هود إلا واحدة من السور المكية واكبت آياتها المرحلة الأولى للدعوة، فنزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في مكة.. وقد كان صلى الله عليه وسلم في قلة من أتباع دينه.. وقد كانت هذه القلة المؤمنة تواجه صلف قريش، وكبريائها بالباطل.. واستحقارها لأهل الحق، والسخرية والاستهزاء بهم.. وفي هذا الجو الساخن بالإيذاء والتكذيب يشتد البلاء على الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباع دينه من قريش وأشياعهم على الكفر.. مع أن القرآن الذي أمرتهم آياته بعبادة الله تعالى وحده، والتصديق برسوله وانذارهم الإعراض عنه.. يعلمون علم اليقين أنه إنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو.. تُقر فطرهم بوحدانيته.. وتشهد عقولهم بآثار خلقه في كونه: ((**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله..**))(١).

ويلجؤون إليه مخلصين له الدين، إذا اشتدت بهم المحن، كما قال تعالى: ((**فإذا ركبوا في الفلك دعوُا الله مخلصين له الدين فلما نجّـهم إلى البر إذا هم يشركون**))(٢).

لُكنهم مع هذا إن أمروا بعبادة الله تعالى وحده قالوا: ((**أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيءٌ عُجَاب**))(٣).

وإن ذكروا بالبعث قالوا سحراً كما قال تعالى: ((**ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين**))(٤).

---

(١) سورة الزخرف: الآية (٨٧).
(٢) سورة العنكبوت: الآية (٦٥).
(٣) سورة ص: الآية (٥).
(٤) سورة هود: الآية (٧).

وإن ذكروا بعذاب الإنتقام قابلوه بالإستهزاء، كما قال تعالى: ((**ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن مايحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم وحاق بهم ماكانوا به يستهزءون**))(١).

وبهذا ندرك أن الدعوة إلى الله تعالى واجهت من أول يومها قوماً طغاة، عتاة، سادرين في جهلهم وعبادتهم للأصنام وإنكار النبوات والمعاد، وإعلان الصدود والإعراض.

وفي هذا الجو المفعم بالإيذاء.. وضيق صدر الداعي تنزل الآيات التي توطن الرسول صلى الله عليه وسلم على الدعوة والمضي بها، ومناصرتها، والذود عنها.. مع التذكير بأسلوبها، ومنهجها.. فتأمر بالهجر الجميل، والصفح.. وكف الأيدي، والصدع بالحق.. وأن لايأبه بعنادهم.. ولا يفت في عضده استهزاؤهم، كما قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم مسليا له من عناد قومه: ((**فلعلك تارك بعض مايوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذيرٌ والله على كل شيء وكيل**))(٢) وقصّ الله على رسوله أحوال الرسل مع أممهم وكيف أن الله تعالى نصر رسله وأتباعهم وخَذَل المكذبين لهم ونَكل بهم.

ثم خُتمت آيات السورة بذكر أحوال الأشقياء والسعداء وما ينتظرهم من الحساب وموافاة من أحسن إحساناً ومن أساء سوءاً ((**وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم..**))(٣) والأمر بالاستقامة والتأكيد عليها وحتى قال صلى الله عليه وسلم (شيبتني(٤) هود وأخواتها)(٥).

---

(١) سورة هود: الآية (٨).

(٢) سورة هود: الآية (١٢).

(٣) سورة هود، الآية: ١١١

(٤) قال العلماء لعل ذلك لما فيهن من التخويف الفظيع والوعيد الشديد لاشتمالهن على حكاية أهوال الآخرة وعجائبها، وفظائعها، وأحوال الهالكين والمعذبين مع مافي بعضهن من الأمر بالاستقامة.. وهو من أصعب المقامات وهو مقام الشكر إذ هو صرف العبد في كل ذرة ونفس جميع ماأنعم الله به عليه من حواسه الظاهرة والباطنة إلى ماخلق لأجله من عبادة ربه بما يليق بكل جارحة من جوارحه على الوجه الأكمل، ولهذا لما قيل للمصطفى صلى الله عليه وسلم وقد أجهد نفسه بكثرة البكاء والخوف والضراعة أتفعل هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكورا.
فيض القدير للمناوي (١٦٩/٤).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٨٦/١٧) رقم الحديث ٧٩٠ من حديث عقبة بن عامر.
ومن حديث عمران بن حصين أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٤٥/٣) وقال الألباني: إسناده حسن. سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٩٥٥) وراجع التخريجات والشواهد للحديث في الصحيحة وصحيح الجامع (٢٣١/٣).

ونزلت السور المكية تترى.. ودارت آياتها حول ماالكفار فيه خصمون من أمر:

- إفراد الله تعالى بالعبادة.
- والبعث والنشور.
- ونبوة الأنبياء عليهم السلام (١).

فقرع أسماعهم بمثل قوله تعالى: ((الر كتٰب أحكمت ءايٰته ثم فصلت من لدن حكيم خبير* ألا تعبدوا إلا الله إننى لكم منه نذير وبشير)) (٢).

وإذا تأملنا آيات هذه السورة نجد أن الله تعالى بدأ آياتها بالامتنان على عباده بإنزال كتبه، وإحكام آياته وتفصيلها.. من الأمر بالعبادة، وترك عبادة غير الله سبحانه، وبيان أن الذي أُنزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى.. وقرر في تضاعيف ذٰلك ماله مدخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب.وبين جل وعلا تحديد الآجال.. وتكفله سبحانه فضلاً ونعمةً منه بالأرزاق.. وذكّر بآثار قدرته جل وعلا في كونه من خلق السموات والأرض.. وتقرير سنة الله في خلقه من ابتلاء عباده في هذه الدار ليتبين الذين صدقوا ومن هم عن أمره في إعراض.

وأكد تعالى رجوع الخلائق إليه وموافاتهم بجزاء أعمالهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ولا يظلم ربك أحدا. وأنكر على الكفار استهزاءهم بيوم المعاد، واستبعادهم لعذاب الانتقام.. وألزم المعاندين الحجة بما أقَامه من الشواهد الحقة الدالة على أن هذا الكتاب من عنده سبحانه. وسلّى رسوله صلى الله عليه وسلم مما عراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحات المعاندين الشنيعة، وتكذيبهم له، وتسميتهم للقرآن تارة سحراً، وأخرى مفترى، وجاءت في السورة آيات تثبت الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على التمسك به، والعمل بموجبه على أبلغ وجه وأبدع أسلوب (٣).

---

(١) ألف في بيان هذه الأسس الثلاثة الشوكاني رحمه الله كتابا سماه (إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات) وأورد في كتابه هذا الأدلة على ذلك من القرآن والتوراة والأناجيل.

(٢) سورة هود: الآية (١). (٣) قارن بتفسير أبي السعود: (٤:١٩٩).

((ولما ذكر الله تعالى في أوائل آيات السورة دلائل قدرته الدالة على توحيده وربوبيته، وأقام الأدلة القاطعة على صحة البعث بعد الموت أتبع ذلك بقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما جرى لهم مع أممهم))[٢] .وهو ما سنقف عليه في الأتى:

و - الحكمة من تكرار القصص في القرآن الكريم وبيان مقاصد إيراد قصص الرسل عليهم السلام مع أممهم في القرآن الكريم:

وذكر بعض المفسرين الحكمة من تكرار القصص في القرآن، وذكروا منها:

* **الأول**: أنه ربما ذكر في سورة من أخبار الأنبياء مالم يذكره في سورة أخرى، ففي كل واحدة منهما فائدة زائدة على الأخرى.

* **الثاني**: أنه ذكرت أخبار الأنبياء في مواضع على طريقة الإطناب وفي مواضع على طريقة الإيجاز، لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين.

* **الثالث**: أن أخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد فتعددت ذكرها بتعدد تلك المقاصد[٢] .

ومن هذه المقاصد:

١ - اثبات الوحدانية لله تعالى وحده، ولإقامة البرهان على أن ماأمر به من التوحيد وأركانه مما اجتمع عليه الأنبياء قاطبة[٣] ألا ترى أنه سبحانه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال: ((**فما أغنت عنهم ءالهتهم التى يدعون من دون الله من شىءٍ لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب**))[٤] .

---

(١) السراج المنير للشربيني (٤٨٣:١).
(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: لمحمد بن جزي (٦:١).
(٣) تفسير أبي السعود (١٩٩:٤).
(٤) سورة هود: الآية (١٠١).

٢ - وإثبات نبوة الأنبياء المتقدمين بذكر ماجرى على أيديهم من المعجزات وذكر إهلاك من كذبهم بأنواع المهلكات.

٣ - وإقامة البرهان على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه كان أمياً لايقرأ ولا يكتب، ولم يلق أحداً من علماء زمانه، وقد أوتي بمثل هذه القصص والأخبار عن القرون الماضية والأمم الخالية مما لم ينكره عليه أحد، فعلم بذلك أنه إنما أتى من عند الله وأنه أوحي إليه بذلك فكان ذلك دليلاً واضحاً وبرهاناً قاطعاً على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم[١].

كما قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بعد قصة نوح عليه السلام: ((**تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا..**))[٢].

٤ - وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه له، بما يقص عليه من معاناة الرسل قبله من أممهم، ومقاساتهم الشدائد من جهتهم[٣]، ليتقوى على الدعوة، ولئلا يفت في عضده إعراضهم فقال جل وعلا بعد أن ذكر مواقف الأمم وما حاق بالمكذبين من الهلاك: ((**فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء مايعبدون إلا كما يعبد اباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص**))[٤].

٥ - وجاء القصص أيضا لتثبيت قلب الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من بعده: ((**وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرىٰ للمؤمنين**))[٥].

٦ - وتبشير الرسول صلى الله عليه وسلم بالنصر كما نصر الله رسله عليهم السلام، وأهلك المعاندين على كثرتهم، وأنجى الله تعالى من آمن به وصدق رسله، فالعاقبة للتقوى، والعذاب على من كذب وتولى: ((**فاصبر إن العٰقبة للمتقين**))[٦].

---

(١) السراج المنير للشربيني (١:٤٨٤).
(٢) سورة هود: الآية (٤٩).
(٣) تفسير أبي السعود: (٤:١٩٩).
(٤) سورة هود: الآية (١٠٩).
(٥) سورة هود: الآية (١٢٠).
(٦) سورة هود: الآية (٤٩).

٧ - وتحذيراً لقريش وغيرها -ممن أعرضوا عن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم- من عاقبة ماهم عليه من الكفر والاصرار والعناد فقد أخذ الله بالكفر من هم أعظم منهم تمكناً وملكاً، وأشد تمالأً وبغياً.

وساق الحق تبارك وتعالى القصص المتعلقة بالأنبياء السابقين، وبين مواقف أقوامهم، وتكذيبهم وعنادهم، وما أصابهم من قارعة، أو حلت قريباً من دارهم، تخويفاً للكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم، إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء من مواقف العظة والاعتبار[١] ((**وكذٰلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظٰلمة إن أخذه أليم شديد**))[٢].

٨ - ولإقامة الحجة على بني إسرائيل.. فقد قص الله عليهم أكثر الذي هم فيه مختلفون.. وقص عليهم مايعملون به أن الرسول حق وأن مايدعو إليه هو الحق المبين.

وعرض القرآن الكريم في مواضع عديدة منه خبر موسى عليه السلام مع فرعون كلّ ذلك لعناد بني إسرائيل، وتصلب موقفهم من الإيمان بدعوة خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم، مع أنهم من سلالة آباء آمنوا بموسى عليه السلام، فأنجاهم الله من أسر فرعون وقهره، ولهذا يمتن الله تعالى على الأبناء بنعمته على الآباء كما في قوله تعالى: ((**وإذ قال موسىٰ لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجىٰكم من ءال فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذٰلكم بلاء من ربكم عظيم**))[٣] لأن تنجية الآباء سبب لوجود الأبناء، ولو هلك الآباء لما وجد الأبناء، وهم مخاطبون برسالة خاتم الرسل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، مأمورون باتباعها وتوعد الحق تبارك وتعالى من كذب بالقرآن أو بشيء منه النار، كما قال تعالى: ((**ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده...**))[٤].

---

(١) كتاب التسهيل: (٦:١).
(٢) سورة هود: الآية (١٠٢).
(٣) سورة إبراهيم: الآية (٦).
(٤) سورة هود: الآية (١٧).

أي: ومن كفر بالقرآن من سائر أهل الأرض مشركهم، وكافرهم، وأهل الكتاب وغيرهم من سائر طوائف بني آدم على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم ممن بلغه القرآن، كما قال تعالى: ((**لأنذركم به ومن بلغ**))(١) وقال تعالى: ((**قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً...**))(٢) وقال تعالى: ((**ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده**))(٣).

وفي الحديث: ((والذي نفس محمد بيده لايسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار))(٤)(٥).

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٩).

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٥٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٤٥٦:٢) والآية (٦) من سورة إبراهيم.

(٤) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، رواه مسلم في كتاب الإيمان، ٧٠- باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (١٣٤:١).

(٥) تفسير ابن كثير (٤٥٦:٢).

الباب الأول

أسس الدعوة إلى الله تعالى كما تجليها السورة

وفيه ثمانية فصول:

الفصل الأول : الدعوة إلى الله تعالى صادرة من لدن حكيم خبير.

الفصل الثاني : الوحي مصدر الدعوة لا الاجتهاد البشري.

الفصل الثالث : الدعوة إلى الله تعالى وموافقتها للفطرة

الفصل الرابع : تفرد الله تعالى (بالخلق والأمر) وصلة ذلك بأصول الدعوة

الفصل الخامس : عقيدة المعاد وصلتها بأهداف الدعوة

الفصل السادس: بيان شدة فقر الإنسان إلى خالقه

الفصل السابع : الإبتلاء بالنعم والنقم تذكير بالله تعالى

الفصل الثامن : في تأييد الله تعالى لرسله عليهم السلام في دعوتهم

الباب الأول

الفصل الأول

الدعوة إلى الله تعالى صادرة من لدن حكيم خبير

الدعوة إلى الله تعالى باقية ببقاء مصدرها وهو الكتاب المحكم في آياته، المفصل في أخباره، المحفوظ بحفظ الله جل وعلا، تستمد منه وجودها وبقاءها وتأثيرها في القلوب، واستيلاءها على المشاعر والوجدان فهي قوية بقوته، دائمة بدوامه، محفوظة بحفظه، كاملة بكماله، لايعتريها نقص ولا يلحقها تبديل (١) ومحكمة بحكمة منزله، ومفصلة ببيانه، ومؤيدة بنصره وتأييده، ومبلغة بأمره وتوجيهه، ومحاطة بعلمه وخبرته، كما قال تعالى: ((**الر كتٰب أحكمت ءايٰته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**)) (٢).

فـ ((الر)) من الحروف المقطعة، إفتتح الله عز وجل بها تسعاً وعشرين سورة من كتابه الكريم (٣) وسأتعرض لهذا اللفظ من ناحيتين: إن شاء الله تعالى:

- **الناحية الأولى**: من حيث المعنى.
- **الناحية الثانية**: في الحكمة من وروده في القرآن.

أما من حيث المعنى : فقد إختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السورة، فمنهم من قال: هي مما إستأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله تعالى، ولم يتعرضوا لتفسيرها بشيء.

ومن المفسرين من فسرها وهؤلاء إختلفوا في معناها:

- فقال بعضهم: إنما هي أسماء السورة.
- وقال فريق: هي إسم من أسماء الله تعالى.
- ويرى آخرون: أنها أداة استفتاح للتنبيه والتحضيض.

---

(١) أعني أن الأصول التي تقوم عليها الدعوة لايلحقها تبديل وليست ممارسة الدعاة لها، لأنها تختلف من شخص إلى آخر.

(٢) سورة هود: الآية (١).

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٣٨/١) عند تفسير أول سورة البقرة.

وقد عرض ابن كثير[١] رحمه الله تعالى هذه الأقوال وذكر مااستند بعضهم إليه في قوله، وناقش أدلتهم وأَكْتفي بالإحالة إليه لمن أراد مزيداً من الإطلاع.

ومع أنه لايوجد دليل قاطع على تعيين المراد من هذه الحروف لأنه لم يثبت في تفسيرها عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء، إلا أن القول بأن هذه الحروف جاءت للتنبيه والإعجاز والتحدي، أمر له وجه في التفسير، لأن هذه الحروف من القرآن، والله عز وجل لم ينزلها عبثاً ولا سدىً، واتفق أهل الحق على أنه ليس في القرآن مالامعنى له.

يقول ابن كثير : (ومن قال من الجهلة إن في القرآن ماهو تعبد لامعنى له بالكلية فقد أخطأ خطأً كبيراً، فتعين أن لها معنى في نفس الأمر فإن صح لنا فيها عن المعصوم صلى الله عليه وسلم شيء قلنا به وإلا وقَفْنَا حيث وقَّفْنَا، وقلنا: ((**ءامنا به كلٌّ من عند ربنا...**))[٢] ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين، وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه، والإ فالوقف حتى يتبين هذا المقام)[٣].

أما الناحية الثانية: وهي الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها:

فقال بعضهم: إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور، حكاه **ابن جرير**[٤] وهو ضعيف، وهذا يقرب من تفسيرها بأنها أسماء للسور.

---

(١) هو : إسماعيل بن كثير، أبو الفداء عماد الدين حافظ، مؤرخ، مفسر، فقيه، ولد سنة (٧٠١هـ)، ومن شيوخه: الحافظ المزي، وتقي الدين بن تيمية ، وكانت له خصوصية به واتباع له في كثير من آرائه.

ومن تلاميذه: ابن حجر، ومن كتبه: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، وطبقات الشافعية. توفى سنة (٧٧٤هـ).

انظر : طبقات المفسرين للداوودي (١/١١١-١١٣)، وشذرات الذهب لابن عماد (٦/٢٣١-٢٣٢).

(٢) سورة آل عمران: الآية (٧).

(٣) تفسير ابن كثير: (١:٤٠).

(٤) هو المفسر المعروف ، والمؤرخ المشهور، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ولد في آمل بطبرستان سنة (٢٢٤هـ) ومن شيوخه: محمد بن عبدالملك الأمود، وإسماعيل بن موسى

===

وقال آخرون: بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف التي بها يتخاطبون.

وقد حُكي هذا المذهب عن جماعة من المفسرين (١).

ويضيف ابن كثير أيضا ماقاله الزمخشري (٢) لبيان وجه الإعجاز والتحدي: أن هذه الحروف (لم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وإنما كُرِّرت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيت، كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالتصريح في أماكن، قال: وجاء منها على حرف واحد كقوله ((ص - ن - ق)) وحرفين مثل ((حم)) وثلاثة مثل ((الم)) وأربعة مثل ((المر)) و ((المص) وخمسة مثل ((كهيعص)) و ((حمعسق)) لأن أساليب كلامهم على هذا من الكلمات ماهو على حرف، وعلى حرفين، وعلى ثلاثة، وعلى أربعة، وعلى خمسة لاأكثر من ذلك (٣).

=== الفزاري، ومن تلاميذه: أبو شعيب عبدالله الحراني، وأبو عمرو محمد النيسابوري ، ومن كتبه: كتاب تفسيره الذي لم يصنف أحد مثله، وتاريخ الأمم والملوك، توفى ببغداد سنة (٣١٠هـ).

انظر : طبقات الشافعية للسبكي (١٣٥/٢-١٣٨)، وطبقات المفسرين للداوودي (١١٠/٢).

(١) يقول ابن كثير: (وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين، وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا، وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر، وإليه ذهب الشيخ الامام العلامة أبو العباس بن تيمية، وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية).ا.هـ تفسير ابن كثير: (٤٠:١) عند أول آية من سورة البقرة.

ولمزيد من الاطلاع انظر: الكشاف (٧٦/١) وما بعدها، التفسير الكبير للفخر الرازي (٢:١-١٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥٤:١).

(٢) هو: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر النحوي، اللغوي، المتكلم المعتزلي، المفسر، يلقب (جار الله) لأنه جاور (مكة) زمانا، وينسب الى زمخشر لأنه ولد بها سنة (٤٦٧هـ). ومن شيوخه: محمد بن أبي جعفر الترمذي، والامام أبو عبد الله بن محمد القرشي.

ومن كتبه: الفائق في غريب الحديث، وأساس البلاغة، توفي سنة (٥٣٨هـ).

طبقات المفسرين للسيوطي (١٠٤) وطبقات المفسرين للداودي (٣١٤:٢-٣١٦).

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (١٠٤:١-١٠٥) عند تفسيره لأول آية من سورة البقرة.

ويخلص ابن كثير إلى القول: (بأن كل سورة افتتحت بالحروف فلابد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالإستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة، ولهذا يقول تعالى: ((ألم* ذلك الكتٰب لاريب فيه...))[١] ((الٓمٓ* الله لاإلٰه الا هو الحي القيوم* نزّل عليك الكتٰب بالحق مصدّقاً لما بين يديه...))[٢] ((المص *كتٰب أنزِل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه...))[٣] ((الٓرٰ* كتٰب أنزلنٰه إليك لتخرج الناس من الظلمٰت إلى النور بإذن ربهم...))[٤] ((الٓمٓ. تنزيل الكتٰب لاريب فيه من رب العٰلمين...))[٥] ((حٰمٓ. عٓسٓقٓ. كذٰلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم))[٦] وغير ذٰلك من الآيات الدالة على صحة ماذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر، والله تعالى أعلم)[٧] اهـ.

وبعد أن ذكرنا أقوال العلماء في الحروف التي افتتحت بها أوائل السور. نأتي إلى إيضاح مايتعلق بالكتاب والإحكام:

فالكتاب لغة: (مصدر من كتب يكتب اذا جمع وسمي كتاباً لأنه جمع بعضه إلى بعض، ومنه قيل: كتيبة، لاجتماعها)[٨].

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢،١).
(٢) سورة آل عمران، الآية: (١-٣).
(٣) سورة الأعراف، الآية: (٢،١).
(٤) سورة ابراهيم، الآية: (١).
(٥) سورة السجدة، الآية: (٢،١).
(٦) سورة الشورى، الآية: (١-٣).
(٧) تفسير ابن كثير (٤٠:١) عند تفسيره أول سورة البقرة.
(٨) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (كتب) (٧٠١،٦٩٨/١)، زاد المسير لابن الجوزي (٢٣:١) عند تفسيره الآية الأولى من سورة البقرة، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥٨:١).

وفي الاصطلاح: (هو كتاب الله تعالى المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه، المنقول بالتواتر -المفيد للقطع واليقين- المكتوب في المصاحف، والمتعبد بتلاوته، والمبدوء بسورة ((الفاتحة)) والمنتهي بسورة ((الناس))[1] أسماه الله تعالى كتاباً إشارة لكونه مكتوباً في السطور، وأسماه قرآناً إشارة إلى كونه مقروءًا أو محفوظاً في الصدور أو مجموعاً بها)[2].

أما قوله ((**أحكمت**)) فالإحكام في اللغة (المنع).

وقد فسر الإحكام في هذه الآية بمعان منها:

أولها: أنها أحكمت آياته: أي نُظمت نظماً مُحكماً لايقع فيها نقص ولا خلل -كالبناء المحكم المرصوف- لايعتريه خلل من جهة اللفظ والمعنى، ولا يستطيع أحد نقص شيء منه، ولا الطعن في شيء من بلاغته أو فصاحته.

- **أما المعنى الثاني**: فالإحكام بمعنى (بقاء أحكامه فلم ينسخه كتاب جاء بعده. (فقوله: ((أحكمت ءايٰته)) أي: لم تنسخ جملتها بكتاب، كما نسخت الكتب والشرائع به كما قال ابن عباس[3] رضي الله عنهما.

- **أما المعنى الثالث**: أنها أحكمت بالحجج والدلائل.

---

(١) مناهل العرفان للزرقاني (١٣) والمدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور محمد محمد أبو شهبة (٦).

(٢) انظر : النبأ العظيم: د. محمد عبد الله دراز (٧-٨).

(٣) هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفهم في القرآن، فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه، وعامة علمه رضي الله عنه عن ثلاثة: عمر، وعلي، وأبي بن كعب رضي الله عنهم مات بالطائف سنة (٦٨هـ).
انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١:٤٠-٤١) وتقريب التهذيب لابن حجر (١٧٨).

- **والمعنى الرابع**: جاءت بالحكمة وهذا المعنى مأخوذ من (حكم) بالضم اذا صار حكيما لأنها مشتملة على أمهات الحكم والمصالح[(١)].

والمراد من المعنى الأول: أن القرآن آياته مُحكَمة أي متقنة لايعتريها خلل، ولا يلحقها نقص، مُحكَمة في لفظها ومعانيها، وأسلوبها وفصاحتها وبلاغتها، فلا أحد يستطيع أن يأتي بمثلها، وبهذا يكمن إعجاز القرآن حيث تحدى أهل الفصاحة والبلاغة على أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا، وأن يدعوا أعوانهم فلم يستجيبوا، وسيأتي لهذا مزيد ايضاح ان شاء الله تعالى[(٢)].

وعلى المعنى الثاني: أن آيات القرآن جعلت أحكامها باقية وخاتمة لغيرها من الشرائع، فهي ناسخة لغيرها وغيرها لاينسخها، فأحكامها باقية مابقيت دار التكليف، لأن حكمة الله تعالى اقتضت أن تكون هذه الشريعة خاتمة للشرائع، وقد كملت الشرائع بها، فهي ناسخة للأحكام الفرعية العملية في غيرها من الشرائع، أما أصول الشرائع فهي لم يدخلها النسخ.

---

(١) استفدت هذه الوجوه بالرجوع إلى: الكشاف للزمخشري (٢:٢٥٧-٢٥٨) والبحر المحيط لأبي حيان (٥:٢٠٠) وتفسير أبي السعود (٤:١٨٢) وروح المعاني للألوسي (١١:٢٠٣-٢٠٤) والسراج المنير للشربيني (٢:٤٢-٤٣) مع تصرف في بعض العبارات.

(٢) انظر فصل: (تأييد الله عز وجل لرسله) ص (٢٠٠) من الرسالة.

وفي هذا يقول ابن تيمية -رحمه الله تعالى-:

((فجميع الرسل متفقون في الدين الجامع في الأصول الإعتقادية والعملية: كالإيمان بالله، ورسله، واليوم الآخر، والعملية: كالأعمال العامة المذكورة في سورة الأنعام (١)، والأعراف (٢)، والإسراء (٣))) (٤).

وعلى المعنى الثالث: يكون المراد بإحكام آيات الكتاب أنها وضعت في مواضعها اللائقة بها.

---

(١) ذكرها الله عز وجل في قوله: ((قل تعالوا أتلُ ماحرَّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم، ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون * ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلِّف نفساً إلاَّ وُسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون. وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)) الآيات (١٥١-١٥٣).

(٢) في قوله تعالى: ((قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالاتعلمون)) الآية (٣٣).

(٣) من قوله تعالى: ((وقضى ربك ألا تعبدوا إلَّا إياه ... إلى قوله تعالى: ((ولا تجعل مع الله إلها ءاخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً)) الآيات (٢٣-٣٩).

(٤) مجموع الفتاوى: لابن تيمية (٦:٢٠).

وعلى المعنى الرابع: أن آيات الكتاب أيدت بالحجج الواضحة والأدلة والبراهين التي تدل على صدقها من معجزات وغيرها، فكل نبي أعطي من الحجج الدامغة، والمعجزات الباهرة، ماقامت به الحجة على قومه[1].

هذا بعض ماتوصلت إليه أفهام أولوا العلم في إيضاح معنى الإحكام وكتاب الله تعالى كله حكمة، فهو الكتاب الذي لاتنقضي عجائبه، وذكر بعض معنى اللفظ العام لايمنع من إرادة غيره.

$ $ $ $

وبعد بيان الإحكام نأتي إلى بيان التفصيل:

فقوله تعالى: ((ثم فصلت)) فـ ((ثم)) حرف عطف يقتضي تأخر مابعده عما قبله[2] فالتفصيل أتى بعد الاحكام.

ومعنى التفصيل[3] في اللغة: التبيين.

يقال فصل القصاب الشاة: أي عضاها وقطعها قطعة قطعة.

والفصل: الحاجز بين الشيئين، يقال: فصل بينهما فصلا أي حجزٌ مابينهما، وفصّل الشيء فانفصل أي قطّعه فانقطع.

والفاصلة: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وعقد مفصل أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة.

والفصل: القضاء بين الحق والباطل، واسم ذلك القضاء الذي يفصل بينهما فيصل وهو قضاء فيصل وفاصل.

---

(١) انظر مااعتمدت عليه من مراجع تفسيرية في أول تفسير الإحكام.

(٢) المفردات في غريب القرآن: للراغب كتاب الثاء (٨١).

(٣) انظر مادة (فصل) لسان العرب: لابن منظور (٥٢٢:١١)، والصحاح للجوهري (١٧٩١:٥).

وذكر الزجاج [١] : أن الفاصل صفة من صفات الله عز وجل يفصل القضاء بين الخلق.

وفي التنزيل: ((**إنه لقولٌ فصل**)) [٢] .

وفي صفة كلام الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ((بيِّن فصل)) ومن ذلك قوله عائشة [٣] رضي الله عنها: (ماكان الرسول صلى الله عليه وسلم يسرد كسردكم هذا، ولٰكنه كان يتكلم بكلام بيِّن فصل يحفظه من جلس إليه) [٤] .

---

(١) هو: أبو اسحاق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج النحوي، كان عالما أديبا دِيّنا.
ومن كتبه: معاني القرآن، والاشتقاق، وغيرهما.روى عن المبرد وثعلب، وروى عنه علي بن عبد الله الجوهري وغيره، توفي في بغداد سنة (٣١١هـ).
انظر: اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (٦٢:٢) وطبقات المفسرين للداودي (١٢:١).

(٢) سورة الطارق: الآية (١٣).

(٣) هي: أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم وهي بنت سبع، ودخل بها وهي بنت تسع، وكانت أحب نسائه إليه، قال في فضلها: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)).
روت عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً، وروى عنها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكثير من الصحابةرضي الله عنهم، ومن التابعين مالايحصى، توفيت سنة سبع وخمسين وقيل ثمان وخمسين، ودفنت بالبقيع.
انظر: أسد الغابة لابن الأثير (١٨٨-١٩٢) والإصابة لابن حجر (١٤١٠١٣٩:٨).

(٤) رواه الترمذي في السنن، كتاب المناقب ٩- باب في كلام النبي صلى الله عليه وسلم (٦٠٠:٥) وقال حديث حسن صحيح.
وفي الشمائل (ص ١١٩) كما في مختصره للألباني.وأحمد في المسند (١٣٨:٦).
والحاكم من حديث أم معبد، وصححه (١٠:٣).
وابن سعد في الطبقات (٣٧٥:١). والبيهقي في دلائل النبوة (٢٧٦:١).

أي ((بيّن ظاهر يفصل بين الحق والباطل))[١].

وتعددت أقوال المفسرين تبعاً لما يحتمله لفظ ((التفصيل)) من معنى على أقوال منها:

القول الأول: ((مفصلة)) كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والأحكام والقصص.

القول الثاني: ((فصلت)) أي جعلت فصولا، سورة سورة، وآية آية.

القول الثالث: ((فُصّلت)) أي فُصّل فيها مايحتاج اليه العباد، أي بُيّن ووُضّح، كما قال تعالى: ((**وكل شيء فصلناه تفصيلا...**))[٢] أي بيناه تبييناً[٣].

وفُصّلت في نزولها فلم تنزل جملة واحدة كما في الكتب السابقة.

القول الرابع: ((فصلت)) أي فرقت بين الحق والباطل كما قال تعالى: ((إنَّهُ لقول فصل))[٤] أي يفصل بين الحق والباطل ببيانه.

وكل هذه المعاني تحتملها آيات الكتاب المبين، وإليك توجيه ذلك في الآتي:

* **أما عن القول الأول:** فإن التفصيل كما يأتي لتبيين المعاني وتوضيح بعضها عن بعض، يأتي أيضاً لتنويع الكلام وتفصيله، والجمع فيه من بين تعظيم الله لذاته إلى بيان ماأوجبه على عباده، والمزاوجة بين الترغيب والترهيب لأداء حقه.

---

(١) غريب الحديث لابن الأثير، مادة فصل (٤٥١:٣).
(٢) سورة الاسراء: الآية (١٢).
(٣) تفسير الطبري: (٥٠:٩).
(٤) سورة الطارق: الآية (١٣).

* **وعن القول الثاني**: أن آيات القرآن جعلت سوراً وقطعت بمقاطع اصطلح على تسميتها آية آية، كل لها هدف ترمي إليه، وغاية تهدف إليها، ولها ارتباط بما قبلها وما بعدها، وهي في نفسها أيضا مفصلة معانيها حيث جعل لكل هدف ومعنى غاية ونهاية وهو مايسمى بالآية (١).

ووجه القول الثالث: أن الآيات القرآنية أتت بكل مايصلح العباد في دينهم ودنياهم، وكل هذا مذكور في الآيات القرآنية على وجه الاجمال، ثم فصلت الأحكام في آيات أخرى، وبينها صلى الله عليه،وسلم أتم بيان في سنته، كما قال تعالى: ((**هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلُوْا عليهم ءايٰته ويُزكيهم ويعلمهم الكتٰب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلٰلٍ مبينٍ**)) (٢).

وكما قال تعالى: ((**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانُزِّل إليهم**)) (٣).

قال ابن كثير: (**الذكر**) القرآن، لتبيِّن للناس مانزل إليهم من ربهم، لعلمك بمعنى ماأنزل الله عليك، وحرصك عليه، واتباعك له، وعلمنا بأنك أفضل الخلائق، وسيد ولد آدم، فتفصل لهم ماأجمل، وتبين لهم ماأشكل) (٤) ا.هـ.

ثم إن القرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة، وإنما نزل نجوماً على حسب ماتقتضيه المصالح ومعالجة الوقائع -التي سبق في علم الله علمها والإحاطة بها- لبيان الحق، وتثبيت فؤاده صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ((**وقال الذين كفروا لولا نُزِّلَ عليه القرءان جملة وٰحدة كذٰلك لنثبت به فؤادك ورتلنٰه ترتيلاً**)) (٥).

---

(١) استفدت هذه الوجوه بالرجوع الى: الكشاف للزمخشري (٢:٢٧٧-٢٥٨) والبحر المحيط لأبي حيان (٥:٢٠٠) وتفسير أبي السعود (٤:١٨٣) وروح المعاني للألوسي (١١:٢٠٤) والسراج المنير للشربيني (٢:٤٢-٤٣).

(٢) سورة الجمعة: الآية (٢).

(٣) سورة النحل: الآية (٤٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٢:٥٧٢).

(٥) سورة الفرقان: الآية (٣٢).

* **أما توجيه القول الرابع:** وهو أنها جاءت بالقول الفصل، فلأن آيات الكتاب فَصَلَت وَفَرَّقت بين الحق والباطل، بالحجج الواضحات، والدلائل البينات، فأتت بأصول العقائد: من الايمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وبيَّنت أيضاً ماهو حق في هذه الأمور، وما هو باطل مما كان عليه المشركون، فأتى القرآن وبين الحق وأزهق الباطل، كما قال تعالى: ((**بل نقذف بالحق على البُطل فيدمغه فإذا هو زاهق...**))(١) والرسول صلى الله عليه وسلم كان يردد عند فتح مكة وهو يكسر الأصنام بيده الشريفة قول الله تعالى : ((**جاء الحق وزهق البُطل...**))(٢).

وما ذكر من وجوه التفسير لمعنى ((التفصيل)) الوارد في الآية فاللفظ محتمل له لأن تعدُّد هذه المعاني من باب اختلاف التنوع لا من باب اختلاف التضاد، لكن إذا فسر التفصيل بمعنى إنزال القرآن منجماً بعد إنزاله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا(٣) فتكون ((ثم)) على بابها من اقتضاء الترتيب الزمني، وقد استشهد بهذه الآية كثير من العلماء "على جواز تأخير البيان إلى وقت الحاجة"(٤).

- أما على التفاسير الأخرى ((للتفصيل)) فإن ((ثم)) تكون للترتيب الذكري.

ولهذا شواهد من القرآن الكريم واللغة العربية:

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (١٨).

(٢) سورة الاسراء: الآية (٨١). وانظر ماجاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في كتاب المغازي، ٤٨- باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح؟ (٨/١٥-١٦) مع الفتح.

(٣) انظر ماذكره ابن كثير (٣:٧٢) عند قوله تعالى: ((وقرءاناً فرقنٰه لتقرأه على الناس على مكث ونزلنٰه تنزيلاً)) سورة الاسراء: الآية (١٠٦).

(٤) انظر: روضة الناظر لابن قدامة مع شرحها للأمين (١٨٦).

فمن القرآن الكريم كقوله تعالى: ((ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس...)) (١) وكقوله جل وعلا: ((ثم ءاتينا موسىٰ الكتٰب تماماً على الذى أحسن وتفصيلاً لكل شىء...)) (٢).

وكقوله تعالى: ((فك رقبة. أو إطعٰم فى يوم ذى مسغبة. يتيماً ذا مقربة. أو مسكينا ذا متربة. ثم كان من الذين ءامنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة)) (٣).

فـ ((ثم)) في هذه الآيات قيل: بمعنى الواو، وقيل بمعنى الترتيب الذكري.

ومن اللغة يوضحه الزمخشري في قوله: ((فإن قلت: مامعنى ثم؟ قلت: ليس معناها التراخي في الوقت ولٰكن في الحال، كما تقول هي محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل، وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل)) (٤) (٥).

ثم ختم الله عز وجل الآية بصفتين من صفاته وهما ((حكيم خبير)) للدلالة على أن الذي أحكمها حكيم، والذي فصلها خبير وفي هذا طباق حسن (٦).

والحكيم: العالم المتقن للأمور الذي يضع الأشياء في مواضعها (٧).

والحكمة من الله تعالى: معرفته علم الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام والإتقان (٨).

---

(١) سورة البقرة: من الآية (١٩٩).
(٢) سورة الأنعام: من الآية (١٥٤).
(٣) سورة البلد: الآية (١٣-١٧).
(٤) الكشاف: للزمخشري (٢٥٨:٢).
(٥) قارن بما جاء في كتاب معارج الصعود الى تفسير سورة هود للشيخ الأمين (٣٧-٣٨).
(٦) انظر تفسير البحر المحيط: لأبي حيان (٢٠٠:٥).
(٧) انظر مادة (حكم) في لسان العرب: لابن منظور (١٤٠:١٢) وما بعدها، والصحاح: للجوهري (١٩٠١:٥) ومدارج السالكين: لابن القيم (٤٧٨:٢).
(٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروزأبادي (٤٩٠:٢).

وقد وصف الله بها نفسه كما في هذه الآية: ((**من لدن حكيم خبير**))(١) وقال في آية أخرى: ((**وإنك لتلقى القرءان من لدن حكيم عليم**))(٢) وجعلها وصفاً لكتابه كما في قوله تعالى: ((**يس * والقرءان الحكيم**))(٣).

أجل إنه حكيم في أقواله وأفعاله .. وأمره ونهيه .. وشرعه وخبره .. وقضائه وقدره .. ومقصوده وإرادته .. وغايته وحكمته .. وابتلائه وامتحانه .. وفي ارساله رسله .. وتكليف عباده بطاعته .. وفي إيجاده جنته وناره .. خلق الخلق بعلمه .. ورباهم بنعمه .. وأجرى فيهم حكمته .. وتعهدهم بشرعه .. فكان ذٰلك من تمام نعمته عليهم موقظاً بذٰلك ماأودعهم من فطرته، فدعاهم إلى طاعته ليفوزوا بجنته، وتوعد من خالف ذٰلك منهم بأليم عذابه وشديد عقابه .. جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً.

وإليك إيضاح ذلك على سبيل الإيجاز؟ في بيان حكمته جل وعلا في **خلقه، ودعوته، وشرعه، ومعاملة عباده:**

فمن حكمته عز وجل في خلقه: إحكامه هذا الخلق وإيجاده في غاية الإحكام والإتقان وسيأتي لهذا مزيد إيضاح فيما بعد(٤) **إن شاء الله تعالى**

ومن حكمته في دعوته: أن اختار لها صفوة خلقه، فأرسل لكل أمة من يعرف لغتها، ويعرف قومه نشأته وسيرته، ليقطع بذٰلك مجال التهمة والانتقاص، قال تعالى: ((**وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه ليبين لهم...**))(٥).

وقال سبحانه في خاتمهم: ((**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**))(٦).

---

(١) سورة هود: الآية (١).
(٢) سورة النمل: الآية (٦).
(٣) سورة يس: الآية (٢،١).
(٤) راجع مبحث ( ) ص (١٢٣) من الرسالة.
(٥) سورة ابراهيم: الآية (٤).
(٦) سورة التوبة: الآية (١٢٨).

ومن حكمته جل وعلا أن جعل أسلوب دعوته على ألسنة رسله صلوات الله وسلامه عليهم، بسيطاً سهلاً واضحاً لاتكلف فيه ولا تعقيد، كما أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لقومه: ((**قل ماأسئلكم عليه من أجرٍ وما أنا من المتكلفين**))(١).

وإنما هو أسلوب يتساوق مع الفطرة، ولا يخالف ماتقتضيه العقول السليمة، التي لم تتلوث بالعقائد الوثنية.

وعلى هذا دعا كل رسول قومه بأسهل قول وألينه، كما أمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام أن يبلغ دعوته لمن هو أشد نفوس الخلق عتواً وأكثرها جدلاً، بقوله جل وعلا: ((**فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى**))(٢).

ومن حكمته في شرعه: أن شرع لعباده أحكاماً تناسب قدراتهم وتراعي ظروفهم، وتحقق لهم مصالحهم، وتساير أحوالهم، فلم يكلفهم مالايطيقون، ولم يطلب منهم مالايستطيعون كما قال تعالى: ((**لايكلف الله نفساً إلا وسعها...**))(٣) وقد قرر الله سبحانه وتعالى وكرر بعد مشروعية الأحكام وبيانها ذكر اسمه (**الحكيم**) ليقرر في نفوس العباد أن هذه الأحكام لم تكن عبثا، وإنما هي صادرة عن حكمة وعلم، فيتقبلونها ويسلمون بها، ويؤمنون بها عن يقين واطمئنان، فحينئذ يسهل انقيادهم لها، وخضوعهم لأحكامها فسبحانه من إلٰه له الحكمة التامة والقدرة البالغة فيما يفعل ويأمر به وينهى عنه.

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: ((ونحن نعلم أنه حكيم فيما يفعله ويأمر به، وعدم علمنا بالحكمة في بعض الجزئيات لايقدح فيما علمناه من أصل حكمته فلا نكذب بما علمناه من حكمته مالم نعلمه من تفصيلها))(٤).

---

(١) سورة ص: الآية (٨٦).
(٢) سورة طه: الآية (٤٤).
(٣) سورة البقرة: من الآية (٢٨٦).
(٤) مجموع الفتاوى: لابن تيمية (١٢٨:٦).

ومن حكمته جل وعلا في معاملته لخلقه: أن بين سبحانه حقوقه وحقوق عباده، ثم جعل سبحانه لتلك الحقوق محارم حذر من الاعتداء عليها كما قال صلى الله عليه وسلم: ((ألا وإن لكل ملك حمًى، ألا وإن حمى الله محارمه))[(١)] وطلب من عباده المحافظة على هذه الحقوق وشرع أحكاما لصيانتها، والمحافظة عليها من ناحية إيجادها[(٢)] وعدم الإعتداء عليها[(٣)].

ووعد سبحانه من امتثل أمره واجتنب نهيه بالثواب وحسن العاقبة، وحذر المخالف بسوء الحال والمآل.

ومن حكمته سبحانه أنه عامل من خالف أمره ولم ينته عما نهاه عنه معاملة ((الحكيم العزيز)) ((الذي لاتخرجه عزته إلى التعسف في الأحكام، فإن عظيم عزته لم يبطل لطيف حكمته ورحمته، فسبحان من له الكمال المطلق، والمجد المحقق))[(٤)].

---

(١) جزء من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه. رواه البخاري - في كتاب الايمان، (٣٩) باب فضل من استبرأ لدينه، وأول لفظه ((الحلال بين والحرام بين)) (١٩:١). ورواه مسلم في كتاب المساقاة ٢٠- باب أخذ الحلال وترك الشبهات، وأول لفظه ((إن الحلال بين والحرام بين)) (١٢١٩:٢-١٢٢٠).

(٢) إيجادها: كمثل إيجاد الدين بالدخول في الإسلام واتباع أحكامه، والمحافظة على الدين بقتل المرتد، وكإيجاد النفس الانسانية واستمرار وجودها بتشريع الزواج. ثم شرع الله عزوجل مايحفظها ويصونها بعد إيجادها، بعقوبة القتل والزنا والقذف والسرقة وغير ذلك من الأحكام.

(٣) انظر: الموافقات في أصول الأحكام: لأبي اسحاق بن موسى اللخمي الشاطبي (٨/٢-٩).

(٤) إيثار الحق على الخلق لأبي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني المشهور بابن الوزير (٢٠٠).

ومن حكمته أنه لايؤاخذ على الخطأ والاكراه والنسيان كما في الحديث: ((إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه))[١].

ومن حكمته سبحانه في معاملته لخلقه: أن جعل باب التوبة لمن أساء من عباده مفتوحاً، ففتح لهم **أبواب الخير**، وأغلق عنهم **أبواب الشر**، وأرشدهم إلى محو السيئة بالحسنة، فلا يؤثر الإنسان الخير على الشر، فيسترسل في المعاصي بسبب زلة جهالة، أو نزوة شهوة، أو ثورة غضب، فلو لم تشرع التوبة لدعا ذلك من زلت به القدم فارتكب معصية ولو مرة واحدة إلى التمادي في المعاصي فيهلك نفسه، ويسيء إلى غيره، لعلمه أنه من الهالكين، فاقتضت حكمته سبحانه قبول توبته. ودعاهم بذلك على ألسنة رسله، عليهم السلام فما من رسول إلا ويدعو قومه بمثل قوله تعالى: ((**وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه...**))[٢].

---

(١) الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما. رواه ابن ماجة - في كتاب الطلاق ١٦- باب طلاق المكره والنسيان (١:٦٥٩) والحديث بهذا اللفظ أصح ماروي في هذا المعنى، وقد جمع الألباني طرق الحديث وتكلم عليها في (إرواء الغليل) وانتهى إلى القول بأنه صحيح.
انظر: تخريج إرواء الغليل للألباني حديث رقم (٨٢) (١:١٢٣-١٢٤).

(٢) سورة هود: الآية (٣).

ولا ينافي حكمة الله سبحانه إمهاله لمن خالفوا أمره فاستبدلوا الكفر بالإيمان وتجرؤوا على شرعه **فجعلوا** الحلال حراماً، والحرام حلالاً، فإن هذا الإمهال إنما هو إستدراج لهم، وإمهال من لاتخفى عليه خافية، وهو تعالى العليم بهم، وبما قالوه وافتروه عليه، فجعل جزاءهم من جنس عملهم جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً، كما قال تعالى: ((**ولا يحسبن الذين كفروا أنَّما نُملي لهم خيرٌ لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين**))(١) وكما قال تعالى في توعده الذي حرموا ماحلل جل شأنه، وأحلوا ماحرم ((**وقالوا مافي بطون هذه الأنعم خالصةٌ لذكورنا ومحرمٌ على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم**))(٢).

هذا بعض مايتعلق بقوله (حكيم).

وأما عن قوله (خبير) فـ (**الخبير**) هو : ((العالم بالشيء، يقال: خبرت الشيء واختبرته إذا علمته))(٣) وهو سبحانه العالم بما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون . فهو جل وعلا **الخبير** بما يصلح لخلقه، وما يصلحهم، ومايصلح لهم، فلا يكلفهم فوق طاقتهم، ولا يشغلهم بما لاينفعهم.

الخبير بمن بقي على فطرته، ومن اجتالته الشياطين وغيرته عن جبلته.

الخبير بمن صده عن هديه هواه وعشيرته، وأبعدته أنفته وحميته.

الخبير بالدعوة ودروبها، والواقفين في طريقها، الذين أذاقهم الله بأسه وعقوبته.

الخبير بالذائدين عن دعوته، والسائرين في ركابها، الذي أورثهم الله أرضه، ووعدهم جنته.

فلهداية عباده وإقامة الحجة عليهم، فصل آياته، وتفصيله عز وجل إنما هو عن علم، فهو تفصيل من يعلم أحوال العباد في كل زمان ومكان، وما يصلح لهم وما لا يصلح.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٧٨).

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٣٩).

(٣) اشتقاق أسماء الله الحسنى للزجاجي : (١٢٧).

إنه تفصيل من أحاط علمه بكل شيء، ووسعت رحمته كل شيء كما قال تعالى: ((ولقد جئنٰهم بكتب فصلنٰه على علم هدىً ورحمةً لقوم يؤمنون))(١) وما أبلغ قوله تعالى: ((فصلنٰه على علم)) وأعظم موقعه عند المتأملين، لأن العلوم تقل وتتلاشى في جنب علم الله تعالى بما ينفع ويصلح من البراهين والأساليب وما يضر ويفسد(٢).

بل قد جاء في الحديث الصحيح ((أن علم الخلائق في علم الله تعالى كما يأخذ الطائر من البحر بمنقاره))(٣) وتقدم قول علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في القرآن ((فيه نبأ ماقبلكم وخبر مابعدكم.. الخ))(٤).

أ - ماذكره الله تعالى وصفا لكتابه في امتنانه على العرب الذين بعث فيهم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقال جل وعلا: ((حم. تنزيل من الرحمٰن الرحيم.كتٰب فصلت ءايٰته قرءانا عربياً لقوم يعلمون))(٥).

ب - تفصيل الآيات لهداية العباد الى صراطه المستقيم، حتى لاتتفرق بهم السبل عن سبيله فيضلوا، كما في قوله تعالى: ((وهذا صرٰط ربك مستقيماً قد فصلنا الأيٰت لقوم يذكرون))(٦).

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٥٢).
(٢) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير (١١٠).
(٣) هذا من قول الخضر لموسى عليه السلام. رواه البخاري في كتاب التفسير (١٨) سورة الكهف، باب ٣- قوله تعالى: ((فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا)) ولفظ الخضر في صحيح البخاري ((والله ماعلمي بها وعلمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر)) (٥:٢٣٣).
(٤) تقدم تخريجه (ص ٨) من الرسالة.
(٥) سورة فصلت: الآية (١-٣).
(٦) سورة الأنعام: الآية (١٢٦).

وفي الحديث: ((خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيد، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيما، قال: ثم خط عن يمينه وشماله، ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو اليه ثم قرأ **(وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل..** (١))) (٢).

وفي حديث آخر يذكر صلى الله عليه وسلم أمته بأن الصراط المستقيم الذي أتى به صلى الله عليه وسلم قد ختم الله به مابدأه اخوانه المرسلون قبله وهو (الإسلام) الذي ارتضاه لنا دينا، وامتن به علينا كما قال صلى الله عليه وسلم: ((إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)) (٣).

ج - **وجاء التفصيل لبيان الحلال والحرام** وللرد على من حرم ماأحله الله من تلقاء نفسه، وأقحم نفسه في التحليل والتحريم بآرائه الفاسدة، وابتداعاته الضالة، واجتهاداته الباطلة.

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٥٣).

(٢) أخرجه الدارمي باب في كراهية أخذ الرأي (٦٧:١)، والإمام أحمد في مسنده (٤٦٥:١)، وابن حبان في صحيحه بعضه/باب ذكر مايجب على المرء من ترك تتبع السبل دون لزوم الطريق، الذي هو الصراط المستقيم، الإحسان (١٠٥:١)، وابن مردويه كما في تفسير ابن كثير "١٩٧/٢"، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦٥:٨)، والحاكم في المستدرك (٣١٨:٣) وقال: (هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه).

(٣) رواه البخاري في كتاب المناقب، ١٨- باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، واللفظ له، ومسلم في كتاب الفضائل، ٧- باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين (١٧٨٩:٢).

كما قال تعالى في شأنهم: ((**وقالوا هذه أنعٌم حرث وحجر لايطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعٌم حرمت ظهورها وأنعم لايذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون. وقالوا مافى بطون هذه الأنعٌم خالصة لذكورنا ومحرم على أزوٰجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم**))[١].

وقد أنكر الله تعالى على من حرم شيئاً من المآكل والمشارب أو الملابس من تلقاء نفسه من غير شرع من الله[٢] فقال تعالى: ((**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبٰت من الرزق قل هى للذين ءامنوا فى الحيٰوة الدنيا خالصة يوم القيٰمة كذٰلك نفصل الآيٰت لقوم يعلمون**)).[٣]

وقال تعالى: ((**أم لهم شركؤا شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وإن الظٰلمين لهم عذاب أليم**)).[٤]

وحذر رسوله صلى الله عليه وسلم منهم في قوله جل وعلا: ((**ثم جعلنٰك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون**)).[٥]

د- **وعن التفصيل في الأنفس**: ذكر الله تعالى النفوس بأصل خلقتها، فبذلك تعرف خالقها وتدرك أصل نشأتها، وأنها من نفس واحدة، وأن أنفاسها معدودة، ومدتها محدودة، فتعرف خالقها، وتدرك أن الله تعالى يعلم مستقرها ومستودعها، فيكون ذلك كاسراً لجموحها ومهدئاً من غلواء نفوسها، ورادٍ لها إلى الطريق الحق والصراط المستقيم، كما قال تعالى: ((**وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتٰب مبين**)).[٦][٧]

هـ- **وجاء التفصيل لبيان عاقبة المؤمنين**: الذين استجابوا لله تعالى لما دعاهم لما يحييهم على ألسنة رسله عليه الصلاة والسلام وآمنوا بالله تعالى وصدقوا المرسلين، وأخلصوا لله العبادة وأذعنوا لرسله بالطاعة..

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٣٨-١٣٩).

(٢) تفسير ابن كثير "٢/٢٢٠".

(٣) سورة الأعراف: الآية (٣٢).

(٤) سورة الشورى: الآية (٢١).

(٥) سورة الجاثية: الآية (١٨).

(٦) سورة هود: الآية (٦).

(٧) سيأتي موضع استشهاد بالآية في فصل (بيان شدة فقر الإنسان لخالقه) (ص١٤٦) من الرسالة.

ففصلت الآيات استقامتهم على هدي ربهم.. وبذل غاية الوسع في التمسك بدين الله جل وعلا ونصرة دينه وإعلاء كلمته.. فصدقهم الله وعده من النصر والتمكين وحسن العاقبة.. وما وعدهم به في الآخرة لهو أعظم وأدوم.. في جنات ونهر ورضوان من الله أكبر.

و- وجاء التفصيل لبيان عاقبة المعرضين عن الدعوة : كذلك من حكم تفصيل الآيات بيان عاقبة من تنكب السير على الطريق المستقيم وسلكت به الطرق إلى غير نجاة ومأمن فأوردته مواطن الهلكة والردى، فقصّ الله علينا من ذلك عاقبة المجرمين الذين وقعوا فيما وقعوا فيه من المعاصي، وما ترتب على ذلك من عقاب الله لهم تحذيراً لعباده، وبياناً للطريق الحق، وإقامة للحجة على العالمين ليحي من حي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة، كما قال سبحانه وتعالى: ((**وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين**))(١).

ومع تكرار كل جانب من هذا التفصيل نرى جديداً وإيحاء عميقاً حتى إذا اجتمعت الآيات تكاملت الصورة، ووضح التفصيل بقوة وبيان، لتعرض بيان المنهج القرآني، الذي هو كتاب مبين، وهو آيات بينات بينها الله سبحانه وتعالى رحمة منه لقوم يعقلون، ولعلهم يعقلون، أو يتفكرون، أو يهتدون، أو يرجعون، أو يؤمنون، أو يتذكرون، أو يعلمون، أو يفقهون، أو لتستبين سبيل المجرمين(٢).

وبعد:

فإن هذا الإحكام والتفصيل لم يكن عبثاً، وإنما هو لحكمة يعلمها الله، وهداية أرادها الله، لإخراج الناس من الضلال إلى الهدى، وبيان الحق والباطل، والغيّ والرشد، ورحمة رحم الله بها عباده، يحصل لهم بها الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، فينتفي عنهم بذلك الضلال والشقاء، فاذا أحسن الداعية عرض آيات الكتاب الكريم، وأحسن الاستدلال، وأخلص نيته مع الله تعالى، فهو حري باستجابة المدعوين لدعوته، وأن تؤتي دعوته ثماراً طيبة تتحقق بها حكمة الله في خلقه فيوفق الله من أراد هدايته بقبول دعوته، وتقوم الحجة على من سبقت شقوته.

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٥٥).

(٢) قارن بكتاب: دور المنهج الرباني في الدعوة الإسلامية (٣١-٣٢).

الباب الأول

الفصل الثاني

الوحي مصدر الدعوة
لا الاجتهاد البشري

عرفنا في الفصل السابق أن الدعوة صادرة من لدن حكيم خبير، وأن من حكمة الله تعالى في دعوته أن اختار لها صفوة خلقه، ليبلغوا عباده رسالته، ونزيد هنا أن من حكمته سبحانه أن جعل مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام البلاغ والبيان، وهم لايبلغون أقوامهم إلا ماأوحاه الله تعالى إليهم، وكلفهم إبلاغه، وأما نجاح الدعوة وعدم نجاحها، واستجابة القوم لها أو إعراضهم عنها، وثواب من آمن بها، وعقاب من وقف في طريقها، أو أعرض عنها فذلك كله إلى الله تعالى، وليس عليهم إلا البلاغ. وقد ذكر الله عز وجل أن هذه الدعوة إنما هي وحي منه سبحانه وذلك في عدة آيات من هذه السورة ومنها:

١ - ماجاء في قوله تعالى: ((**كتٰب أحكمت ءايٰته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**))(١).

وسبق أن أوضحنا المعاني التي تحتملها هذه الآية في افتتاحية هذه السورة(٢) وتتمة لبيان ماتدل عليه نبين هنا مايتعلق بدلالتها على الوحي فالكتاب هو مضمون وحي الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ((**والذى أوحينآ إليك من الكتٰب هو الحق مصدّقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبيرٌ بصير**))(٣).

وقال تعالى: (**وكذٰلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدرى ماالكتٰب ولا الإيمٰن ولٰكن جعلنٰه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنّك لتهدى إلى صرٰط مستقيم**)(٤).

وقال تعالى: (**وكذٰلك أوحينا إليك قرءاناً عربياً لتنذر أُمَّ القرى ومن حولها...**)(٥).

وقال تعالى: (**وأوحى إلي هذا القرءان لأنذركم به ومن بلغ...**)(٦).

---

(١) سورة هود: الآية (١).
(٢) راجع الفصل الأول من الباب الأول: الدعوة صادرة من لدن حكيم خبير.
(٣) سورة فاطر: الآية (٣١).
(٤) سورة الشورى: الآية (٥٢).
(٥) سورة الشورى: الآية (٧).
(٦) سورة الأنعام: الآية (١٩).

وبآيات هذا الكتاب نُبئ صلى الله عليه وسلم وأُرسل وبَلَّغ صلى الله عليه وسلم دعوة ربه جل وعلا، جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ((أول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذٰلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: إقرأ، قال ماأنا بقارىء، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ماأنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ((اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسٰن من علق، اقرأ وربك الأكرم))[1] ..)) الحديث[2].

ثم بدأ وحي الرسالة اليه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: (يٰأيها المدثر، قم فأنذر)[3] ثم حمي الوحي وتتابع[4].

يقول ابن القيم في بيان مراتب الدعوة:

((المرتبة الأولى: النبوة، الثانية: إنذار عشيرته الأقربين، الثالثة: إنذار قومه، الرابعة، إنذار قوم ماأتاهم من نذير من قبله وهم العرب[5] قاطبة، الخامسة: إنذار جميع من بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر))[6].

---

(١) سورة العلق: الآية (١-٣).

(٢) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي ١- باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم..(٣:١).

(٣) سورة المدثر: الآية (١،٢).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: (٤٧٠/٤).

(٥) لقوله تعالى: ((لتنذر قوماً مأٰتٰهم من نذير من قبلك...)) [٤٦:القصص] يعني بالقوم العرب. كما نص عليه القرطبي في تفسيره (٢٩٢/١٣).

(٦) زاد المعاد لابن القيم: (٨٦:١).

فبلغ صلى الله عليه وسلم وأنذر بما أوحاه لله تعالى إليه في هذا الكتاب ((**كتٰب أحكمت ءايٰته ثم فصلت من لدن حكيم خبير. ألا تعبدوا إلا الله إنى لكم منه نذير وبشير**)).(١)

فالوحي إنما هو لإقامة العبادة لله وحده لاشريك له، فهو، أمر بالعبادة(*)، ونهي عن الشرك، وقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخاطب قومه بقوله: ((**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلٰهكم إلٰه واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**)).(٢)

وقال تعالى: ((**ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخٰسرين بل الله فاعبد وكن من الشٰكرين**)).(٣)

فأنذر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته من الشرك وعاقبته، قال تعالى: ((**فإن تولوا فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير**)).(٤)

وكبر على المشركين مايدعوهم إليه من توحيد الله تعالى بالعبادة، وتحذيرهم من الشرك فتولى من تولى عن دعوته، وعارضه معارضون ونزل الوحي مؤيداً للرسول صلى الله عليه وسلم ومثبتاً له، لئلا يفت عضده عناد المعاندين وإعراض المعارضين، كما قال تعالى: ((**فلعلك تارك بعض مايوحى إليك وضايق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شىء وكيل**)).(٥)

فقوله ((فلعلك تارك)).

قيل: ((هذا الكلام خارج مخرج الاستفهام أي هل أنت تارك)).(٦)

وقيل: ((هو في معنى النفي مع الاستبعاد، أي: لايكون منك ذلك، بل تبلغهم جميع ما أنزل الله عليك أحبوا ذلك أم كرهوه شاؤوا أم أبوا)).(٧)

---

(١) سورة هود، الآية (١-٢).

(*) سيأتي الحديث مفصلاً عن (**الدعوة إلى توحيد الله تعالى**) وبيان أنها أصل الدين وجماع دعوة، المرسلين وأول مايدعى إليه الخلق، وأول مايجب على المكلف، في الباب الثالث الفصل الأول ص٤١٨ من الرسالة.

(٢) سورة الكهف، الآية (١١٠).

(٣) سورة الزمر، الآية (٦٥-٦٦).

(٤) سورة هود، الآية (٣).

(٥) سورة هود، الآية (١٢).

(٦)(٧) فتح القدير للشوكاني (٤٨٦:٢) وانظر: تفسير القرطبي (١٢:٩).

وعلى كلا المعنيين فالآية دليل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له إلا إبلاغ ما يوحىَ إليه. وقد جاءت الآيات التي تدل على تنزيه الرسول صلى الله عليه وسلم وكونه في مأمن من أن ينقص أو يزيد شيئاً مما أوحي إليه، كما قال تعالى: ((**ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين**)).(١)

والمعنى في هذا: (بل هو صادق بار راشد، لأن الله عز وجل مقرر له مايبلغه عنه، ومؤيد له بالمعجزات الباهرات، والدلائل القاطعات).(٢)

كيف والرسول صلى الله عليه وسلم قد جمع قومه لتقريرهم على صدق دعوته وصحة ماجاء به. كما في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت ((**وأنذر عشيرتك الأقربين**))(٣) صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يابني فهر، يابني عدي، لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ماهو، فجاء أبو لهب(٤) وقريش فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا: نعم ماجربنا عليك إلا صدقاً قال: فإني نذير لكم بين يدى عذاب شديد...)(٥) الحديث.

---

(١) سورة الحاقة، الآية (٤٤-٤٧).

(٢) تفسير ابن كثير: (٤٤٥:٤).

(٣) سورة الشعراء، الآية (٢١٤).

(٤) اسمه عبدالعزى بن عبدالمطلب بن هاشم من قريش.
انظر في بيان شدة عداوته للرسول صلى الله عليه وسلم.
تفسير ابن كثير (٦٠٣/٤) عند تفسير سورة المسد المحير: "١٥٧" في أسماء المؤذنين من قريش، الأعلام للزركلي (١٢/٤).

(٥) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن ٢٦- تفسير سورة الشعراء، ٢- باب قوله: ((وأنذر عشيرتك الأقربين)) (١٦:٥).

ثم إن في آية هود بالإضافة لما ذكرنا التسلية والأمر والإرشاد للرسول صلى الله عليه وسلم بأن لايضيق صدره ولا يصدنه ما يلاقيه من عنت المشركين، ولا يثنيه عن دعائهم إلى الله عز وجل آناء الليل وأطراف النهار (١) (٢).

ثم يبين الله جل وعلا أن حاله صلى الله عليه وسلم مقصور على النذارة (٣) فقال: ((إنما أنت نذير)) (٤) أي ليس عليك إلا الإنذار بما أوحي إليك، وليس عليك حصول مطلوبهم واقتراحاتهم، فأنذر بالعقاب من خالفك وعصى أمرك، وبشر بالثواب من أطاعك وآمن بك وصدقك (٥).

ولست وحدك في هذا الطريق فقد كذبت رسل من قبلك وأوذوا فصبروا حتى أتاهم ماوعدهم الله عز وجل من نصره (٦).

وأقام الله عز وجل البرهان الصادق على أن مايخاطبهم به الرسول صلى الله عليه وسلم هو وحي من الله جلّ وعلا، فقد تحدى الله عز وجل المكذبين لرسوله بأن يأتوا بمثل ماأنزل الله عليه من آيات وحيه، كما قال تعالى: ((أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين)) (٧).

فقد دل عجزهم عن الإتيان بمثله أنه وحي من الله وأنه ليس من كلام الرسول، وسيأتي لهذه الآية مزيد بيان إن شاء الله تعالى.[٨٣]

---

(١) ومن ذلك ماأخبر الله عنه في قوله تعالى: ((وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً. أويلقى إليه كنز أو تكونُ له جنةٌ يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً)) سورة الفرقان: الآية (٧-٨).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير : (٤٤٥:٢) عند الآية (١٢:هود).

(٣)(٤) انظر: فتح القدير للشوكاني: (٤٨٦:٢).

(٥) تفسير الخازن: (٢٢١:٢) بتصرف يسير.

(٦) قارن : بتفسير ابن كثير: (٤٤٥:٢).

(٧) سورة هود: الآية (١٣).

[٨٣] أنظر : ص ٥٠ من الرسالة

وأقام الله عليهم الحجة عندما عجزوا ولم يستجيبوا بقوله تعالى: **(فإلَّم يستجيبوا لكم فاعملوا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إلٰه إلا هو فهل أنتم مسلمون)**[1][2].

أي: فإن لم يستجب لكم أعوانكم لمعارضة هذا القرآن، والإتيان بعشر سور مثله، فاعلموا أنما أنزل بعلم الله لابعلم محمد صلى الله عليه ولا غيره ممن تدعون زوراً أنهم أعانوا الرسول صلى الله عليه وسلم،وتبين لكم كذٰلك بطلان مازعمتموه من أن قوماً قد أعانوه عليه،وذٰلك ماقصه الله علينا في القرآن في قوله تعالى: **(وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افترىٰه وأعانه عليه قوم ءاخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً* وقالوا أسٰطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلاً* قل أنزله الذى يعلم السر فى السمٰوٰت والأرض إنه كان غفوراً رَّحيماً)**[3].

والوحي مصدر الرسالات جميعاً كما قال تعالى: **(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبرٰهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهٰرون وسليمٰن وءاتينا داوٰد زبوراً* ورسلاً قد قصصنٰهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسىٰ تكليماً)**[4].

وبالوحي أخبر الله تعالى رسوله نوحًا عليه السلام بعاقبة دعوته عليه السلام، ومن يؤمن بها ومن لايؤمن، قال تعالى: **(وأوحىَ إلى نوحٍ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد ءامن....)**[5].

---

(١) سورة هود: الآية (١٤).

(٢) انظر فصل: تأييد الله عز وجل لرسله عليهم الصلاة والسلام. ص (٢٠٠) من الرسالة.

(٣) سورة الفرقان: الآية (٤-٦).

(٤) سورة النساء: الآية (١٦٣-١٦٤).

(٥) سورة هود: الآية (٣٦).

ففي هذه الآية يخبر الله عز وجل رسوله نوحاً عليه السلام بعاقبة الدعوة، ومن يؤمن بها ومن لايؤمن بها، فهو الله جل وعلا العالم بما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.. اذ أخبر رسوله نوحاً عليه السلام أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، فلو كان للرسول دخل في الرسالة لكان ابنه أولى من يناله خير هذه الدعوة، ولٰكن مهمته تقف عند التبليغ ولا تتعداها، كما قال تعالى لخاتم رسله عليهم الصلاة والسلام: ((**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إلي أنما إلهكم إلٰه واحد..**))[١] وقال تعالى: ((**قل لاأملك لنفسي نفعا ولا ضراً ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء...**))[٢].

وقال تعالى: ((**قل لاأقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك إن أتبع إلا مايوحىٰ إلي...**))[٣].

وجاء في كتاب مباحث القرآن: (ولتصدير الآيات السابقة بعبارة (قل) مغزىً لطيف يفهمه العربي بالسليقة، وهو توجيه الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، وتعليمه ماينبغي أن يقول، فهو لاينطق عن هواه بل يتبع مايوحى إليه، ولذٰلك تكررت عبارة ((قل)) أكثر من ثلاثمائة مرة في القرآن، ليكون القارىء على ذكر من أن وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم إبلاغه للوحي فلا يصوغه بلفظه، ولا يلقيه بكلامه، وإنما يلقى إليه الكلام إلقاء فهو مخاطب لامتكلم، حاك مايسمعه لامعبر عن شيء يجول في نفسه)[٤].

على أن تسميتهم بالرسل تنفي أن يقولوا من عند أنفسهم لأن الرسول ((من أرسله غيره برسالة فيبلغ أمر من أرسله))[٥].

---

(١) سورة الكهف: الآية (١١٠).
(٢) سورة الأعراف: الآية (١٨٨).
(٣) سورة الأنعام: الآية (٥٠).
(٤) مباحث في علوم القرآن: لصبحي الصالح (٣٠).
(٥) انظر: لسان العرب، مادة (أرسل) (١١:٢٨٤).

فبالوحي علموا من الله مالم يكن يعلمونه، قال تعالى: ((**تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العٰقبة للمتقين**))(١).

فقد أُخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بوحيه إليه عن الأمم السالفة ومواقفهم من رسلهم، وكون عاقبة من آمن خيرا .. ومن أعرض سوءاً وخسراناً..

وكرر سبحانه تلك المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ، واللطف العظيم لعباده من الأولين والآخرين، كما قال تعالى: ((**كذٰلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم**))(٢).

وبين سبحانه أسماء جماعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين أوحى اليهم كما جاء في سورة النساء، وتقدم الاستشهاد بها قريبا، وبين فيها أن بعضهم لم يقصص خبرهم عليه وأنه جلا وعلا أوحى إليهم .

---

(١) سورة هود: الآية (٤٩).
(٢) سورة الشورى: الآية (٣).

ولم يكن الوحي الذي أيدهم به الله تعالى مخالفاً الوحي الذي أيد به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، بل إن الوحي متماثل عند الجميع؛ لأن مصدرها واحد، وغايتها واحدة، يزيد ذلك وضوحاً قوله صلى الله عليه وسلم: ((مامن الأنبياء نبي إلا أعطي مامثله آمن[1] عليه البشر. وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة))[2].

وكل واحد من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يعلن بأنه على بينة من ربه. أي على برهان صدق في نبوته من ربه.

ففي خاتمهم صلى الله عليه وسلم وبعد تقرير عجز قومه عن المعارضة يقول تعالى في تقرير الحجة على قومه ((**أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتٰب موسى إماماً ورحمة أولٰئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزٰب فالنار موعده فلا تك فى مرية منه إنه الحق من ربك ولٰكن أكثر الناس لايؤمنون**))[3].

---

(١) آمن عليه البشر: أي آمنوا عند معاينة ماآتاه الله من الآيات والمعجزات والدلائل الواضحات، أراد إعجاز القرآن الذي خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان كل نبي من الأنبياء قد أوتي من المعجزات مايوجب على البشر الإيمان به.((جامع الأصول لابن الأثير:٨/٥٣٣))

وحيًا أوحاه الله: أراد بالوحي القرآن، لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولأنه لم يؤت من المعجزات ماأوتي من تقدمه؛ بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره. ((فتح الباري ٩/٦)).

(٢) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، ١- باب كيف نزول الوحي وأول مانزل (٦:٩٧) واللفظ له.
ورواه مسلم في كتاب الايمان، ٧٠- باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (١:١٣٤).

(٣) سورة هود: الآية (١٧).

وهذا نوح عليه السلام يقول: ((يٰقوم أرءيتم إن كنت على بينة من ربي وءاتٰني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كٰرهون))[١].

وأخبر عن قوم هود أنهم ((قالوا يٰهود ماجئتنا ببينة وما نحن بتٰركى ءالهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين))[٢] ولٰكنه كذبهم بعد ذلك بقوله عز وجل ((وتلك عاد جحدوا بـٔايٰت ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد))[٣].

ونبي الله صالح عليه السلام يخاطب قومه بقوله: ((قال يٰقوم أرءيتم إن كنت على بينة من ربى وءاتٰنى منه رحمة فمن ينصرنى من الله إن عصيته فما تزيدوننى غير تخسير))[٤] وذكر بعدها آيته التي أنذرهم العذاب بها فقال: ((ويٰقوم هذه ناقة الله لكم ءاية..))[٥].

وجاء في قصة شعيب عليه السلام: ((قال يٰقوم أرءيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقاً حسناً..))[٦].

وقال في شأن موسى عليه السلام: ((ولقد أرسلنا موسىٰ بـٔايٰتنا وسلطٰن مبين إلى فرعون وملإيه..))[٧].

---

(١) سورة هود: الآية (٢٨).
(٢) سورة هود: الآية (٥٣).
(٣) سورة هود: الآية (٥٩).
(٤) سورة هود: الآية (٦٣).
(٥) سورة هود: الآية (٦٤).
(٦) سورة هود: الآية (٨٨).
(٧) سورة هود: الآية (٩٦).

بيان مسألة اجتهاد الأنبياء عليهم السلام :

وما قررناه من دلالة الآيات السابقة على أن مصدر الدعوة هو الوحي، لاينافي الآيات الأخرى التي ظاهرها أن الأنبياء اجتهدوا في مسائل لم يسبق إليهم فيها وحي وعوتبوا في بعض مااجتهدوا فيه، إذ كان اجتهادهم دون الأولى. فمثلا في هذه السورة يقول تعالى عن نوح عليه السلام: ((**ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحٰكمين**))(١).

ويرد الله عز وجل على رسوله بقوله: ((**قال يٰنوح انه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسئلن ماليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجٰهلين**))(٢).

وكما ورد العتاب في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم في أسرى بدر في قوله تعالى: ((**لولا كتٰب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم**))(٣).

وكقوله جلّ وعلا عن إذن رسوله صلى الله عليه وسلم لمن استأذنه في التخلف عن غزوة تبوك: ((**عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكٰذبين**))(٤).

وهذه المسألة أعني (**اجتهاد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم**) بحثها العلماء بحثاً مستفيضاً ومطولاً في جواز اجتهاد الأنبياء، وكانت لهم في ذٰلك أقوال متعددة، وآراء متباينة خلاصتها:

أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجتهدون إذا أبطأ عليهم الوحي فيما ابتلوا به، ولا يقرون على ماكان خطأ في اجتهادهم، فإذا لم ينبههم الوحي إلى خلاف مااجتهدوا فيه دل ذٰلك على صواب اجتهادهم، إذ لايجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، ولا يقرون على خطأ، وعلى هذا يمكن تخريج مانسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من اجتهاد(٥). والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة هود: الآية (٤٥).

(٢) سورة هود: الآية (٤٦).

(٣) سورة الأنفال: الآية (٦٨).

(٤) سورة التوبة: الآية (٤٣).

(٥) قارن بكتابيْ: المغني في أصول الفقه لعمر بن عمر الخبازي، تحقيق: د. محمد مظهر بقا (٢٦٤) واجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم: لعبد الجليل أبو النصر (٦٠).

الباب الأول

الفصل الثـــالث

الدعوة إلى الله تعالى
وموافقتها للفطرة

لقد دل على موافقة الدعوة إلى الله تعالى للفطرة ما جاء في قوله تعالى: ((إن أجرى إلا على الذى فطرنى...))[١].

وقوله في الأمر بالاستقامة عليها: ((فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير))[٢].

وقوله تعالى في التحذير مما يفسدها: ((ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون))[٣].

وقوله تعالى في تزكيتها: ((وأقم الصلوٰة طرفى النهار وزلفاً من اليل إن الحسنٰت يذهبن السيئات ذٰلك ذكرىٰ للذٰكرين))[٤].

وقوله في الحث على الإستمرار عليها: ((واصبر فإن الله لايُضِيعُ أجر المحسنين))[٥].

فهذه الآيات دائرة بين تصريح بالفطرة، وأمر بالاستقامة عليها، وإرشاد من انحرف عنها إلى تصحيحها بالتوبة إلى الله تعالى، ونهي وتحذير عن كل مايفسدها ويصرفها عن الحق، وأمر أيضا بما يزكيها ويحفظها، وحث على الإستمرار على مابه حفظها وزكاتها، ولبيان مااشتملت عليه هذه الآيات نستطيع أن نعرض المقصود منها من خلال النقاط التالية:

أولا: في المقصود بالفطرة وبيان معاناها.

ثانيا: أن الله تعالى قد فطر عباده على توحيده.

ثالثا: في الأمر بلزوم الفطرة.. وتصحيحها بالتوبة لمن انحرف عنها.

رابعا: في تعاضد الأمر والنهي لتزكية الفطرة وحمايتها.

وإليك بيان ذلك فى الآتي :

---

(١) سورة هود: من الآية (٥١).
(٢) سورة هود: الآية (١١٢).
(٣) سورة هود: الآية (١١٣).
(٤) سورة هود: الآية (١١٤).
(٥) سورة هود: الآية (١١٥).

أولا: في المقصود بالفطرة وبيان معناها

هذه السورة كما في غيرها من السور، تهدي آياتها لتصحيح مافسد من مسار الفطرة، وإيقاظ مااستكان منها، وإصلاح مااعوج منها، وتقريرها في نفوس العباد، فنبي الله هود عليه السلام يذكر قومه بما أخبر الله جل وعلا عنه في قوله: ((**إن أجرى إلا على الذى فطرنى...**))[١] أي: إلآ على الذي خلقني على الفطرة السليمة.

والمقصود بالفطرة: ماركبه الله في نفوس عباده من الميل إلى الخير، والابتعاد عن الشر، والتوجه إلى خالق ذلك وموجده.

قال[٢] **في المفردات**: فطرة الله هي ماركزه الله في الانسان من قوة على الإيمان به، وقد أشار إليه في شأن الكفار بقوله تعالى: ((**ولئن سألتهم من خلق السمٰوٰت والأرض ليقولن الله...**))[٣][٤].

والفطرة في لغة العرب: الخلقة والطبيعة، جاء في لسان العرب: ((وطبعه الله على الأمر يطبعه طبعا فطره عليه))[٥].

وفطرة الله مافطر عليه الخلق من المعرفة به[٦].

جاء في غريب الحديث[٧]: المقصود بالفطرة: ((أن الإنسان يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيء لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها))اهـ.

---

(١) سورة هود: الآية (٥١).
(٢) تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا (١١٥:١٢).
(٣) سورة لقمان: الآية (٢٥).
(٤) المفردات في غريب القرآن: للراغب (٥٧٥).
(٥) لسان العرب لابن منظور: مادة (طبع) (٢٣٢:٨).
(٦) المرجع السابق: مادة (فطر) (٥٦:٥).
(٧) لابن الأثير: (٤٥٧:٣).

وهي: الحنيفية التي كان عليها أبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام، كما قال تعالى: ((**إن إبرٰهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين**))(١).

والحنيف: صفة من الحنف بالتحريك وهو الميل عن العوج إلى الاستقامة وعن الضلالة إلى الهدى، وعن الباطل الى الحق. ويقابله الزيغ، وهو الميل عن الحق إلى الباطل))(٢).

ثانيا: أن الله تعالى فطر عباده على توحيده ؛

فالله عز وجل قد فطر عباده على توحيده وصبغهم بصبغة الإيمان، كما جاء في الحديث: ((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء؟))(٣).

وحينئذ من غوى منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن، يوضح ذٰلك قوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى في الحديث القدسي: ((إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم، وَحَرَّمت عليهم ماأحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا))(٤).

---

(١) سورة النحل: الآية (١٢٠).

(٢) الوحي المحمدي: لرشيد رضا (٢٣٨).

(٣) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري، كتاب الجنائز ٩٣- باب ماقيل في أولاد المشركين (١٠٤:٢) واللفظ له.
وفي مسلم، كتاب القدر، ٦- باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار، وأطفال المسلمين (٢٠٤٧:٣) بلفظ قريب منه وزاد فيه: (ثم يقول أبو هريرة، واقرؤوا ان شئتم: **(فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذٰلك الدين القيم) الآية (٣٠ سورة الروم)**.

(٤) جزء من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه، وأوله ((ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم..)). رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، ١٦- باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (١٢٠٧:٣) .. وأحمد في المسند (١٦٢:٤).

فكل أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم يقومون في دعواتهم بإيقاظ تلك الفطرة النقية الصافية، وتذكيرها بسابق عهدها الذي قطعته على نفسها، وهي في صلب أبيها آدم عليه السلام من عدم الاشراك بالله تعالى أو التوجه إلى غيره، قال تعالى: (**وإذ أخذ ربك من بنى ءادم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلىٰ شهدنا أن تقولوا يوم القيٰمة إنا كنا عن هذا غٰفلين**)[١].

واستعمل الرسل عليهم الصلاة والسلام الأساليب التي تتسق مع الفطرة ولا تنبو عنها من قصص، وترغيب، وترهيب، فمن استجاب للدعوة فقد استقام ونجا، ومن أعرض عنها فقد هلك.

ثالثا: في الأمر بلزوم الفطرة لقوله تعالى: ((**فاستقم كما أمرت**))[٢]

وتصحيحها بالتوبة لمن انحرف عنها لقوله تعالى: ((**ومن تاب معك**))[٣]

فبعد أن ذكر الله قصص الأنبياء ومواقفهم مع أممهم، وما جرى من الأنبياء من محاولة ردهم إلى فطرتهم التي فطرهم الله عليها، يقول سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم ((**فاستقم كما أمرت ومن تاب معك...**)) وهذه الاستقامة بينتها آية أخرى في سورة الروم، وهي قوله سبحانه وتعالى: ((**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذٰلك الدين القيم ولٰكن أكثر الناس لايعلمون...**))[٤].

ومعنى الآية: ((فسدِّد وجهك نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك بالحمد لطاعته، وهي: الدين حنيفا مستقيما لدينه وطاعته، وهذه هي صنعة الله التي خلق الناس عليها لاتغيير لدين الله، وإن إقامتك وجهك للدين حنيفاً غير مغير ولا مبدل، هو الدين القيم المستقيم الذي لاعوج فيه عن الاستقامة من الحنيفية إلى اليهودية والنصرانية، وغير ذٰلك من الضلالات والبدع المحدثة))[٥].

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٧٢).

(٢)،(٣) سورة هود: الآية (١١٢).

(٤) الآية (٣٠).

(٥) انظر: تفسير الطبري: (١١:٤٠و٤١).

والأمر في الآيتين الكريمتين لم يقصد به إنشاء الاستقامة في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لم تشب فطرته شائبة البدع والخرافات، ولم تدنسها عبادة الأوثان التي كانت سائدة في عصره، فقد ((حُبّب إليه صلى الله عليه وسلم الخلاء والتعبد لربه، فكان يخلو بغار حراء يتعبد فيه وبغضت إليه عبادة الأوثان ودين قومه، فلم يكن شيء أبغض إليه من ذلك، وأنبته الله نباتاً حسناً، حتى كان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأعزهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأحفظهم للأمانة، حتى سماه قومه "الأمين" لما جمع الله فيه من الأحوال الصالحة والخصال الكريمة المرضية))[1].

ثم هو صلى الله عليه وسلم في جميع أموره على الطاعة، والبر والاستقامة، التي لم ينلها بشر سواه لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو صلى الله عليه وسلم أكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة، وأطوع خلق الله تعالى أجمعين، وأشدهم تعظيماً لأوامره ونواهيه، ونال من الخصائص[2] مالايشاركه فيها غيره.

---

(١) مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم: لمحمد بن عبد الوهاب، تحقيق محمد حامد الفقي (٤٩).

(٢) ومن هذه الخصائص: أن الله عز وجل غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر، كما قال تعالى: (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر...) (٢: الفتح).
ومع هذا قام صلى الله عليه وسلم على قدمه الشريف حتى تفطر، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه، قالت عائشة: يارسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: (ياعائشة أفلا أكون عبدا شكورا)). رواه البخاري (٤٤:٥) ومسلم، رقم الحديث (٢٨٢٠).
يقول ابن كثير رحمه الله تعالى في تعليقه على هذا الحديث: ((وهذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم التي لايشاركه فيها غيره، وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره صلى الله عليه وسلم)).
انظر فيما تقدم تفسير ابن كثير (١٩٧/٤-١٩٨) عند تفسير الآية (٢) من سورة الفتح.

من الناس

فتبين أن المقصود بالأمر: الاستقامة على أمر الله ودينه الذي ابتعثه به، والدعاء إليه، وأمته تتأسى به، إذ هو صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة لأمته كما قال تعالى: ((**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر...**))(١) فسياق الآية يوحي بأن المقصود أصالة في هذا الخطاب هو أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما توجه الخطاب إليه صلى الله عليه وسلم من باب التوطئة والتمهيد لأمر أمته(٢) يدل على ذلك التصريح في قوله تعالى: ((**ومن تاب معك**)) يعني: ((ومن رجع معك إلى طاعة الله، والعمل بما أمره به ربه من بعد كفره))(٣).

وقد وصى الله تعالى أمة نبيه صلى الله عليه وسلم بلزوم الإستقامة وحذرهم من مخالفتها في قوله سبحانه ((**فاستقيموا إليه واستغفروه وويلٌ للمشركين**))(٤).

وفي الحديث أن رجلا(٥) طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يوصيه، فقال له صلى الله عليه وسلم: ((**قل آمنت بالله ثم استقم**))(٦).

---

(١) سورة الأحزاب: الآية (٢١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢٦:٧) والقرطبي (١٠٧:٩) وفتح القدير للشوكاني (٥٢٩:٢).

(٣) تفسير الطبري: (١٢٦:٧).

(٤) سورة فصلت: الآية (٦).

(٥) هو: سفيان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث الثقفي. له صحبة ورواية وكان عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الطائف روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمره وعنه أبناؤه عاصم وعبدالله وعلقمة وعمر وابو الحكم وآخرون. تهذيب التهذيب (١٠٢/٤-١٠٣)، أسد الغابه: (٢٥٣/٢-٢٥٤)

(٦) رواه مسلم في كتاب الايمان ١٣- جامع أوصاف الاسلام، وأوله: ((قال قلت يارسول الله: قل لي في الاسلام قولا)) (٦٥:١).
ورواه أحمد في مسنده (٤١٣:٣) ، (٣٨٤:٤-٣٨٥).

ثم أرشد الله تعالى من انحرف عن فطرته إلى التوبة فقال تعالى: ((**ومن تاب معك**))لأن التوبة تصحيح للفطرة ورد لها إلى الحق، وتنقية لها من درن الشرك والذنوب، فحصلت الإستجابة على أمر الله والإستقامة على نهجه لمن كتب الله له السعادة من أمته، وقد فاز بالسبق صحابته رضوان الله عليهم، فتبدل حالهم ومآلهم بعد أن صلحت فطرهم، وتطهرت بما علق بها في الجاهلية من الشرك والخرافات، فَقَبِلت هدي الله واستنارت بنوره، فأحييت بعد موتها، وصحت من غفلتها التي خيم عليها ركام الجاهلية، فلنأخذ مثلا عمر بن الخطاب (١) رضي الله عنه سيرته قبل الإسلام وبعد أن منّ الله عليه بالهدى.

وخالداً بن الوليد (٢) رضي الله عنه قبل الاسلام وما فعله بعد إسلامه من نصرة لدين الله، وذود عن حياضه.

---

(١) هو: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابن نفيل بن عبد العزى، أبو حفص، أعز الله به الاسلام، وكان من المهاجرين الأولين، وشهد بدراً وبيعة الرضوان، وكل مشهد شهده الرسول صلى الله عليه وسلم، ولي الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه سنة (١٣هـ) استشهد سنة ٣٢هـ وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر.

انظر: الاستيعاب: لابن عبد البر (٣:١١٤٤-١١٥٩) والإصابة: لابن حجر (٤:٢٧٩-٢٨٠).

(٢) هو: خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي، المخزومي، شهد مع الرسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة فأبلى فيها، وبعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى العزى فهدمها، وله الأثر المشهور في قتال الفرس والروم، وافتتح دمشق، ولما حضرته الوفاة حبس فرسه وسلاحه في سبيل الله تعالى، وتوفي بحمص من الشام، وقيل بالمدينة سنة (٢١هـ) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

انظر: أسد الغابة: لابن الأثير (٢:١٠٩-١١٢) وصفة الصفوة: لابن الجوزي (١:٦٥٤-٦٥٥).

حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم ((خالد سيف من سيوف الله ونعم فتى العشيرة))[١] فاستحقت تلك الأنفس أن ينزل القرآن ليقود مسيرتهم، ويشيد بمواقفهم، ويخلد ذكراهم، ويترضى عنهم كما في قوله تعالى: (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة...))[٢].

وقال تعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماءُ بينهم ترئهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوٰناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التورئة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فئازره فاستغلظ فاستوىٰ على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصٰلحٰت منهم مغفرة وأجراً عظيما))[٣].

وقال تعالى: (والسٰبقون الأولون من المهٰجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسٰن رضيَ الله عنهم ورضوا عنه وأعدَّ لهم جنّٰت تجرى تحتها الأنهٰر خٰلدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم))[٤].

وبهذا نجد أن الدعوة الاسلامية لم تأت بما تنبو عنه الفطر السليمة، والعقول الصحيحة، فالدعوة والفطرة البشرية على وفاق وتناسق تامين، فهي لم تكلف أتباعها بما لايستطيعون، ولم تطلب منهم مالايتصورون، ولم تقف حاجزاً بينهم وبين مايحبون من الخير، بل وعدتهم على الخير خيراً مضاعفاً كما أخبر الله عز وجل عن دعوة نبيه هود عليه السلام في قوله جل وعلا: ((ويزدكم قوة إلى قوتكم...))[٥].

---

(١) من حديث دار بين أبي عبيدة وخالد بن الوليد عن عبد الله بن عمير رضي الله عنهم. أخرجه الامام أحمد في المسند (٤:٩٠) ورجال أحمد رجال الصحيح، إلا أن عبد الملك بن عمير لم يدرك أبا عبيدة، وهو حديث بشواهده.
انظر: مجمع الزوائد (٩:٣٤٨-٣٤٩) وصفة الصفوة لابن الجوزي (١:٦٥٢-٦٥٥).

(٢) سورة الفتح: الآية (١٨).

(٣) سورة الفتح: الآية (٢٩).

(٤) سورة التوبة: الآية (١٠٠).

(٥) سورة هود: الآية (٥٢).

وكذلك جعل لهم للاقلاع عن الذنب باباً واسعاً، كما جاء في خطاب أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام لأممهم بمثل قوله تعالى: ((**وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه...**))[١].

* * * * *

رابعا: في تعاضد الأمر والنهي لتزكية الفطر وحمايتها

وكما أمر الله تعالى بالاستقامة فإنه جل وعلا نهى عن مناهي، وحذر من محاذير، وأمر بأوامر لتزكية النفس وتطهيرها وهو مانبينه في الآتي:

أولا - فمما نهى الله تعالى عنه:

١ - التحذير من الطغيان:

كما في قوله تعالى: ((**ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير**))[٢].

والطغيان والطغوى بمعنى: تجاوز الحد في العصيان[٣].

وفسر بأنه ((الغلو في الكفر، ومجاوزة الحد في العتو[٤])) والظلم. قال تعالى: (**كلاَّ إن الإنسـٰن ليطغىٰ**)[٥] وقال في حق فرعون: (**اذهبا إلى فرعون إنه طغىٰ**)[٦].

---

(١) سورة هود: الآية (٤).

(٢) سورة هود: الآية (١١٢).

(٣) المفردات في غريب القرآن: للراغب (٣٠٤).

(٤) الكشاف للزمخشري: (١٨٩:١) عند قوله تعالى: (ويمدهم في طغيٰنهم يعمهون) سورة البقرة، الآية (١٥).

وانظر: تفسير الطبري أيضا عند هذه الآية (١٣٥:١).

(٥) سورة العلق: الآية (٦).

(٦) سورة طه: الآية (٤٣).

والطغوى أيضا من جرائم الأمم السابقة، قال تعالى: ((كذبت ثمود بطغواها))[١] وعاقبة الطغيان الهلاك، كما قال تعالى عن قوم نوح: ((وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى))[٢] أي ((فأهلكوا بظلمهم وطغيانهم))[٣].

قال الراغب[٣]: في هذه الآية تنبيه على ((أن الطغيان لايخلص الإنسان فقد كان قوم نوح أطغى منهم فأهلكوا))[٤].

ومن معنى الطغيان ماجاء في تفسير هذه الآية من أنه: ((الغلو في العبادة والخروج عن الحد الذي حده الشارع))[٥].

ويقع من غير المؤمن، كما قال تعالى عن أهل الكتاب: ((قل يأهل الكتب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل))[٦] لأن غلوهم كان خروجاً عن التوحيد وعبادة لبعض الأنبياء عليهم السلام، فاليهود عبدوا المسيح عليه السلام، والنصارى عبدوا عزيرا عليه السلام.

وأما وقوع الغلو من المسلم فيكون بتجاوزه الحد في بعض الأمور الشرعية، وذلك كمن يصوم ولا يفطر، ويقوم الليل ولا ينام، ويترك الحلال الذي أذن الله به ورغب فيه. ولهذا يقول الصادق المصدوق فيما صح عنه:

---

(١) سورة الشمس، الآية: (١١).

(٢) سورة النجم، الآية: (٥٢).

(٣) هو: الحسين بن محمد المفضل، المعروف بالراغب الأصفهاني، أبو القاسم، أديب، لغوي، حكيم، مفسر، من تصانيفه الكبيرة، تحقيق البيان في تأويل القرآن، الذريعة إلى مكارم الشريعة، محاضرات الأدباء ومحاضرات الشعراء والبلغاء، مفردات ألفاظ القرآن، وتفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين. توفي سنة (٥٠٢هـ).
انظر: كشف الظنون: (١٧٧٣/٢)، ومعجم المؤلفين: (٥٩/٤).

(٤)،(٥) المفردات في غريب القرآن: للراغب (٣٠٤).

(٦) قارن بفتح القدير للشوكاني: (٥٣٠:٢).

(٧) سورة المائدة: الآية (٧٧).

((أما والله اني لأخشاكم لله وأتقاكم له لٰكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني))[١] .

لأن الدين يسر، وما شاد هذا الدين أحد إلا غلبه، لما جاء في الحديث ((إن الدين يسر[٢] ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا[٣] وقاربوا[٤]، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة[٥] والروحة[٦] وشيء من الدلجة[٧]))[٨] .

٢)- **التحذير من الركون إلى الظالمين:**

ونهى الله تعالى عنه في قوله: ((**ولا تركنوآ إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثمَّ لاتنصرون**))[٩] .

---

(١) الحديث عن أنس بن مالك رضي الله. وأوله ((جاء ثلاثة رهط..)) رواه البخاري، في كتاب النكاح، ١- باب الترغيب في النكاح، لقوله تعالى: ((فانكحوا ماطاب لكم من النساء)) (١١٦:٦).
ومسلم، في كتاب النكاح، ١- باب استحباب النكاح.. الخ (١٠٢٠:٢).

(٢) قوله صلى الله عليه وسلم ((**إن الدين يسر..**)) ضد العسر، أراد به التسهيل في الدين وترك التشديد، فإن هذا الدين مع يسره وسهولته قوي فلن يغالب ولن يقاوم.

(٣) وقوله: ((**وسددوا**)) أي اقصدوا السداد في الأمور وهو الصواب.

(٤) وقوله ((**وقاربوا**)): أي اطلبوا المقاربة وهي القصد الذي لاغلو فيه ولا تقصير.

(٥) بالغدوة: أى استعينوا على مداومة العبادة بايقاعها في الأوقات المنشطة.

(٦) الرواح: الرجوع عشاء.
والمراد منه اعملوا بالنهار، واعملوا بالليل أيضا.

(٧) قوله: ((استعيوا بشيء من الدلجة)) إشارة إلى تقليله.

(٨) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه. رواه البخاري انظرة في كتاب الإيمان، ٢٩. باب الدين يسر..(١٥/١) واللفظ له.
ورواه النسائي - في كتاب الإيمان، ٢٨- باب الدين يسر (١٢١:٨-١٢٢) وأحمد في مسنده (٦٩:٥).

(٩) سورة هود، الآية (١١٣).

قال القرطبي: ((الركون حقيقته الإسناد والإعتماد، والسكون إلى الشيء والرضا به)).

وقال قتادة: معناه: ((لاتودوهم ولا تطيعوهم)).

وقال ابن جريج [(١)]: ((لاتميلوا إليهم)).

وقال أبو العالية [(٢)]: ((لاترضوا أعمالهم)) وكله متقارب.

وقال ابن زيد [(٣)]: ((الركون هنا الادهان؛ وذلك أن لاينكر عليهم كفرهم)) [(٤)].

جاء في الكشاف: ((والنهي متناول للإنحطاط في هواهم، والإنقطاع إليهم، ومصاحبتهم ومجالستهم، وزيارتهم، ومداهنتهم، والرضا بأعمالهم، والتشبه بهم والتزيي بزيهم، ومد العين إلى زهرتهم، وذكرهم بما فيه تعظيم لهم)) [(٥)].

---

(١) هو: أبو خالد، عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي، ثقة، فقيه، فاضل، حدث عن أبيه، ومجاهد، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم، وروى عنه السفيانان، ومسلم بن خالد وآخرون، مات سنة (١٥٠هـ).
تذكرة الحفاظ: للذهبي (١:١٧٠-١٧١) وتقريب التهذيب: لابن حجر (٢١٩).

(٢) هو: رفيع بن مهران الرياحي البصري، المحدث، المقرىء، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين، روى عن علي وابن مسعود وأبي موسى وابن عباس ورجال من الصحابة رضي الله عنهم، وروى عنه خالد الحذاء، والربيع بن أنس، وقتادة، وآخرون، مات سنة (٩٠هـ) وقيل بعدها.
انظر: تهذيب التهذيب (٣:٢٤٦) تذكرة الحفاظ (١:٦١-٦٢).

(٣) هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، مولاهم المدني، روى عن أبيه، وصفوان بن سليم، وأبي حازم سلمة بن دينار، وغيرهم، وعنه: ابن وهب، وابن عيينة، وهارون بن صالح، وآخرون.
انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٦:١٦١-١٦٢).

(٤) انظر فيما تقدم الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (٩:١٠٨).

(٥) الكشاف للزمخشري: (٢:٢٩٦).

وقوله: ((**الذين ظلموا**)) مثل أهل الشرك، وقيل: عامة فيهم وفي العصاة على نحو قوله تعالى: ((**وإذا رأيت الذين يخوضون في ءايٰتنا...**))[١].

وهذا هو الصحيح في معنى الآية، كما نص عليه القرطبي، وقال أيضا: والآية: ((تأمر بهجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم، فإن صحبتهم كفر أو معصية، إذ الصحبة لاتكون إلا عن مودة))[٢].

وفي الآية وعيد شديد بمس النار لمن ركن أيسر ركون لمن وجد منه أدنى ظلم، لقوله تعالى: ((**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار...**)).

وقوله (**إلى الذين ظلموا**) أي ((الذين وجد منهم الظلم، ولم يقل إلى الظالمين))[٣].

وقوله: (**فتمسكم النار**) أي: ((تحرقكم بمخالطتهم ومصاحبتهم ومماألأتهم على إعراضهم، وموافقتهم في أمورهم))[٤].

وما أشد العذاب بما دون المس، وقد قال الله تعالى: (**ولئن مستهم نفحةٌ من عذاب ربك ليقولن يٰويلنا إنا كنا ظٰلمين**)[٥] فما بالك بمسه عياذاً بالله تعالى.

ثم ذكر الله عز وجل الراكن إلى الظالمين بانقطاع النصرة عنه يوم القيامةممن آثرهم بالولاء في الدنيا، فقال تعالى: (**ومالكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون**)[٦].

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٦٨).
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٨:٩).
(٣) الكشاف للزمخشري: (٢٩٦/٢)
(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١٠٨:٩).
(٥) سورة الأنبياء، الآية: (٤٦)
(٦) سورة هود: الآية (١١٣).

أي من أعوان وأنصار يمنعونكم من عذابه، وهي حال من قوله: ((فتمسكم النار)) أي: ((فتمسكم النار وأنتم على هذه الحالة)).

(ثم لاتنصرون) أي: ((لاتجدون من ينصركم ويخلصكم من عذاب الله في القيامة)).

ففي هذه الآية وعيد لمن ركن الى الظلمة بأن تمسه النار فكيف يكون حال الظالم في نفسه (١).

ب - وأما في جانب الأمر:

فلما كان أداء العبادة كما شرعها الله تعالى من أهم عوامل إبقاء الفطرة على سلامتها الأولى، وكانت ((الصلاة)) من أهم العبادات أمر الله تعالى بإقامتها كما في قوله تعالى: (وأقم الصلوٰة طرفى النهار وزُلَفاً من اليل إن الحسنٰت يذهبن السيئٰت ذلك ذكرىٰ للذٰكرين) (٢).

وخص ((الصلاة)) بالذكر لكونها عمود الاسلام، لما جاء في الحديث: ((رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)) (٣).

---

(١) السراج المنير: للشربيني (٨٣:٢).

(٢) سورة هود: الآية (١١٤).

(٣) طرف من حديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وأوله: ((قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر...)). رواه الترمذي في كتاب الايمان، ٨- باب ماجاء في حرمة الصلاة (١١:٥-١٢) وقال: حديث حسن صحيح.

وإليها يفزع في النوائب، فقد ((كان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى))[١].

قال القرطبي: ((ولم يختلف أحد من أهل التأويل[٢] في أن الصلاة في هذه الآية يراد بها الصلوات المفروضة))[٣].

وأرشد الله إلى إقامتها في قوله: ((طرفي النهار))، والمراد صلاة الغداة والعشي، وهما الفجر والعصر، وقيل الظهر موضع العصر، وقيل الطرفان الصبح والمغرب، وقيل: هما الظهر والعصر[٤].

ورجح ابن جرير أنها الصبح والمغرب، قال: والدليل عليه إجماع الجميع على أحد الطرفين الصبح، فدل على أن الطرف الآخر المغرب[٥].

((وزلفاً من الليل)) أي في زلف من الليل، والزلف: الساعات القريبة بعضها من بعض، ومنه سميت المزدلفة لأنها منزلة بعد عرفة بقرب مكة[٦].

---

(١) الحديث عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه. رواه أبو داود في كتاب الصلاة، ٣١٢- باب وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل (٧٨:٢).
ورواه أحمد في المسند (٣٨٨:٥).
وقال الألباني في عدد من كتبه: هذا الحديث حسن.
انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته "الفتح الكبير" (٢١٥:٤) رقم الحديث (٤٥٧٩) وتخريج المشكاة (١٣٢٥)، صحيح أبي داود (١١١٩).

(٢) يعني بالتأويل هنا: التفسير، ولا يعني التأويل بدلالته الاصطلاحية عند المتأخرين.
انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٤:٢-٥) والتبيان في علوم القرآن: للصابوني (٦٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (١٠٩:٩) وانظر: البحر المحيط (٢٧٠:٥).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٥٣١:٢-٥٣٢). «٥٥ تفسير الطبري : «٧/١٧٩» .

(٦) فتح القدير: للشوكاني (٥٣٢:٢).

ج - في الحث على الطاعة:

ثم رتب على الأمر مايفرح النفس من محو الذنوب، ويشد العزيمة على الإقبال على الطاعة فَعَلَّلَه بقوله: ((إن الحسنات يذهبن السيئات)) أي: إن الحسنات على العموم وأعظمهما: الصلاة [١] وإلا فإن الظاهر عموم الحسنات من الصلوات المفروضة، وصيام رمضان، وما أشبههما من فرائض الاسلام [٢].

(يذهبن السيئات) أي: ((يكفرنها حتى كأنها لم تكن)) [٣].

كما في الحديث الذي يرويه أبو هريرة [٤] رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: ((الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان الى رمضان، مكفرات مابينهن إذا اجتنبت الكبائر)) [٥].

---

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (٥٣٢:٢).

(٢) البحر المحيط: لأبي حيان (٢٧٠:٥).

(٣) فتح القدير: للشوكاني (٥٣٢:٢).

(٤) هو: عبد الرحمن بن صخر، صحابي جليل، من المكثرين في الرواية، كان أحفظ الصحابة لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم، قدم المدينة مهاجراً، وسكن الصفة، توفي سنة (٥٧هـ) وقيل غير ذلك.
انظر: سير أعلام النبلاء (٧٨:٢)، والإصابة: لابن حجر (٢٠٢:٤-٢١٠).

(٥) رواه مسلم في كتاب الطهارة، ٥- باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر (٢٠٩/١).
ورواه أحمد في مسنده (٢٢٩/٢، ٣٥٩، ٤٠٠، ٤١٤).

وعنه رضي الله عنه ((أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ماتقول ذلك يبقى من درنه؟ قالوا: لايبقى من درنه[1] شيئا، قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا))[2].

وتكفير الذنوب خاص بالصغائر دون الكبائر، لأن الآية نازلة فيما دون الكبيرة، لما جاء في الحديث من ((أن رجلا[3] أصاب من امرأة قُبلة، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فأنزلت عليه: ((أقم الصلوٰة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنٰت يذهبن السيئات ذٰلك ذكرىٰ للذٰكرين))[4] فقال الرجل ألِيَ هذه يارسول الله؟ قال: ((لمن عمل بها من أمتي))[5].

---

(١) الدرن: الوسخ. انظر حاشية عبد الباقي على مسلم (٤٦٣/١).

(٢) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، ٦- باب الصلوات الخمس كفارة (١٣٤:١) واللفظ له. ورواه مسلم، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، في كتاب المساجد، ٥١- باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، وترفع به الدرجات (٤٦٣:١). والدارمي - كتاب الصلاة، ١- باب في فضل الصلوات (٢٦٧:١).
وفي الموطأ، كتاب قصر الصلاة في السفر، ٢٤- باب جامع الصلاة (١٧٤:١) من حديث سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنهما. وأحمد في مسنده (١٧٧:١) ، (٤٢٦:٢-٤٤١).

(٣) هو: أبو اليسر. وهذا أقوى ماذكر في بيان اسم الرجل المعنيّ بسبب النزول، نص عليه ابن حجر في الفتح: (٣٥٥:٨-٣٥٧).

(٤) سورة هود: الآية (١١٤).

(٥) رواه البخاري، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في كتاب التفسير، ٦- باب قوله تعالى: (أقم الصلوٰة طرفى النهار.. الآية) (٢١٤:٥-٢١٥) .
ومسلم في كتاب التوبة، ٧- باب قوله تعالى: (إن الحسنٰت يذهبن السيئات) (٢١١٥:٤-٢١١٦).
وراجع طرق الحديث وألفاظه وشواهده عند مسلم أيضا في الأحاديث من رقم (٤٠) إلى (٤٥).

فالصغائر من الذنوب مع عدم الإصرار عليها تكفرها الأعمال الصالحة مثل الصلاة، والصدقة، والذكر، والاستغفار ونحو ذلك من أعمال البر، وأما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها إلا التوبة النصوح، ولها ثلاث شرائط:

الأول: الإقلاع عن الذنب بالكلية.

الثاني: الندم على فعله.

الثالث: العزم التام على أن لايعود إليه في المستقبل[١].

((وعلامته التدارك لما فات وإصلاح مايأتي، فإن كان في الماضي تفريطاً في عبادة قضاها، أو مظلمة أداها، أو خطيئة لاتوجب غرامة حَزِن إذ تعاطاها.

فإذا حصلت هذه الشرائط صحت التوبة، وكانت مقبولة إن شاء الله تعالى، وإن فقد أحد الشروط الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة، الثلاثة الشروط المذكورة والرابع، أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه ردَّه إليه إن كان موجوداً، أو ردَّ بدله عند تلفه من قيمة أو مثل، وإن كان حد قذف ونحوه مكّنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها إن كان عاقلاً حليماً يغلب على الظن أنه إذا جاءه أخوه المسلم نادماً تائباً عفا عنه وسامحه، وإلا ليستغفر له))[٢].

وفي ختام هذا المبحث نسجل ماستنبطه أبو حيان لما اشتمل عليه الأمر والنهي في الآيات السابقة اذ يقول:

(أنظر إلى الأمر والنهي في هذه الآيات، حيث جاء الخطاب في الأمر (فاستقم كما أمرت) ، و (أقم الصلاة) موحداً في الظاهر وإن كان المأمور به من حيث المعنى عاما.

---

(١) انظر: السراج المنير للشربيني (٢:٨٤) وانظر: البحر المحيط لأبي حيان (٥:٢٧٠).

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان: لعبد العزيز السلمان (١:٨-٩).

وجاء الخطاب في النهي ((ولا تركنوا)) موجهاً إلى غير الرسول صلى الله عليه وسلم مخاطباً به أمته. فحيث كان بأفعال الخير توجه الخطاب إليه صلى الله عليه وسلم، وحيث كان النهي عن المحظورات عدل عن الخطاب عنه إلى غيره من أمته، وهذا من جليل الفصاحة)[١] ا.هـ.

د - ثم أمر تعالى بالصبر:

لأن العبد لاتتأتى منه الاستقامة على ماأمره تعالى به ونهاه عنه إلا بالصبر، فإذا صبر على أمر الله ((**امتثالاً وتنفيذاً وتبليغاً**))[٢] كان من عباد الله المحسنين الموعودين من ربهم بحسن الثواب، فلذلك أمره الله به، كما في قوله تعالى: ((**واصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين**))[٣].

والمراد بالصبر هنا: قيل اصبر على الصلاة كقوله تعالى: ((**وأمر أهلك بالصلوٰة واصطبر عليها..**))[٤][٥].

وقيل: ((اصبر يامحمد على ماتلقى من الأذى))[٦].

كقوله تعالى: ((**واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم...**))[٧].

وفي هذا يقول الطبري: ((واصبر يامحمد على ماتلقى من مشركي قومك من الأذى في الله والمكروه رجاء جزيل ثواب الله على ذلك فإن الله لايضيع ثواب عمل من عمل فأطاع الله واتبع أمره فيذهب به بل يوفره أحوج مايكون إليه))[٨].

والآية تحتمل المعنيين:

---

(١) البحر المحيط: لأبي حيان (٥:٢٧٠).
(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: لابن القيم (٤٦).
(٣) سورة هود: الآية (١١٥).
(٤) سورة طه: الآية (١٣٢).
(٥) تفسير البغوي: (٢:٢٥٨) والقرطبي (٩:١١٣).
(٦) تفسير البغوي: (٢:٢٥٨).
(٧) سورة النحل: الآية (١٢٧).
(٨) تفسير الطبري: (٧:١٣٨).

فعن **المعنى الأول**: فإن الآية التي أمر الله تعالى فيها بلزوم الصبر جاءت بعد الآية التي أمر الله فيها بإقامة الصلاة، فحمل المعنى عليها لقربها من السياق.

وعن **المعنى الثاني**: فإن الأمر جاء بعد آيات ذكر الله فيها أمر رسله **عليهم السلام الداعين** إلى توحيده، الصابرين على إبلاغ ماأُنْزِلَهُ إليهم، المتحملين في سبيله أذى أقوامهم، فأكرمهم الله بما وعدهم به من حسن العاقبة نصراً وتأييداً وتمكيناً.

فأمره تعالى بالصبر؛ لينال من ربه ماأناله الله جل وعلا الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم من النصر والتأييد وحسن العاقبة.

ثم ((أتى بعام وهو قوله (أجر **المحسنين**) ليندرج فيه كل من أحسن بسائر خصال الإحسان مما يحتاج إلى الصبر فيه، وما قد لايحتاج كطبع من خُلُق كريم فلا يتكلف الإحسان إذ هو مركوز في طبعه))[(١)].

والمعنى أن الله يوفي عباده المحسنين أجورهم على أعمالهم ولا يُضيع منها شيئاً فلا يُهمله ولا يَبخسه بنقص[(٢)]، والله تعالى أعلم.

---

(١) البحر المحيط: لأبي حيان (٥:٢٧١).

(٢) انظر: فتح القدير: للشوكاني (٢:٥٣٢) والبغوي (٢:١٥٨).

الباب الأول

الفصل الرابع

تفرد الله تعالى (بالخلق والأمر)
وصلة ذلك بأصول الدعوة

يقول الله عز وجل ((**وهو الذي خلق السمٰوٰت والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا...**))[١].

وتفصيل هذه الآية في قوله تعالى ((**قل أإنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين، وتجعلون له أنداداً ذٰلك رب العٰلمين. وجعل فيها رواسى من فوقها وبٰرك فيها وقدر فيها أقوٰتها فى أربعة أيام سواءً للسائلين. ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين * فقضٰهن سبع سمٰوٰت في يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصٰبيح وحفظاً ذٰلك تقدير العزيز العليم**))[٢].

والله عز وجل هو خالق كل شيء وربه، ومليكه، وهو على كل شيء قدير.

جاء في اللسان: ((خلق الله الشيء يخلقه خلقاً أحدثه بعد أن لم يكن، والخلق في كلام العرب إبتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه، وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سبق إليه))[٣]. ((**ألا له الخلق والأمر..**))[٤].

ومن أسماء الله تعالى (الخالق والخلاق) ولا تجوز هذه الصفة بالألف واللام لغير الله عز وجل، وهو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة.

قال ابن الأنباري[٥]:

---

(١) سورة هود: الآية (٧).

(٢) سورة فصلت: الآية (٩-١٢).

(٣) لسان العرب: لابن منظور، مادة (خلق) (١٠/٨٥).

(٤) سورة الأعراف: الآية (٥٤).

(٥) هو أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد الأنباري، عرف بتدينه، وصدقه، وكان علامة وقته في الآداب، ومن أكثر الناس حفظاً، ذكر أنه يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد للقرآن الكريم، له من الكتب: شرح المفضليات، والأمثال، وغريب الحديث، توفي ببغداد سنة (٣٠٤هـ).

انظر: وفيات الأعيان: لابن خلكان (٣٤٢/٤) وإرشاد الأريب: للحموي (٦٩١/٦).

الخلق في كلام العرب على وجهين:

- أحدهما: الإنشاء على مثال أبدعه.

- والآخر: التقدير، كما في قوله تعالى: ((**فتبارك الله أحسن الخالقين**))[١] معناه: أحسن المقدرين.

وإذا أضيف الخلق إلى المخلوق فهو يعني وجهين:

- أحدهما: في معنى التقدير، كقول الشاعر:

ولأنت تفري[٢] ماخلقت[٣] وبعض الـ * ـقوم يخلق ثم لايفري[٤]

ماخلقت: أي ماقدرت.

- والثاني: في الكذب، نحو قوله تعالى: ((**وتخلقون إفكا..**))[٥].

---

(١) سورة المؤمنون: الآية (١٤).

(٢) أي: تقطع.

(٣) أي: ماقدرت، وهيأت للقطع، ومعنى البيت: أنه إذا تهيأ لأمر قضى له وأنفذه، وبعض الناس يتهيأ للأمر ولكن لايستطيع تنفيذه.
قارن بحاشية ديوان زهير (٢٩).

(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى (٢٩).

(٥) سورة العنكبوت، الآية (١٧).

وآية سورة هود وهي قوله تعالى: ((**وهو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء...**))[١] دالة على كمال قدرة الله تعالى من جعل عرشه العظيم على الماء وخلقه السموات والأرض في ستة أيام.

وفي حديث عمران بن حصين[٢] -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:

---

(١) سورة هود، الآية (**٧**).

(٢) هو: عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي، يكنى أبا نجيد، أسلم عام خيبر، وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوات، بعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى البصرة ليفقه أهلها، وكان من فضلاء الصحابة، وكان مجاب الدعوة، ولم يشهد الفتنة. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه الحسن وابن سيرين وغيرهما، مات بالبصرة سنة (٥٢هـ) وقيل (٥٣هـ).

انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٣/٧٧٨-٧٧٩) الإصابة لابن حجر (٥/٢٦-٢٧).

((كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السمٰوٰت والأرض)) (١).

وكثيرا مايعرض القرآن لخلق السمٰوات والأرض لأنهما من أعظم مخلوقات الله، ومن أكبر آياته الدالة على وحدانيته، وقدرته، وحكمته (٢) قال تعالى: ((**الذى خلق سبع سمٰوٰت طباقاً ماترى فى خلق الرحمٰن من تفٰوت فارجع البصر هل ترىٰ من فطور**)) (٣).

ويصف ابن القيم شأن "**السماء**" بقوله:

((فالأرض والبحار والهواء وكل ماتحت السمٰوٰت، بالإضافة إلى السمٰوات كقطرة في بحر، ولهذا قل أن تجيء سورة في القرآن إلا وفيها ذكرها، إما إخباراً عن عظمتها وسعتها، وإما إقساماً بها، وإما دعاءً إلى النظر فيها، وإما إرشاداً للعباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيها، وإما استدلالاً منه بحسنها واستوائها، والتئام أجزائها، وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته)) (٤) ا.هـ.

---

(١) رواه البخاري، في كتاب بدء الخلق، ١- باب ماجاء في قوله تعالى ((وهو الذى يبدء الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)) وأوله: (يابني تميم أبشروا..) (٤/٧٢-٧٣).

(٢) انظر: الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى للدكتور محمد ربيع مدخلي (١٣٧).

(٣) سورة الملك: الآية (٣).

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم: (١/١٩٦-١٩٧).

وكذا (الأرض) فإن الله تعالى امتن على عباده في آيات كثيرة، بأن جعلها ممهدة سهلة، كما قال تعالى: ((**الذى جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون**))(١) وسخر لهم كنوزها التي في باطنها، وما على وجهها من كل شيء، قال تعالى: ((**والأرض بعد ذلك دحٰها * أخرج منها ماءها ومرعٰها**))(٢) وندب جل وعلا عباده إلى السير في مناكب الأرض، وليأكلوا من رزقه، قال تعالى: ((**هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**))(٣).

ودعا -جل وعلا- العباد في غير ماآية من كتابه، لتدبر آياته في ملكوت السمٰوات والأرض (ليعلموا أن ذٰلك من صنع من لانظير له، ولا شبيه، ومن فعل من لاينبغي أن تكون العبادة والدين الخالص إلا له، فيؤمنوا به، ويصدقوا رسله، وينيبوا إلى طاعته، ويخلعوا الأنداد والأوثان)(٤) كما قال تعالى: ((**أولم ينظروا فى ملكوت السمٰوٰت والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسىٰ أن يكون قد اقترب أجلهم فبأىّ حديثٍ بعده يؤمنون**))(٥).

فهو المستحق للعبادة وحده لاشريك له، كما قال تعالى آمراً لرسوله -صلى الله عليه وسلم- ((**رب السمٰوٰت والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا**))(٦).

وأمر جل وعلا العباد بقوله ((**ذٰلكم الله ربكم لاإلٰه الإ هو خٰلق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل**))(٧).

---

(١) سورة الزخرف: الآية (١٠).
(٢) سورة النازعات: الآية (٣٠-٣١).
(٣) سورة الملك: الآية (١٥).
(٤) تفسير ابن كثير: (١٧١/٢).
(٥) سورة الأعراف: الآية (١٨٥).
(٦) سورة مريم: الآية (٦٥).
(٧) سورة الأنعام: الآية (١٠٢).

وضرب الله عز وجل المثل بخلق السمٰوٰت والأرض بقدرته على إعادة الأبدان للجزاء في دار الجزاء، كما بدأها للعمل في دار التكليف ((فمن قدر على خلق الأعظم، فهو على خلق غيره قادر من باب أولى وأحرى))[١].

وأوضح الله تعالى هذا البرهان في آيات كثيرة من القرآن، كما قال تعالى: ((لخلق السمٰوٰت والأرض أكبر من خلق الناس...))[٢] وقال تعالى: ((أوليس الذي خلق السمٰوٰت والأرض بقٰدر على أن يخلق مثلهم بلىٰ وهو الخلٰق العليم))[٣] إلى غير ذلك من الآيات، وسيأتي لهذا مزيد بيان ان شاء الله تعالى[٤].

والخلق من صفات الله تعالى التي اختص بها دون غيره، كما قال تعالى:

((ألا له الخلق والأمر...))[٥] فهو سبحانه خالق كل شيء لا خالق غيره، ولا رب سواه، وقد اختار الله عز وجل من خلقه هذا الإنسان الذي اختصه بالتكريم والتشريف على سائر خلقه، كما قال تعالى: ((ولقد كرمنا بنى ءادم وحملنٰهم فى البر والبحر ورزقنٰهم من الطيبٰت وفضلنٰهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا))[٦] وجعل مافي كونه مسخراً له،و كما قال تعالى: ((هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا...))[٧] وفي آية أخرى ((وسخر لكم مافى السمٰوٰت وما فى الأرض جميعا منه...))[٨] وقال سبحانه: ((وسخر لكم اليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرٰتٌ بأمره إن فى ذلك لأيٰت لقوم يعقلون))[٩].

---

(١) انظر: أضواء البيان: للأمين (٥٤/١).
(٢) سورة غافر: الآية (٥٧).
(٣) سورة يس: الآية (٨١).
(٤) انظر: ((ص١٢٣)) من الرسالة.
(٥) سورة الأعراف: الآية (٥٤).
(٦) سورة الإسراء: الآية (٧٠).
(٧) سورة البقرة: الآية (٢٩).
(٨) سورة الجاثية: الآية (١٣).
(٩) سورة النحل: الآية (١٢).

الصلة بين صفة الخالقية والعبادة:

وكل ذلك لتتحقق الحكمة من خلق الإنسان وهو: عبادة الخالق وحده لاشريك له، والإئتمار بأمره، والإنتهاء عما نهاه الله عنه، والإعتراف بفضل ربه عليه، وهو سبحانه الغني عنه وعن عبادته، ولٰكنه -جل وعلا- يحب من عباده أن يطيعوه ولا يعصوه، وأن يشكروه ولا يكفروه، ومن أعظم ماينبغي أن يشكر العبد ربه عليه هو تسخير مافي السمٰوٰت والأرض له لينتفع بأعيانها، ويستعين بذٰلك على طاعة ربه، وليستدل بذٰلك على عظمة الخالق وقدرته.

فإذا تحقق الإنسان من معنى "**العبادة**" وأنها تعني: ((الخضوع والتذلل))[1] لمن له عليه فضل الخلق والإيجاد، عرف أنه لايستحقها إلا من خَلَق، لهذا نجد الفتية المؤمنة بربها الذين قص الله علينا خبرهم في سورة الكهف؛ يتخلص كل واحد من قومه وينحاز عنهم، ويقولون لبعضهم بعضا انما الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به شيء؛ هو الله الذي خلق السمٰوٰت والأرض وما بينهما، كما قال تعالى عنهم: ((**وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السمٰوٰت والأرض لن ندعُوا من دونه إلٰها لقد قلنآ إذاً شططاً**))[2].

وكون الله عز وجل هو الخالق المدبر المسخر لهذا الكون وما فيه، لم يرد فيه خلاف بين الرسل وأممهم، وإن وجد خلاف في هذا الشأن فهو من قبيل الشذوذ من قوم يصادمون الفطرة، ومنهم من يحاول غمط الحق فيقول بلسانه خلاف مااستيقنه قلبه[3].

والرسل عليهم الصلاة والسلام يقمعون مايقع من نفوس قومهم من شك وتردد في حقيقة "الربوبية والألوهية" كما قال تعالى قاصًّا قول الرسل صلوات الله وسلامه في إنكارهم على المكذبين من أقوامهم:

---

(١) العبودية لابن تيمية: (٦).

(٢) سورة الكهف: الآية (١٤).

(٣) انظر: المبحث الأول من الباب الرابع: ((استكبارهم عن تصديق الرسل رغم يقينهم بصدق ما يدعون إليه)) "ص٥٤٣" من الرسالة.

((قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السمٰوٰت والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجلٍ مسمى قالوا إن أنتم إلا بشرٌ مثلُنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد ءاباؤنا فأتونا بسلطٰن مبين))[١].

وبين الله عز وجل حال القوم الذين يعترفون بالربوبية دون الألوهية في قوله تعالى: ((ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله..))[٢].

وكما يعترفون بخلق الخالق لهم، يعترفون له سبحانه بعظيم قدرته وبديع خلقه، كما قال تعالى: ((ولئن سألتهم من خلق السمٰوٰت والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم))[٣].

وإذا اشتدت بهم المحن وضاقت عليهم السبل، ((وظنوا[٤] أن لاملجأ من الله إلا إليه دعوا الله مخلصين له الدين))[٥]، كما قال تعالى: ((وإذا مس الناس ضُرٌّ دعوا ربهم منيبين إليه...))[٦].

وقال سبحانه في آية أخرى: ((فإذا ركبوا في الفلك دعوُا الله مخلصين له الدين..))[٧].

---

(١) سورة ابراهيم: الآية (١٠).
(٢) سورة الزخرف: الآية (٨٧).
(٣) سورة الزخرف: الآية (٩).
(٤) الظن هنا بمعنى: اليقين. انظر: تفسير القرطبي: ((٢٨٧/٨))، والبرهان للزركشي: ((١٥٦/٤-١٥٧)).
(٥) سورة التوبة، الآيه: (١١٨).
(٦) سورة الروم: الآية (٣٣).
(٧) سورة العنكبوت: الآية (٦٥).

ب - قضية الأمر:

والذي بيده الخلق هو الذي بيده الأمر، "فكل مافي الوجود من حركة وسكون فبقضائه وقدره، ومشيئته وقدرته، وخلقه. وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسله، ونهى عن معصيته ومعصية رسله، وأعظم ماأمر به التوحيد لأنه من أعظم الحسنات، وأعظم مانهى عنه الشرك لأنه أعظم السيئات"[١].

فالله عز وجل له الأمر كله:

له الأمر الكوني القدري[٢]: وهو تقدير هذا الخلق وإيجاده على غير مثال سابق لحكمة يعلمها سبحانه.

ومهمة العباد في هذا النوع من الأمر تتحدد بالإيمان والتصديق به، وهو الركن السادس من أركان الإيمان، كما في الحديث: ((وأن تؤمن بالقدر خيره وشره))[٣].

وله الأمر الديني الشرعي[٤]: وهو أمر الخلق ونهيهم في هذه الدار فيجب عليهم طاعته فيما أمرهم به، والإنتهاء عما نهاهم عنه.

وهو سبحانه لايأمرهم إلا بما هو مصلحة لهم، ولا ينهاهم إلا فيما فيه مضرة عليهم، سواء أدركت ذلك عقول البشر أم لم تدركه، قال تعالى: ((**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتآي ذى القُربى وينهى عن الفحشآء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون**))[٥] فإذا أمر بأمر ديني فإنه لايأمر إلا بما هو خير ومصلحة للعبد، وإذا نهى عن شيءٍ فإنما ينهى عما فيه مضرة للعبد.

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٢٥١/١١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٢٦٧/١١).

(٣) تقدم تخريجه من حديث جبريل عليه السلام ص: ٩٣

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٦٧/١) والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية لصالح بن مهدي آل مهدي (٢٢/١) و (٤٧/٢).

(٥) سورة النحل: الآية (٩٠).

فالأمر والنهي هما اللذان يحكمان تصرفات العبد، فحيث وجدت أوامر الله فثم مصلحة العبد، فعليه أن يسير في تحقيقها، وحيث وجد النهي فهناك عدم مصلحة العبد فعليه أن يحذر انتهاك نواهي الله، وهي حمى الله التي وردت في الحديث فلا يقربها (ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه)[١].

@@@@@@@@@

@@@@@

@@@

$

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان ٣٩- باب فضل من استبرأ لدينه وأوله: (الحلال بين والحرام بين) (١٩/١).

ورواه مسلم في كتاب المساقاة، ٢٠- باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٢١٩/٢).

الباب الأول

الفصل الخامس

عقيدة المعاد وصلتها بأهداف الدعوة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : في قدرة الله تعالى على إرجاع الخلائق إليه وبعثها بعد الموت

المبحث الثاني : في تقرير ثواب المطيع وعقاب العاصي

المبحث الثالث : في الرد على منكري البعث

المبحث الرابع : أثر الإيمان بالبعث والنشور في إصلاح أحوال الناس في دنياهم وأخراهم

بدلالة آيات السورة وما تدل عليه نستطيع أن نتناول الموضوع في مباحث أربعة:

- **المبحث الأول:** في قدرة الله تعالى على إرجاع الخلائق إليه وبعثها بعد الموت.

ودل عليه قوله تعالى: ((**إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير**))(١) وقوله تعالى: ((**وإليه يرجع الأمر كله...**))(٢).

- **المبحث الثاني:** في تقرير ثواب المطيع وعقاب العاصي.

ودل عليه قوله تعالى: ((**وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير**))(٣) والآيات الدالة على علم الله تعالى بأعمال عباده وحفظه لها.

كما قال تعالى: ((**إنه عليم بذات الصدور**))(٤) ((**إن ربّي على كل شيءٍ حفيظ**))(٥) ((**إنه بما تعملون محيط**))(٦) ((**إنه بما تعملون بصير**))(٧) ((**والله على كل شيء وكيل**))(٨).

- **المبحث الثالث:** في الرد على منكري البعث:

ودل عليه قوله تعالى: ((**ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلاَّ سحر مبين**))(٩).

- **المبحث الرابع:** أثر الإيمان بالبعث والنشور في إصلاح أحوال الناس في دنياهم وأخراهم.

---

(١) سورة هود: الآية (٤).
(٢) سورة هود: الآية (١٢٣).
(٣) سورة هود: الآية (١١١)
(٤) سورة هود: الآية (٥).
(٥) سورة هود: الآية (٥٧).
(٦) سورة هود: الآية (٩٢).
(٧) سورة هود: الآية (١١٢).
(٨) سورة هود: الآية (١٢).
(٩) سورة هود: الآية (٧).

الفصل الخامس

المبحث الأول

في قدرة الله تعالى على إرجاع الخلائق إليه وبعثها بعد الموت

ودل على قدرة الله تعالى على إعادة الخلائق إليه وبعثها بعد الموت قوله تعالى: ((**إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير**))[١] وقوله تعالى: ((**وإليه يرجع الأمر كله..**))[٢].

فقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن معاد العباد وإعادتهم إليه بعبارات مختلفة اللفظ متحدة المعنى، منها ماذكره الله سبحانه في هاتين الآيتين من (الرجوع) مقصوداً به المعاد إلى الله تعالى يوم القيامة.

والرجوع لغة: عود الشيء إلى مبدئه.

ومنه رجع يرجع رجوعاً مرجعاً ورجعى أي: عاد، ورجعه رجعاً وأرجعه أعاده[٣].

والمعاد لغة: المصير والمرجع، والآخرة معاد الخلق.

وعاد الشيء يعود عوداً ومعاداً أي رجع[٤].

والله عز وجل هو المبدىء المعيد قال تعالى: ((**وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده..**))[٥] وقال تعالى: ((**كما بدأكم تعودون**))[٦] وقال تعالى: ((**إنه هو يبدىء ويعيد**))[٧] فهو سبحانه الذي بدأ الخلق ويعيدهم بعد مماتهم[٨].

ومسألة المرجع والمعاد أولها البعث والنشور.

---

(١) سورة هود: الآية (٤).
(٢) سورة هود: الآية (١٢٣).
(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (رجع) (١١٤/٨) وبصائر ذوي التمييز للفيروزأبادي (٣٩/٣).
(٤) انظر: لسان العرب، مادة (عود) (٣١٥/٣) وبصائر ذوي التمييز (١٠٨/٤).
(٥) سورة الروم: الآية (٢٧).
(٦) سورة الأعراف: الآية (٢٩).
(٧) سورة البروج: الآية (١٣).
(٨) انظر: تفسير القرطبي (٢٩٤/٢٠).

فالبعث: مصدر بعثه يبعثه بعثاً أي أحياه بعد مماته، وبعث الله للموتى احياؤهم يوم القيامة[١] ومنه قوله تعالى: ((**ثم بعثنٰكم من بعد موتكم..**))[٢] (أي أحييناكم)[٣].

ومن أسمائه عز وجل الباعث وهو الذي يبعث الخلق أي: يحييهم بعد الموت يوم القيامة.

وأما النشور لغة فهو: الإحياء:

ونشر الله الميت ينشره نشراً، ونشوراً، وأنشره أي: أحياه.

قال الزجاج: يقال نشرهم الله، أي: بعثهم[٤] كما قال تعالى: ((**وإليه النشور**))[٥] وقال تعالى: ((**ثم إذا شاء أنشره**))[٦].

وقد وردت هذه الألفاظ وغيرها في تقرير وبيان أن معاد العباد ومرجعهم بعد حياتهم الدنيوية إلى الله تعالى وحده لا إلى غيره، وهذا أصل من الأصول التي اتفقت عليها الشرائع السماوية[٧] وهو الركن الخامس من أركان الإيمان، الذي لايتم إيمان العباد إلا به، كما قال تعالى: ((**الذين يظنون أنهم ملٰقوا ربهم وأنهم إليه رٰجعون**))[٨].

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (بعث) (٢٠٦/٥) والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير لفظ (بعث) أيضا (٥٤/٥).

(٢) سورة البقرة: الآية (٥٦).

(٣) تفسير القرطبي: (٤٠٤/١).

(٤) انظر: لسان العرب، مادة (نشر) (٢٠٦/٥) وغريب الحديث لابن الأثير (٥٤/٥).

(٥) سورة الملك: الآية (١٥).

(٦) سورة عبس: الآية (٢٢).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/٢٠).

(٨) سورة البقرة: الآية (٤٦).

وكما في حديث جبريل عليه السلام المتفق على صحته حينما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[١] الحديث.

---

(١) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: رواه البخاري في كتاب الإيمان، ٣٧- باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة.. الخ، وأوله (كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس.. الخ) (١٨/١).
ورواه مسلم، في كتاب الإيمان، ١- باب الإيمان والإحسان.. الخ (٣٩/١).

الفصل الخامس

المبحث الثاني

في تقرير ثواب المطيع وعقاب العاصي

لقد رتب الله عز وجل على رجوع الخلائق إليه، وبعثها بعد الموت إيصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصي، فقال جل وعلا بعد أن ذكر انقسام الخلائق على حسب موقفهم من التصديق برسالاته الى أشقياء وسعداء: ((**وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم انه بما يعملون خبير**))(١).

أي: وإن كلا من الفريقين المختلفين، المصدق، والمكذب ليوفينهم، واللام لام قسم وتوكيد، والقسم مضمر تقديره ((والله ليوفينهم ربك أعمالهم) أي جزاء أعمالهم في القيامة، فيجازي المصدق على تصديقه الجنة، ويجازي المكذب على تكذيبه النار(٢).

والمجازاة إنما هي عن علم، كما قال تعالى: ((**إنه بما يعملون خبير**)) أي: لايخفى عليه شيء من أعمال عباده، فهو ((العليم بأعمال العباد جميعها، وجليلها، وحقيرها، صغيرها وكبيرها))(٣).

يقول الشيخ الأمين(٤) رحمه الله تعالى: ((وقد أجمع العلماء على أن الله تعالى لم ينزل من السماء إلى الأرض واعظاً أكبر، ولا زاجراً أعظم من موعظة المراقبة والعلم، وهي: أن يلاحظ الإنسان أن ربه جل وعلا رقيب عليه، عالم بكل مايخفي وما يعلن))(٥).

وبين الله تعالى لنا علمه وإحاطته في غير ماآية من آيات هذه السورة، وجاء ذلك في الآيات التي أنزلها تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم لتسليته عما كان يواجهه من عنت قومه فقال جل وعلا ((**إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل**))(٦). أي: ((حافظ يحفظ أقوالهم وأعمالهم فيجازيهم عليها يوم القيامة))(٧).

---

(١) سورة هود: الآية (١١١).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/٢٥٥)، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢/٢٥٥).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير: (٢/٤٧٨).
(٤) هو محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ولد سنة (١٣٢٥هـ) بشنقيط، واهتم بالعلم وتحصيله منذ نشأته =، وعرف بعلمه وصلاحه، درّس في المعهد العلمي بالرياض، وكلية الشريعة، ثم انتقل إلى الجامعة الأسلامية ودرس في كلياتها، من كتبه، أضواء البيان، ورفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب، وآيات الصفات، ومذكرة في أصول الفقه. توفي رحمه الله تعالى في ضحى يوم الخميس ١٣٩٣/١٢/١٧هـ بمكه المكرمة بعد أدائه مناسك الحج.
انظر ترجمته في: أضواء البيان (١/٣-٦٤) طبع الأمير أحمد بن عبدالعزيز آل سعود. وكاتب الترجمة الشيخ عطيه محمد سالم،ومقدمة معارج الصعود للدكتور عبدالله القادرى ص٢٣،
(٥) تمام النعمة بالدين الكامل: لمحمد الأمين الشنقيطي (١٤).
(٦) سورة هود: الآية (١٢).
(٧) تفسير الخازن: (٢/٢٢١).

والحفظ إنما يكون عن علم، كما قال تعالى في توعده للمعرضين عن دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم ((**ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور**))(١)

أي: أنه جل وعلا يعلم مايسرون من القول، ويعلم ماتكن صدورهم من النيات، والضمائر، والسرائر.

وما أحسن ماقال زهير بن أبي سلمى في معلقته المشهورة:

فلا تكتمن الله مافي قلوبكم * ليخفى ومهما يُكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر * ليوم حساب أو يعجل فينقم(٢)

فقد اعترف هذا الشاعر الجاهلي بوجود الصانع وعلمه بالجزئيات وبالمعاد، وبالجزاء، وبكتابة الأعمال في الصحف ليوم القيامة(٣).

وبمثل ماقرره الله تعالى في أول السورة وبين ثنايا آياتها من سعة علمه جل وعلا واطلاعه على أعمال عباده، وإحاطته بها، يختم السورة أيضاً بما يدل عليه، كما في قوله تعالى: ((**ولله غيب السمٰوٰت والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغٰفل عما تعملون**))(٤).

---

(١) سورة هود: الآية (٥).

(٠) هو: زهير بن أبي سلمى بن ربيعة المزني، من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية، ومن أصحاب المعلقات السبع، وظهر من شعره مايدل على اعترافه بوجود الله تعالى وتصديقه باليوم الآخر، وله ديوان شعر مطبوع، وترجم كثير منه إلى الألمانية، توفي قبل الهجرة بثلاث عشرة سنة.
انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (٥٧)، وما بعدها، والأعلام للزركلي (٥٢/٣).

(٢) المعلقات العشرة وأخبار قائليها، جمع أحمد بن الأمين، معلقة زهير بن أبي سلمى (٧١).

(٣) تفسير ابن كثير: (٤٣٧/٢).

(٤) سورة هود: الآية (١٢٣).

ففي هذه الآية ((يخبر تعالى أنه عالم غيب السمٰوات والأرض وأنه إليه المرجع والمآب، وسيؤتي كل عامل عمله يوم الحساب، فله الخلق والأمر؛ فأمر تعالى بعبادته والتوكل عليه، فإنه كاف من توكل عليه وأناب إليه))[١].

ويؤكد جل وعلا علمه أيضا بقوله: ((**وما ربك بغٰفل عما تعملون**))[٢].

أي: ((ليس يخفى عليه ماعليه مكذبوك يامحمد بل هو عليم بأحوالهم وأقوالهم، وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء في الدنيا والآخرة، وسينصرك وحزبك عليهم في الدارين))[٣].

ولقد دأب رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم في دعوة أقوامهم على تقرير هذا الأصل العظيم في نفوس العباد، وتذكيرهم بأن هذه الدنيا دار ممر سيرحلون منها إلى دار أخرى يوفون فيها جزاء أعمالهم وما قدمته أيديهم، فهود عليه السلام يقول: ((**إن ربي على كل شيء حفيظ**))[٤].

وشعيب عليه السلام يقول: ((**إنه بما تعملون محيط**))[٥].

والمعنى متقارب، أي: ان ربي شاهد، وحافظ لأقوال عباده وأفعالهم، عالم بها لايخفى عليه شيء من أحوالهم، وسيجازيهم عليها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر[٦] ولا يظلم ربك أحداً.

ولما كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الشرائع، ودعوته عامة للناس جميعاً فقد عنيت بهذا الأصل وبينته أتم بيان ووضحته أتم توضيح، وعرضت الشبه التي تعلق بها منكرو البعث ودحضتها بالبراهين القاطعة والحجج الواضحة.

وقد عرض القرآن لتقرير هذا الأصل من وجوه نذكر منها:

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤٨٣/٢).
(٢) سورة هود، الآية: ((١٢٣)).
(٣) تفسير ابن كثير:(٤٨٣/٢).
(٤) سورة هود: الآية (٥٧).
(٥) سورة هود: الآية (٩٢).
(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٤٥١/٢)، والخازن (٢٥٠/٢).

- **أولا**: لفت الله سبحانه وتعالى نظر العباد إلى أن الذي خلق السمُوات والأرض مع عظمها وسعتها وإحكام إتقانها وغاية إبداعها، قادر على إعادتهم بعد مماتهم (١) كما قال تعالى:

((أولم يروا أنَّ الله الذي خلق السمُوٰت والأرض ولم يعى بخلقهن بقدٰر على أن يحى الموتىٰ بلىٰ إنه على كل شىء قدير)) (٢).

وقال في آية أخرى: **((أوليس الذي خلق السمُوٰت والأرض بقدٰر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلّٰق العليم))** (٣).

قال الطبري رحمه الله تعالى: ((يقول تعالى ذكره منبّهًا هذا الكافر (٤) على خطأ قوله وعظيم جهله بأن الذي خلق السمُوٰت السبع والأرض لايتعذر عليه خلق ماهو أعظم من خلقكم، فكيف يتعذر عليه احياء العظام بعدما قد رمت وبليت، وهو القادر على أن يخلق مثلهم وهو الخلاق لما يشاء الفعال لما يريد، العليم بكل ماخلق ويخلق، لايخفى عليه خافية)) (٥).

---

(١) قارن بأعلام الموقعين لابن القيم (١٤٣/١).

(٢) سورة الأحقاف: الآية (٣٣).

(٣) سورة يس: الآية (٨١).

(٤) قيل هو: أبي بن خلف لعنه الله جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم رميم وهو يفته ويذروه في الهواء وهو يقول: يامحمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال صلى الله عليه وسلم: (نعم يميتك الله تعالى، ثم يبعثك، ثم يحشرك إلى النار) ونزلت الآيات من آخر (يس) من قوله ((أولم ير الإنسٰن أنَّا خلقنٰه من نطفة فاذا هو خصيم مبين* وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحي العظٰم وهى رميم..)) الآيات من (٧٧-٨٣).
وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أبي بن خلف، أو العاص بن وائل،أو فيهما، فهي عامة في كل من أنكر البعث، لأن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب. والألف واللام في قوله تعالى (أولم ير الإنسٰن) للجنس فيعم كل منكر للبعث.
تفسير ابن كثير: (٥٨٨/٣-٥٨٩).

(٥) انظر: الطبري (٣٢/١٢) مع تصرف يسير.

-ثانيا: لفت أنظارهم أيضاً إلى أقرب شيء يحسونه ويسيرون عليه، وأعظم مصالحهم مرتبطة به، وهو الأرض التي تحيا بوجود المطر وتموت بعدمه، ليكون القياس أقرب إلى العقول، والمثل أقرب إلى المحسوس المشاهد، فشبه النشأة الآخرة بالأرض التي تحيا بوجود المطر. كما قال تعالى: ((**وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. ذٰلك بأن الله هو الحق وأنه يحى الموتىٰ وأنه على كل شيئٍ قدير. وأن الساعة ءاتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور**))[١].

-ثالثا: قياس النشأة الآخرة على النشأة الأولى، فالقادر على النشأة الأولى وإيجادها بعد أن لم تك شيئاً قادر على إعادتها فالإنسان قد أوجد بعد أن لم يك شيئاً مذكوراً، فالذي أوجده من العدم لايعجز عن إعادته بل الإعادة أهون عليه، قال تعالى: ((**وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه...**)).[٢]

وذكّر الله عز وجل المنكرين للبعث والمرتابين في تحقق وقوعه بأصل نشأتهم وهو خلقهم من التراب الذي أنكروا إعادة خلقهم منه بعد تحلل أجسامهم وعظامهم بذراته، فقال تعالى: ((**يٰأيها الناس إن كنتم فى ريبٍ من البعث فإنا خلقنٰكم من تراب...**)).[٣]

-رابعا: ضرب الله عز وجل المثل للعبد من نفسه في حال نومه ويقظته، لأن النوم أخو الموت فما أشبه النوم بالوفاة، واليقظة بالبعث، قال تعالى: ((**وهو الذى يتوفٰكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعلمون**)).[٤]

وأمر الله رسوله أن يخاطب أهل مكة بقوله: ((**قل يٰأيها الناس إن كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولٰكن أعبد الله الذى يتوفٰكم وأمرت أن أكون من المؤمنين**)).[٥]

---

(١) سورة الحج: الآية (٥-٧).
(٢) سورة الروم: الآية (٢٧).
(٣) سورة الحج: الآية (٥).
(٤) سورة الأنعام: الآية (٦٠).
(٥) سورة يونس: الآية (١٠٤).

فأثبت عليه السلام في هذه الآية ((أن الذي يعبده هو الله الذي يتوفّى الأنفس))[١].

يقول أبو حيان[٢] في تفسيره لهذه الآية: ((وفي ذكر الآية لهذا الوصف الوسط الدال على التوفي دلالة على البدء وهو الخلق وعلى الإعادة، فكأنه أشار الى أنه يعبد الله الذي خلقكم ويتوفاكم ويعيدكم))[٣] إلى أن يقول: ((وكثيرا ماصرح في القرآن بهذه الأطوار الثلاثة، وكأن التصريح بهذا الوصف لما فيه من التذكير بالموت، وارهاب النفوس به وصيرورتهم إلى الله تعالى بعده، فهو الجدير بأن يُخاف ويُتّقى ويُعبد، لا الحجارة التي تعبدونها))[٤].

- **خامسا**: أن الله عز وجل قد جعل البعث من آياته، ومعجزة لبعض أنبيائه، لإظهار قدرته سبحانه على إحياء الموتى في هذه الحياة الدنيا، وإقامة للحجة على عباده، وذَكَر الله عز وجل هذا البرهان في سورة البقرة في خمسة مواضع:

- **الموضع الأول**: في إماتة الله جل وعلا للمعاندين من قوم موسى عليه السلام واحيائهم من بعد موتهم، في صورة أُحس وشاهد كل واحد منهم بها وتبين له قدرة الله عز وجل في احيائه له من بعد موته، كما قال تعالى: ((**ثم بعثْنكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون**))[٥].

---

(١) انظر: تفسير النهر الماد من البحر لأبي حيان (١٩٥/٥).

(٢) هو: محمد بن يوسف بن علي، أبو حيان، نحوى عصره، ولغويه ومفسره، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه.

من شيوخه : أبو الحسن بن الربيع، وابن أبي الأحوص، وغيرهما كثير، وأخذ عنه أكابر عصره، كالسبكى، وابن عقيل، وآخرون. وله مصنفات عدة منها : البحر المحيط، والنهر مختصره، وإتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب، مات بالقاهرة سنة(٧٤٥هـ).

انظر : الدرر الكامنه لابن حجر(٧٠/٥-٧٦)، وطبقات المفسرين للداودي (٢٨٧/٢-٢٩١).

(٣)،(٤) البحر المحيط (١٩٥/٢).

(٥) سورة البقرة: الآية (٥٦).

- **الموضع الثاني**: في إحياء الله تعالى قتيل بني إسرائيل بعد أن اختصموا في تحديد قاتله، فأمرهم الله جل وعلا على لسان رسوله موسى عليه السلام بضربه ببعض أجزاء البقرة، فضربوه فأحياه الله بها، وأخبر عن قاتله[١] كما قال تعالى: ((**فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم ءايٰته لعلكم تعقلون**))[٢].

ونبه الله تعالى بذلك على قدرته وإحيائه الموتى، بما شاهدوه من أمر القتيل، وجعل الله تبارك وتعالى ذلك الصنيع حجة لهم على المعاد، وفاصلاً ماكان بينهم من الخصومة والعناد)[٣].

- **الموضع الثالث**: في إماتة الله عز وجل للألوف الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت، وإحياء الله تعالى لهم إستجابة لدعوة نبيهم عليه السلام، بعد أن تقادم العهد بهم وأكلت الأرض أجسادهم.

قال تعالى: ((**ألم تر الى الذين خرجوا من ديٰرهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحيٰهم إن الله لذو فضل على الناس ولٰكن أكثر الناس لايشكرون**))[٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/١١٦).
(٢) سورة البقرة: الآية (٧٣).
(٣) تفسير ابن كثير: (١/١١٦).
(٤) سورة البقرة: الآية (٢٤٣).

- **الموضع الرابع**: في إماتة الله عز وجل من استبعد إحياء الله جل وعلا للقرية الخاوية على عروشها. لما رأى من دثورها وشدة خرابها، وبعدها عن العودة إلى ماكانت عليه، فأراه الله عز وجل الآية من نفسه، بأن أماته الله مائة عام ثم بعثه بعدها ليريه قدرته على إحياء الموتى، وليجعله آيةً ودليلاً للناس على المعاد[١]، قال تعالى: ((**أو كالذى مرَّ[٢] على قريةً وهي خاوية على عروشها قال أنَّى يحى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك ءايةً للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيءٍ قدير**))[٣].

- **الموضع الخامس**: فيما أراه الله عز وجل خليله ابراهيم عليه السلام من قدرته على احياء الموتى إجابة لسؤاله، قال تعالى: ((**وإذ قال إبرٰهيم رب أرنى كيف تحى الموتى قال أو لم تؤمن[٤] قال بلى ولٰكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبلٍ منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم**))[٥].

فهذه الآية وغيرها كثير ساقها القرآن للدلالة على اليوم الآخر. وتحقق وقوعه.

---

(١) قارن بتفسير ابن كثير (٣٢٢/١).

(٢) المشهور من أقوال المفسرين أن هذا المار هو (عزير) وقيل غير ذلك.
انظر: تفسير ابن كثير (٣٢٢/١).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٥٩).

(٤) في الآية إعلام أن المسألة من ابراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك ولٰكن من قبل زيادة العلم بالعيان، فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة مالايفيده الاستدلال.
انظر: تفسير البغوي (١٨١/١) عند تفسيره للآية (٢٦٠) من سورة البقرة، وتفسير ابن كثير (٣٢٢/١-٣٢٣) هامش رقم (١).

(٥) سورة البقرة: الآية (٢٦٠).

الفصل الخامس

المبحث الثالث

في الرد على منكري البعث

في الرد على منكري البعث :

وأما من أنكر هذا اليوم وجادل فيه: فقد تتبع القرآن جميع شبههم التي أثاروها، واعتراضاتهم التي أوردوها، ومزاعمهم التي تخيلوها، وواجههم بها انكاراً عليهم، ومن ذٰلك ماجاء في قوله تعالى: ((**ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلاَّ سحر مبين**))(١) .

أي: ((ولئن أخبرت يامحمد هؤلاء المشركين أن الله سيبعثهم بعد مماتهم كما بدأهم، مع أنهم يعلمون أن الله تعالى هو الذي خلقهم وخلق السمٰوات والأرض، كما قال تعالى ((**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله...**))(٢) ((**ولئن سألتهم من خلق السمٰوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله..**))(٣) ومع هذا ينكرون البعث والمعاد يوم القيامة، الذي هو بالنسبة إلى القدرة أهون من البداءة، كما قال تعالى:

(**هو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه..**))(٤) وقال تعالى: ((**ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة..**))(٥) .

ومع هذا يقولون ((**إن هذا إلا سحر مبين**)) أي يقولون كفراً وعناداً مانصدقك على وقوع البعث، وما يؤمن بذٰلك إلا من سحرته، فهو يتبعك على ماتقول)(٦) .

قال الزجاج في هذه الآية: ((السحر باطل عندهم، فكأنهم قالوا: إن هذا إلا باطل بين، فأعلمهم الله تعالى أن القدرة على خلق السمٰوات والأرض تدل على بعث الموتى))(٧) .

---

(١) سورة هود: الآية (٧).
(٢) سورة الزخرف: الآية (٨٧).
(٣) سورة العنكبوت: الآية (٦١).
(٤) سورة الروم: الآية (٢٧).
(٥) سورة لقمان: الآية (٢٨).
(٦) تفسير ابن كثير: (٤٣٩/٢) بتصرف.
(٧) زاد المسير لابن الجوزي (٧٩/٤).

ثم إن القرآن الكريم رد على تلك الشبه والاعتراضات والمزاعم رداً شافياً، بما أقامه من براهين قاطعة، وحجج واضحة، تزيل اللبس وتكشف الغمة، وتلزم الخصم الحجة، فلا تبقي للمعاند مجالا، ولا للمعارض مقالا، بل لاتجد العقول السليمة بدأ من الإيمان بها، ولا تجد مناصاً من التسليم بها.

ولنستشهد في هذا المقام بما جاء في قوله سبحانه رادا على ماتفوهت به ألسنة المنكرين للبعث عندما قالوا ماأخبر الله تعالى عنهم في قوله ((وقالوا أءذا كنا عظماً ورفاتاً أءنا لمبعوثون خلقاً جديداً))(١) فرد عليهم سبحانه ردا يتضمن الدليل القاطع على قدرته على إعادتهم خلقاً جديداً، وأعطاهم الخيار في أن يتصوروا أنفسهم على الشكل والهيئة التي تكبر في صدورهم، وتعظم في نفوسهم، فقال سبحانه ((قل كونوا حجارةً أو حديداً * أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة..))(٢)(٣).

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٤٩).
(٢) سورة الإسراء: الآية (٥٠-٥١).
(٣) انظر: أعلام الموقعين (١٤٥/١).

الفصل الخامس

المبحث الرابع

أثر الإيمان بالبعث والنشور في إصلاح أحوال الناس في دنياهم وأخراهم

بعد أن عرفنا أن اليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان، ووقفنا على ماأورده القرآن الكريم من براهين دالة على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، وتبين لنا أن ما تشبث به المنكرون من شبه لم تصمد أمام البراهين القرآنية، والحجج الواضحة، التي ألجم بها أفواههم لاسيما وأن البعث يتوافق مع ماركز في فطرة الإنسان من حب البقاء وكراهيته للفناء، فهو يقاوم ويصارع من أجل أن يبقى، فإذا علم أن حياته لاتنقطع بمجرد انتقاله من هذه الدنيا بل إن انتقاله من هذه الحياة هو بداية حياة أخرى، أدوم وأهنأ وأسعد من هذه الحياة، كما قال تعالى في شأنها ((**وإن الدار الأخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون**))(١) فهو قادم على دار لاتعب فيها ولا نصب، بل فيها ماوعدهم الله في قوله ((**يُطافُ عليهم بصحافٍ من ذهبٍ وأكوابٍ وفيها ما تشتهيه الأنفُسُ وتلذ الأعينُ وأنتم فيها خالدون**))(٢)، ((**لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً * إلا قيلاً سلاماً سلاماً**))(٣) ولا غل فيها ولا حقد ولا حسد ((**ونزعنا مافي صدورهم من غِلٍ إخواناً على سررٍ متقابلين**))(٤) فيها ((مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر))(٥) ويوفى كل واحد أجره كاملا غير منقوص، قال تعالى: ((**فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره* ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره**))(٦).

ثم هو لايبخس من حقه شيء فان أصابه مرض صبر وكان خيراً له، وكان تمحيصاً لذنوبه وخطاياه(٧).

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٦٤).
(٢) سورة الزخرف: الآية (٧١).
(٣) سورة الواقعة: الآية (٢٥-٢٦).
(٤) سورة الحجر: الآية (٤٧).
(٥) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه. رواه البخاري - في كتاب التفسير، ٣٢- تنزيل السجدة، ١- باب قوله ((فلا تعلم نفس ماأخفى لهم)) وأوله: (قال قال الله تبارك وتعالى..)(٥/٢١).
(٦) سورة الزلزلة: الآية (٧،٨).
(٧) راجع فصل: (الإبتلاء بالنعم والنقم من ضروب التذكير بالله تعالى) (ص:١٥٣).

وإن نقص ماله وفي جزاء الصابرين..
وإن شكر الله على النعماء وفّي جزاء الشاكرين..
وان أحسن وفي جزاء المحسنين.

وإن كظم غيظه وفي جزاء الصابرين والعافين، قال تعالى ((**الذين ينفقون في السرَّاءِ والضَّرَّاءِ والكٰظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**))(١).

وإن ظُلِمَ في نفس، أو عرض، أو مال، اقتص له ممن ظلمه، فلا يفلت الظالم من العقاب، ولا يحرم المظلوم من الثواب، قال تعالى: ((**ونضع الموٰزين القسط ليوم القيٰمة فلا تُظْلَمُ نفسٌ شيئاً* وإن كان مثقالَ حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حٰسبين**))(٢).

وهذه الأمور لاتحصل إلا بالإيمان باليوم الآخر، وبالمقابل فإن يسمع العبد ماأنذر الله به من عصاه إلا ويزداد من الطاعات ويفر من المعاصي إشفاقاً على نفسه أن يمسها العذاب. وغير هذا كثير، وما هذا إلا إيماء وتلويح لبيان الآثار التي يتركها الإيمان باليوم الآخر.

أقول إذا علم العبد المؤمن كل ذلك ازداد شوقاً إلى لقاء ربه وهانت عليه الدنيا الفانية، وعظمت في نفسه الحياة الباقية.. وكل هذه الأمور تختلج بنفس العبد فتدفعها للعمل وفق ماأمره الله عز وجل به، والإنتهاء عما نهاه الله عنه في كل شؤونه وأحواله، وتركه وفعله، وحركته وسكونه، اذ أنه يدرك أن هذا هو غراس آخرته التي يحرص على غرسها بأطيب الثمار وأحسنها، وما دنياه التي يعيش فيها إلا مطيته إليها.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٣٤).
(٢) سورة الأنبياء: الآية (٤٧).

ويوم أن أدرك صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبع سبيلهم هذه المعاني السامية، إهتزوا شوقاً إلى لقاء ربهم.. فتقاصرت أنظارهم عن الدنيا، وامتدت أعينهم إلى الحياة الآخرة؛ التي قال الله تعالى عنها ((**لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم**))[١] وزهدوا في دنياهم طمعاً في أخراهم ((**فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الأخرة..**))[٢].

فباعوا فانٍ بباق، ومتاعاً زائلاً بنعيم دائم، فهذا صهيب[٣] رضي الله عنه يخرج مهاجراً ويجعل لهم ماله مقابل تخلية سبيله، وخروجه بنفسه، حتى يتحقق له مراده من اللحاق بالرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه رضوان الله عليهم بالمدينة، وعندما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال له ((يأأبا يحيى ربح البيع)[٤] وينزل[٥] فيه قول الله تعالى: ((**ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد**))[٦].

---

(١) سورة الدخان: الآية (٥٦).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٤٨).

(٣) هو: صهيب بن سنان بن مالك الربعي، النمري، سابق الروم إلى الإسلام، عذبته قريش على إسلامه، وفدى نفسه بماله من المشركين عند هجرته إلى المدينة، وشهد بدراً وأحداً والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي سنة (٣٨هـ) وهو ابن ثلاث وسبعين، وقيل ابن سبعين، ودفن بالمدينة.
انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٤١٨/٢-٤٢١) ، الإصابة لابن حجر (٢١٦/٧) (٨٨/٨).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٢٠/٣) والبداية والنهاية: لابن كثير (١٧٢:٣) والطبقات الكبرى لابن سعد (١٦٢/٣).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٢٤٨/١)، وتفسير القرطبي (٢٠/٣).

(٦) سورة البقرة: الآية (٢٠٧).

وكما زهدوا في المال الذي هو شقيق الروح للانسان، ولا يبذله العبد إلا طمعاً في نيل ماهو أفضل منه، زهدوا أيضا في أنفسهم فتمنوا الموت لا لذاته، وإنما طمعاً في الحصول على مابعده.. فكان جهادهم في سبيل الله ترجمة حقيقية لمعاني الإسلام الذي لايقتصر على مجرد القول والنطق بالشهادتين فحسب بل أيقنوا وصدقوا أن هذه العقيدة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم هي (تصديق بالجنان واقرار باللسان، وعمل بالأركان)[١] فاهتزت قلوبهم شوقاً إلى لقاء ربهم، وباعوا نفوسهم لله تعالى نصرة لدينه، ورغبة فيما عنده سبحانه، ومن أوفى بعهده من الله، قال تبارك وتعالى ((**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرءان ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**))[٢].

فملأ الإيمان بالله تعالى، والتصديق باليوم الآخر، قلوب المسلمين شجاعة خارقة للعادة، وحنيناً قوياً إلى الجنة، واستهانة نادرة بالحياة، تمثلوا الآخرة، وتجلت لهم الجنة بنعمائها كأنهم يرونها رأي العين[٣].

فهذا عمير بن الحمام[٤] رضي الله عنه يزداد شوقاً إلى الجنة في غزوة بدر، ولم يصبر حتى يأكل التمرات اللواتي كن في يده بل رماها وقاتل حتى قتل.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٣١٣).

(٢) سورة التوبة: الآية (١١١).

(٣) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن علي الحسني الندوي (٩٤).

(٤) هو: عمير بن الحمام بن الجموح الأنصاري، السلمي، آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبيدة بن الحارب المطلبي، وشهدا بدراً، واستشهدا بها رضي الله عنهما.
انظر: أسد الغابة (٢٩٠/٤)، والإصابة (١٦٢،٢٩/٥).

وهذا عمرو بن الجموح [١] يحب أن يطأ بعرجته الجنة وهو من المعذورين.

نعم.. لقد صدقوا الله فوفاهم الله أجر الصادقين، وحقق لهم وعده والله لايخلف الميعاد، وصدق الله اذ يقول: ((**من المؤمنين رجالٌ صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضىٰ نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**)) [٢].

---

(١) هو: عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام السلمي، شهد أحدا مع أبنائه الثلاثة معاذا، ومعوذا، وخلادا، واستشهد هو وابنه خلاداً يومها، وله شعر يذم فيه صنمه الذي كان يعبده في جاهليته.

انظر: صفة الصفوة لابن الجوزي (٦٤٣/١-٦٤٧) ، الإصابة لابن حجر (٢٩٠/٤-٢٩١).

(٢) سورة الأحزاب: الآية (٢٣)

الباب الأول

الفصل السادس

بيان شدة فقر الإنسان إلى خالقه

عرفنا في الفصلين السابقين أن الخلق والأمر والمعاد لله وحده، وأنه سبحانه قد قدر ماهو كائن بأمره الكوني القدري، ولا يخرج شيء عن مشيئته النافذة، فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن، وأن من نعمة الله تعالى على الإنسان أن سخر له مافي السموات والأرض لينتفع بها، وأوضحنا أن (الخالق) بالألف واللام صفة خاصة لاتجوز لغير الله سبحانه.. لأنه هو الذي خلق الخلق وكل مخلوق مفتقر إليه في وجوده، وفي استمرار حياته وبقائها، وقد اقتضت حكمته سبحانه أن يوجد لكل مخلوق مابه قوام حياته، كما قال تعالى: (وما من دآبة في الأرض إلا على الله رزقها..)[١].

فالدابة: اسم لكل حيوان يدب على الأرض[٢].

والمراد: ((كل دابة والناس منهم))[٣].

والرزق: اسم لما ينتفع به، من مأكول وملبوس ومستعمل[٤]، وكل ماأنعم الله به على عبده من نعم فهي رزق له كالمال والولد ونحوه[٥]، وأصله في اللغة: الحظ والنصيب[٦].

والرازق: هو الله تعالى الذي خلق الأرزاق، وأعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها اليهم، سواء مابه قوام أبدانهم، أو تزكية نفوسهم[٧].

---

(١) سورة هود: الآية (٦).

(٢) انظر: زاد المسير: لابن الجوزي (٧٨/٤).

(٣) تفسير الطبري: (١/٧).

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن: للراغب (١٩٤).

(٥) قارن بتفسير الخازن (٣٠/١) عند قوله تعالى: ((الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوٰة ومما رزقنٰهم ينفقون)) الآية (٣) من سورة البقرة.

(٦) لسان العرب: لابن منظور، مادة: (رزق). ((١١٥/١٠))

(٧) غريب الحديث: لابن الأثير (٢١٩/٢).

والرزاق: فعال من أبنية المبالغة ولا يقال: إلا لله تعالى [١]، كما قال تعالى: ((إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)) [٢].

قال الخطابي [٣]: ((والله هو المتكفل بالرزق القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها)) [٤].

وقد كتب ذلك وقدره فكل يأخذ نصيبه وما كتب له، فكل نفس لن تموت حتى تستوفي رزقها وأجلها الذي أمر الله عز وجل الملك بكتابته [٥] كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((أن الله تعالى يبعث الملك لكل من اشتملت عليه رحم أمه فيقول له: اكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فيختم على ذلك)) [٦].

---

(١) المفردات في غريب القرآن: للراغب (١٩٤).

(٢) سورة الذاريات: الآية (٥٨)

(٣) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب الخطابي، البستي، فقيه، أديب محدث، ولد سنة ٣١٩هـ، وتوفي سنة ٣٨٨هـ له مصنفات عدة منها غريب الحديث، معالم السنن، شرح الأسماء الحسنى، والعزلة، والغنية عن الكلام وأهله وغير ذلك.
انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٤٥٣/١-٤٥٥) تذكرة الحفاظ (١٠١٨/٣-١٠٢٠) شذرات الذهب (١٢٨/٣) الأعلام (٤٠٣/٢).

(٤) نقلا عن زاد المسير: لابن الجوزي (٤٣/٨-٤٤).

(٥) زاد المسير لابن الجوزي: (٣٤:٨-٤٤).

(٦) رواه البخاري، في كتاب التوحيد، ٢٨- باب قوله تعالى: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) (١٨٨/٥) واللفظ له، وأوله: (إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه).
ومسلم، في كتاب القدر، ١٨- باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه، وأجله، وعمله، وشقاوته، وسعادته (٢٠٦٣/٣).

وأرزاق بني آدم مكتوبة لهم، وهي واصلة إليهم، كما في الحديث: ((إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ماعند الله لاينال إلا بطاعته))[(١)].

وتضمنت آية هود أمرين:

- الأمر الأول: تذكير الله عز وجل خلقه بفقرهم وحاجتهم إليه وفضله وانعامه عليهم وأنه جل وعلا قد تكفل باجراء الرزق لكل دابة خلقها فضلا وانعاما منه جل وعلا[(٢)].

---

(١) حديث صحيح بشواهده أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/٢٦،٢٧) من حديث أبي أمامة وفي سنده عفير بن معدان وهو ضعيف، وباقي رجاله ثقات، وأورده الهيثمي في المجمع (٤/٧٢) ونسبه للطبراني في الكبير وأعله بعفير بن معدان لكن له شاهد من حديث ابن مسعود عند الحاكم (٢/٤) وآخر من حديث جابر عند ابن ماجه رقم الحديث (٢١٤٤) في كتاب التجارات، ٢- باب الاقتصاد في طلب المعيشة (٢:٧٢٥).
وابن حبان (١٠٨٤) و (١٠٨٥) والحاكم (٢/٤ و ٤/٣٢٥).
وأبي نعيم في الحلية (٣/١٥٦،١٥٧ و ٧/١٥٨ وثالث من حديث حذيفة عند البزار كما في المجمع (٤/٧١) ويصح الحديث بها. وانظر زاد المعاد لابن القيم تحقيق شعيب الأرنؤوط بالإشتراك (١/٧٩).

(٢) قارن بتفسير البغوي (٢/٢١٨) وتفسير الخازن: (٢/٢١٨).

- **الأمر الثاني**: تهديد الكفار الذين كانوا يثنون صدورهم ليستخفوا عن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاء في قوله تعالى بياناً لحالهم: ((**ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور**))(١) بسعة علم الله عز وجل المحيط بالأشياء كلها ((وأن كل مايعملون مثبت عنده في كتاب قبل أن يخلق الخلق ويوجدهم، فمن كان قد علم ذلك منهم قبل أن يوجدهم فكيف يخفى عليه ماتنطوي عليه نفوسهم إذا ثنوا صدورهم، واستغشوا ثيابهم، وهو الذي يرزقهم؟))(٢).

وقد خص الله الإنسان من بين الخلائق كلها بنداء يذكره فيه بشدة فقره اليه، ويذكره سبحانه بغناه عنه، كما قال تعالى: ((**يأيها الناس أنتم الفقرآء إلى الله والله هو الغنى الحميد**))(٣) وأكد هذا في آية أخرى فقال سبحانه: ((**والله الغنى وأنتم الفقراء...**))(٤).

يقول ابن كثير في تفسيره: ((والله الغني أي عن كل ماسواه وكل شيء فقير إليه دائما، ولهذا قال تعالى: ((**وأنتم الفقراء**)) أي بالذات اليه، فوصفه بالغنى وصف لازم له، ووصف الخلق بالفقر وصف لازم لهم لاينفكون عنه))(٥).ا.هـ.

يقول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى: (ياعبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، ياعبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم..)(٦).

---

(١) سورة هود: الآية (٥).
(٢) قارن بتفسير الطبري (٣/٧) وتفسير القرطبي (٦/٩).
(٣) سورة فاطر: الآية (١٥).
(٤) سورة محمد: الآية (٣٨).
(٥) تفسير ابن كثير (١٩٦/٤).
(٦) طرف من حديث أبي ذر رضي الله عنه، رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، ١٥- باب تحريم الظلم، وأوله: (ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي..) (١٩٩٤/٣).

فما أحوج العبد الى لقمة عيش تقيم صلبه، والى شربة ماء تروي عطشه، وإلى لباس يواري سوءته، وكل ذلك يذكره بحاجته وشدة فقره إلى خالقه، فيدعوه إلى إظهار الإفتقار لربه جل وعلا في كل حال، وأن يشهد في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة بفاقة تامة إلى الله تعالى من كل وجه.. وهذه الفاقة تدعوه إلى تحقيق العبودية لله سبحانه على الوجه الذي أمر به (١) كما أمر الله تعالى قريشًا أن يعبدوه وحده وذكّرهم بجوعهم وفاقتهم وخوفهم فقال تعالى: ((**فليعبدوا رب هذا البيت *الذى أطعمهم من جوعٍ وءامنهم من خوف**)) (٢) فهو جل وعلا الذي أطعمهم من جوع، وتفضل عليهم بالأمن، فليفردوه بالعبادة وحده لاشريك له ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نداً ولا وثنا.. (٣).

فمن استجاب لأمر الله تعالى وحقق العبودية لله وحده لاشريك له جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة (٤).

فيكون الثواب رزقاً موصولاً بنعيم لاينفذ، وقرة عين لاتنقطع، كما في الحديث: ((أعددت لعبادي الصالحين مالاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)) (٥).

حتى يكون مايتنعم به أهل الجنة من النعيم داعياً إلى مناداة من في النار لآبائهم أو إخوانهم الذي أكرمهم الله بجناته، نداء يستدرون به عطفهم وشفقتهم (٦).

---

(١) مدارج السالكين: لابن القيم (٢/٤٥٧-٤٥٩).

(٢) سورة قريش: الآية (٤،٣).

(٣) تفسير ابن كثير: (٤/٥٩٢) بتصرف يسير.

(٤) انظر: المرجع السابق: (٤/٥٩٢).

(٥) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، ٣٢- سورة السجدة، ١- باب قوله تعالى: (فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين) (٦/٢١).

(٦) كما روى عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية: (ينادي الرجل أباه أو أخاه فيقول له قد احترقت فأفض علي من الماء فيقال لهم أجيبوهم فيقولون: (إن الله حرمهما على الكفرين) تفسير ابن كثير (٢/٢٢٨).

ولكن هيهات كما قال تعالى: (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إنّ الله حرمهما على الكافرين)[١].

* * * * * * *

* * *

*

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٥٠).

الباب الأول

الفصل السابع

الإبتلاء بالنعم والنقم

تذكير بالله تعالى

قال تعالى: ((وهو الذي خلق السمٰوٰت والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً...)) (١).

بينا فيما سبق مايتعلق بخلق السموات والأرض ودلالته على قدرة الله عز وجل، وبديع صنعه، وغناه عن خلقه، وأن الله جل وعلا ذكر هاتين الآيتين في العديد من آيات كتابه، لأنهما من أكبر مخلوقاته، وأعظم دلائل قدرته في كونه وإظهاراً منه جل وعلا لحقه على عباده في وجوب طاعته والانقياد لأمره، وتحقيق العبودية الخالصة له وحده لاشريك له.

وتذكيراً للعباد بنعمته وامتنانه عليهم بما سخره من منافع يحتاجونها من بين سمائه وأرضه.

وبياناً لقدرته على احياء الموتى ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

وفي هذا الفصل نأتي إلى بيان ماقررته الآية في جانب الابتلاء وسيكون في النقاط التالية:

أولا: في معنى الابتلاء وأنواعه:

ففي هذه الآية يبين الله تعالى أنه إنما خلق السموات والأرض لنفع عباده، الذين خلقهم ليعبدوه ولا يشركوا به شيئا (٢) وليتحقق ماأراده جل وعلا من ابتلاء عباده بهما، ورتب على الخلق الابتلاء فقال: ((ليبلوكم)) واللام لام كي (٣) وأصل البلاء: الاختبار (٤) أي: ليختبركم (٥).

---

(١) سورة هود: الآية (٧).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤٣٨:٢).

(٣) تفسير القرطبي (١٥٨:٧) عند قوله تعالى: ((ولٰكن ليبلوكم فيما ءاتىٰكم)) (الأنعام:١٦٥).

(٤) لسان العرب لابن منظور: مادة (بلا) (٨٣:١٤-٨٤).

(٥) تفسير ابن كثير (٤٣٩:٢).

قال ابن جرير: ((وأكثر مايقال في الشر بلوته أبلوه بلاء، وفي الخير: أبليته أبليه ابلاء وبلاء، ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

جزى الله بالاحسان مافعلا بكم * وأبلاهما خير البلاء الذين يبلو (١)

قال: فجمع بين اللغتين لأنه أراد: فأنعم الله عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده (٢).

وبالابتلاء تظهر حقيقة أعمال العباد، ولذا قال: ((**ليبلوكم أيكم أحسن عملا**)) والمعنى: ((أيكم أحسن له طاعة)) (٣) أو ((أيكم أعمل بطاعة الله عز وجل)) (٤). أو ((أيكم أعمل بطاعة الله، وأورع عن محارم الله تعالى)) (٥) وكلها معان متقاربة.

وروى عن ابن عمر (٦) -رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية ((أيكم أحسن عملا)) قال: (أيكم أحسن عقلا، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله) (٧). وهذا المعنى علق

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى (٦١) وفيه (رأى الله) بدل (جزى الله).

(٢) تفسير الطبري (٢٧٥:١) عند قوله تعالى: ((وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم)) سورة البقرة: الآية (٤٩).

(٣) تفسير الطبري: (٥:٧).

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما (٩:٩).

(٥) تفسير البغوي (٢٢٠:٢).

(٦) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أبو عبد الرحمن العدوي، أحد العبادلة الأربعة، ومن أشد الناس اتباعا للأثر، مات سنة (٧٣) أو (٧٤) وهو ابن أربع وثمانين سنة. انظر: أسد الغابة لابن الأثير: (٢٣٦/٣-٢٤١)، تقريب التهذيب لابن حجر (١٨٢).

(٧) ذكره الطبري في تفسير (٥:٧) والقرطبي (٩:٩) والسيوطي في الدر المنثور (٤٠٤:٤) وفي البحر المحيط لأبي حيان (٢٠٥:٥).

أبو حيان [١] إعتماده على صحة الحديث فقال: ((ولو صح هذا التفسير عن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعدل عنه)) اهـ [٢].

وبالبحث عن طرق الحديث في مظانه وجد أنه روي من عدة طرق، وفيها كلام للعلماء [٣].

وقيدت الآية العمل بكونه الأحسن لا الأكثر، لأن على العمل الأحسن مدار قبول العمل أو رده.

---

(١) هو: محمد بن يوسف بن علي، أبو حيان، نحوي عصره، ولغويه ومفسره، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه.
من شيوخه: أبو الحسن بن الربيع، وابن أبي الأحوص، وغيرهما كثير، وأخذ عنه أكابر عصره، كالسبكي، وابن عقيل، وآخرون. وله مصنفات عدة منها: البحر المحيط، والنهر مختصره، واتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب، مات بالقاهرة سنة (٧٤٥هـ).
انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٥:٧٠-٧٦) وطبقات المفسرين للداودي (٢:٢٨٧-٢٩١).

(٢) البحر المحيط: لأبي حيان (٥:٢٠٥).

(٣) أورد المناوي في تخريجه لأحاديث البيضاوي هذه الطرق، وحكم عليها بالسقوط، فانظرها في: الفتح السماوي، بتخريج أحاديث البيضاوي للمناوي، تحقيق أحمد السلفي (٢:٧١٨-٧١٩) ومن هذه الطرق ماجاء من طريق (داود بن المحبر) المشهور بوضعه لأحاديث العقل انتصاراً لنزعته الإعتزالية.
وانظر ترجمته في: التاريخ الكبير للبخاري (٣:٢٢٤) والجرح والتعديل للرازي (٣:٤٢٤) والمجروحين لابن حبان (١:٢٩١) والكامل لابن عدي (٣:٩٦٥-٩٦٧) وميزان الاعتدال للذهبي (٢:٢٠) والتقريب لابن حجر (١:٢٣٤).

يقـول ابن كثير: ((ولم يقل أكثر عملاً بل أحسن عملاً، ولا يكـون العمل حسناً حتى يكون خالصاً لله عز وجل، على شريعة رسول الله صلى اللـه عليه وسلم، فمتى فقد العمل واحداً من هذين الشرطين حبط وبطل)).(١)

أما عن تفصيل أنواع الابتلاء:

* فـإن هذه الآية تقرر النوع الأول مـن أنواع الابتلاء وهـو: الابتلاء العـام، ونظيرها قوله تعالى:

((هـل أتى علـى الإنسـان حيـن مـن الـدهر لم يكن شيئـاً مـذكوراً. إنا خلقنـا الإنسـان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلنـاه سميعاً بصيراً)).(٢)

وكقوله تعالى:

((الذى خلق الموت والحيـوٰة ليبلوكم أيكم أحسن عملا...)).(٣)

* النـوع الثاني: الإبتلاء بالنعـم والنقم **((ولئن أذقنـاه نعماء بعد ضـراء مسته ليقـولن ذهـب السيئات عنى إنه لفـرح فخور))**(٤) ونظيرهـا قوله تعـالى: **((وبلونـاهم بالحسنات والسيئـات لعلهم يرجعون))**.(٥)

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤٣٩/٢).
(٢) سورة الإنسان: الآية (١،٢).
(٣) سورة الملك: الآية (٢).
(٤) سورة هود: الآية (١٠).
(٥) سورة الأعراف: الآية (١٦٨).

* النوع الثالث: الابتلاء بالنعم، كما قال تعالى: ((إنا جعلنا ماعلى الأرض زينةً لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً))[١].

* النوع الرابع: الابتلاء بالنقم ((ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور)[٢] ونظير هذه الآية قوله تعالى: ((ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين))[٣].

وكما في قوله تعالى: ((ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوَ أخباركم))[٤] أي نختبرها ونظهرها[٥].

وكان الفضيل بن عياض[٦] إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: ((اللهم لاتبتلينا فإنك إذا بلوتنا فضحتنا، وهتكت أستارنا))[٧].

---

(١) سورة الكهف: الآية (٧).
(٢) سورة هود: الآية (٩).
(٣) سورة البقرة: الآية (١٥٥).
(٤) سورة محمد: الآية (٣١).
(٥) تفسير القرطبي (٢٥٤:١٦).
(٦) هو: الفضيل بن عياض بن مسعود التيمي أبو علي أصله من خراسان وسكن مكة، ثقة عابد، روى عن الأعمش، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وغيرهم، وروى عنه الثوري، وابن عيينة، وابن المبارك، والشافعي، وآخرون، مات سنة (١٨٧هـ).
انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٦٤-٢٦٦) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٨٤:٨)وما بعدها.
(٧) تفسير القرطبي: (٢٥٤:١٦).

ثانيا: عموم الابتلاء وتفاوت الناس فيه:

فإن من حكمة الله عز وجل أن جعل الإبتلاء عاماً لجميع خلقه، وعلى قدر المحبة يعظم البلاء، كما جاء في الحديث ((اذا أحب الله قوما إبتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع))(١).

وفي الحديث الآخر: ((يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة))(٢).

ثالثا: في ابتلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

((ولما كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحب الخلق إلى الله،

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٥:٤٢٧،٤٢٩) بسند صحيح عن محمود بن لبيد.
وقال المنذري في الترغيب (٦/٩٣) (والهيثمي في مجمع الزوائد (٢:٢٩١) والحافظ في الفتح عند شرحه لأول أحاديث كتاب المرض (١٠:١٠٨) رواته ثقات.

(٢) جزء من حديث عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما وأوله: قال قلت يارسول الله أي الناس أشد بلاء، رواه أحمد في مسنده (١:١٧٢).
والترمذي في كتاب الزهد (٥٦) باب ماجاء في الصبر على البلاء (٤:٦٠١-٦٠٢) وقال: حسن صحيح.
وابن ماجه في كتاب الفتن (٢٣) باب الصبر على البلاء (٢:١٣٣٤) والحاكم (١:٤٠-٤١).

كانوا أشد الناس بلاء، وأصابهم من البلاء في الله مالم يصب أحد))[١] كما جاء في حديث سعد[٢] رضي الله عنه عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم: ((أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل))[٣].

قال في تيسير العزيز الحميد: ((لينالوا بذلك الثواب العظيم، والرضوان الأكبر، وليتأسى بهم من بعدهم، وليعلموا أنهم بشر تصيبهم المحن والبلايا فلا يعبدونهم))[٤] ا.هـ.

فالرسل صلوات الله وسلامة عليهم ابتلاهم الله عز وجل بالاصطفاء بالرسالة، واختارهم من بين خلق زمانهم، وألقى عليهم وحيه، وأمرهم بالاستقامة عليه، كما قال تعالى لرسوله: ((فاستقم كما أمرت...))[٥].

وقال تعالى أيضا: ((يأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك...))[٦].

وقال تعالى في آية أخرى: ((واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون))[٧].

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٤٦١) بتصرف يسير.

(٢) هو سعد بن أبي وقاص، مالك بن وهب الزهري، أبو اسحاق، أحد العشرة وأول من رمي بسهم في سبيل الله، ومناقبه كثيرة، قال له الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد: (إرم سعد فداك أبي وأمي) مات بالعقيق رضي الله عنه سنة خمس وخمسين على المشهور، وهو آخر العشرة وفاة.
انظر: تقريب التهذيب (١١٩) وصفة الصفوة (١:٣٥٦-٣٦١) والحديث في الصحيحين، البخاري (٣:٢٢٨) ومسلم برقم (٢٤١١) (٢:١٨٧٦).

(٣) تقدم تخريجه في (ص١٥٩) من الرسالة، الحاشية رقم (٢).

(٤) تيسير العزيز الحميد (٤٦١).

(٥) سورة هود: الآية (١١٢).

(٦) سورة المائدة: الآية (٦٧).

(٧) سورة النحل: الآية (١٢٧).

وقال تعالى مسلياً لرسوله من عنت قومه: ((**مايقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك...**))[١].

وقال أيضا: ((**وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً**))[٢].

رابعا: الابتلاء في جانب المدعوين:

فقد ابتلى الله تعالى المدعوين بإرسال الرسل إليهم وهل يطيعونهم وينصرونهم ويصدقونهم أم يكفرون بهم، ويردون عليهم، ويقاتلونهم؟[٣] كما قال تعالى عن كتابه الذي هو مصدر دعوته ((**يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضل به إلا الفسقين**))[٤].

وقال عن سور كتابه: ((**واذا ماأنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمناً فأما الذين ءامنوا فزادتهم إيمناً وهم يستبشرون * وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كفرون**))[٥].

وقال عن أحوال البشر: ((**وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا**))[٦].

---

(١) سورة فصلت: الآية (٤٣).
(٢) سورة الفرقان: الآية (٣١).
(٣) قارن بما جاء في اغاثة اللهفان لابن القيم (٢:١٦٠-١٦١).
(٤) سورة البقرة: الآية (٢٦).
(٥) سورة التوبة: الآية (١٢٤-١٢٥).
(٦) سورة الفرقان: الآية (٢٠).

فأرسل الله للأمم الرسل وأيدهم بالحجج والبينات، فأعرض من أعرض عن دعوة الرسل وجادلوا رسلهم بما أخبر الله عنهم في قوله تعالى: **(ألم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينُت فردوا أيديهم في أفوٰههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب)**(١).

فعادى الرسل أقوامهم، وعاندهم أقرب أقربائهم الذين هم أولى بنصرتهم، والذود عنهم، ورموهم بما يعلمون أنهم برءاء منه، كما هو موقف الكافرين من قوم نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وموسى، عليهم السلام. وواجه كل رسول من قومه أشد الأذى.

فمن أعظم البلوى أن يعايش الإنسان زوجة يرى أنها حرب عليه، كما في امرأة نوح، وامرأة لوط عليهما السلام وبين الله تعالى ذلك في قوله: **((ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صٰلحين فخانتاهما...)**(٢)(٣).

وأن يواجه المرء من أبيه السفه عن دعوته، والتوعد برجمه، كما حصل لابراهيم عليه السلام من أبيه، وأخبر الله تعالى عن ذلك في قوله: **(يٰإبرٰهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً)**(٤).

والرسول صلى الله عليه وسلم تتكالب قريش على حربه والصد عنه كما جاء مبينا في الكتاب والسنة ودونته كتب السيرة.

---

(١) سورة ابراهيم: الآية (٩).

(٢) أجمع المفسرون على أنه مابغت امرأة نبي قط، وأن خيانتهما إنما كانت في الدين لأنهما كانتا مشركتين، ويبين ابن عباس رضي الله عنهما وجه الخيانة في قوله: كانت امرأة نوح تقول للناس إنه مجنون، وكانت امرأة لوط تخبر بأضيافه.
انظر: القرطبي (١٨:٢٠٢).

(٣) سورة التحريم: الآية (١٠).

(٤) سورة مريم: الآية (٤٦).

خامسا: في الابتلاء بالأوامر والنواهي:

فإن الله تعالى ابتلى المكلفين من خلقه بالأوامر والنواهي، رحمة من جانب، وتمحيصاً وتطهيراً من جانب، لاحاجة منه إليهم بما أمرهم به فهو الغني الحميد، ولا ضنًّا منه عليهم بما نهاهم عنه فهو الجواد الكريم، فدعاهم إلى الاستجابة لدعوته (١) بقوله تعالى: ((**استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم...**)) (٢).

وقال تعالى أيضا: ((**هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج...**)) (٣) وقال تعالى: ((**مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون**)) (٤).

---

(١) اغاثة اللهفان: لابن القيم (١٧٥:٢).
(٢) سورة الأنفال: الآية (٢٤).
(٣) سورة الحج: الآية (٧٨).
(٤) سورة المائدة: الآية (٦).

وابتلى العباد ليعلم صدق إيمانهم، كما قال تعالى: ((**ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكٰذبين**))[٢].

وهو سبحانه بكل شيء عليم، قبل كون ذٰلك الشيء وبعد كونه، ولٰكنه أراد أن يعلمهم موجودين مشاهدين، فيعلم إيمانهم واقعاً[٣].

ويوضح ابن القيم حال الناس عند سماع دعوة الرسل فيقول: (لأن الناس بين أمرين:

---

(١) هذه الآية ونظائرها من الآيات المماثلة قال عنها الشيخ الأمين رحمه الله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى: ((وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول...)) [١٤٣، البقرة] مانصه:

(ظاهر هذه الآية قد يتوهم منه الجاهل أنه تعالى يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، بل هو تعالى عالم بكل ماسيكون قبل أن يكون، وقد بين أنه لايستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه، لقوله جل وعلا: ((وليبتلى الله مافي صدوركم وليمحص مافي قلوبكم والله عليم بذات الصدور)) [١٥٤، آل عمران] بعد قوله ((ليبتلي)) دليل قاطع على أنه لم يستفد بالاختبار شيئاً لم يكن عالما به، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، لأن العليم بذات الصدور غني عن الاختبار.

وفي هذه الآية بيان عظيم لجميع الآيات التي يذكر الله فيها اختباره لخلقه.

ومعنى ((إلا لنعلم)) أي علما يترتب عليه الثواب والعقاب، فلا ينافي أنه كان عالما به قبل ذلك، وفائدة الاختبار ظهور الأمر للناس، أما عالم السر والنجوى فهو عالم بكل ماسيكون كما لايخفى)) اهـ

أضواء البيان لمحمد الأمين (١:٨٧-٨٨).

(٢) سورة العنكبوت: الآية (١-٣).

(٣) اغاثة اللهفان: لابن القيم (٢:١٩١).

إما أن يقول أحدهم آمنت أو لايقول ذلك؛ بل يستمر على السيئات والكفر، **فمن قال آمنا** امتحنه ربه وابتلاه، والفتنة: الإبتلاء والإختبار لتبيين الصادق من الكاذب، **ومن لم يقل آمنا** فلا يحسب أنه يعجز الله، ويفوته ويسبقه، فمن آمن بالرسل وأطاعهم عاداه أعداؤهم وآذوه فابتلي بما يؤلمه.

ومن لم يؤمن بالرسل ولم يطعهم عوقب في الدنيا والآخرة، وحصل له مايؤلمه، وكان هذا الألم أعظم وأدوم من ألم أتباعهم، فلابد من حصول الألم لكل نفس آمنت، أو رغبت عن الايمان، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، والمعرض تحصل له اللذة ابتداء، ثم يصير له الألم الدائم) ا.هـ[1].

ويعتبر هذا بأحوال الرسل، فقد ابتلوا بإيذاء أقوامهم واخراجهم من ديارهم، كما شكا أتباع موسى لموسى عليه السلام كما جاء في قوله تعالى إخباراً عنهم: ((**قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم**[2] **في الأرض فينظر كيف تعملون**))[3].

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٤٣١) وأصله موجود في اغاثة اللهفان (٢:١٩١-١٩٢) والفوائد (٢٩٣-٢٩٤) وكلاهما لابن القيم.

(٢) عسى وعد من الله تعالى، والله لايخلف وعده، وقد حقق لهم الله تعالى ماوعدهم به فحينما خرج موسى عليه السلام، وأورثهم أرض فرعون وكنوزه كما قال تعالى: ((وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسراءيل بما صبروا...)) سورة الأعراف: الآية (١٣٧).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٣٩).

والرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لحقهم من الإيذاء مالحقهم حتى شكوا ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم كما في حديث خباب[١] رضي الله عنه قال: ((شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا))[٢] ويقول لهم الرسول صلى الله عليه وسلم مُسَلِّيا ومُوطِّنا على الصبر حتى تنقضي المدة المقدورة:

((قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد، من دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه))[٣] ثم يعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم بذهاب المحنة وكشف الغمة، وبالفرج بعد الكربة، وبالسعة بعد الضيق ((والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لايخاف إلاالله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون))[٤].

---

(١) هو: أبو عبد الله خباب بن حبذلة الخزاعي أو التميمي رضي الله تعالى عنه، من السابقين الأولين الى الاسلام، سامه الكفار بأغلظ أنواع العذاب، ليصدوه عن دينه فلم يعطهم ماسألوا، شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم بدراً، وأحداً، والمشاهد كلها ثم نزل الكوفة ومات بها سنة (٣٧)هـ قال عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما شاهد قبره: (رحم الله خباباً أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتلي في جسمه، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا.. الخ).

انظر: أسد الغابة لابن الأثير (١:٥٩١-٥٩٣) وتقريب التهذيب لابن حجر (٩١).

* فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر (١٢:٣١٦).

(٢)و(٣)و(٤) رواه البخاري في كتاب الاكراه ١- باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر (٨:٥٦).

وإنما نوع الله عز وجل لعبده الأحوال وقلب له الأمور ونوع له في الإبتلاء فمن بين عسر ويسر، ورخاء وشدة، ومحنة ومنحة، وفرحة وترحة (١) ليتذكر على الدوام ربه ومولاه فيعبده وحده، ولا يعبد أحداً سواه، ويشكره ولا يكفره، ويؤمن به ويتوكل عليه، ويطيع رسله فيفعل ماأمروا به ويترك ماينهون عنه، فبذلك يحقق عبوديته لله جل وعلا ويحوز على رضاه فيعظم الله له أجره ويبؤه الله جنته. هذا حال العبد الطائع لربه.

أما موقف الكافر من ابتلاء الله تعالى له بالنعم والنقم:

فهو ماأخبر الله عز وجل عنه في قوله: ((**ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور**)) (٢).

ولبيان الآية سأتعرض لها من حيثيتين:

* **الحيثية الأولى:** في بيان من نزلت فيه:

وقد اختلف المفسرون في ذلك على ثلاثة أقوال:

- **أحدها:** أنها نزلت في الوليد (٣) بن المغيرة قاله ابن عباس.

---

(١) الترحة: الترح، الحزن، ضد الفرح، وهو الهلاك والانقطاع أيضا، والترحة المرة الواحدة.
انظر: غريب الحديث لابن الأثير (١٨٦:١) مادة (ترح) ولسان العرب لابن منظور، مادة (ترح) (٤١٧:٢).

(٢) سورة هود: الآية (٩).

(٣) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها، أدرك الاسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته، وكان يؤلب الناس على القول بأن ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم سحرا.
وهو والد سيف الله خالد ابن الوليد رضي الله عنه، هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون.
انظر: الكامل لابن الأثير (٦٣:١و٧١-٧٢) والمحبر: لابن حبيب (١٦١) والأعلام: للزركلي (١٢٢:٨).

- **الثاني**: في عبد الله بن أبي أمية المخزومي (١).
ذكره الواحدي (٢).

- **الثالث**: أن الإنسان هاهنا اسم جنس، والمعنى: ولئن أذقنا الناس، قاله الزجاج (٣).

* **أما الحيثية الثانية**: ففي بيان معنى الآية:

والمعنى: ((ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة وسعة في الرزق والعيش، فبسطنا عليه من الدنيا، وهي الرحمة التي ذكرها الله تعالى في هذا الموضع (٤) والمراد بها: النعمة من العافية، والمال، والولد)) (٥).

---

(١) عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي، وهو أخو أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كان شديداً على المسلمين، مخالفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم شديد العداوة له، ولم يزل كذلك إلى عام الفتح، ثم أسلم قبيل عام الفتح وحسن اسلامه، وشهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم فتح مكة مسلماً، وحنيناً، والطائف، ورمى من الطائف بسهم فقتله، ومات يومئذ.
انظر: أسد الغابة: لابن الأثير (٣:٧٣) والإصابة: لابن حجر (٤:٣٦-٣٧).

(٢) هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي، أبو الحسن الواحدي، النيسابوري، كان أوحد عصره في التفسير، أخذ عن أبي الحسن الضرير، وأبي الفضل أحمد بن محمد العروض، وجماعة.
وروى عنه: أحمد بن عمر الأرغياني، وعبد الجبار بن محمد الخواري وطائفة.
ومن كتبه: تفاسيره الثلاثة: البسيط، والوسيط، والوجيز، وأسباب النزول، ونفي التحريف عن القرآن الشريف، والمغازي، وغيرها.. توفي بنيسابور سنة ٤٦٨هـ.
انظر: طبقات المفسرين: للسيوطي (٦٦-٦٧) وطبقات المفسرين للداودي (١:٣٩٤-٣٩٥).

(٣) زاد المسير: لابن الجوزي (٤:٨٠).

(٤) تفسير الطبري (٧:٧).

(٥) زاد المسير: لابن الجوزي (٤:٨٠).

(ثم نزعناها منه) أي: سلبناه ذلك فأصابته مصائب أجاحته[(١)] فذهبت به، فموقفه من نزع النعمة هو: (اليأس والكفران)[(٢)] كما قال تعالى: ((**إنه ليؤس كفور**)) وهما صفتا مبالغة[(٣)].

والمعنى كما يقول ابن كثير: ((أنه اذا أصابته شدة بعد نعمة، حصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل، وكفر وجحود لماضي الحال، كأن لم ير خيرا، ولم يرج بعد ذلك فرجاً))[(٤)] ا.هـ.

وفعله هذا يدل على قطع الرجاء في فضل الله تعالى، وعدم الصبر والتسليم لقضائه وقدره[(٥)].

هذا عن حال الانسان اذا بدأه الله بنعمته ابتلاء، ولم يسبقه بضره.

وأما حاله إذا جاءته النعمة بعد النقمة ابتلاء من الله وامتحاناً أيضا فهو ماأخبر الله عنه في قوله: ((**ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى إنه لفرح فخور**))[(٦)].

---

(١) من الاجتياح وهو الاستئصال. والجوحة، والجائحة: الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سنة أو فتنة. وكل ماستأصله: فقد جاحه واجتاحه، وجاح الله ماله وأجاحه بمعنى: أي أهلكه بالجائحة.
انظر: اللسان، مادة (جوح) (٤٣١:٢).

(٢) تفسير الطبري (٧:٧).

(٣) البحر المحيط: لأبي حيان (٢٠٦:٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٤٣٩:٢).

(٥) قارن البحر المحيط لأبي حيان (٢٠٦:٥).

(٦) سورة هود: الآية (١٠).

والمعنى كما يقول الطبري: ((ولئن نحن بسطنا للإنسان في دنياه ورزقناه رخاء في عيشه ووسَّعنا عليه في رزقه بعد "ضراء مسته" أي بعد ضيق من العيش كان فيه، وعسرة كان يعالجها "ليقولن ذهب السيئات عني" أي: ذهب الضيق والعسرة عني، وزالت الشدائد والمكاره)) ا.هـ (١).

ثم بيَّن الله حال هذا الإنسان بقوله: (**إنه لفرح فخور**).

أي: فرح بالنعم التي يعطاها، مسرور بها فخور، ذو فخر بما نال من السعة في الدنيا وما بسط له فيها من العيش، وينسى صروفها ونكد العوارض فيها، ويدع طلب النعيم الذي يبقى، والسرور الذي يدوم فلا يزول (٢) فهو غير شاكر لله على ماأعطاه، متعاظم بنعم الله على عباد الله (٣).

يقول ابن القيم: ((فذمه الله باليأس والكفر عند الامتحان بالبلاء، وبالفرح والفخر عند الابتلاء بالنعماء، واستبدل بحمد الله وشكره والثناء عليه اذ كشف عنه البلاء قوله "ذهب السيئات عني" ولو أنه قال: أذهب الله السيئات عني برحمته وَمَنِّه لما ذم على ذلك، بل كان محموداً عليه، ولٰكنه غفل عن المنعم بكشفها، ونسب الذهاب إليه، وفرح وافتخر)) (٤)، فذمه الله تعالى على ذٰلك في قوله جل وعلا: ((**إنه لفرح فخور**)) ا.هـ (٥).

---

(١) تفسير الطبري: (٨:٧) بتصرف.

(٢) المرجع السابق : (٨/٧).

(٣) اقتباسا من ألفاظ البحر المحيط لأبي حيان (٢٠٦:٥).

(٤) الفوائد: لابن القيم (٢٩١).

(٥) وأورد ابن الجوزي تساؤلا عن وجه عيب الانسان في قوله: ((ذهب السيئات عني)) ووجه ذمه على الفرح، وقد وصف الله الشهداء فقال: ((فرحين)) وساق جواب ابن الأنباري عن ذلك بقوله:

===

وهذا ديدن أهل الكبر، فقد ذكر الله تعالى عن قارون أنه آتاه من المال ماإن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، كما أخبر الله عز وجل عنه في قوله: ((**إن قارون كان من قوم موسى فبغىٰ عليهم وءاتينٰه من الكنوز ماإن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة..**))(١) ومع هذا فما تذكر ولا شكر بل قال ماأخبر الله عنه في قوله ((**إنما أوتيته على علم عندى..**))(٢).

*** أما موقف المؤمن من الابتلاء:**

فإنه يقابل الابتلاء بالصبر والرضا وعمل الصالحات، فيكون دائما متذكرا لآلاء الله، شاكراً لأنعمه، وكلما مَنَّ الله تعالى عليه بنعمة ازداد ذُلاً له وانكساراً، وخضوعاً بين يديه وقياما بشكره(٣) وان أتته شدة من الدنيا وعسرة فيها لم يثنه ذلك عن طاعة الله(٤).

== (إنما عابه بقوله ((ذهب السيئات عنى)) لأنه لم يعترف بنعم الله، ولم يحمده على ماصرف عنه، وإنما ذمه بهذا الفرح لأنه يرجع الى معنى المرح والتكبر عن طاعة الله، قال الشاعر:

ولا ينسيني الحدثان عرضي * ولا ألقى من الفرح الإزار

يعني من المرح، وفرح الشهداء فرح لا كبر فيه ولا خيلاء بل هو مقرون بالشكر فهو مستحسن) اهـ زاد المسير لابن الجوزي: (٨١/٤).

ولهذا قال تعالى: ((فرحين بما ءاتىٰهم الله من فضله...)) [١٧٠، آل عمران] ونسبوا الفضل لله تعالى.

(١) سورة القصص: الآية (٧٦).

(٢) سورة القصص: الآية (٧٨).

(٣) انظر: الفوائد لابن القيم (٢٩٠-٢٩١).

(٤) انظر: تفسير الطبري: (٨:٧).

ولهذا استثنى الله تعالى عباده الذين استجابوا لدعوته، وهدتهم شرائعه إلى الايمان به، والاستجابة لرسله، فقال تعالى: ((**إلا الذين صبروا وعملوا الصٰلحت أولٰئك له مغفرةٌ وأجرٌ كبير**))[١][٢].

واختلف المفسرون في الإستثناء الوارد في الآية تبعاً للاختلاف في معنى الإنسان في قوله ((**ولئن أذقنا الإنسٰن**)). كما تقدم.

فمن المفسرين من قال بأن الإستثناء من ((الإنسان)) لأنه بمعنى الجنس، ومعنى الجمع، وهو كقوله ((**والعصر. إن الإنسٰن لفى خسر. إلا الذين ءامنوا وعملوا الصٰلحت..**))[٣] ولأن الأصل في الفطرة الهداية. فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا[٤].

وقيل المراد بالانسان الكافر فيكون الاستثناء منقطعا[٥] ومعناه ((لٰكن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات)).

وذكر الله في الآية جزاء من ابتلي فصبر، فقال تعالى: ((**أولٰئك لهم مغفرة وأجر كبير**))[٦] أي: ((فلهم من الله مع مغفرة ذنوبهم ثواب على أعمالهم الصالحة التي عملوها في دار الدنيا جزيل وجزاء عظيم))[٧].

فالابتلاء تكفير لخطايا المؤمن ومغفرة لذنوبه ورفعة لدرجته[٨] كما جاء في حديث سعد -رضي الله عنه- المتقدم.

---

(١) سورة هود: الآية (١١).
(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٥:٢٠٦).
(٣) سورة العصر: (١-٣).
(٤) انظر: تفسير الطبري: (٧:٨) والبحر المحيط: (٥:٢٠٦).
(٥) انظر: تفسير القرطبي (٩:١١) والبحر المحيط (٥:٢٠٦).
(٦) سورة هود: الآية (١١).
(٧) انظر: تفسير الطبري (٧:٨).
(٨) انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٥٨).

ولما يحصل مع المصيبة للمؤمن من الأعمال الصالحة: كالتوبة والإستغفار والصبر، والرضى فيثاب على ماتولد منها [١] كما جاء في الحديث بياناً لثواب من استرجع وصبر، وسلَّم أمره لله تعالى عند فقد ولده، ونصه:

((إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد)) [٢].

ثم وصف الله الأجر بقوله (كبير) وهو (الجنة) [٣] لما احتوى عليه ((من النعيم السرمدي، ورفع التكاليف، والأمن من عذاب الله، ورضى الله عنهم، والنظر إلى وجهه الكريم)) [٤].

---

(١) تيسير العزيز الحميد: ص (٤٦٠).

(٢) الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. رواه الترمذي في كتاب الجنائز (٣٦) باب فضل المصيبة اذا احتسب (٣٤١:٣) وأوله: (إذا مات ولد العبد المؤمن) واللفظ له.
وأحمد في المسند (٤١٥:٤) وابن حبان في صحيحه (٢٦٢:٤) وفي سنده أبو سنان واسمه عيسى بن سنان القسملي، وهو لين الحديث كما قال الحافظ في التقريب.
ولكن له شواهد بمعناه يرتقي بها، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب، وقال ابن علان في (الفتوحات الربانية على الأذكار النووية) (٢٩٦:٣) قال الحافظ -يعني ابن حجر- : الحديث حسن.
وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٤٠٨) وفي صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، رقم الحديث (٨٠٧).

(٣) تفسير الطبري (٨:٧).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٢٠٦:٥).

هذا جزاء المؤمنين حقاً، الذين اتخذوا من الشكر لله على نعمائه، والصبر على ضرائه وسائل تقربهم إلى ربهم، وإلى دار آخرته؛ فحصل لهم ماينفعهم في معاشهم ومعادهم.

أما الفئة الخاسرة في دار الابتلاء: فهم الذين ذمهم الله تعالى في قوله: ((**من كان يريد الحيوٰة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمٰلهم فيها وهم فيها لايبخسون. أولٰئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ماصنعوا فيها وبٰطل ماكانوا يعملون**))[١].

فهذا الصنف من الناس افتتن بما جعله الله تعالى على أرضه من زينة كالمال، والملك، والجاه، والعلم، والصحة، وغير ذلك، فتوسلوا بذلك كله إلى هواهم، ونيل شهواتهم، وأغراضهم العاجلة، فكان عاقبتهم خسران الدنيا والآخرة.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: ((وقد أشكل فهم الآية على كثير من الناس حيث فهموا منها أن من كان له إرادة في الدنيا وزينتها فله هذا الوعيد)) ثم اختلفوا في معناها:

فقالت طائفة منهم ابن عباس: ((من كان يريد تعجيل الدنيا، فلا يؤمن بالبعث ولا بالثواب ولا بالعقاب)). قالوا: والآية في الكفار خاصة على قول ابن عباس.

وقال قتادة[٢]: ((من كانت الدنيا همه وسدمه[٣] ونيته وطلبه جازاه الله

---

(١) سورة هود: الآية (١٦).

(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي الحافظ العلامة، ابن الخطاب، البصري الضرير، المفسر، المحدث، وكان رأساً في العربية واللغة، وأيام العرب والنسب، روى عن عبد الله بن سرجس، ومعاذة العدوية وخلق. وروى عنه: مسعر، ومعمر، وحماد بن سلمة، وأمم سواهم، أخرج له جماعة، توفي بواسط سنة ١١٨هـ.
انظر: اللباب وتهذيب الأنساب (١٠٩/٢) وطبقات المفسرين للداودي (٤٧:٢-٤٨).

(٣) السدم: اللهج والولوع بالشيء، وفي الحديث: (من كانت الدنيا همه وسدمه جعل الله الفقر بين عينيه). =

في الدنيا بحسناته ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يجازى بها، وأما المؤمن فيجزى في الدنيا بحسناته ويثاب عليها في الآخرة)).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أهل القبلة (١).

وقال مجاهد (٢): هم أهل الرياء.

وقال الضحاك (٣): من عمل صالحا من أهل الإيمان من غير تقوى، عجل له ثواب عمله في الدنيا.

= انظر: لسان العرب لابن منظور مادة (سدم) (٢٨٤:١٢) وغريب الحديث لابن الأثير، لفظ (سدم) (٣٥٥:٣).

(١) في رواية أبي صالح عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

(٢) مجاهد: هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، المكي، المقرىء، المفسر، روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وقرأ عليه القرآن ثلاث عرضات، وعن أبي هريرة رضي الله عنه وغيرهما. وروى عنه: عكرمة، وعطاء بن أبي رباح، وقتادة، وآخرون. توفي بمكة سنة (١٠٤هـ) وهو ساجد، وله ثلاث وثمانون سنة.

انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٤١:٢-٤٢) وطبقات المفسرين للداودي (٣٠٥:٢-٣٠٨).

(٣) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم الخراساني، مفسر صدوق، له كتاب في التفسير، أخرج له أصحاب السنن، لكن الحافظ ابن حجر يقول: إنه كثير الارسال، وقال ابن عدي: الضحاك بن مزاحم إنما عرف بالتفسير، فأما رواياته عن ابن عباس، وأبي هريرة، وجميع من روى عنه فعن ذلك كله نظر.

وقال عبد الله بن مزاحم: ثقة مأمون، مات سنة (١٠٦هـ).

انظر: التهذيب لابن حجر (٣٩٧:٤-٣٩٨) ميزان الاعتدال: للذهبي (٣٢٥/٢-٣٢٦)) والتاريخ الكبير للإمام البخاري (٣٣٢:٤-٣٣٣).

واختار الفراء[١] هذا القول، وقال: ((من أراد بعمله من أهل القبله ثواب الدنيا عجل له ثوابه ولم يبخس أي: ((لم ينقص في الدنيا))[٢].

ثم رجح ابن القيم **هذا القول**، وقال مبينا معنى الآية: ومعنى الآية على هذا: ((من كان يريد بعمله الحياة الدنيا وزينتها، وهذا لايكون مؤمنا البتة، فإن العاصي والفاسق، ولو بالغا في المعصية والفسق، فإيمانهما يحملهما على أن يعملا أعمال البر لله فيريدان بأعمال البر وجه الله وإن عملا بمعصية، فأما من لم يرد بعمله وجه الله وإنما أراد به الدنيا وزينتها، فهذا لايدخل في دائرة أهل الايمان))[٣].

---

(١) هو: أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي، كان أبرع الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب.
ومن كتبه: معاني القرآن، واللغات والمصادر في القرآن، وغريب الحديث، وغيرهما.
مات بطريق مكة سنة (٢٠٧هـ) عن سبع وسبعين سنة.
انظر: نزهة الألباء للأنباري (٩٨-١٠٣) وفيات الأعيان (١٧٦:٦) وطبقات المفسرين للداودي (٣٦٧:٢-٣٦٨).

(٢) معاني القرآن: للفراء (٦:٢).

(٣) عدة الصابرين: لابن القيم (١٦٤-١٦٥).

الباب الأول

الفصل الثامن

في تأييد الله تعالى لرسله عليهم السلام في دعوتهم

ويشتمل علـى :

- في البينة ومعناها.
- في دلائل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم.

أولا : ما جعله الله عز وجل آية للرسول نفسه على أنه رسول ربه.
ثانيا : فيما جرت به سنة الله تعالى في اصطفاء رسله.
ثالثا: في حفظ الله تعالى لفطرة رسله.
رابعا: في دلالة خلق الرسول على صدقه ٠
خامسا: في دلالة قول الرسول على صدقه ٠
سادسا: في أن دعوة الرسول فيها الدليل على صدقه ٠
سابعاً: في الدلالة على صدق الرسول بأتباعه ٠
ثامنا: فيما أيد الله تعالى بـه رسـله مـن الحجـج القوليـة والمعجـزات الحسنة.
تاسعا: فيما أيد الله تعالى به رسله من حسن العاقبة ٠

لقد أيد الله عز وجل رسله بمؤيدات تدل على أنهم الصادقون فيما يخبرون به عن الله عز وجل من توحيده، واتباع أمره، واجتناب نهيه، ومر معنا أن كل رسول يعلن لقومه ظهور صدقه بمثل ماجاء في قوله تعالى ((أرءيتم إن كنت على بينة من ربى..))(١) وقوله ((قد جاءتكم بينة من ربكم..))(٢).

وقد قال تعالى أيضا فيما أيد به رسله ((لقد أرسلنا رسلنا بالبينٰت وأنزلنا معهم الكتٰب والميزان ليقوم الناس بالقسط..))(٣).

والبينات: جمع بينة، وهي كما قال الراغب في مفرداته: ((الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة))(٤).

وكما جاء التأييد بلفظ "البينة" جاء بلفظ "الآية" و "البرهان"، وهذه الدلائل يقصد بها تعضيد الآيات الحسية "المعجزات" مع الآيات القولية المنزلة للهداية، ليعلم صدق الرسول وصحة ماجاء به عن ربه جل وعلا.

وفي هذا يقول شارح الطحاوية:

((وأما آياته العيانية الخلقية فالنظر فيها والإستدلال بها يدل على ماتدل عليه آياته السمعية، والعقل يجمع بين هذه وهذه، ويجزم بصحة ماجاءت به الرسل، فتتفق شهادة السمع والبصر والعقل والفطرة على صدق الرسول))(٥).

ومن هنا نعلم أن دلائل صدق الرسل متنوعة، ونود أن نقف على طرف من هذه الدلائل، اذ كل دليل في الواقع هو تأييد من الله تعالى لرسله، ونستطيع بيانها من خلال النقاط التالية:

---

(١) سورة هود: الآية (٢٨).
(٢) سورة الأعراف: الآية (٧٣).
(٣) سورة الحديد: الآية (٢٥).
(٤) المفردات للراغب: (٦٨).
(٥) شرح العقيدة الطحاوية: (٩٣).

أولا: ماجعله الله عز وجل آية للرسول نفسه على أنه رسول ربه.

ثانيا: فيما جرت به سنة الله تعالى في اصطفاء رسله.

ثالثا: في حفظ الله تعالى لفطرة رسله.

رابعا: في دلالة خَلْقِ الرسول على صدقه.

خامسا: في دلالة قول الرسول على صدقه.

سادسا: في أن دعوة الرسول فيها الدليل على صدقه.

سابعا: في الدلالة على صدق الرسول بأتباعه.

ثامنا: فيما أيد الله تعالى به رسله من الحجج القولية، والمعجزات الحسية.

تاسعا: فيما أيد الله تعالى به رسله من حسن العاقبة.

وإليك بيانها تفصيلا في الآتي:

أولا: فيما جعله الله عز وجل آية للرسول نفسه على أنه رسول من ربه:

ودل عليها قول الرسول ((**أرءيتم إن كنت على بينة من ربى..**))[١] والمراد بالبينة هنا: الدلالة الواضحة التي علم بها أنه رسول من ربه، ومن هذه الدلائل الرؤيا الصالحة التي اشترك في رؤيتها جميع الأنبياء[٢].

وبوحي الله تعالى إلى الرسول، وبإظهاره على ماشاء؛ من رؤيا ملك الوحي وغيره من عالم الغيب، قال تعالى ((**عٰلم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسولٍ فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً**))[٣].

---

(١) سورة هود: الآية (٢٨).

(٢) قال ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري (٩:١): (أول أحوال النبيين في الوحي بالرؤيا، ثم ساق مارواه أبو نعيم في الدلائل باسناد حسن عن علقمة بن قيس. صاحب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: ((إن أول مايؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي بعد في اليقظة)).أهـ

(٣) سورة الجن: الآية (٢٦،٢٧).

وخص الحق تبارك وتعالى بعض رسله بآية؛ كخلقه جل وعلا عيسى عليه السلام من دون أب، وإيناس موسى عليه السلام بالنور في هيئة نار.

كما قص الله علينا خبره في قوله: ((**وهل أتاك حديث موسىٰ إذ رءا نارًا فقال لأهله امكثوا إني ءانست نارًا لعلى ءاتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى. فلما أتاها نودي يموسىٰ إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوىٰ.وأنا اخترتك فاستمع لما يوحىٰ. إنني أنا الله لاإله إلا أنا فاعبدني. وأقم الصلوٰة لذكري. إن الساعة ءاتية أكاد أخفيها لتجزىٰ كل نفس بما تسعىٰ.فلا يصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هوٰه فتردى. وما تلك بيمينك يموسىٰ. قال هي عصاى أتوكؤ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مٰارب أخرىٰ. قال ألقها يموسىٰ * فألقٰها فاذا هي حية تسعىٰ. قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولىٰ * واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء ءاية أخرىٰ * لنريك من ءايٰتنا الكبرىٰ**)) [١].

يقول القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: ((**وما تلك بيمينك يموسىٰ**)) [٢].

قيل: ((كان هذا الخطاب من الله تعالى لموسى وحياً لأنه قال: ((فاستمع لما يوحى)) ولابد للنبي في نفسه من معجزة يعلم بها صحة نبوة نفسه، فأراه في العصا وفي نفسه ماأراه لذٰلك.

ويجوز أن يكون ماأراه في الشجرة آية كافية له في نفسه، ثم تكون اليد والعصا زيادة توكيد، وبرهاناً يلقى به قومه)) [٣] ا.هـ.

---

(١) سورة طه: الآيات (٩-٢٣).
(٢) سورة طه: الآية (١٧).
(٣) تفسير القرطبي: (١٨٦/١١)

ومن هذا ماجاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: ((إني لأعرف حجرا[١] بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن))[٢][٣].

ثانيا: فيما جرت به سنة الله تعالى في اصطفاء رسله:

فالله عز وجل هو الأعلم حيث يجعل رسالته جرت سنته تعالى بما اقتضت حكمته أن يبعث كل رسول من خيار قومه حسباً ونسباً، ليكون ذلك أدعى إلى تصديقه، والأخذ عنه وعدم تكذيبه والشك في أمره.

ولهذا نجد أن القصص القرآني يقرر الآصرة النسبية التي تجمع بين الرسول وقومه، كقوله: ((**وإلى عاد أخاهم هودا..**))[٤] يقول ابن كثير في تفسير هذه الاية: ((وقد كان من أشرف قومه نسباً لأن الرسل إنما يبعثهم الله من أفضل القبائل وأشرفهم))[٥] ا.هـ.

ولذلك نرى أن جميع الأقوام أظهروا من القول مايدل على علمهم بحال من أرسل إليهم، كما قال قوم شعيب لنبيهم عليه السلام: ((**إنك لأنت الحليم الرشيد**[٦] .. [٧]))[٧].

---

(١) إني لأعرف حجراً بمكة: فيه معجزة له صلى الله عليه وسلم، وفي هذا اثبات التمييز في بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة: ((وإنَّ منها لما يهبط من خشية الله..) [٧٤ ،البقرة] وقوله تعالى: ((وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم)) [٤٤ ،الإسراء] (حاشية عبد الباقي على مسلم (٧٨٢/٢).

(٢)،(٣) الحديث عن جابر بن سمرة رواه مسلم في كتاب الفضائل، ١- باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (١٧٨٢/٢).

(٤) سورة هود: الآية (٥٠).

(٥) تفسير ابن كثير: (٢٣٤/٢) عند الآية (٦٥) من سورة الأعراف.

(٦) على تفسير أنهم ماقالوا ذلك على سبيل التهكم به؛ وإنما لوصفه بما عرفوه به. كما سيأتي بيانه في دعوته عليه السلام. ص: ٢٧٣.

(٧) سورة هود: الآية (٨٧).

وخاتم الرسل يمتن الله تعالى على أمته ببعثته بقوله: ((**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**))(١).

وبقوله جل وعلا: ((**لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم ءايٰته ويزكيهم ويعلمهم الكتٰب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلٰل مبين**))(٢).

وفي الحديث: ((إن اللّٰه اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم))(٣).

وفي أوليات الدعوة يقرر الرسول صلى الله عليه وسلم خصومه على صدقه بقوله: ((أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا ماجربنا عليك إلا صدقا. قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد))(٤).

ويقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((إنَّ الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته.. الحديث))(٥).

---

(١) سورة التوبة: الآية (١٢٨).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٦٤).

(٣) الحديث عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه: رواه مسلم في كتاب الفضائل، ١- باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم.. (١٧٨٢/٢).

(٤) الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما. رواه البخاري، في كتاب التفسير ٢٦- سورة الشعراء، باب قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين) (١٧/٥-١٦).

(٥) رواه أحمد في مسنده: (٣٧٩/١).
وابن كثير في تفسير (١٨٠/٢) عند تفسيره للآية (١٢٤) من سورة الأنعام.

هذا وفي قصة هرقل (١) دليل على مانقول إذ أنه عندما أراد الوقوف على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في رسالته بعد أن وصله كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه فيه وقومه إلى الإسلام كان أول ماسأل عنه (أبا سفيان) (٢) أن قال: كيف نسبه فيكم؟

فلم يستطع أبو سفيان أن يكتم الرسول صلى الله عليه وسلم حقه من نسبه الشريف وغيره، مع أنه من ألد أعداء الرسول آنذاك، إذ يقول: ((فوالله لولا الحياء من أن يأثروا (٣) عليّ كَذِباً لكذبت عنه، فيجيب على سؤال هرقل قائلا: "هو فينا ذو (٤) نسب" ويخلص هرقل إلى القول: وكذلك الرسل تبعث في نسب (٥) قومها)) (٦) إظهاراً منه لصدق الرسول صلى الله عليه وسلم.. الخ ماورد. وسأستشهد ببقية الحديث في كل فقرة في موضعها.

---

(١) هرقل هو ملك الروم، وهرقل اسمه، ولقبه قيصر، كما يلقب ملك الفرس كسرى ونحوه. (فتح الباري ١:٣٣).

(٢) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، واسمه المغيرة، رضي الله عنه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخوه من الرضاعة، أسلم أبو سفيان في الفتح، إذ لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوجه إلى مكة فأسلم، شهد حنيناً وكان ممن ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم.توفي بعد أن استُخلِف عمر بسنة وسبعة أشهر، ويقال: بل مات سنة عشرين وصلّى عليه عمر رضي الله عنهما ودفن بالبقيع.
صفة الصفوة: (١/٥١٩-٥٢١)، الإصابة (٧/٨٦-٨٧).

(٣) يأثروا عني الكذب: أي يروون ويحكون.لسان العرب، مادة أثر (٤/٦).

(٤)و(٥) هذا يدل على أن كون الرسول يبعث من خيار قومه معروف لدى من آمن بالرسول وكذلك من لم يؤمن به بعد.

(٦) الحديث عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب ٦- ١/٥ وفي كتاب التفسير، ٤- باب قوله تعالى: ((قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله..)) (٥/١٦٩-١٦٧).

ثالثا: في حفظ الله تعالى لفطرة رسله عليهم السلام :

فقد تضافرت الآيات الدالة على أن الله تعالى حفظ لرسله فطرهم، فلم تتنجس بوثنية، ولم تتعلق بعقائد شركية مع أنهم عاشوا في بيئات يغلب على أهلها عبادة الأوثان، واتخاذ الأحبار والرهبان أولياء من دون الله.

فإبراهيم عليه السلام يُنْعِم الله عليه بالرشد منذ صغره، كما قال تعالى: ((**ولقد ءاتينا إبرٰهيم رشده من قبل...**))(١) أي: أن الله عز وجل أتى ابراهيم عليه السلام رشده منذ صغره فألهمه الحق والحجة على قومه(٢).

ويوسف عليه السلام مع أن عوامل كيد اخوته أخرجته من بيت النبوة، وهو في سن يخاف عليه فيه(٣) ورمته في ديار أهل الكفر والضلال، إلا أن الله جلت قدرته يحفظه من الشرك وعبادة الأوثان، كما قال يوسف عليه السلام معترفاً بفضل الله ومنه عليه وعلى آبائه: ((**واتبعت ملة ءاباءى إبرٰهيم وإسحٰق ويعقوب ماكان لنا أن نشرك بالله من شىء ذٰلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولٰكن أكثر الناس لايشكرون**))(٤).

فالرسالة اصطفاء واجتباء لا اكتساباً أو إدعاء. فلا يكون لرسالته تعالى إلا من يجتبي إليه ويختار.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٥١).
(٢) تفسير ابن كثير: (١٩٠/٣).
(٣) بدليل قوله تعالى: ((وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غٰفلون)) (الآية ١٣).
(٤) سورة يوسف: الآية (٣٨).

فكيد فرعون وإيذاؤه بقتل أبناء بني إسرائيل خشية من ظهور موسى عليه السلام، لم يحل دون بعث الله له، بل ويقضي الله القاهر فوق عباده أن لايولد موسى عليه السلام إلا في السنة التي ينبري فيها فرعون لقتل أبناء بني اسرائيل، ومع هذا يحفظه الله تعالى من فرعون وكيده، فلا يستطيع أن يمسه بسوء ولا أن يلحق به مكروهاً، بل ويحكم الله وله السلطان العظيم والقدرة النافذة ألا يتربى إلا في فراش فرعون، وبين ردهات قصره، يتغذى بطعامه وشرابه، ويُلقِي الله عليه محبة منه، فيحبه فرعون وزوجه خاصة وكل من رآه عامة[١]، كما قال تعالى: ((**وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني**))[٢] أي: ((اخترتك بالرسالة على جميع الناس الموجودين في زمانك))[٣] حتى يحين موعد الاصطفاء والاجتباء وتكليفه بالرسالة فينبئه الله تعالى بقوله: ((**وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى**))[٤] وقوله: ((**اذهب إلى فرعون إنه طغى**))[٥].

والرسول صلى الله عليه وسلم يحفظه الله تعالى في شبيبته عن أقذار الجاهلية ومعائبها[٦] ويذكر عليه الصلاة والسلام في حفظ الله تعالى إياه بقوله:

---

(١) قارن بما ذكره ابن كثير في تفسيره (١٥٥/٣) عند تفسيره الآيات (٤٠-٣٦) من سورة طه.
(٢) سورة طه: الآية (٣٩).
(٣) انظر تفسير ابن كثير (١٥١/٣).
(٤) سورة طه: الآية (١٣).
(٥) سورة النازعات: الآية (١٧).
(٦) انظر: دلائل النبوة: للبيهقي (٣٠:٢).

(لما نشأت بُغِّضت إلي عبادة الأوثان وبُغِّض إليَّ الشعر، ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين[١] فعصمني الله منهما ثم لم أعد[٢]).

---

(١) جاء بيانهافي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ماهممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين كلتاهما عصمني الله تعالى فيهما.

* قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاة غنم أهلنا، فقلت لصاحبي: أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر فيها كما يسمر الفتيان، فقال: بلى، قال: فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عَزْفاً بالغرابيل والمزامير، فقلت: ماهذا؟ فقيل تزوج فلان فلانة، فجلست أنظر، وضرب الله تعالى على أذني، فوالله ماأيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: مافعلت؟ قلت: مافعلت شيئا. ثم أخبرته بالذي رأيت.

* ثم قلت له ليلة أخرى: أبصر لي غنمي حتى أسمر بمكة، ففعل، فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة، فسألت فقيل: فلان نكح فلانة، فجلست أنظر، وضرب الله على أذني فوالله ماأيقظني إلا مَسّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: مافعلت؟ فقلت: لاشيء، ثم أخبرته الخبر، فوالله ماهممت ولا عدت بعدها لشيء من ذلك، حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته.
الخبر في: دلائل النبوة لأبي نعيم (٥٨/١) وفي البداية والنهاية: لابن كثير (٢٦٧:٢)، والخصائص الكبرى للسيوطي (٢١٩/١١)، وسبل الهدى (١٩٩:٢-٢٠٠).
وقال: رواه اسحاق بن راهويه، والبزار، وابن حبان، واسناده متصل.
وانظر: دلائل النبوة: للبيهقي (٣٣:٢-٣٤).

(٢) تفسير القرطبي (٥٦:١٦) عند قوله تعالى ((ماكنت تدرى ماالكتٰب ولا الإيمٰن.. الآية) [٥٢، الشورى].

وأجمعت الروايات التي تذكر حياته صلى الله عليه وسلم قبل اصطفائه بالنبوة أنه لم يسجد لوثن وما استلم صنماً، حتى أكرمه الله بالنبوة، بل كان ينهى عن ذلك أشد النهي، كما أخبر عنه من رافقه في أيام الجاهلية، ولنترك زيد بن حارثة (١) رضي الله عنه يحدثنا عما رأى وسمع بقوله: ((كان صنم من نحاس يقال له إساف (٢) و نائلة (٣) يتمسح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت معه فلما مررت مسحت به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتمسه، فقال زيد: فطفت فقلت في نفسي لأمسنه حتى أنظر مايكون فمسحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألم تنه؟)).

وفي رواية أن زيداً قال: ((فوالله الذي هو أكرمه وأنزل عليه الكتاب، مااستلم صنماً حتى أكرمه بالذي أكرمه وأُنزل عليه)) (٤).

---

(١) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، أبو أسامة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، صحابي جليل مشهور، من أول الناس إسلاماً، استشهد رضي الله عنه يوم مؤتة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، سنة ثمان، وهو ابن خمس وخمسين.
تقريب التهذيب: لابن حجر (١١٢).

(٢) إساف: كان بالصفا.

(٣) ونائلة: كانت بالمروة لقريش والأحابيش.
انظر: ماذكره ابن حزم عن أصنام العرب في كتابه جمهرة أنساب العرب (٤٩٢). وكتاب الأصنام للكلبي : (ص٢٩). وجاء في مختصر السيرة لمحمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى : (ص٣٣).
((قيل إن أصلهما أن إساف رجل من جُرهم، ونائلة بنت زيد بن جرهم، وكان يتعشقها في أرض اليمن، فأقبلوا حجاً، فلما خلا البيت فوجدا غفلة من الناس ففجر بها في البيت، فمسخا حجرين، فأخرجوهما فوضعوهما عند الكعبة ليتعظ الناس، فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبدا معهما، فكانوا يذبحون عندها والله أعلم)).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير: (٢٦٧:٢)، والخصائص الكبرى للسيوطي (٢١٩:١)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣٤:٢).

يقول ابن هشام [١] : (فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله تعالى يكلؤه ويحفظه، ويحوطه من أقذار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ وصار رجلاً وأفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانةً، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً، حتى كان اسمه في قومه "الأمين" لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة) [٢] ا.هـ.

وبهذا نعلم أن الرسل عليهم السلام إجتمع في حقهم صلوات الله وسلامه عليهم شرف النسب، وسمو الخلق، والنزاهة من الشرك، والإستقامة على التوحيد، حتى إذا ماصدعوا بالرسالة لم يكن لطالب الحق عذراً من التصديق بالرسالة، كما لايجد المعرض مناصاً من التسليم، وان أصر على تكذيبه وكفره.

فكان العلم بحال الرسول صلى الله عليه وسلم، وما جُبِل عليه من حسن الطباع وعظيم الخلال من أعلام نبوته ودلائل تصديقه.

فخديجة رضي الله عنها، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه وغيرهم، ممن بادروا الى تصديق الرسول والإيمان بما جاء به لم يحتاجوا إلى طلب آية أو دليل؛ غير ماتيقن في أنفسهم من صدقه، وسكنت قلوبهم إلى الايمان به توفيقا من الله وتيسيراً لما خُلِقوا له من الخير والحسنى، وهؤلاء هم الذين امتن الله تعالى عليهم بقوله: (**ولٰكن الله حبّب إليكم الإيمٰن وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان..**) [٣] .

وقوله: ((**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلٰم..** [٤])) [٥] .

---

(١) هو: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، المعافري، أبو محمد، مؤرخ، كان عالماً بالأنساب واللغة، وأخبار العرب. أشهر كتبه: السيرة النبوية المعروفة بسيرة ابن هشام، والقصائد الحميرية. توفي بمصر سنة ٢١٨هـ.
انظر: شذرات الذهب: (٤٥:٢)، وراجع الأعلام: (٣١٤:٤).

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام (١٩٤:١).

(٣) سورة الحجرات: الآيات (٧).

(٤) سورة الأنعام: (١٢٥).

(٥) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٤١١:٧-٤١٠).

بل إن خديجة رضي الله تعالى عنها إستدلت بما جبل عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، في عدم إخزاء الله له، عندما قالت: ((كلا لايخزيك الله أبد، إنك لتصل الرحم[١] وتصدق الحديث، وتحمل الكل[٢]، وتعين على نوائب الحق[٣]))[٤].

وزيادة في تطمين الرسول صلى الله عليه وسلم، وتدليلاً على ماقالته؛ تذهب بالرسول لـ (ورقة بن نوفل)[٤] وكان عالما بالكتاب الأول، فيذكر له النبي صلى الله عليه وسلم مايأتيه، فيعلم ورقة أنه صادق، ويقول للرسول: ((هذا هو الناموس[٥] الذي كان يأتي موسى ياليتني فيها جذعا[٦] ياليتني أكون حيًّا حين يخرجك قومك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أومخرجي هم؟ قال نعم، لم يأت أحد بمثل ماجئت به إلا عُودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا))[٧].

---

(١) من لايشتغل بأمره. فتح الباري (٢٤/١).

(٢) النوائب: المصائب. (مختار الصحاح ٦٨٤).

(٣) تقدم تخريجه في فصل (الوحي..) من حديث عائشة رضي الله عنها. (ص:٨١) من الرسالة.

(٤) هو: ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي، ابن عم خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أقر بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال للرسول صلى الله عليه وسلم أول مابدأ الوحي كما في الحديث (هذا الناموس الذي أنزل على موسى ياليتني فيها جذعا ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك..) وفي آخره "ولم ينشب ورقة أن توفي" إذ مات قبل أن يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام.
أسد الغابة (٦٧١:٤-٦٧٢) وانظر:الإصابة (٣١٧:٦-٣١٨).

(٥) الناموس: صاحب سر الملك، وقيل: صاحب سر الخير، وأراد به جبريل عليه السلام، لأن الله تعالى خصه بالوحي والغيب اللذين لايطلع عليهما غيره.
غريب الحديث: لابن الأثير (١١٩:٥) لفظ: نمس.

(٦) جذعا: أي شابا.
غريب الحديث: لابن الأثير (٢٥٠:١). لفظ (جذع).

(٧) تقدم تخريجه في فصل الوحي من حديث عائشة رضي الله عنها (ص:٨١) من الرسالة.

((فحال من صدق بالرسول بدلالة الحال كحال تصديق هارون بموسى عليهما السلام عندما لم يتردد في صدقه عندما أخبره أن الله أرسله، وكذلك لما قال له موسى عليه السلام: إن الله قد أمرك أن تؤازرني صدقه في هذا لما يعلم من حاله قديما ولما رأى من تغير حاله الدال على صدقه))[1].

رابعا: في دلالة خلق الرسول صلى الله عليه وسلم على صدقه:

فإن الله تعالى أظهر من علامات الصدق ودلائله في خلق الرسول صلى الله عليه وسلم بما لايلتبس أمر صدقه صلى الله عليه وسلم على أحد، ونستشهد له بما رواه الترمذي[2] بسنده: أن عبد الله بن سلام[3] قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر اليه فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب)[4].

---

(١) النبوات: لابن تيمية (٣٣٩-٣٣٨).

(٢) هو الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي، الضرير سمع من قتيبة، وسعيد وابراهيم الهروي، واسماعيل وغيرهم، وحدث عنه مكحول بن الفضل، والهيثم بن كليب وأبو العباس المحبوبي، وخلق سواهم، وسمع منه أبو عبد الله البخاري وغيره، صنف الجامع، وكتاب العلل، مات سنة ٢٧٩ هـ بترمذ.
انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٢:٦٣٣-٦٣٥). وخلاصة تهذيب الكمال للخزرجي (٢/٤٤٧).

(٣) هو عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف، من ذرية يوسف النبي عليه السلام، حليف النوافل من الخزرج، الاسرائيلي، ثم الأنصاري، كان حليفاً لهم وكان من بني قينقاع، أسلم لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة، وقيل تأخر إسلامه إلى سنة ثمان ونزلت فيه آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ((وشهد شاهد من بني اسراءيل على مثله..)) [١٠: الأحقاف] وقوله: ((قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب..)) [٤٣، الرعد] مات بالمدينة سنة ٤٣هـ.
أسد الغابة : (٣/١٦٠-١٦١)الإصابة: لابن حجر (٣:٨٠-٨١).

(٤) جزء من حديث رواه الترمذي - في كتاب صفة القيامة، باب (٤٢) (٤:٦٥٢) ثم قال: (هذا حديث صحيح) اهـ =

خامسا: في دلالة قول الرسول صلى الله عليه وسلم على صدقه:

فكما ظهر صدق الرسول في خلقه فكذلك الحال لمن سمع قوله:

فضماد[1] يقدم مكة يريد تطييب رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما ظن أنّ مابالرسول صلى الله عليه وسلم مَسٌّ من الجن، فما أن يسمع بعضاً من قول الرسول صلى الله عليه وسلم إلا ويعلن اسلامه، ويأخذ البيعة من الرسول صلى الله عليه وسلم لقومه.

ففي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم ضماد مكة وكان من أزد شنوءة[2]، وكان يرقى من هذه الريح، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون، فقال لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي، قال فلقيه فقال: يامحمد إني أرقى من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء فهلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونسترشده، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لاإلٰه إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد: فقال: أعد عليّ كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت بمثل كلماتك، والله لقد بلغن قاموس البحر، قال: فقال: هات يدك أبايعك على الاسلام، قال فبايعه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "وعلى قومك" قال: وعلى قومي..))[3].

== وابن ماجه في كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها، ١٧٤- باب ماجاء في قيام الليل (٤٢٣:١).
والدارمي في كتاب الصلاة، ١٥٦- باب فضل صلاة الليل (٣٤٠:١-٣٤١).
وأحمد في مسنده (٤٥١:٥).

(١) هو ضماد وقيل ضمام بن ثعلبة الأزدي، من أزد شنوءة، كان صديقاً للنبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية، وكان رجلاً يتطبب، ويرقي، ويطلب العلم، أسلم أول الاسلام.
أسد الغابة: (٤٣٨:٢)، وانظر: الاصابة: (٢٧١:٣).

(٢) الأزد: قبيلة من اليمن يرجع نسبها إلى أزد بن الغوث بن بنت بن مالك بن كهلان بن سبأ، وقيل: أسد، بالسين أفصح. انظر: لسان العرب. مادة (شنأ) ١٠٢/١) ومادة أزد (٧١/٣) وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (٣٣٠،٥٢٠).

(٣) رواه مسلم في كتاب الجمعة، ١٣- باب تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٣:٢).

سادسا: في أن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم فيها الدليل على صدقه:

فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن بدعاً من الرسل، بل سبقه رسل دعوا بمثل مادعا إليه من ((الأمر بعبادة الله تعالى، والعمل بطاعته، والتصديق باليوم الآخر، والإيمان بجميع الكتب والرسل فلا يمكن خروج أي نبي عما اتفقت عليه الأنبياء قبله))[١].

قال تعالى: ((**وسئل من أرسلنا من قبلك**[٢] **من رسلنا أجعلنا من دون الرحمٰن ءالهة يعبدون**))[٣].

وقال تعالى: ((**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون**))[٤].

وقال تعالى: ((**شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبرٰهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب**)[٥].

والرسول أيضا: ((لايخبر إلا بحق، ولا يأمر إلا بعدل، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويأمر بمصالح العباد في المعاش والمعاد))[٦].

---

(١) انظر: النبوات لابن تيمية: (٤٢٨).

(٢) هذه الآية ذكر أنها نزلت في بيت المقدس على الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أسري به صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ولقي الرسل عليهم الصلاة والسلام ليلة أسري به، وأمّهم للصلاة، فلما فرغ صلى الله عليه وسلم قال له جبريل صلى الله عليه وسلم: ((سل يامحمد من أرسلنا أجعلنا من دون الرحمٰن ءآلهة يُعْبَدُون)) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لاأسأل قد اكتفيت).
تفسير القرطبي (١٦/٩٤-٩٥) وانظر: تفسير ابن كثير (٤/١٣٩).

(٣) سورة الزخرف: الآية (٤٥).

(٤) سورة الأنبياء: الآية (٢٥).

(٥) سورة الشورى: الآية (١٣).

(٦) انظر: النبوات لابن تيمية (٤٣٠).

يقول شارح[١] الطحاوية[٢]:

(إنَّ من عرف ماجاءت به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالها تبين له أنهم أعلم الخلق، وأنه لايحصل مثل ذٰلك من كذّاب جاهل، وأنَّ فيما جاؤوا به من المصلحة والهدى والخير، ودلالة الخلق على ماينفعهم، ومنع مايضرهم مايبين أنه لايصدر إلا عن راحم بر يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق)[٣].

ولهذا كان ماجاء به الرسول من ملة، وما سنه من شِرعةٍ من أعظم براهين صدقه صلى الله عليه وسلم، وشواهد نبوته، بدليل مااحتج به على أهل الكتاب في قوله تعالى: ((**الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التورٰىة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهٰىهم عن المنكر ويحل لهم الطيبٰت ويحرم عليهم الخبٰئث ويضع عنهم إصرهم والأغلٰل التى كانت عليهم فالذين ءامنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أُنزل معه أولٰئك هم المفلحون**))[٤].

---

(١) هو علي بن على بن محمد بن أبي العز الدمشقي الحنفى ، "علاء الدين"، ولد سنة ٧٣١هـ، فقيه ، ولي القضاء بدمشق ، ومن تصانيفه شرحه للعقيدة الطحاوية، التنبيه على مشكلات الهداية في فروع الفقه، والنور اللامع فيما يعمل به في الجامع أى جامع بنى أمية، توفى رحمه الله سنة ٧٩٢هـ .

انظز : هدية العارفين (٧٢٦/١)، الأعلام للزركلي (١٢٩/٥)، معجم المؤلفين (١٥٦/٧).

(٢) هو: أحمد بن محمد بن سلامة،أبو جعفر، الأزدي، الطحاوي،إمام ، محدث، فقيه، ثقة، حافظ، ثبت، ولد سنة ٢٣٩هـ وكان شديد الملازمة للعلماء حريصاً على الاستفادة منهم، له مصنفات عدة هي غاية في التحقيق والجمع وكثرة الفوائد وحسن العرض، ومن مصنفاته : العقيدة الطحاوية، ومشكل الآثار، وأحكام القرآن، والمختصر، وشرح الجامع الكبير، وشرح الجامع الصغير، توفى رحمه الله سنة ٣٢١هـ بمصر ودفن بالقرافة.

انظر : البداية والنهاية (١٨٦/١١)، لسان الميزان لابن حجر (٢٨٢/٢٧٤/١)، وترجمته في مقدمة شرح العقيدة الطحاوية.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز: (١٦٥).

(٤) سورة الأعراف: الآية (١٥٧).

فاحتج عليهم بما لاتنكره العقول السليمة أو تنفر منه الفطر السليمة، وما ذلك إلا((لأنه أمرهم بالمعروف الذي تعرف العقول صحته، وتقر الفطر بحسنه، ونهاهم عما هو منكر في الطباع والعقول)) ولهذا قال الأعرابي وقد سُئل بم عرفت أنه رسول الله فقال: ((ماأمر بشيء فقال العقل ليته ينهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال ليته أمر به))[١].

وأهل الكتاب يعلمون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم بما جاءهم به من دعوة، وبما ذكر في كتبهم من البشارة به، ووصفه، ووصف أتباعه:

ففي البشارة به: ماجاء على لسان عيسى بن مريم عليه السلام في قول الله تعالى: ((**وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسراءيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التورئة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينٰت قالوا هذا سحر مبين**))[٢].

وروى عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه قيل له أخبرنا ببعض صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال: إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ((**يأيها النبي إنا أرسلنٰك شٰهداً ومبشراً ونذيراً**))[٣] وحرزا للأميين أنت عبدي سميتك المتوكل، لست بفظ ولا غليظ، ولا سخاب بالأسواق، ولا تجزي بالسيئة السيئة، ولكن تجزي بالسيئة الحسنة، وتعفو وتغفر، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء فأفتح به أعينا عميا، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفا، بأن يقولوا لاإلٰه إلا الله))[٤].

---

(١) قارن بالتفسير لابن القيم (٢٧٩-٢٨٠).

(٢) سورة الصف: الآية (٦).

(٣) سورة الأحزاب: الآية (٤٥).

(٤) النبوات لابن تيمية (٤٣٠) وورد في صحيح البخاري من طريق عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ((أن هذه الآية التي في القرآن "ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً" قال في التوراة ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولٰكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إلٰه إلا الله فيفتح به أعينا عميا، وآذانا صمّا، وقلوباً غلفا)).
البخاري، كتاب تفسير القرآن، ٣٠- باب (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) (٦/٤٤-٤٥).

سابعاً: في الدلالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في أتباعه:

لأن من نظر إلى أتباعه صلى الله عليه وسلم وجد مايوافق مانعتهم الله عز وجل به في الكتب المتداولة بين أيديهم للحال التي ظهروا فيها بين الناس، من قوة إيمانهم بالرسول صلى الله عليه وسلم، ومؤازرته، وتأييده، وظهور سمة التراحم فيما بينهم، كما نعتهم الله تعالى به في كتابه بقوله جل وعلا: ((**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصلحت منهم مغفرة وأجراً عظيماً**))(١).

فقبلت تلك الأنفس الحق وانقادت إليه، واطمأنت به وسكنت إليه، وخلصت من كل أمر لايمت إلى الله تعالى بصلة، وعادوا آباءهم وإخوانهم حماية للدين الذي آمنوا به، ووهبوا أموالهم وأنفسهم للذود عنه، وإعلاء لكلمته، وتمثلوا بقول الله تعالى: ((**لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا ءاباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمن وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنت تجرى من تحتها الأنهر خلدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون**))(٢).

ثم إن أحداً ممن آمن لم يرتد عن دينه سخطة عليه مع أن الرسول لم يكن لديه مال يغريهم به للدخول في دينه، ولم تكن عنده قوة تحميهم من أيدي الأعداء، وكيد الخصوم، فصبروا وصابروا وما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، ولذلك استدل هرقل على صدقه صلى الله عليه وسلم بثبات أتباعه على دينه، كما في الحديث: ((وسألتكم هل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه، فقلتم: لا ، وكذلك الإيمان اذا خالطت بشاشته القلوب لايسخطه أحد..))(٣).

---

(١) سورة الفتح: الآية (٢٩).

(٢) سورة المجادلة: الآية (٢٢).

(٣) تقدم تخريجه. وانظر: أيضا شرح العقيدة الطحاوية (١١٢).

ثامنا: فيما أيد الله تعالى به رسله عليه السلام من الحجج القولية والمعجزات الحسية:

وبعد بيان الدلائل المتعددة نأتي الى بيان ماأيد الله تعالى به رسله عليهم السلام من الحجج القولية، والمعجزات الحسية، ودل عليها ماجاء في قوله تعالى عن نبيه شعيب عليه السلام: ((**قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان..**))(١) وقوله تعالى عن نبيه موسى عليه السلام: ((**قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى اسرائيل..**))(٢).

فالبينة هنا تتضمن أمرين:

* **الأمر الأول:** ماآتاه الله رسوله من الحجة العقلية على قومه، كقوله تعالى: ((**وتلك حجتنا ءاتينٰها ابرٰهيم على قومه..**))(٣)(٤). وقال تعالى عما أيد به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ((**فقد جاءكم بينة من ربكم..**))(٥) وهو القرآن العظيم(٦).

* **الأمر الثاني:** ماآتاه الله رسوله من آيات كونية، ومعجزات حسية، تستحذي لها أنفس القوم، وتنقطع بها مكابرتهم(٧).

وقد أيد الله تعالى كل رسول بما يناسب أهل زمانه، **وهذه المعجزات:**

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٨٥).
(٢) سورة الأعراف: الآية (١٠٥).
(٣) سورة الأنعام: الآية (٨٣).
(٤) تفسير المنار: (٥١:١٢).
(٥) سورة الأنعام: الآية (١٥٧).
(٦) انظر: تفسير ابن كثير: (١٩٢:٢).
(٧) انظر: تفسير المنار (٥١:١٢).

إما أن تكون متوافقة مع بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، كمعجزات موسى وعيسى عليهما السلام. **ومنها** مايكون بطلب من الأقوام بعد سماع الدعوة: كمعجزة صالح عليه السلام، استجابة لتحدي قومه، فإن قومه عليه السلام هم الذين سألوه أن يأتيهم بآية، واقترحوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم .. الخ ماورد في شأنها (١) وحقق الله تعالى لهم ما طلبوا كما قال سبحانه وتعالى : ((**وءاتينا ثمود الناقة مُبصرة فظلموا بها وما نُرسلُ بالأيٰت إلا تخويفاً**)) (٢) وقال لهم نبيهم عليه السلام: ((**ويٰقوم هذه ناقة الله لكم ءاية..**)) (٣) ((أي قد جاءتكم حجة من الله على صدق ماجئتكم به)) (٤).

وأما معجزة **موسى عليه السلام** فلما كان الغالب على أهل زمانه السحر وتعظيم السحرة، بعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار، وحيرت كل سحار، واستيقنوا أنها من عند الله العظيم الجبار، عندئذ انقادوا للإسلام، وصاروا من عباد الله الأبرار (٥)، ولهذا قالوا لفرعون ماقصه الله عنهم في قوله: ((**لن نؤثرك على ماجاءنا من البينٰت والذي فطرنا فاقض ماأنت قاض إنما تقضى هذه الحيوٰة الدنيا..**)) (٦).

---

(١) تفسير ابن كثير: (٢/٢٣٧).
(٢) سورة الإسراء: الآية (٥٩).
(٣) سورة هود: الآية (٦٤).
(٤) تفسير ابن كثير: (٢/٢٣٧).
(٥) تفسير ابن كثير (١:٣٧٣) عند تفسيره لقول الله تعالى: ((وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله..) الآية [٤٩، آل عمران].
(٦) سورة طه: الآية (٧٢).

وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لاسبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدا من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، وعلى مداواة الأكمه والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد[١] وجاء بيان ذلك في قوله تعالى: ((ويعلمه الكتب والحكمة والتوراة والإنجيل * ورسولاً إلى بنى إسراءيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين * ومصدقاً لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون * إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم))[٢].

أما النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه الله من الآيات مالم يعطه نبي قبله؛ كما نقل عن البيهقي[٣] أنه كان يقول:

((ماأعطي الله لنبي شيئا إلا وأعطى محمداً صلى الله عليه وسلم ماهو أكثر منه))[٤] ا.هـ.

وهي على كثرتها تنحصر في نوعين:

---

(١) تفسير ابن كثير: (٣٧٣:١).

(٢) سورة آل عمران: الآية (٤٨-٥١).

(٣) هو الامام الحافظ، العلامة، شيخ خراسان، أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي، سمع من الحاكم، وأبي طاهر بن محمش، وأبي عبد الرحمن السلمي، وخلق آخرين.
وسمع منه: أبو اسماعيل الأنصاري، وأبو الحسن عبيد الله بن محمد، وأبو عبد الله الفراوي وخلق كثير.
صنف تصانيف عدة تقارب ألف جزء منها: الأسماء والصفات، ودلائل النبوة، والسنن الكبرى، والزهد، وغيرها، توفي رحمه الله تعالى سنة ٤٥٨هـ ببيهق وهي من أعمال نيسابور.
انظر : تذكرة الحفاظ: للذهبي (١٣٢:١).

(٤) مناقب الشافعي: للرازي: (١٢٩).

النوع الأول: منها مامضى وصار معلوماً بالخبر، كمعجزات موسى وعيسى عليهما السلام.

النوع الثاني: ماهو باق إلى اليوم كالقرآن الكريم الذي هو من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم، وجمع الله فيه مالم يجمعه في غيره من الآيات التي أيد بها رسله ((فإنه الدعوة والحجة، وهو الدليل والمدلول عليه، وهو الشاهد والمشهود له، وهو الحكم والدليل، وهو الدعوى والبينة))(١) قال تعالى: ((أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه..))(٢) أي من ربه: وهو القرآن(٣).

وبين الله تعالى أن هذا القرآن يكفي عن كل آية، كما قال تعالى في رده على تعنت المشركين: ((أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتٰب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقومٍ يؤمنون))(٤).

فبلّغ الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن دعوة ربه ففريق آمن وفريق كفر وأعرض، وهؤلاء قومه إذ ناصبوه العداء، وسلوا عليه الألسن شتماً وصداً وتكذيبا، وأنكروا رسالته ونبوته، وما جاءهم به من كتاب من عند ربه، وقالوا إنما جئتنا به من كتاب تدعي أنه من عند الله، ماهو من عند الله، إن هو إلا إفك افتريته وأعانك عليه قوم آخرون، كما قص الله تعالى علينا خبرهم وحكمه جل وعلا فيهم في قوله: ((وقال الذين كفروا إن هذا إلا افك افترىٰه وأعانه عليه قوم ءاخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً))(٥).

وزعموا أن في استطاعتهم الاتيان بمثله، كما قال الله تعالى عنهم: ((واذا تتلى عليهم ءايٰتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا..))(٦).

---

(١) التفسير القيم: (١٩٢).
(٢) سورة هود: الآية (١٧).
(٣) تفسير ابن كثير: (٤٥٦:٢)، وانظر: زاد المسير (٨٥:٤).
(٤) سورة العنكبوت: الآية (٥١).
(٥) سورة الفرقان: الآية (٤).
(٦) سورة الأنفال: الآية (٣١).

وقد تحداهم الله بهذا القرآن في غيرما موضع من سوره الكريمة، فقال تعالى في سورة الطور: ((**أم يقولون تقوله بل لايؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صٰدقين**))[١].

أي: إن زعمتم أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد تقوله وافتراه من عند نفسه فأتوا بمثل ماجاء به فهو بشر مثلكم، لسانه لسانكم، وزمانه زمانكم وطباعه طباعكم، فلم لاتجود قرائحكم بما يناهض ماجاء به؟ وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان.

فإنكم وان اجتمعتم ومن في الأرض جميعاً من جن وإنس لاتأتون بمثله أبدا[٢] كما قال تعالى: ((**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرءان لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**))[٣].

وإن كنتم تزعمون أن ما جاءكم به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند قوم آخرين أفلا يمكنكم الاتصال بمن أعانه، ليمدكم بمثل ماأمده به، فعندئذ تبطلون دعوته، وتستأثرون بالغلبة عليه، وتكونون في حل مما دعاكم إليه، وأنتم ممن عرف بالقوة في الحال، والثراء في المال، ومحمد في عوز من ذلك كله.

ومن باب التنزل مع الخصم لاعلامه بعجزه، والزامه بالحجة، نزل التحدي إلى عشر سور، كما قال تعالى في سورة هود: ((**أم يقولون افتريٰه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريٰت وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صٰدقين**))[٤].

يقول الطبري في إيضاح معنى الآية:

---

(١) الآية: (٣٣-٣٤).
(٢) قارن بتفسير ابن كثير (٢٦١/٤).
(٣) سورة الأعراف: الآية (٨٨).
(٤) الآية: (١٣).

(يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: كفاك حجة على حقيقة ماأتيتهم به، ودلالة على صحة نبوتك هذا القرآن من سائر الآيات غيره، إذا كانت الآيات إنما تكون لمن أعطيها دلالة على صدقه، لعجز جميع الخلق عن أن يأتوا بمثلها، وهذا القرآن جميع الخلق عجزت عن أن يأتوا بمثله، فإن هم قالوا: افتريته، أي: اختلقته وتكذبته، بدليل قوله تعالى: ((أم **يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات..وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين**)) (١) (٢).

ولما زعموا أن القرآن مفترى وسع لهم المجال في العدد، وطَلَبِ المدد، ليستعينوا بمن يستطيعون ليبلغوا مرادهم إن كانوا بالغيه، وليقفوا على منتهى عجزهم: ((قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات..)).

قوله (فأتوا) صيغة الأمر هنا للتعجيز، وقد تقرر في فن المعاني أن من معاني (أفعل) قصد التعجيز (٣).

وأمرهم بأن يأتوا بعشر سور مفتريات يعني مفتعلات مختلقات إن كان ماأتيتكم به من هذا القرآن مفترى، وليس بآية معجزة كسائر ماسُئِلته من الآيات كالكنز الذي قلتم (**لولا أنزل عليه كنز**) (٤) أو الملك الذي قلتم: (**أو جاء معه ملك..**) (٥) فإنكم قومي وأنتم أهل لساني وأنا رجل منكم ومحال أن أقدر على أن أسمعكم آيات هذه السور العديدة، ولا تقدروا بأجمعكم أن تفتروا وتختلقوا عشر سور مثلها، ولاسيما اذا استعنتم في ذلك بمن شئتم من الخلق، كما قال تعالى: ((**وادعوا من استطعتم من دون الله..**)) وادعوا من استطعتم أن تدعوهم من دون الله، يعني سوى الله، لافتراء ذلك واختلاقه من الآلهة والأنداد، إن كنتم صادقين في دعواكم أن هذا القرآن افتراء محمد) (٦).

---

(١) سورة هود: الآية (١٣)

(٢) تفسير الطبري: (٩:٧).

(٣) انظر: معارج الصعود الى تفسير سورة هود: لمحمد الأمين (٦٦).

(٤)و(٥) سورة هود: الآية (١٢).

(٦) تفسير الطبري: (٩:٧-١٠) وبتصرف في بعض الألفاظ.

فإن أنتم لم تقدروا على أن تفتروا عشر سور مثله، فقد تبين لكم أنكم كذبة في قولكم (افتراء) وصحت عندكم حقيقة ماأتيتكم به أنه من عند الله ولم يكن لكم أن تتخيروا الآيات على ربكم، وقد جاءكم من الحجة على حقيقة ماتكذبون به أنه من عند الله مثل الذي تسألون من الحجة، وترغبون أنكم تصدقون بمجيئها.

ولابن عطية[(١)] توجيه في معنى الآية إذ يقول:

(وقع التحدي في هذه الآية بعشر لأنه قيدها بالافتراء، فوسع عليهم في القدر لتقوم الحجة غاية القيام، اذ قد عجزهم في غير هذه الآية بسورة مثله دون تقييد فهي مماثلة تامة.

وعجزوا في هذه الآية بأن قيل لهم عارضوا القدر منه بعشر أمثاله في التقدير والغرض واحد، واجعلوه مفترى لايبقى لكم إلا نظمه فهذه غاية التوسعة، وليس المعنى عارضوا عشر سور بعشر، لأن هذه إنما على هذه، ويؤيد هذا النظر أن التكليف في آية البقرة إنما هو بسبب الريب، ولا يزيل الريب إلا العلم بأنهم لايقدرون على المماثلة التامة.

وفي هذه الآية إنما التكليف بسبب قولهم افتراه، وكلفوا نحو ماقالوه ولا يطرد هذا في سورة يونس)[(٢)] .ا.هـ.

---

(١) هو: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المغربي الغرناطي، ولد سنة ٤٨١هـ وكان فقيها عارفاً بالأحكام، والحديث والتفسير، بارع الأدب، بصيراً بلسان العرب، واسع المعرفة، له يد في الإنشاء والنظم والنثر، وكان يتوقد ذكاء، له التفسير المشهور المسمى (بالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) توفي سنة ٥٤١هـ.
انظر: نفح الطيب (٥٩٣:١) طبقات المفسرين للسيوطي (٥٠) التفسير والمفسرون للذهبي (٣٣٨/١-٣٣٩).

(٢) تفسير البحر المحيط: لأبي حيان (٢٠٨:٥).

"وبعد التحدي بين جل وعلا أن الإعجاز القرآني دليل قطعي. وبرهان يقيني على صدق الوحي وصحة الرسالة"(١) قال تعالى: ((**فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لاإلٰه إلا هو فهل أنتم مسلمون**))(٢).

في هذا الخطاب وجهان:

- **الوجه الأول**: ((أنه نتيجة لما أمر أن يتحدى به المشركين))(٣) والمعنى: ((قل يامحمد لهؤلاء المشركين فإن لم يستجب لكم من تدعون من دون الله إلى أن يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات، ولم تطيقوا أنتم وهم أن تأتوا بذلك، فاعلموا وأيقنوا أنه إنما أنزل من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم بعلم الله واذنه، وأن محمداً لم يفتره، ولا يقدر أن يفتريه))(٤).

((**وأن لاإلٰه إلا هو**)) أي ((أيقنوا أيضاً أن لامعبود ويستحق الألوهة على الخلق إلا الله الذي له الخلق والأمر فاخلعوا الأنداد والآلهة وأفردوا له العبادة))(٥).

وعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى: ((**فهل أنتم مسلمون**)) التحريض على تحصيل الاسلام(٦) أي ((فهل أنتم بعد هذا مسلمون؟ أي داخلون في الاسلام، متبعون لأحكامه، مقتدون بشرائعه))(٧).

- **الوجه الثاني**: أن الخطاب فيها للنبي صلى الله عليه وسلم، وجمع الضمير في ((لكم)) للتعظيم، بناء على أنه غير خاص بضمير المتكلم، أو له ولمن معه من المؤمنين إذ كانوا كلهم دعاة إلى الإسلام معه صلى الله عليه وسلم(٨).

---

(١) معارج الصعود: (٦٥).
(٢) سورة هود: الآية (١٤).
(٣) تفسير المنار: (٤٦:١٢).
(٤) و (٥) تفسير الطبري: (١٠:٧).
(٦) انظر: البحر المحيط : (٢٠٩:٥).
(٧) فتح القدير: للشوكاني (٤٨٧:٢).
(٨) انظر: تفسير المنار: (٤٧:١).

والمعنى: فإن لم يجبكم هؤلاء المشركون إلى ماتحديتموهم به من الإتيان بعشر سور مثله مفتريات كما زعموا وما هم بمستجيبين لكم لعجزهم، وعجز من عسى أن يدعوهم لمظاهرتهم عليه، فاثبتوا على علمكم أنه إنما أنزل بعلم الله [١]، ((وازدادوا يقينا وثباتاً على أنه من عند الله تعالى [٢])) ((فإن الثبوت عليه، زيادة البصيرة فيه، والطمأنينة به مطلوب منكم [٣])).

وعلى هذا يكون المراد بقوله: (**فهل أنتم مسلمون**) أي: مخلصوا الاسلام [٤].

والوجه الأول أظهر وأقوى لاتساق الضمائر وتناسبها، وعدم احتياج بعضها الى تأويل، وعلى هذا القول الطبري، وأشار إلى ضعف الثاني ولٰكن رجحه كثيرون، والحق أنه صحيح، ولٰكنه خلاف الظاهر المتبادر [٥].

وبعد أن سجل عليهم العجز في عدم استطاعتهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن نقصهم تسعاً، فقال في سورة يونس: ((**وما كان هذا القرءان أن يفترى من دون الله ولٰكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتٰب لاريب فيه من رب العٰلمين * أم يقولون افترٮٰه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صٰدقين**)) [٦] وكل هذه الآيات مكية.

ثم أعاد الله على أهل العناد تحديه في المدينة وهم أكثر عدداً، وأوفر جمعاً، وألهب حماساً على إبطال دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ((**وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله...**)) [٧].

---

(١) انظر : تفسير المنار: (٤٧/١٢).
(٢) تفسير البحر المحيط: (٢٠٩:٥) بتصرف يسير.
(٣) فتح القدير: للشوكاني (٤٨٦:٢).
(٤) تفسير البحر المحيط: (٢٠٩:٥).
(٥) انظر: تفسير الطبري (١:٧) والشوكاني (٤٨٧:٢) وتفسير المنار (٤٧:١٢).
(٦) سورة يونس: الآية (٣٧-٣٨).
(٧) سورة البقرة: الآية (٢٣).

يعني: (وإن كنتم في شكٍ وريب مما نزّلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأتوا بسورة من مثل ماجاء به إن زعمتم أنه من عند غير الله فعارضوه بمثل ماجاء به واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله فإنكم لاتستطيعون ذلك.

والشهداء هم: ((الأعوان كما قال ابن عباس رضي الله عنهما))[١].

أو الذين يشهدون لهم.

ولكن هل استجابوا لمعارضة القرآن؟ كلا.. كيف وقد أخبر الله عز وجل أنهم لايفعلون كما في سورة البقرة: ((**فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكفرين**))[٢] وفي سورة هود: ((**فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لاإله إلا هو فهل أنتم مسلمون**))[٣].

وفي وجه التعبير "بإن" دون "إذا" يوضحه ماجاء في التفسير الكبير إذ يقول: فقد عبر الحق عن عدم استطاعتهم معارضة هذا القرآن بـ "إن" التي هي أداة شك، وعدل عن "إذا" التي تفيد الوجوب لاعتبارين:

- **أحدهما**: أن يساق القول معهم على حسب حسبانهم، فإنهم كانوا بعد غير جازمين بالعجز عن المعارضة، لاتكالهم على فصاحتهم، واقتدارهم على الكلام.

- **الثاني**: أن يتهكم بهم، كما يقول الموصوف بالقوة، الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاومه: "إن غلبتك" وهو يعلم أنه غالبه تهكما به[٤].

وأكد عدم الاستطاعة على الفعل أيضا: "بلن" التي تفيد التأبيد في المستقبل، أي ولن تفعلوا ذلك أبدا، وهذه معجزة أخرى فواقع الحال، وتوالي القرون والأزمان، يدل على أن لن تفيد نفي الفعل في المستقبل على وجه التأبيد، لأنهم لم يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن مع معاصرتهم للتنزيل فغيرهم أعجز، وما زالوا عاجزين.

---

(١) تفسير ابن كثير (٦٢:١).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٣).

(٣) سورة هود: الآية (١٤).

(٤) التفسير الكبير: للفخر الرازي (١٣٢:١).

فإذا ظهر عجزهم عن المعارضة علموا أنه إنما أنزل بعلم الله وأن لاإله إلا هو فلا يستحق العبادة أحد سواه، فيلزمهم التصديق بالرسول صلى الله عليه وسلم وبما جاء به. ((وإذا صح ذلك ثم لزموا العناد استوجبوا العقاب بالنار، فاتقاء النار يوجب ترك العناد، فأقيم المؤثر مقام الأثر))[١].

وجعل قوله (فاتقوا النار) قائماً مقام قوله ((فاتركوا العناد، وهذا هو الإيجاز الذي هو أحد أبواب البلاغة))[٢].

وعجباً لهؤلاء الكفار كيف يتمادون في الإصرار والعناد وهم يعلمون أن الرسول رسول الله حقاً، وأن القرآن وحي من الله تعالى بدلائل اعجازه المتعددة ومنها:

أولا: بإعجازه البياني:

فهم يدركون صعوبة بلوغ الحجة، وانقطاع الحيلة عن الاتيان بمثل هذا القرآن، بدليل ماتقدم من الآيات الكريمة مع كونهم أرباب البلاغة واللحن، وأهل الفصاحة واللَّسَنْ، مع طول المهلة والنظرة لهم في ذلك، وتواتر الوقائع والحروب بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبينهم.. فقتلت صناديدهم، وسبيت ذراريهم ونساؤهم، وغنمت أموالهم، ولم يتعرض أحد لمعارضته، فلو قدروا عليها لفدوا بها أنفسهم وأولادهم، وأهاليهم، وأموالهم، ولكان الأمر في ذلك قريباً سهلاً عليهم، إذ كانوا أهل لسان وفصاحة، وشعر وخطابة، وبخاصة وأن القرآن جاء باللسان الذي به يخاطبون ويتخاطبون، ويتبارون ويتمارون أيهم أفصح لساناً وأبلغ بياناً.

ولما يحسونه أيضا من:

ثانيا: تأثير القرآن في القلوب :

وهذا مايدركونه ويحسونه في أنفسهم، ويشاهدون تأثيره في غيرهم، إذ لم يستطيعوا الحيلولة دون تأثير القرآن في رجال كانوا يعقدون عليهم الآمال، في نصرة دين الآباء والأجداد، والنيل من الرسول صلى الله عليه وسلم باللسان والسنان.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٦٣:١).

(٢) التفسير الكبير: للرازي (١٣٢:١).

فعمر بن الخطاب رضي الله عنه يخرج من بين قريش يعدهم قتل الرسول صلى الله عليه وسلم، فما أن يسمع آيات تتلى من سورة طه، إلا وتتهاوى من قلبه أسباب الشرك والوثنية، وتتسامى في قلبه روح الإيمان والولاء لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فيهاجر للمدينة جهاراً، ويتوعد من يحب أن تفقده أمه باعتراض طريقه (١).

والوليد بن المغيرة يسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن، فينطلق إلى قومه بني مخزوم فيقول: ((والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلوا وما يعلى عليه)). فقالت قريش: ((صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم)) (٢).

فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه، وقعد إليه حزينا وكلمه بما أحماه، وما زال به حتى أتى مجلس قومه، فقال: تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يحنق؟ وتقولون كاهن، فهل رأيتموه قط يتكهن؟ وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا؟ وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب؟ فقالوا في ذلك كله: اللهم لا، ثم قالوا: فما هو؟ (٣).

ففكر وقدر ثم قال: ماهو إلا سحر يؤثر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله، وولده ومواليه، فارتج النادي فرحاً وتفرقوا معجبين بقوله، متعجبين منه، وذلك ماأشار اليه سبحانه بقوله: ((**إنه فكر وقدر. فَقُتل كيف قدّر ثم قُتل كيف قدر. ثم نظر. ثم عبس وبسر. ثم أدبر واستكبر. فقال إن هذا إلا سحر يؤثر**)) (٤) (٥).

---

(١) انظر: عظمة القرآن لعبد القادر عطا: (٥٦) وانظر أيضا: قصة اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السيرة النبوية: لابن هشام (١/٣٤٢-٣٤٨).

(٢) انظر: السيرة النبوية: لابن هشام (١/٢٧).

(٣) يريدون تفسيراً لوقع القرآن في الأسماع وتأثيره في الوجدان.

(٤) سورة المدثر: الآية (١٨-٢٤).

(٥) الحديث: أخرجه الحاكم في المستدرك: (٢/٥٠٦-٥٠٧) وقال: هذا حديث صحيح الاسناد، على شرط البخاري، ولم يخرجاه. ونقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: (٣/٥٩) وفي تفسيره (٤/٤٧٢)، وانظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/١٩٨-١٩٩).

ومندوب قريش عمرو بن العاص (١) يرى بأم عينيه تأثير القرآن في النجاشي الذي كان يؤمل النصرة منه، بفيضان الدمع من عينيه ويسمع بأذنيه شهادة التصديق للرسول صلى الله عليه وسلم والصدق به، وظهر ذلك في النجاشي لما أسمعه الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه آيات من القرآن، فيقول النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة (٢) وينزل الله تعالى فيه قوله جل وعلا: ((**ولتجدن أقربهم مودة للذين ءامنوا الذين قالوا إنا نصٰرى ذٰلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لايستكبرون،وإذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا ءامنا فاكتبنا مع الشٰهدين**)) (٣).

---

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل، الإمام أبو عبد الله، ويقال أبو محمد السهمي داهية قريش، ومن يضرب به المثل في الفطنة والدهاء والحزم، أسلم عام الحديبية، ولاه النبي صلى الله عليه وسلم على جيش ذات السلاسل، وولي مصر مرتين وهو الذي فتحها. مات رضي الله عنه بمصر سنة نيف وأربعين وقيل غيرها.
انظر: تقريب التهذيب (٢٦٠). وسير أعلام النبلاء: للذهبي (٣:٥٤-٧٧).

(٢) النبوات: لابن تيمية (٣٣٩) ، وانظر: دلائل النبوة: للبيهقي (٢/٣٠٣).

(٣) سورة المائدة: الآية (٨٣).
وهذه الآية قيل نزلت في النجاشي وأصحابه لما قدم عليهم المسلمون في الهجرة الأولى -حسب ماهو مشهور في سيرة ابن اسحاق وغيره- خوفاً من المشركين وفتنتهم.
وقيل: نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم آمنوا به فأثنى الله عليهم.
انظر: تفسير القرطبي (٦:٢٥٥-٢٥٧).

- في محاولة قريش صد الناس عن سماع القرآن:

ولما شعر أئمة الكفر والعناد بسلطان القرآن، وتأثيره في القلوب، وخافوا أن يخسروا آخرين أمثال عُمَراً وخنيساً[1] رضي الله عنهما، وجهوا أقوامهم إلى الصدود والإعراض عن هذا القرآن وعدم سماعه كلية، وفي حالة سماعه "بأن لايطيعوه ولا ينقادوا لأوامره"[2] قال تعالى: ((**وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرءان والغوا فيه لعلكم تغلبون**[3])).

واللغو فيه: بالمكاء والصفير، والتخليط في المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم[4].

ثالثا: في شهادة الجن بصدق ماأنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم:

هذا عن شهادات الإنس أما العالم الآخر من المكلفين وهم "الجن" فما أن سمعوا آياته إلا وأذعنوا للإيمان، وولوا إلى قومهم منذرين ومبشرين، كما بين الله تعالى لنا ذلك في قوله جل وعلا: ((**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرءان فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين. قالوا يٰقومنا إنا سمعنا كتٰباً أُنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم. يٰقومنا أجيبوا داعى الله وءامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم. ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولٰئك في ضلٰلٍ مبين**))[5].

---

(١) هو خنيس بن حذافة القرشي السهمي، كان من السابقين الى الاسلام، وهاجر الى أرض الحبشة، وعاد إلى المدينة، فشهد بدراً وأحداً، وأصابه بأحد جراحة فمات بها، وكان زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل النبي صلى الله عليه وسلم، فلما توفي تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم.
انظر: أسد الغابة (٦٢٤/١)، الاصابة: (١٤٢/١-١٤٣).

(٢) تفسير ابن كثير: (١٠٥/٤).

(٣) سورة فصلت: الآية (٢٦).

(٤) تفسير ابن كثير: (١٠٥/٤).

(٥) سورة الأحقاف: الآية (٢٩-٣٢).

ويصف الخطابي تأثير القرآن وعظيم سلطانه على القلوب بقوله: (وقد قلت في اعجاز القرآن وجهاً ذهب عنه الناس وهو صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لاتسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في حال آخر مايخلص منه إليه، قال تعالى: ((لو أنزلنا هذا القرءان على جبل لرأيته خٰشعاً متصدعاً من خشية الله..))[١] وقال تعالى: ((الله نزل أحسن الحديث كتٰباً متشٰبهاً مثانى تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم..))[٢][٣].

وقد أسلم جماعة عند سماع آياته منهم جبير بن مطعم[٤] فإنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، قال فلما بلغ قوله تعالى: ((أم خلقوا من غير شىء أم هم الخٰلقون)) إلى قوله ((المصيطرون))[٥] كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ماوقر الاسلام في قلبي)[٦].

---

(١) سورة الحشر: الآية (٢١).

(٢) سورة الزمر: الآية (٢٣).

(٣) انظر: رسالة الخطابي في اعجاز القرآن: (٧٠-٧١) ضمن كتاب ثلاث رسائل في اعجاز القرآن.للرماني، والخطابي، والجرجاني.

(٤) سورة الطور: الآيات (٣٥-٣٧).

(٥) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل، القرشي رضي الله عنه، من أكابر قريش، وعلماء النسب. قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد أسارى بدر فسمعه يقرأ الطور، قال جبير: فكان ذلك أول مادخل الإيمان في قلبي، وقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((لو كان أبوك حياً وكلمني فيهم وهبتهم له)) أي أسرى بدر وأسلم جبير بين الحديبية والفتح، وقيل في الفتح. وقال البغوي: أسلم قبل فتح مكة. ومات في خلافة معاوية رضي الله عنه سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين.
انظر: أسد الغابة لابن الأثير (١:٣٢٣-٣٢٤) والإصابة (١:٢٣٥-٢٣٦).

(٥) سورة الطور: الآيات (٣٥-٣٧).

(٦) انظر: البرهان: للزركشي (٢:١٠٦).

ويقرب من هذا المعنى ماذكره الزركشي في قوله[١]: ((فمنها الروعة التي في قلوب السامعين، وأسماعهم، سواء منهم المقر والجاحد، ومنها أنه لم يزل غضا طريا في أسماع السامعين، وعلى ألسنة القارئين))[٢].

ويتحدث الشيخ الزفزاف عن منهج القرآن في تغيير النفوس فيقول: ((وهل يحتاج تأثيره في النفوس إلى دليل فوق أنه جر العرب إلى مايريد فقلب طباعها، وغير عقائدها وصرفها عما تمكن في نفوسها من عادات لايرضاها الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم))[٣] واعتبر بهذه الناحية بعض حكماء أوربا فقال مامعناه:

((إن محمدا يتلو القرآن متأثراً مؤثراً، خاشعاً متصدعاً، فيفعل في جذب القلوب إلى الايمان، فوق ماكانت تفعل جميع آيات الأنبياء قبله))[٤].

رابعاً: إعجازه في الإخبار بالأمور المستقبلية:

((فإن معجزة القرآن باقية إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وأخباره بالمغيبات ثابت، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر أنه سيكون))[٥].

---

(١) هو: أبو عبد الله، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، كان فقيهاً، أصولياً، مفسراً، أديبا، درس وأفتى انقطع للعلم واشتغل به، وصنف تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها (جمع الجوامع، وأحكام المساجد، وتفسير القرآن العظيم، والنكت على ابن الصلاح.. وغيرها.. توفي سنة (٧٩٤هـ).
انظر: لسان الميزان لابن حجر (٢٥٥:٥) طبقات المفسرين للداودي (١٦٣:٢).

(٢) البرهان في علوم القرآن: للزركشي (١٠٦/٢-١٠٧). بتصرف.

(٣) التعريف بالقرآن: للزفزاف (١٣٩:١) بتصرف.

(٤) تفسير القرآن الحكيم: (٢٠٣:١).

(٥) عظمة القرآن: (٥٥-٥٦).

كقوله تعالى: (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقتلونهم أو يسلمون..) الآية [١].

وقوله في أهل بدر: ((سيهزم الجمع ويولون الدبر)) [٢] وقوله في بشارة رسوله صلى الله عليه وسلم وأتباعه بفتح مكة: ((لقد صدق الله رسوله الرءيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ءامنين محلقين رءوسكم ومقصرين لاتخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً)) [٣].

وقوله تعالى في تمكين أتباع رسوله صلى الله عليه وسلم: ((وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصلحت ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليُبَدِّلَنَّهم من بعد خوفهم أمناً..)) [٤].

وقوله: ((آلم غلبت الروم)) [٥] وغير ذلك مما أخبر به بأنه سيقع فوقع [٦].

خامساً: وأما إعجازه العلمي:

فإن العلم مازال يكشف عن أسراره في كل يوم عن جديد، ويكشف عن أخطاء العلم في أحدث نظرياته [٧].

وبعد ....

---

(١) سورة الفتح: الآية (١٦).
(٢) سورة القمر: الآية (٤٥).
(٣) سورة الفتح: الآية (٢٧).
(٤) سورة النور: الآية (٥٥).
(٥) سورة الروم: الآية (١-٢).
(٦) انظر: البرهان: للزركشي (٢/٩٥-٩٦).
(٧) عظمة القرآن: لعبد القادر عطا (٥٦).

فإن القرآن آيته باقية على طول الزمان منذ جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يزال التحدي به قائما وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد سبق أن ذكرنا آيات التحدي من قبل، فالتحدي ليس لقوم بعينهم ولا لأهل عصر بعينه، وإنما هو للناس كافة في مختلف العصور.

فمع طول الزمان سمعه الموافق والمخالف والعرب والعجم، وليس في الأمم من أظهر كتابا يقرؤه الناس وقال إنه مثله، وهذا يعرفه كل أحد.

وما من كلام تكلم به الناس وإن كان في أعلى طبقات الكلام لفظاً ومعنىً إلا وقد قال الناس نظيره، وما يشبهه ويقاربه سواء كان شعراً، أو خطابة، أو كلاماً في العلوم والحكمة والاستدلال والوعظ والرسائل وغير ذلك، وما وجد من ذلك شيء إلا ووجد مايشبهه ويقاربه، والقرآن مما يعلم الناس عربهم وعجمهم أنه لم يوجد له نظير مع حرص العرب وغير العرب على معارضته، فلفظه آية، ونظمه آية، وإخباره بالغيوب آية، وأمره ونهيه آية، ووعده ووعديه آية، وجلالته وعظمته وسلطانه على القلوبة آية، وكل ذلك لايوجد له نظير في العالم)[1].

ويصف ابن تيمية رحمه الله وجوه إعجاز القرآن المتعددة بقوله:

((وكون القرآن معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط، ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضته فقط))[1] إلى أن يقول: ((وكل ماذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على اعجازه ولا يناقض ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له))[2].

---

(١) الجواب الصحيح: (٤/٧٤).

(٢) الجواب الصحيح: (٤:٧٥) بتصرف.

فبهذا نعلم أن القرآن ثبت إعجازه بلفظه ومعناه، وقام الإجماع على ذلك قديما وحديثا، ولم يخالف في ذلك إلا فرقة شاذة تزعمها ((إبراهيم بن اسحاق النظام))[١] المعتزلي، وقوله منقوض بالاجماع ولا اعتداد به، وقد شرع العلماء أقلامهم للرد عليه، وتزييف قوله قديماً وحديثاً وخاصة إذا علمنا أن القول بالصرفة تعود جذوره إلى الفكر اليهودي السائد في سفر التكوين، والذي يصف الله سبحانه بالتردد والغيظ من عبيده تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا[٢].

تاسعاً: في تأييد الله عز وجل رسله بحسن العاقبة:

فمن آيات الأنبياء إهلاك الله لمكذبيهم، ونصره للمؤمنين بهم، فهذا من أعلام نبوتهم، ودلائل صدقهم، كإغراق الله قوم نوح لما كذبوه، وكإهلاكه قوم عاد بالريح الصرصر، وإهلاك قوم صالح بالصيحة، وإهلاك قوم شعيب بالظلة، وإهلاك قوم لوط بقلب مدائنهم، ورجمهم بالحجارة، وكإهلاك فرعون وملئه.

---

(١) هو: أبو إسحاق بن إبراهيم بن سيار، المعروف بالنظام وهو ابن أخت أبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف، أحد شيوخ المعتزلة، ومنه أخذ الإعتزال، وهو شيخ أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ظهر في سنة ٢٢٠هـ وقرر مذهب الفلاسفة في القدر، فتبعه خلق، وكان لاطلاعه على الكثير من كتب الفلاسفة الطبيعيين والإلٰهيين أثر في اعتناقه المذهب الذي أنكره عليه عامة المسلمين. توفي مابين سنة ٢٢١هـ وسنة ٢٢٣هـ.
انظر: النجوم الزاهرة (٢:٢٣٤)، اعتقادات فرق المسلمين (٤١) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص ١٣١.

(٢) انظر: عظمة القرآن: لعبد القادر عطا (٥٨) وما بعدها، والفرق بين الفرق (٨٠-٩١).

وقد ذكر الله هذه القصص في القرآن في غير موضع وبين أنها من آيات الأنبياء الدالة على صدقهم وختم جل وعلا قصة كل نبي بقوله تعالى: ((إن في ذٰلك لأية وما كان أكثرهم مؤمنين [1])) [2].

ومن آيات الأنبياء أيضا ماحققه الله عز وجل لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه من النصر على أعدائهم واهلاك مكذبيهم [3].

وقد استطرد ابن تيمية رحمه الله تعالى في استشهاده بإهلاك المكذبين للتدليل على صدق الرسالة، ومما ذكره في مقام الاستشهاد قول الله تعالى: (إن فى ذٰلك لأيٰت للمتوسمين.وإنها لبسبيل مقيم. إن فى ذٰلك لآية للمؤمنين) [4].

ويقول في توضيح الآية: والإمام المبين هو الطريق المستبين الواضح.

فـ (بين الله سبحانه وتعالى أن هٰذه وهٰذه كلاهما بسبيل الناس يرونها بأبصارهم، فيعلمون بذٰلك مافعل الله بمن كذب رسله وعصاهم، ودلالة نصر الله للمؤمنين وانتقامه من الكافرين على صدق الأنبياء عليهم السلام، من جنس دلالة الآيات والمعجزات على صدقهم، فكون هذا فعل لأجل هذا، أو كون ذاك سبب هذا هو لما يعلم بالاضطرار عند تصور الأمر على ماهو عليه كانقلاب العصا حية عقب سؤال فرعون الآية، وانشقاق القمر عند سؤال مشركي مكة آية وأمثال ذلك) [5].

وسيأتي لهذا مزيد ايضاح إن شاء الله تعالى [6].

---

(١) سورة الشعراء: الآيات (٨،٦٧،١٠٣،١٢١،١٣٩،١٥٨،١٧٤،١٩٠).

(٢) الجواب الصحيح: لابن تيمية (٤/٢٥٤).

(٣) انظر: المرجع السابق (٢٥٨).

(٤) سورة الحجر: الآية (٧٥-٧٧).

(٥) الجواب الصحيح: (٤:٢٥٦-٢٥٧).

(٦) انظر: الباب الخامس (بيان أن العاقبة الحسنى للمؤمنين والسوآى على الكافرين) ص:٥٨٦ من هذا

الباب الثاني

في مواقف الرسل عليهم السلام مع أممهم
(من خلال هذه السورة)

وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول : دعوة نوح عليه السلام.

الفصل الثاني : دعوة هود عليه السلام.

الفصل الثالث : دعوة صالح عليه السلام.

الفصل الرابع : دعوة إبراهيم عليه السلام.

الفصل الخامس : دعوة لوط عليه السلام.

الفصل السادس: دعوة شعيب عليه السلام.

الفصل السابع : دعوة موسى عليه السلام.

الباب الثاني

الفصل الأول

دعوة نوح عليه السلام

وتشتمل على الآتي :

أولا : في التعريف بالنبي عليه السلام وقومه - وفيه

أ - نسب نوح عليه السلام

ب - في كونه عليه السلام أول رسول إلى أهل الأرض بعد حدوث الشرك والأدلة على ذلك.

ج - في انحراف قومه عن التوحيد .

ثانياً : دعوته عليه السلام

١) الدعوة إلى عبادة الله تعالى.

٢) بيان أسلوبه عليه السلام في الدعوة.

ثالثاً : موقف قومه من دعوته عليه السلام .

رابعاً: موقفه عليه السلام من شبهات قومه .

خامساً: موقف قومه من دعوته بعد إقامة الحجة عليهم،

سادساً: في رده عليه السلام على استعجال قومه واستهزائهم بدعوته .

سابعاً : في تيئيس الله تعالى لنبيه عليه السلام من إيمان قومه .

ثامنا: في تسلية الله تعالى لرسوله بالإنتقام من مكذبيه .

تاسعاً: في المفاصلة بين النبي وقومه .

عاشراً : في صنعه عليه السلام السفينه ، واستمرار قومه في العناد .

الحادي عشر : التهديد بالعذاب

الثاني عشر : في الإشعار ببدء ساعة الهلاك .

الثالث عشر : في الأخذ بأسباب النجاة .

الرابع عشر : في ركوب السفينة وجريانها.

الخامس عشر : في موقف نوح عليه السلام من ابنه .

السادس عشر : في اصرار ابن نوح على كفره، واستمرار نوح عليه السلام في نصحه له.

السابع عشر : في سؤال نوح عليه السلام ربه نجاة ابنه .

الثامن عشر : أمر الله تعالى برفع ماء الطوفان

التاسع عشر : في رفع الله تعالى لنوح عليه السلام لمقام العارفين .

العشرون : في اعتذار نوح لربه جل وعلا .

أولا : في التعريف بالنبي عليه السلام وقومه :

ودل عليه قوله تعالى : ((**ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه..**))[١] ونبين من خلالها الآتي فيها :

أ - نسبه عليه السلام :

هو : نوح بن لامسك بن متوشلخ بن خنوخ وهو إدريس بن بردبك بن لابيل بن قنين بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام.[٢]

ب - كونه أول رسول إلى أهل الأرض بعد حدوث الشرك :

فهو أول رسل الله تعالى إلى أول قوم انحرفوا عن التوحيد، دل على ذلك الأدلة الواضحة من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم:

١ - فمن الآدلة من الكتاب :

أن الله عز وجل يبدأ بذكر إرساله نوحاً إلى قومه وما جرى له معهم في أول قصه لمواقف الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أممهم، كما هو واضح في هذه السورة وغيرها من سور الكتاب العزيز، التي روعي فيها الترتيب الزمني، وهناك آيات تدل على هذا الترتيب، ومن ذلك ما ذكره الله تعالى عند بيان وحيه لرسله عليهم السلام فبدأ به أولاً، قال تعالى : ((**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى ابراهيم واسمٰعيل واسحٰق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهٰرون وسليمٰن وءاتينا داوود زبورا**))[٣]

وكذا في مواضع مدحه جل وعلا على النبيين والمرسلين، كما قال تعالى : ((**وإذا أخذنا من النبيين ميثٰقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثٰقاً غليظاً**))[٤] . فعند الترتيب التاريخي بدأ بنوح، ثم ذكره من بعده.

---

(١) سورة هود : الآيه (٢٥).
(٢) البداية والنهاية : لابن كثير (١:٩٣-٩٤).
(٣) سورة النساء : الآيه (١٦٣).
(٤) سورة الأحزاب : الآيه (٧).

وشهد له بالسبق في حصوله على الهداية التي نال بها الشرف والكرامة منه جل وعلا، كما في قوله تعالى : ((**وتلك حجتنا ءاتينٰها إبرٰهيم على قومه نرفع درجٰت من نشاء إن ربك حكيم عليم. ووهبنا له إسحٰق ويعوب كُلاًّ هدينا ونوحاً هدينا من قبل.. الآيه**))[(١)] .

وفي مواضع التذكير والتحذير بدأ بذكر قومه أولاً، فقال تعالى:((**ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحٰب مدين والمؤتفكٰت أتتهم رسلهم بالبينٰت فما كان الله ليظلمهم ولٰكن كانوا أنفسهم يظلمون**))[(٢)]

٢ - **وأما الأدلة من السنة** : فحسبنا في هذا ما ورد في الصحيحين من شهادة أهل المحشر يوم القيامة بأن نوحاً عليه السلام أول الرسل إلى أهل الأرض. فقد جاء فيه ((فيأتون آدم فيقولون : ياآدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك، ألا ترى مانحن فيه وما بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي، إذهبوا إلى غيري. إذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون: يانوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض سماك الله عبداً شكوراً..))[(٣)] الحديث

فقد دل الحديث على أن رسالة نوح عليه الصلاة والسلام هي أولى الرسالات، وهو أول الرسل إلى أهل الأرض، إذ اختلفت صيغة التخاطب التي خاطبوا فيها آدم ونوحاً عليهما الصلاة والسلام.

---

(١) سورة الأنعام : الآية (٨٤).

(٢) سورة التوبة : الآيه(٧٠).

(٣) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه. رواه البخارى في كتاب الأنبياء ٣- باب قول الله تعالى : ((إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب إليم)) (٤:١٠٥-١٠٦).
ورواه مسلم في كتاب الإيمان ٨٤- باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١:١٨٤-١٨٥).

فآدم عليه الصلاة والسلام وصفوه بأنه أبو البشر، ومن كان أباً فمن عادته الشفقة على بنيه فمن عادته الشفقة على بنيه، ولا يبخل على أولاده بشفاعة يفرج بها همهم، وينفس عنهم كربهم.

ونوحاً عليه الصلاة والسلام وصفوه بالرسالة التي اصطفاه الله بها وعرفوها عنه، وأنها أولى الرسالات لأهل الأرض.

وقد يستشكل هذا - أعنى أولوية نوح عليه السلام في الرسالة- مع ما ثبت من أن آدم عليه السلام نبي، كما جاء في الحديث فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آدم أنبي مرسل هو؟ فقال : نعم ((نبي مكلم))[(١)]، ومن المعلوم أن آدم قبل نوح. ويبين الشيخ الأمين وجه الجمع بين أولوية كل منهما بالرسالة فيقول:

والظاهر أنه لا طريق للجمع إلا من وجهين:

الأول: أن آدم أُرسل لزوجه وذريته في الجنة، ونوح أول الرسل أُرسل في الأرض، ويدل لهذا الجمع ما ثبت في الصحيحين وغيرهما، ويقول: ((ولٰكن ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه إلى أهل الأرض..)) الحديث[(٢)]، فقوله: ((إلى أهل الأرض)) لو لم يرد به الإحتراز عن رسول بعث لغير أهل الأرض، لكان ذٰلك الكلام حشواً، بل يفهم من مفهوم مخالفته ما ذكرنا، ويتأنس له بكلام ابن عطية إذ يقول: ((تأول بعض الناس أن تكليم آدم كان في الجنة..)).

الثاني : أن آدم أُرسل إلى ذريته وهم على الفطرة، ولم يصدر منهم كفر فأطاعوه، ونوح هو أول رسول أرسل إلى قوم كافرين ينهاهم عن الإشراك بالله تعالى، ويأمرهم بإخلاص العبادة له وحده، ويدل لهذا الوجه قوله تعالى : ((**وما كان الناس إلا أمة واحدة..**))[(٣)] أى على الدين الحنيف، حتى كفر قوم نوح.

---

(١) كما جاء في حديث أبي أمامة رضي الله عنه، رواه أحمد في مسنده (٥:٢٦٥-٢٦٦)، وابن حبان في صحيحه، الإحسان : (٨/٢٤-٢٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سورة يونس : الآيه(١٩) .

وقوله : ((كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين[١]))[٢] .

ج - في انحراف قوم نوح عن التوحيد :

وأما قومه الذين بعث إليهم ، فهم أول أهل الأرض إنحرافاً عن التوحيد إلى الوثنية، وما فسره به مضمون رسالته في الآية بعدها بقوله تعالى : ((ألا تعبدوا إلا الله إنني أخاف عليكم عذاب يوم أليم))[٣] لدليل على أن هناك انحرافاً حصل، إذالإنذار والتخويف لا يكون إلا لقوم ظهر منهم الإنحراف، وبلغوا شأواً في العناد، وتمادوا في العصيان وشارفوا على الهلاك فأفسدوا الأرض بانحرافهم، ولوثوا الأرض بشركهم، ويؤيد ذلك ما رواه الحاكم[٤] في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ((كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين))[٥].

---

(١) سورة البقرة : الآيه (١٢٣) .

(٢) أضواء البيان للأمين : (١:٢٢٣-٢٢٤) .

(٣) سورة هود : الآية (٢٦) .

(٤) هو : محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدوية، أبو عبدالله، النيسابوري، الشهير بالحاكم، ولد سنة ٣٢١هـ، عرف عنه علمه بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه ، صنف كتباً كثيرة جداً ومنها المستدرك على الصحيحين، والإكليل ، والمدخل في أصول الحديث، توفى بنيسابور سنة ٤٠٥هـ .
انظر : طبقات السبكي (٣:٦٤) ، ميزان الاعتدال (٣/٦٠٨)، لسان الميزان ٥/٢٣٢).

(٥) المستدرك لأبي عبدالله النيسابوري ، الحاكم (٢:٥٤٦) .

وأورد ابن حجر[١] في فتح الباري حديثاً عن أبي أمامة[٢] أنه قال : ((أن رجلاً قال يارسول الله أنبي كان آدم؟ قال : نعم، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون[٣])).

وقد ذكر ابن كثير أنه إذا كان المراد بالقرن مائة سنة كما هو المتبادر عند كثير من الناس، فبينهما ألف سنة لامحالة؛ لكن لا ينبغي أن يكون أكثر باعتبار ما قيد به ابن عباس (بالإسلام) إذ قد يكون بينهما قرون متأخرة لم يكونوا على الاسلام[٤].

---

(١) هو: أحمد بن علي بن حمد الكناني، العسقلاني ابن حجر المصري المولد والنشأة والدار والوفاة، الشافعي، محدث مؤرخ أديب شاعر، زادت تصانيفه على مائة وخمسين مصنفاً، منها فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإصابة في تمييز الصحاب، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تهذيب التهذيب ، والقول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد وغيرها.
توفي رحمه الله سنة٨٥٢هـ .
الضوء اللامع: (٢/٣٦-٤٠)، شذرات الذهب لابن عماد (٧/٢٧٠-٢٧٣)، معجم المؤلفين (١:٢٠-٢١).

(٢) هو: أسعد بن زرارة بن عدس الأنصاري الخزرجي، تقدمت ترجمته ص (٤٢)

(٣) تقدم تخريجه . ص: (٢٢٢)

(٤) البداية والنهاية : لابن كثير (١/٩٤).

فالحاصل أن أول اختلاف بعد هذه القرون العديدة والأجيال المتعاقبة اختلاف قومه عليه الصلاة والسلام على دينهم ، إذا أشركوا مع الله غيره، فتوجهوا بالعبادة إلى غير مستحقها من أصنام نصبوها، وتماثيل صوروها، وطواغيت أسلموا لها الزمام وأظهروا لها الإنقياد، ووصى بها الآباء الأبناء وتناقلها الخلف عن السلف، كما بينه ربنا تبارك وتعالى في قوله: (وقالوا لا تذرون ءالهتكم ولا تذرن وُدّاً ولا سُواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا))[1] .

وإذا رجعنا إلى ما روى في السنة الموضحة لما في القرآن لتبين لنا أن هذه الأصنام التي ورد ذكرها في الآيه الكريمة هي منشأ انحراف القوم فقد روى البخاري[2] في صحيحه بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما عند تفسيره هذه الآيه قال: ((هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم عبدت))[3] .

---

(١) سورة نوح ، الآيه (٢٣).

(٢) هو : أبو عبدالله محمد بن أبي الحسن اسماعيل بن إبراهيم البخاري، حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، صاحب (الجامع الصحيح) المعروف بصحيح البخاري، وهو أول من وضع في الإسلام كتاباً على هذا النحو، وكتابه أوثق الكتب المعول عليها في الحديث.
تتلمذ على مشايخ كثيرون ومنهم : محمد بن سلام، مكي بن إبراهيم، وعبدالله بن موسى، وغيرهم ، وتتلمذ على يديه: الترمذى، وابن خزيمة، وآخرون.
مات ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦هـ رحمه الله رحمة واسعة.
انظر : تذكرة الحفاظ (٥٥٥:٢-٥٥٧)، تهذيب التهذيب (٤٧:٩).

(٣) جزء من حديث رواه البخارى - في كتاب التفسير، (٧١- سورة نوح باب ((وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق.)) (٧٣:٦).

وقد زين لهم الشيطان تصويرها لتكون ذكراها عالقة في القلوب حتى إذا مادعاهم إلى عبادتها- بعد عفو الزمن وتعاقب الأجيال واندراس العلم- أجابوا الطلب ولبوا النداء. يقول الشوكاني[1] في تفسيره، قال محمد بن كعب[2] :

((هذه -أي : ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا- أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح، فنشأ بعدهم قوم يقتدون بهم في العبادة، فقال لهم ابليس لو صورتم صورهم لكان أنشط لكم، وأسوق إلى العبادة، ففعلوا، ثم نشأ قوم من بعدهم، فقال لهم ابليس إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فاعبدوهم، فابتداء عبادة الأوثان كان في ذلك الوقت، وسميت هذه الصورة بهذه الأسماء، لأنهم صوروها على صورة أولئك القوم))[3] .

---

(١) هو : محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني، فقيه مجتهد، من كبار علماء اليمن، ولد بصنعاء ونشأ بها، وولي قضاءها، ومات حاكماً بها سنة ١٢٥٠هـ له مؤلفات عدة ومنها: فتح القدير المعروف بتفسير الشوكاني، ونيل الأوطار، والبدر الطالع، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، وكتاب إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والميعاد والنبوات.. وغيرها.
انظر : البدر الطالع (٢:٢١٤-٢٢٥)، نيل الوطر: (١:٣)، (٢:٢٩٧-٣٠٢)، التفسير والمفسرون للذهبي (١:٢٨٥).

(٢) هو: محمد بن كعب القرظي أبو حمزة، وقيل أبو عبدالله، روى عن العباس بن عبدالمطلب، وعلى بن أبي طالب، وابن سعد وعمرو بن العاص وآخرون، رضي الله عنهم، وروى عنه أخوه عثمان والحكم بن عتبة ويزيد بن أبي زياد وهشام بن زيد وآخرون، وكان من أفاضل أهل المدينة علماً وفقهاً، وجلس يقص في المسجد فسقط عليه وعلى أصحابه سقفه فمات هو وجماعة معه تحت الهدم سنة ثماني عشرة ومائة وقيل سنة سبع عشرة، وهو ابن ثمان وسبعين سنة.
انظر : تهذيب التهذيب (٩:٣٧٣-٣٧٤) ، خلاصة تهذيب الكمال (:٤٥٢-٤٥٣).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥:٣٠٠)، عند تفسير للآيه (٢٣-٢٤) من سورة نوح.

ثانياً - دعوته عليه الصلاة والسلام :

١ - **الدعوة إلى عبادة الله تعالى** ، ودل على ذلك قوله تعالى : ((**ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم**))[١] .

بدأ عليه الصلاة والسلام دعوته لقومه، بعبادة الله وحده لا شريك له وتحذيرهم من كل ما يعبدون من دون الله سواء كانت هذه المعبودات من الأولياء والصالحين الذين فتن الناس بهم، أو كانت من الأصنام والتماثيل التي صنعوها أو صُنعت لهم ، إذ كانوا يرجون منها إجابة المسألة، ويطلبون منها النجدة في حال الكرب، وكشف الغمة وقت الضيق، وهي في الحقيقة لا تقرب لهم نفعاً، ولا تدفع عنهم ضراً، كما قال تعالى في ذم أهل الشرك: ((**ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هٰؤلاء شفعٰؤنا عند الله..**))[٢] .

٢ - **أسلوبه في دعوته عليه السلام** :

دعاهم عليه السلام إلى تحقيق عبادة الله تعالى وحده، والبراءة من كل ماسواه، فخاطبهم بأسلوب الإنذار وجاء به مقدماً (**إنى لكم نذير مبين**) فأبدى التخويف وأظهر الإشفاق عليهم من عذاب ذٰلك الأليم، كما في قوله :((**إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم**)) والذى لاخلاص ولا منقذ لهم منه إلا بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له.

والمراد باليوم في الآيه هو : يوم القيامة، أو يوم الطوفان، واللفظ يحتمل المعنيين[٣].

---

(١) سورة هود : الآية (٢٥-٢٦) .

(٢) سورة يونس : الآية (١٨) .

(٣) تفسير أبي السعود : (٤:٢٠٠).

واقتصر في الآية على ذكر كونه صلى الله عليه وسلم نذيراً، لا لأن دعوته عليه السلام كانت بطريق الإنذار فقط، بل لأن قومه لم يغتنموا مغانم ابشاره صلى الله عليه وسلم[1] إذ أنه عليه السلام دعاهم بأسلوب البشارة ايضاً ، كما قصه الله تعالى علينا في سوره نوح بياناً لدعوة نبيه عليه السلام في قوله ((**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفّاراً . يرسل السماء عليكم مدراراً. ويمددكم بأموٰل وبنين ويجعل لكم جنٰت ويجعل لكم أنهٰراً**))[2] .

وبجانب أسلوب البشارة أيضا فإنه عليه السلام دعاهم:

بأسلوب الدعوة عن طريق التنبيه على قدرة الله تعالى في الكون والأنفس، فوجههم إلى التأمل في مخلوقات الله تعالى الدالة على عظم خالقها، وكماله وجلاله واستحقاقه جل وعلا لأن يعبد وحده.

فدعاهم إلى التأمل في آيات الله في أنفسهم بدءاً بنشأتهم، ومروراً بمراحل خلقهم وفي الكون من حولهم ، كما قال تعالى إخباراً عن دعوة نبيه: ((**مالكم لا ترجون لله وقاراً. وقد خلقكم أطواراً. ألم تروا كيف خلق الله سبع سمٰوٰت طباقاً. وجعل القمر فيهن نوراً. وجعل الشمس سراجاً. والله أنبتكم من الأرض نباتاً. ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً. والله جعل لكم الأرض بساطاً * لتسلكوا منها سبلا فجاجاً**))[3] .

ففي تذكيرهم بهذه الأمور التي يحسونها ويشاهدونها وقعاً مؤثراً يقود إلى استجابة من له أدنى مسكة من عقل أو تفكير.

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود (٤:٢٠٠) .
(٢) سورة نوح : الآيه (١٠-١٢) .
(٣) سورة نوح : الآية (١٣-٢٠).
(٤) تفسير ابن كثير : (٤:٤٥٤) .

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره : ((وكل هذا مما ينبههم نوح عليه السلام على قدرة الله تعالى وعظمته في خلق السموات والأرض، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية، فهو الخالق الرازق، جعل السماء بناءً والأرض مهاداً، وأوسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد، ولا يشرك به أحد، لأنه لا نظير له، ولا عديل له، ولا ند ولا كفء، ولا صاحبة ولا ولد، ولا وزير ولا عشير، بل هو العلي الكبير))[1] .

ثالثاً : موقف قومه من دعوته عليه السلام:

ودل على هذا قوله تعالى فيما أخبر عنهم :((**فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نرىٰك إلا بشراً مثلنا وما نرىٰك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى ومانرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كٰذبين**))[2]

فهذه الآيات تدل على أن قومه عصوه، ولم يستجيبوا لدعوته مع وضوحها، ودلالة البراهين النقلية والعقلية على صدقها.

فتصدر الملأ وهم كبراء قومه وأشرافهم الذين كفروا بالله، وجحدوا نبوة نبيهم نوح عليه السلام؛ فأرادوا أن يوجدوا مخلصاً لأنفسهم يخلصون به من معرة عدم الاستجابة مع وضوح الحق، فشنوا حرباً نفسية على الرسول وأتباعه، ودعوته بغية توهين العزائم، وتثبيط الهمم، وإضعاف الشوكة، والإبقاء على ماهم فيه من زعامة ورئاسة، وشغل سواد الناس بتناقل ما انتحلوه من أعذار وأباطيل وحجج، زعماً منهم أنها السبب في عدم استجابتهم فظلوا أنفسهم وأضلوا غيرهم ، فقاسوا الأمور الإيمانية على الأمور الحسية والمقاييس الأخروية على الدنيوية.

وأثاروا شبهاً متعددة.

الأولى : ترجع إلى الداعي وهو الرسول نوح عليه السلام.

الثانية : ترجع إلى الذين استجابوا للدعوة.

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٥٤،

(٢) سورة هود : الآيه (٢٧).

الثالثة: ترجع للدعوة ذاتها وتتحد في عدم رؤية فضل للرسول وأتباعه عليهم.

الرابعة : الشك في صدق الرسول عليه السلام.

ودل على ذلك ما أخبر الله تعالى عنهم في قوله :((**فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نرئك إلا بشراً مثلنا وما نرئك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كٰذبين**)) وإليك بيانها في الآتي:

الشبهة الأولى: وهي التى ترجع إلى الداعي وهو نبي الله نوح عليه السلام فدل عليها قوله تعالى: ((مانرئك إلا بشراً مثلنا...)).

والمعنى : أن الرسول بشر، وأن صفة البشرية يتساوون فيها جميعاً فإن أهّلته للرسالة فلا تبعدهم عنها، بل هم أحق بالرسالة منه في نظرهم كيف وهم أهل الشرف والرئاسة، ((إن حضروا ملأوا القلوب هيبة وجلالا، وأضفوا على المجالس أبهة واحتراماً))[١].

ثم إن وصف البشرية في نظرهم لا تؤهله لأن يكون في مقام الآمر والناهي، والمبلغ عن الله تعالى، وسيأتي مزيد ايضاح فيما بعد إن شاء الله.[٢]

أما الشبهة الثانية: وهي التى ترجع إلى الذين استجابوا لدعوة نوح عليه السلام فهي : ما أخبر الله تعالى عنهم في قوله: ((**وما نرئك إتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى..**)).

ومقصودهم: انتقاص أتباع الرسول عليه السلام واحتقارهم، أي: كيف نتبعك ولم يستجب لدعوتك، ولم يقم بمتابعتك إلا القوم الذين هم دوننا في ((الشرف والفضيلة من الزراع، والصناع، والعمال والحاكة))[٣] الذين لا تعد استجابتهم نصرة للدعوة، ولا إظهاراً لقيمتها، إذ أنهم ينقادون لأول دعوة، ويستجيبون من أول وهله، دون تفكر في الأمور، ولا نظر في العواقب[٤] وهذا في نظرهم ((مرجح لرد دعوته والتولي عنه))[٥].

---

(١) انظر : روح المعاني (١٥٠/٨) عند الآيه ٦٠،[الأعراف].

(٢) انظر الفصل الثاني : أن الرسل بشر من الباب الرابع ص: (٥٠٨) من الرسالة.

(٣) تفسير ابن كثير (٤٥٨:٢).

(٤) المرجع السابق : (٤٥٨:٢) .

(٥) تفسير المنار : (٦٢:١٢) .

أما الشبهة الثالثة: وهي ترجع للدعوة ذاتها وتتحدّدفي : عدم رؤية فضل للرسول وأتباعه عليهم . كما قال تعالى فيما أخبر عنهم : ((**وما نرىٰ لكم علينا من فضل..**)).

أي : كيف نتبعك ونحن لا نرى فضلاً لكم علينا في جميع المعايير والمقاييس الدنيوية، التي يتفاضل بسببها الخلق على بعضهم البعض من خَلْق ولا خُلُق، ولا رِزق، ولا حال لما دخلتم في دينكم.(١)

فالنبوة: لم تكسبك فضلاً علينا؛بل حصيلتك من دعوتك إتباع الناس الساقطين من أعيننا، فلا يرفعون لك شأناً، ولا يعلونك قدراً، ولم نجد في دعوتك مارفع هؤلاء السفلة الذين استجابوا لدعوتك عن مقامهم الذي عهدناه فيهم، أو مقعدهم الذي عرفناهم به.. اللهم إلا إن أردت التنازل عما نحن فيه من شرف وفضيلة وقوة وجاه لنتساوى مع هؤلاء.. وهذا ما لا يخطر ببالنا ولا يتأتى منا بأي حال من الأحوال.

أما الشبهة الرابعة فهي : الشك في صدق رسولهم:

فأضربوا عما أثاروه من شبهات، وما رموه من مطاعن إلى ماهو أعظم إذ قالو : ((**بل نظنكم كذبين**)).

وهذا الظن منهم قائم على الشك والحيرة ((ولا مستند له إلا مجرد العصبية، واستبقاء ماهم فيه من الرئاسة الدنيوية))(٢) .

قال الطبري : ((وهذا خطاب منهم لنوح عليه السلام، وذلك أنهم إنما كذبوا نوحاً دون أتباعه، لأن أتباعه لم يكونوا رسلاً، وأخرج الخطاب وهو واحد مخرج الجميع كما قيل ((**يأيها النبي إذا طلقتم النساء..**))(٣) وتأويل الكلام: بل نظنك يانوح في دعواك أن الله ابتعثك إلينا رسولاً كاذباً))(٤) .أهـ.

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٤٥٨:٢) .
(٢) فتح القدير للشوكاني : (٤٩٣:٢) .
(٣) سورة الطلاق ، الآيه (١) .
(٤) تفسير الطبرى : (٢٧:٧-٢٨) .

وقيل : الخطاب لنوح عليه السلام وأتباعه، أي : ((بل نظنكم جميعاً كاذبين لكون كلامكم واحد، ودعوتكم واحدة، أو إياك في دعوة النبوة وإياهم في تصديقك))(١).

رابعا: موقف نوح عليه السلام من هذه الشبهات:

فقد تتبع عليه الصلاة والسلام هذه الحجج الباطلة والشبه الضالة التي أثارها معاندي قومه والمكذبين لرسالته، وفندها عليه السلام برفق ولين. فوجه أنظارهم وأثار أحاسيسهم في تلطف لإدراك القيم التي خفيت عليهم، والخصائص التي غفلوا عنها في أمر الرسالة والإختيار لها(٢).

ويتضح ذلك في الآتي:

١- **أعلن عليه السلام وضوح صدقه في دعوته لكونه على بينة من ربه** : كما أخبر الله تعالى عنه في قوله جل وعلا: ((**قال يٰقوم أرءيتم إن كنت على بينة من ربى وءاتنى رحمة من عنده فعمّيت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كٰرهون**))(٣).

ومعنى الآية : ((**أرءيتم إن كنت على بينة من ربى**)) أي على علم ومعرفة وبيان من الله لي ما يلزمني له ويجب علي من إخلاص العبادة له، وترك إشراك الأوثان معه فيها(٤).

((**وءاتنى رحمة من عنده**)) يقول: ورزقني منه التوفيق والنبوة والحكمة، فآمنت به وأطعته فيما أمرني به ونهاني(٥).

((**فعميت عليكم**)): أي خفيت عليكم فلم تهتدوا إليها، ولا عرفتم قدرها بل بادرتم إلى تكذيبها وردها(٦).

---

(١) روح المعاني للآلوسي : (٢٧:٧-٢٨) .
(٢) انظر : في ظلال القرآن (١٨٧٣:٤).
(٣) سورة هود : الآيه (٢٨) .
(٤) تفسير الطبري : (٢٨:٧) ومعنى قوله (معه فيها) أي: إشراك الأوثان مع الله أى في العبادة.
(٥)(٦) تفسير ابن كثير : (٤٥٩:٢) .

((**أنلزمكموها وأنتم لها كُرهون**)) والإستفهام للإنكار، أي: لا يمكنني أن أضطركم إلى المعرفة بها والحال أنكم لها كارهون.

والمعنى : أخبروني إن كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي إلا أنها خافية عليكم أيمكننا أن نضطركم إلى العلم بها، والحال أنكم لها كارهون غير متدبرين فيها، فإن ذلك لا يقدر عليه إلا الله عز وجل.(١)

٢ - أعلن عليه السلام تجرد الدعوة عن المطامع الدنيوية:

((**ويٰقوم لا أسئلكم عليه مالاً إن أجرى إلا على الله..**)) (٢).

ثم إن دعوتي متجردة من كل المطامع الدنيوية التي جعلتموها ميزانا ومقياساً للتفاضل بين البشر إذا أنني داع من الله أدعو عباد الله ، شريفهم ووضيعهم، ذكرهم وأنثاهم، غنيهم وفقيرهم.. كما أمرني ربي، فهذه الدعوة انتفت فيها الفوارق بين البشر بالموازين الدنيوية، لذلك انعدمت فيها الأطماع الدنيوية، فلا أطلب مالاً تؤدونه إلى بعد إيمانكم، ولا أجراً أتقاضاه منكم في مقابل اهتدائكم.(٣)

٣ - أما الشبهة الثالثة والرابعة : فجاء رده عليه السلام بإعلانه **تساوي الجميع أمام دعوته**، كما أخبر الله تعالى عنه في قوله :((**وما أنا بطارد الذين ءامنوا إنهم ملٰقوا ربهم ولٰكنى أركم قوماً تجهلون. ويٰقوم من ينصرنى من الله إن طردتهم أفلا تذكرون**)) (٤).

---

(١) فتح القدير : للشوكاني (٤٩٤:٢) .

(٢) سورة هود: الآية (٢٩) .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود : (٣٠٣:٤) .
وروح المعاني للآلوسي : (٤١:٢) بتصرف .

(٤) سورة هود الآية (٢٩-٣٠).

أي إن الذين زعمتموهم أراذل واستعليتم عليهم بفوارق الاستعلاء في نظركم، دعوتهم إلى الإيمان بالله وحدة فآمنوا، وأنتم وإياهم سواء أمام التكاليف الشرعية، والكل مردودون إلى الله وسيوفيكم أجوركم وثواب أعمالكم فلا تحرموا أنفسكم خير هذه الدعوة في دنياكم وآخرتكم بأوهام فاسدة أو شبه ضالة.

٤) في التذكير بنصر الله تعالى لمن أطاعه:

((ويٰقوم من ينصرني من الله ان طردتهم أفلا تذكرون))

ثم إن الذين استجابوا للدعوة إن طردتهم في الدنيا نزولاً على رغبتكم وتأليفاً لقلوبكم رجاء إيمانكم ونصركم لي ولدعوتي في الدنيا، إلا أن هذا النصر وإن حصل في الدنيا استدراجاً فهو مبتور غير موصول، ((**إذ لا أجدٰ من ينصرني من الله حين القدوم عليه بأن يمنع عني ما استحق من عقابه إن طردتهم بعد إيمانهم بالله تعالى واتباعهم إياى فيما بلغتهم عنه، وهو ظلم عظيم يقتضي العقاب الشديد بعدل الله مهما تكن صفة من اقترفه**))[١].

وقد جاء التصريح بكون هذا ظلماً في قوله تعالى خطاباً وانذاراً لرسوله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: ((**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوٰة والعشىّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىءٍ وما من حسابك عليهم من شىءٍ فتطردهم فتكون من الظٰلمين**))[٢].

---

(١) تفسير المنار: (١٢:١٦).

(٢) سورة الأنعام: الآية (٥٢).

وهذا يبين تشابه مواقف الرسل وتماثله من مواقف المعاندين لهم، فالقوم تناسوا المقومات الأساسية للدعوة التي لا تنظر للفوارق الدنيوية وإنما تقوم على المقومات التي لا تتبدل بحسب المقاييس، وهذا يدل على جهلهم وعدم استجابتهم للدعوة، وهذا ما أخبر عنه ربنا عز وجل عن قيل نوح عليه السلام للمعاندين **((ولكني أراكم قوماً تجهلون))**(١) إذ الحامل لكم على إثارة هذه الشبهات هو أنكم تجهلون الواجب عليكم من حق الله واللازم لكم من فرائضه، ولذلك من جهلكم سألتموني أن أطرد الذين آمنوا بالله))(٢).

وجهلكم بكل ما ينبغي أو يعلم من أنكم ملاقوا الله فيحاسبكم ويوفيكم جزاءكم، وتجاهلتم أو جهلتم منزلة هؤلاء المستجيبين عند الله، عندما قصرت أفهامكم عن ميزان التفاضل الحقيقي، وهو التقوى ومتابعة الرسول، وتعاميتم عنه إلى غيره، وزعمتم أن الفقر رذالةٌ والغنى شرفٌ(٣).

٥) في التذكير بحكمة الله تعالى في معاملته لخلقه - وعلمه جل وعلا بأعمال خلقه:

ودل عليه ما قصه الله تعالى علينا في قوله تعالى: **((ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إنى ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما فى أنفسهم إنى اذاً لمن الظٰلمين))**(٤).

((ويتضمن هذا الرد تعريفهم بأن الدنيا هي مجال الابتلاء العام، والمؤمنون والكافرون فيه على السواء، وليست خزائن الله بيده حتى يفيض منها على من آمن برسالته، وليست الدنيا في الأصل دار تفضيل بالأموال والخيرات، إنما التفضيل بحسب الإيمان وصالح الأعمال، فخزائن الله بيد الله، يفيض منها على من يشاء من

---

(١) سورة هود: الآية (٢٩).
(٢) تفسير الطبري: (٣٠:٧).
(٣) قارن بتفسير أبي السعود: (٢٠٢:٤).
(٤) سورة هود: الآية (٣١).

عباده لحمكة الإبتلاء التى يعلمها سبحانه وعلم الغيب الذى يرتبط به تحصيل المنافع المادية الدنيوية، هو أيضاً من خصائص الله تعالى وليس مما وضعه الله بين يدي حتى أستعمله في جلب المنافع الدنيوية لمن آمن معي (١).

ثم بيّن لهم عليه الصلاة والسلام مرة أخرى أن دعوته ترفض احتقار أحد من المؤمنين على حساب مساومته أحدا أو استدارار عاطفته للدخول في الإسلام فلا مجال فيها للإمتياز بمال مطغي أو جاه باطل مردي إنما الامتياز بالإيمان بالله وحده والاستجابة للدعوة.

خامساً: في موقف قومه بعد إقامة الحجة عليهم:

ومع أنه عليه السلام أبطل شبهاتهم بالحجة والبرهان والمنطق السليم وسلك معهم عليه السلام أرقى الأساليب وذكّرهم بآيات الله الآفاقية والنفسية وما أنعم الله به عليهم من الخيرات المادية (٢) إلا أن القوم **أمعنوا** في الضلالة وركبوا طغيانهم في المعاندة والاستهزاء، وآثروا الاستمرار في استهزائهم.

١- فعدوا دعوة الرسول عليه السلام ونصحه من قبيل الجدل.

ثم طلبوا من الرسول عليه السلام أن يأتيهم بالعذاب الذي خوفهم به وخافه عليهم، بعد أن وصفوا مناصحته بأنها جدل، وذلك كما أخبر الله عنه في قوله تعالى **((قالوا يٰنوح قد جٰدلتنا فأكثرت جدٰلنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصٰدقين))** (٣).

---

(١) أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها: عبدالرحمن الميداني (٣٧٨).
(٢) مناهج الجدل: زاهر عواض الألمعي (١٥٦).
(٣) سورة هود: الآية (٣١-٣٢).

سادساً : في رده عليه السلام على استعجال قومه واستهزائهم بدعوته:

فرد عليه الصلاة والسلام عليهم رد مشفق دال على الحق، لم يخرجه التحدي عن حلمه، فقابل عليه السلام إستكبارهم وإعراضهم بالرفق واللطف واللين، وبين لهم عليه السلام أن وظيفته إنما هي إبلاغ الدعوة، وأما إنزال العذاب فإن ذلك إلى الله وحده لا إلى غيره، فهو الذي يأتيهم به إن شاء، فإن اقتضت مشيئته وحكمته بتعجيله عجله لهم، وإن اقتضت مشيئته وحكمته بتأخيره أخره[(١)].

((وإن أراد تعذيبهم فليسوا بفائتين هرباً منه لأنهم حيث كانوا فهم في ملكه وسلطانه وقدرته فحكمه عليهم جار))[(٢)] ((وحينئذ فلا يستطيعون دفعه كما يدفعون نبيهم عليه السلام في الكلام))[(٣)].

ولا ينفعكم تحذيري إياكم لأن نصحي لا ينفعكم لأنكم لا تقبلون إن كان الله يريد أن يهلككم بعذابه.

ثم ذكّرهم بأنهم راجعون إلى الله صائرون إليه بعد الهلاك[(٤)].

سابعاً : في تيئيس الله تعالى لنبيه عليه السلام من إيمان قومه:

فلما عقد المكذبون من قومه نوح العزم على الإستمرار على الكفر بالله تعالى، وتكذيب رسوله عليه السلام، أعلمه الله بما سيكون من أمرهم، فقال تعالى: **((وأوحيَ إلى نوحٍ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد ءامن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون))**[(٥)].

أي : أنه لن يؤمن ((يانوح بالله فيوحده، ويتبعك على ما تدعوه إليه من قومك، إلا من قد آمن، فصدق بذلك واتبعك))[(٦)].

---

(١) انظر : تفسير الطبري: (٣١:٧).
(٢) تفسير الطبري: (٣١/٧-٣٢).
(٣) تفسير أبي السعود: (٢٠٤:٤).
(٤) تفسير الطبري: (٣٢:٧).
(٥) سورة هود: الآية (٣٦).
(٦) تفسير الطبري : (٣٢:٧).

((وهذا إخبار من الله تعالى لنبيه عليه السلام بأن إيمان المعاندين من قومه ميؤوس منه، وإعلام بكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه))[١].

وهذا الاستثناء[٢] على طريقة قوله تعالى: ((إلا ما قد سلف...))[٣].

ثامناً: في تسلية الله تعالى لرسوله عليه السلام بالانتقام من مكذبيه:

ثم أتبعه الحق تبارك وتعالى بما يسلي رسوله عليه السلام، بوعده بالانتقام ممن كذبه لأن القوم لهم قدم سبق في الكفر، وإعلان العداوة على الرسول، وتكذيبه، والاستهزاء به، فقال تعالى مسلّيا نبيه عليه السلام: ((**فلا تبتئس بما كانوا يفعلون**))[٤].

وابتأس: افتعل من البؤس، ويقال: ابتأس الرجل، إذا بلغه شيء يكرهه[٥].

فنهاه تعالى عن ابتئاسه وهو حزنه عليهم في استكانة[٦] ((**بما كانوا يفعلون**)) أي: ((من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الإنتقام منهم))[٧].

فحينئذ[٨] دعا نوح عليه السلام عليهم كما جاء في سورة نوح: ((**وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكٰفرين ديّاراً**))[٩] وفي سورة القمر: ((**فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر**))[١٠].

---

(١)و(٢) تفسير أبي السعود:(٤:٢٠٥).

(٣) كما في قوله تعالى: ((ولا تنكحوا ما نكح ءاباؤكم من النساء إلا ما قد سلف..)) [٢٢:النساء]. وقوله تعالى: ((وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف..)) [٢٣: النساء].

(٤) سورة هود: من الآية (٣٦).

(٥) تفسير القرطبي: (٩:٣٠)، والبحر لأبي حيان: (٥:٢٢٠).

(٦) تفسير القرطبي: (٩:٣٠)، وفتح القدير للشوكاني: (٢:٤٩٧).

(٧) البحر المحيط: (٥:٢٢٠).

(٨) تفسير البغوي: (٢:٢٢٩)، والخازن: (٢:٢٢٩).

(٩) سورة نوح: الآية (٢٦).

(١٠) سورة القمر: الآية (١٠).

تاسعاً: في المفاصلة بينه وبين قومه ويتضح في:

أ- في أمره بصنع السفينة:

فعرفه الله تعالى بوجه إهلاكهم، وألهمه الأمر الذي يكون به خلاصه وخلاص من آمن معه[(١)] فقال تعالى: ((**واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنَّهم مغرقون**))[(٢)].

والفلك : السفينة[(٣)].

وقرن الأمر بما يؤنِّسه ويشد من عزيمته فقال: ((**بأعيننا**)) أي: ((بمرآى منا))[(٤)].

فعلى عين الله صُنعت وعلى عينه جرت، كما قال تعالى: ((**تجرى بأعيينا جزاءً لمن كان كفر**))[(٥)].

والمراد بقوله: ((**ووحينا**)) أي: تعليمنا لك ما تصنعه[(٦)]..

ب- في نهيه عن الشفاعة في الظالمين:

ثم نهاه الله عز وجل أن يشفع في قومه الكفار، فيطلب إمهالهم وعلل منع مخاطبته بأنه حكم عليهم بالغرق، لأن عذاب الله إذا جاء لايؤخر، فقال تعالى: ((**ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون**)) فنهاه عن سؤال الإيجاب إليه، كقوله تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ

---

(١) فتح القدير: للشوكاني (٢:٤٩٧).
(٢) سورة هود: الآية (٣٧).
(٣) تفسير ابن كثير: (٢:٤٦٠).
(٤) تفسير البغوي: (٢:٢٣٠)، وتفسير ابن كثير: (٢:٤٦٠).
(٥) سورة القمر: الآية (١٤).
(٦) تفسير ابن كثير: (٢:٢٦٠).

﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ (١) وعلل النهى بقوله ((إنهم مغرقون)) (٢) فـ ((فلا تطلب إمهالهم فإني مغرقهم)) (٣).

عاشراً: في صنعه عليه السلام السفينة واستمرار قومه في العناد:

فامتثل عليه السلام أمر ربه وأخذ في صنع السفينة، قال تعالى: ((**ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه...**)) (٤).

ففي قوله((**ويصنع**)) ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالاً من ضميره في قوله تعالى: ((**وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه...**)) أي مع استمراره في الصنع يستمرون في الاستهزاء به أي: استهزؤوا به لعمله السفينه (٥) وهذا التعبير يدل على أن السخرية منهم في كل وقت في تجديد واستمرار، فقابلوه عليه السلام بالسخرية فيما يفعل، كما قابلوه بالسخرية فيما يقول ويدعو إليه.

وسخريتهم منه:

-إما لأنه عليه السلام كان يصنعها في برية بعيدة عن الماء.

---

(١) سورة هود: الآية (٧٦).
(٢) انظر: البحر المحيط: (٥:١٢٠-١٢١).
(٣) تفسير القرطبي: (٩:٣٠).
(٤) سورة هود: الآية (٣٨).
(٥) روح المعاني: للآلوسي (١٢:٥٠).

-وإما لأنهم ما كونوا يعرفونها، ولا كيفية استعمالها، فعجبوا من ذلك وسخروا منه، وأكثر المفسرين على هذا[١] وعلى هذا استند من قال بأن الأرض لم يكن فيها بحار قبل الطوفان.

وعلى كُلٍّ فهم ساخرون، مستبعدون للعذاب مستهزؤون به، وقد قالوا من قبل: ((فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصّٰدقين))[٢].

وقد قابل عليه السلام السخرية مثلها، لأنه لا أمل يُرجى منهم بعد أن آيسه الله من إيمانهم فقال عليه السلام ما أخبر الله عنه في قوله: ((قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون))[٣].

وأورد الخازن في تفسيره تساؤلاً عن ورود السخرية كما في هذه الآية على لسان النبي عليه السلام، والسخرية لاتليق بمقام النبوة؟ فأجاب عن ذلك بقوله:

((إنما سمي هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام، كما في قوله تعالى: ((وجزاء سيئة سيئة مثلها...))[٤] والمعنى: ((إنا نرى غب سخريتكم بنا إذا نزل بكم العذاب))[٥] ثم أعقبه بـ (التهديد بالعذاب) كما في قوله تعالى: ((فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذابٌ مقيم))[٦].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: (٣٢:٩)، وروح المعاني: للآلوسي (٥٠:١٢).
(٢) سورة هود: الآية (٣٢).
(٣) سورة هود: الآية (٣٨).
(٤) سورة الشورى: الآية (٤٠).
(٥) تفسير الخازن: (٢٣١:٢)، وانظر: تفسير البغوي: (٢٣١:٢).
(٦) سورة هود: الآية (٣٩).

الحادي عشر: التهديد بالعذاب:

وتهديدهم به في قوله تعالى: ((**فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم**))[١].

أي فسوف ترون: أينا يأتيه نحن أو أنتم عذاب يخزيه[٢] أي يفضحه، أو يذله، أو يهلكه، كلها أقوال متقاربة، والمراد به عذاب الغرق في الدنيا[٣].

وأطلق لفظ (الخزي) في كثير من الآيات على عذاب الدنيا، كما قال تعالى في توعده لبني اسرائيل: ((**فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحيوٰة الدنيا..**))[٤] وقال تعالى في توعده لمن منع مساجده جل وعلا أن يذكر فيها اسمه: ((**لهم في الدنيا خزى ولهم فى الأٓخرة عذاب عظيم**))[٥] وقال عن قوم يونس: ((**فلولا كانت قرية ءامنت فنفعها إيمٰنها إلا قوم يونس لما ءامنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى في الحيوٰة الدنيا ومتعنٰهم إلى حين**))[٦].

وسمي خزيا لأنه يخزي صاحبه ويحل عليه العار[٧].

ثم توعدهم بعذاب الآخرة في قوله:((**ويحل عليه عذاب مقيم**)).

ومعنى يحل: ((يجعل المؤجل حالا مأخوذ من حلول الدين المؤجل))[٨].

والمراد بالعذاب: عذاب الآخرة وهو عذاب النار الذي لا انقطاع له كما قال (**عذاب مقيم**) أي دائم[٩].

---

(١) سورة هود: الآية (٣٩).
(٢) تفسير الخازن: (٢٣١/٢).
(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان: (٢٢٢/٥)، وروح المعاني للآلوسي (51/12)
(٤) سورة البقرة: الآية (٨٥).
(٥) سورة البقرة: الآية (١١٤).
(٦) سورة يونس: الآية (٩٨).
(٧) تفسير الشوكاني: (٤٩٨/٢).
(٨) و(٩) تفسير الشوكاني: (٤٩٧/٢).

الثاني عشر: في الإشعار ببدء ساعة الهلاك:

فأخبر الله عنه في قوله: ((**حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن ءامن وما ءامن معه إلا قليل**))[(١)].

فإن الله تعالى ضرب لنبيه موعداً يتبين له ساعة بدء إهلاك الكاذبين والتهيؤ لركوب السفينة للنجاة بها، وهو فوران التنور.

((**وفار**)) معناه انبعث بقوة.

((**والتنور**)) وجه الأرض، والعرب تسميه تنوراً، أو التنور الذي هو مستوقد النار... وقيل غير ذلك. وأكثر المفسرين حملوه على هذا[(٢)] وهو اختيار الطبري: ونص على ذلك بقوله:

(وأولى الأقوال عندنا بتأويل قوله (التنور) قول من قال: هو التنور الذي يخبز فيه لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا بخلاف ذلك فيسلم لها)[(٣)].

و (ال) في (التنور) ((**يحتمل أن تكون للعهد لتنور مخصوص**)).

ويحتمل أن يكون للجنس ((**ففار الماء من التنانير**)) وكان ذلك من أعجب الأشياء أن يفور الماء من مستوقد النيران، ولا تنافي بين هذا وبين قوله تعالى: ((**وفجرنا الأرض عيوناً...**))[(٤)] إذ يمكن أن يراد بالأرض أماكن التنانير والتفجير غير الفوران، فحصل الفوران للتنور والتفجير للأرض...[(٥)].

---

(١) سورة هود: (٤٠).
(٢) تفسير البحر المحيط: (٢٢٢/٥).
(٣) تفسير الطبري: (٤٠/٧).
(٤) سورة القمر: الآية (١٢).
(٥) تفسير البحر المحيط: (٢٢٢/٥).

الثالث عشر: في الأخذ بأسباب النجاة:

والحاصل أن الله تعالى قد جعل فوران التنور بالماء آية مجيء عذابه لهلاك قوم نوح، فإذا رأى الماء قد اشتد نبوعه، وقوي من التنور أمره الله تعالى بأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين حفظاً لبقاء أصل النسل للكائنات بعد الطوفان) قال تعالى: ((**حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن ءامن وما ءامن معه إلا قليل**))[١].

والزوجان: كل اثنين لا يستغني أحدهما عن الآخر، يقال لكل واحد منهما زوج، والمراد بالزوجين هنا الذكر والأنثى[٢].

ولانجاء من آمن من الغرق قال تعالى: ((**وأهلك**)) أي ولدك وعيالك[٣] ثم استثنى تعالى من لم يؤمن **فقال**: ((**إلا من سبق عليه القول**)) أي من سبق عليه بالهلاك وهم: ابن كنعان، وامرأته كانا كافرين[٥].

وأمره أيضاً أن يحمل من آمن بدعوته فقال: ((**ومن آمن**)) ووصفهم الله بقوله: ((**وما ءامن معه إلا قليل...**)) وفي هذا دليل على إكرام الله تعالى لعباده المؤمنين فعددهم قليل ولكن ميزانهم عند الله عظيم... فمع قلتهم أمر الله تعالى السماء أن تمطر، والأرض أن تنبع لانجاء المؤمنين وتخليصهم من أذى أعدائهم وإهلاك الكافرين.

ومن المفسرين من خاض بما لا دليل عليه في تحديد عدد من آمن، والصواب من القول في ذلك كما يقول الطبري: ((أن يقال كما قال الله: ((**وما ءامن معه إلا قليل**)) يصفهم بأنهم كانوا قليلاً، ولم يحدد عددهم بمقدار، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح، فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك خبر الله، إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله، أو أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم))[٦].

---

(١) سورة هود: الآية (٤٠).
(٢) تفسير القرطبي: (٩٤/٩٠).
(٣) تفسير البغوي: (٢٣٢/٢)، وتفسير الخازن: (٢٣٢/٢).
(٤) تفسير البغوي: (٢٣٢/٢).
(٥) تفسير البغوي: (٢٣٢/٢)، وتفسير القرطبي: (٣٥/٩).
(٦) تفسير الطبري: (٤٣/٧).

الرابع عشر: في ركوب السفينة وجريانها:

وبعد أن نفذ نوح عليه السلام أمر ربه، وأَعَدَّ من أَمَرَهُ الله بحمله قال لهم: ((**اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم**))(١).

والمعنى: (وقال نوح اركبوا في الفلك بسم الله مجراها، ومرساها وفي الكلام حذف استغنى بدلالة ما ذكر من الخبر عليه عنه، وهو قوله ((**قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ومن ءامن وما ءامن معه إلا قليل**))(٢) فحملهم نوح وقال لهم ((**اركبوا فيها**)) فاستغنى بدلالة قوله: ((**وقال اركبوا فيها**) لمن حمله إياهم فيها فترك ذكره))(٣) أ.هـ.

وفائدة: في قوله (**اركبوا فيها**) أنهم أن يكونوا في جوفها لا على ظهرها(٤).

قال الضحاك: (كان نوح إذا أراد أن يجري السفينة قال بسم الله، فتجري، وكان إذا أراد أن ترسو يعني تقف قال بسم الله فترسو أي: تقف.

وفي هذا تعليم من الله تعالى لعباده أنه من أراد أمراً فلا ينبغي له أن يشرع، فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سبباً للنجاح والفلاح في سائر الأمور(٥).

مع ما تدل عليه ألفاظ الآية من ((الحث على الركوب، وإزالة ما عسى يختلج في قلوبهم من خوف الغرق ونحوه))(٦).

---

(١) سورة هود: الآية (٤١).
(٢) سورة هود: الآية (٤٠).
(٣) تفسير الطبري: (٤٣/٧).
(٤) تفسير القرطبي: (٣٦/٩).
(٥) تفسير الخازن: (٢٣٣/٢).
(٦) روح المعاني للآلوسي: (٥٦/١٢).

ثم يذكرهم عليه السلام بمالله عز وجل من منة على خلقه تتجلى في مغفرته لذنوبهم وشمولهم برحمته ((**إن ربى لغفور رحيم**)).

أي: (إن ربي لساتر ذنوب من تاب وأناب إليه، رحيم بهم أن يعذبهم بعد التوبة)[١].

الخامس عشر: في موقف نوح عليه السلام من ابنه:

وتأخذ نبي الله نوحاً عليه السلام شفقة الأبوة فيعز عليه أن يرى ابنه يتلقفه الموج فيكون من الهالكين بسبب كفره، ولو آمن لكان من الناجين، كما أخبر الله تعالى عن ذلك في قوله: ((**ونادى نوح ابنه وكان في معزل يبنىَّ اركب معنا ولا تكن مع الكٰفرين**))[٢].

- **الواو في قوله:** ((ونادى)) لا تدل على الترتيب[٣].
- والإبن اسمه كنعان، ويقال إيام[٤].

قال بعض المحققين: إن هذا النداء إنما كان قبل الركوب في السفينه[٥].

وقيل أن يستيقن الناس الغرق. بل كان في أول التنور، وظهور العلامة لنوح وبدايته في الأرض[٦].

وما قول ابن نوح فيما أخبر الله عنه في قوله: ((**قال سـٰاوى إلى جبل يعصمنى من الماء...**))[٧] إلا دليل على معاينته أول الطوفان.

---

(١) تفسير الطبري: (٤٥/٧).
(٢) سورة هود: الآية (٤٢).
(٣) تفسير البحر المحيط: (٢٢٥/٥).
(٤) تفسير القرطبي: (٣٩/٩).
(٥) روح المعاني: (٥٨/١٢).
(٦) انظر : تفسير القرطبي: (٣٩/٩).
(٧) سورة هود: الآية (٤٣).

وعلى كل: فإن هذا النداء ((إنما يتصور قبل أن تنقطع العلاقة بين السفينة والبر، إذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح عليه السلام وبين ابنه من المفاوضة والاستدعاء إلى السفينة))[١]. وبين القصد من المناداة بقوله: ((**يُبنى اركب معنا ولا تكن مع الكٰفرين**)).

وجاء النداء بالتصغير من باب التحنن والرأفة... وكثيرا ما ينادي الوالد ولده كذلك[٢].

والمعنى: اركب معنا في السفينة فتنجو ولاتكن مع الكافرين فتهلك[٣].

وهذا القول تأكيد للأمر في قوله: ((**اركب معنا**)) وهو ينهى عن مشايعة الكفرة والدخول في غمارهم[٤].

وَوُجِّه نداء نوح عليه السلام لابنه بأقوال:

-قيل أن نوحاً عليه السلام لم يعلم أن ابنه كان كافراً، وأنه ظن أنه مؤمن، لذلك قال: ((**ولا تكن مع الكٰفرين**))[٥].

وعلى تقدير أنه لم يعلم كفره فتكون المناداة للإحتمالات الآتية:

١) أن رقة الأبوة حملته على مناداة ابنه[٦].

٢) أو لعل الابن بعد أن رأى تلك الأهوال من بداية الطوفان أن يُسْلِم فينجيه الله بذلك من الغرق، فتكون مناداته على هذا تجديد دعوة له، وتأكد بقوله: ((**ولا تكن مع الكٰفرين**)) أي: اركب مع المؤمنين إذ لا يركب معهم إلا مؤمن[٧].

---

(١) روح المعاني: (٥٨/١٢).
(٢) المرجع السابق: (٥٩/١٢).
(٣) تفسير البحر المحيط: (٢٢٦/٥).
(٤) روح المعاني: (٥٩/١٢).
(٥) تفسير القرطبي: (٣٨/٩-٣٩).
(٦) روح المعاني: (٥٩/١٢).
(٧) البحر المحيط: (٢٢٦/٥)، الخازن: (٢٣٥/٢).

٣) أو أن نوحاً عليه السلام عندما رأى ابنه في (معزل) ظن أن فعله هذا إنما هو إعلان تراجع من الإبن عن كفره.

((والظاهر أن الإبن كان يخفي معتقده على أبيه))[١]، وإلا لما سأل النبى عليه السلام نجاته، والله أعلم.

السادس عشر: في إصرار ابن نوح على كفره واستمرار نوح عليه السلام في نصحه له:

ولكن العناد بلغ مداه، والإصرار يصل إلى منتهاه من ابن نوح يدل على هذا ماأخبره الله عنه في قوله: ((**قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء...**))[١].

أي سأصير إلى جبل أتحصن به من الماء فيمنعني من الغرق[٢].

ومعنى قوله: (**يعصمنى**) يمنعني مثل عصام القربة الذي يشد به رأسها، فيمنع الماء أن يسيل.

ظنا منه أن ذلك المطر والتفجير على العادة[٣].

وأن الماء كسائر المياه في أزمنة السيول المعتادة التي ربما يتقي فيها بالصعود إلى مرتفع[٤].

وجهلا منه بأن ذلك إنما كان لإهلاك الكفرة فلا بد أن يدركهم ولو كانوا في قلل الجبال[٥].

---

(١) معارج الصعود للأمين: (

(١) سورة هود: الآية (٤٣).

(٢) انظر: تفسير البغوي: (٢/٢٣٣).

(٣) البحر المحيط: (٥/٢٢٦).

(٤) روح المعاني للآلوسي: (١٢/٥٩).

(٥) روح المعاني للآلوسي: (١٢/٥٩).

وبين الرسول عليه السلام لابنه عظم الأمر وحقيقة الحال ليتراجع عن الكفر المحال[١] كما أخبر الله تعالى عنه في قوله: ((**لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم...**))[٢] أي لا مانع يمنع من عذاب الله إلا من رحم، لأن هذا اليوم يوم حق فيه العذاب على الكفار.

وانتصب (**عاصم**) على التبرئة.

ويجوز (**لاعاصم اليوم**) فتكون (لا) بمعنى (ليس) (إلا من رحم) في موضع استثناء ليس من الأول، أي لٰكن من رحمه الله فهو يعصمه قاله الزجاج.

ويجوز أن تكون في موضع رفع على أن عاصماً بمعنى (معصوم) مثل (ماء دافق) أي مدفوق فالاستثناء على هذا متصل.

قال الشاعر:

دع المكارم لاتنهض لبغيتها * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي**[٣]

أي: المطعوم المكسو.

قال النحاس[٤]: من أحسن ما قيل فيه أن تكون (من) في موضع رفع بمعنى: (لايعصم اليوم من أمر الله إلا الراحم) أي: إلا الله، وهذا اختيار الطبري، ويقول القرطبي في تأييده لهذا القول:

---

(١) انظر: روح المعاني للآلوسي: (٦٠/١٢).

(٢) سورة هود: الآية (٤٣).

(٣) قائله الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر. والبيت في ديوان الحطيئة: (ص٢٨٤).

(٤) هو: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس النحوي المصري، كان مفسراً أديباً ألف مؤلفات عديدة في التفسير والنحو والأدب.له تصانيف مفيدة منها: تفسير القرآن الكريم، وإعراب القرآن، والناسخ والمنسوخ، والاشتقاق، والكافي في النحو، وغيرها. توفي بمصر سنة ٣٣٨هـ.

انظر ترجمته في : وفيات الأعيان (٩٩/١-١٠٠)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٣٦/١١).

ويحسن هذا أنك لم تجعل عاصما بمعنى معصوم فتخرجه من بابه ولا (إلا) بمعنى لكن[١].

وبين الله تعالى نهاية ابن نوح المصر على كفره وعناده، بقوله: ((**فحال بينهما الموج فكان من المغرقين**))[٢] أي: حال بين نوح وابنه الموج فتعذر خلاصه من الغرق فكان من المغرقين[٣].

السابع عشر: في سؤال نوح عليه السلام ربه نجاة ابنه:

ودل عليه قوله تعالى: ((**قال نوح ربي ان ابني من أهلي وإن وعدك الحق**)) أي وقد وعدتني بنجاة أهلي ووعدك الحق الذي لايخلف[٤].

ثم توسل عليه السلام إلى الله تعالى بما هو أهله فقال: ((**وأنت أحكم الحاكمين**))[٥] أي: ((أتقن المتقنين، وكل ماتخبر به فهو محكم متقن، وكذا ما تأمر به، فما وعدتني به، إحكامك واتقانك أن أن تنجزه لي))[٦].

((والظاهر أن نداء نوح عليه السلام كان في أوائل مجيء الغرق، ولا ينافيه قوله قبل ذلك: ((**وقيل يأرض ابلعي...**))[٧] لأن العطف بالواو وهي لمطلق الجمع لا تقتضي الترتيب))[٨].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: (٤٥/٧-٤٦)، وتفسير القرطبي: (٣٩/٩-٤٠)، ولمزيد من الاطلاع في وجوه إعراب الآية انظر : كتاب إعراب القرآن للدرويش: (٣٥٧/٤-٣٥٨).

(٢) سورة هود: الآية (٤٣).

(٣) انظر: تفسير القرطبي: (٤٠/٩)، وتفسير الشوكاني: (٥٠٠/٢).

(٤) تفسير ابن كثير: (٤٦٣/٢).

(٥) سورة هود: الآية (٤٥).

(٦) معارج الصعود إلى تفسير سورة هود: (١٢٥).

(٧) سورة هود: الآية (٤٤).

(٨) معارج الصعود إلى تفسير سورة هود: (١٢٥).

وأجاب العلماء عن سؤال نوح عليه السلام بجوابات وهي:

١- إنما سأل نوح ربه ابنه لقوله : ((**وأهلك**)) وترك قوله ((**إلا من سبق عليه القول**)) فلما كان عنده من أهله قال ((**رب إن ابنى من أهلى**)) يدل على ذلك قوله ((**ولا تكن مع الكفرين**)) أي: لا تكن ممن لست منهم لأنه كان عنده مؤمن في ظنه وإلا لم يكن نوح عليه السلام يقول لربه ((**إن ابنى من أهلى**)) إلا وذلك عنده كذلك. إذ محال أن يسأل اهلاك الكفار ثم يسأل في انجاء بعضهم، وكان ابنه يسر الكفر ويظهر الإيمان.

فأخبر الله تعالى نوحاً بما هو منفرد به من علم الغيوب أي علمت من حال ابنك مالم تعلمه أنت[(١)] ((**فأجابه الله عز وجل: ((إنه ليس من أهلك))**)) يعنى أنه ((ليس من أهل دينك ولا ولايتك)) لأن أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو مايجرى مجراهما.

ولما حكمت الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الأحكام بين المسلم والكافر قال الله سبحانه وتعالى لنوح عليه السلام: ((**إنه ليس من أهلك**)).

وهذا يدل على أن حكم الاتفاق في الدين أقوى من حكم النسب)).

ثم بين الله تعالى السبب في إهلاكه والعلة التي أخرجته من الأهل في قوله ((وأهلك)) بقوله : ((**إنه عمل غير صالح**))[(٣)] **وفي الآية قراءتان:**

*القراءة الأولى[(٤)] : ((إنه عَمِلَ غيرَ صالح)) أي إنه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح.

* **القراءة الثانية**[(٥)] : ((**إنه عَمَلٌ غير صالح**)) أي إن ابنك ذو عمل وصاحب عمل غير صالح.

---

(١) تفسير القرطبي : (٤٥/٩) .
(٢) تفسير الخازن : (٢٣٥/٢) .
(٣) سورة هود : الآية (٤٦).
(٤) هذه القراءة عن ابن عباس وعكرمة ويعقوب والكسائي واختيار أبي عبيد.
(٥) قراءة الباقون من القراء. انظر تفسير القرطبي (٤٧/٩).

ويجوز على هذه القراءة أيضاً عود الضمير على السؤال، أي سؤالك إياي أن أنجيه عمل غير صالح.[١] .

والصحيح هو ارجاع اللفظ للابن، لأن قوله (إنه عمل غير صالح) كتعليل لنفي قرابة الابن من الأهل.

يقول القرطبي : ((وفي الآية دليل على أن حكم الاتفاق في الدين أقوى من حكم النسب))[٢]

الثامن عشر : أمرُ الله تعالى برفع ماء الطوفان:

وبعد أن أهلك الله الكفار من قوم نوح بالطوفان حتى وصل الماء إلى قمم الجبال فأخذ كل من حق عليه القول بالهلاك، وحمل الله تعالى من عَلَيْه نبيه نوح ومن آمن معه، وانتهت المهمة، وأراد جل وعلا انقضاء الأمر وزوال الماء بعد هلاك الكافرين ونجاة المؤمنين أمر الله تعالى الأرض ببلع الماء والسماء بالكف عن انزال الماء. قال تعالى: ((**وقيل يٰأرض ابلعي ماءك ويٰسمآء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجو وقيل بعداً للقوم الظٰلمين**))[٣] .

والبلع : الشرب والازدراد بقوة، أى : اشربيه وازدريه.[٤]

واستعير البلع الذى هو من فعل الحيوان للنشف للدلالة على أن ذلك ليس كالنشف المعتاد، والكائن على سبيل التدريج.[٥]

ويقال: إنما بدء بالأرض قبل السماء لأن أصل فوران الماء كان منها[٦] .

وقوله: (**وياسماء أقلعي**) أى : أمسكي عن إنزال الماء وحذف للعلم به.

---

(١) انظر في تفسير القرطبي : (٤٧/٩)، وتفسير الخازن : (٢٣٥/٢).
(٢) تفسير القرطبي : (٤٧/٩).
(٣) سورة هود (٤٤) .
(٤) معارج الصعود للأمين (١٢٢-١٢٣)، وانظر : فتح القدير : (٥٠٠/٢).
(٥) فتح القدير للشوكاني : (٥٠٠/٢).
(٦) معارج الصعود : (١٢٣/٢)، وانظر : فتح القدير للشوكاني: (٥٠٠/٢).

قال ابن الأنبارى : ((لما تقدم ذكر الماء علم أن المعنى أقلعى عن إنزال الماء))[١] .

وامتثل كل من الماء والأرض ما أمرتا به قال تعالى: ((**وغيض الماء**)) أي : نقص، يقال غاض الشئ وغضته أناب كما يقال نقص بنفسه ونقصه غيره.[٢]

قال ابن الجوزي : (وقف قوم على ظاهر الآية، وقالوا: إنما ابتلعت أي (الأرض) مانبع منها، ولم تبتلع ماء السماء فصار ذلك بحاراً وأنهاراً، وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما[٣] : ((أنه لم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر، فلذلك سخروا منه، وإنما مياه البحار بقية الطوفان))[٤] .

وعلى هذه الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما تكون البحار آية من آيات الله على إهلاك المكذبين وإنجائه المؤمنين، وقد قال تعالى في سورة الشعراء بعد أن ذكر قصة نوح عليه السلام وإنجائه وإهلاك مكذبيه: ((**إن فى ذلك لأية وما كان أكثرهم مؤمنين**))[٥] . فالقرآن آياته تسمع وتتلى، والبحار أعلام مشاهدة تحس وترى.

وذهب آخرون: إلى أن المراد ابلعي ماءك الذى عليك وهو مانبع من الأرض ونزل من السماء، وذلك بعد أن عرف ماعلى وجه الأرض.[٦]

ثم قال تعالى : (**قضي الأمر**) **بغرق مَنْ غَرِقَ ونجاة من نجا**.

ثم قال : (واستوت على الجودى) يعنى استقرت السفينة على الجودى، وفي تفسير الجودى قولان:

ألاول : انه اسم على على جبل قريب من الموصل.

---

(١) زاد المسير لابن الجوزى : (١١١/٤).
(٢) تفسير القرطبي : (١٤١/٩).
(٣) زاد المسير : (ص١١٣) .
(٤) زاد المسير (ص١٠٣) .
(٥) سورة الشعراء الآية (١٢١).
(٦) زاد المسير : (١١٣/٤).

الثاني : أنه اسم لكل جبل ، ومنه قول زيد ابن عمرو بن نفيل:

سبحانه ثم سبحانه يعو دله *** وقبلنا سبح الجودى والحمد[1]

وقيل بعداً للقوم الظالمين) أى هلاكاً[2] بعدا من رحمة الله للقوم الكافرين.[3]

التاسع عشر : في رفع الله تعالى لنبيه نوح عليه السلام لمقام العارفين:

ثم قال تعالى لرسوله: (**فلا تسألن ماليس لك به علم**)[4] مما يخفيه ولدك من الكفر لأن الظاهر أن الولد كان يخفي معتقده عن أبيه، والأنبياء لا يعلمون من الغيب إلا ما يطلعهم الله عليه.

((وذلك أن نوحاً عليه السلام سأل ربه انجاء ولده من الغرق وهو من كمال شفقة الوالد على ولده، وهو لا يعلم أن ذلك محظور لاصرار ولده على الكفر فنهاه

---

(١) البيت من أبيات المختلف في قائلها.
فأكثرهم نسبه لأمية بن الصلت، وقال بعضهم ليزيد بن عمرو بن نفيل، وقيل لورقة بن نوفل.
وانظره في : (ديوان أمية بن أبي الصلت) رقم (٧٠) ولسان العرب مادة "جود" : (١٣٢/٣) ، وكذا تاج العروس (٣٢٦/٢).
(٢) تفسير البغوى (٢٣٤/٢) .
(٣) زاد المسير : (١١٢/٤).
(٤) سورة هود : الآية (٤٧).

الله سبحانه وتعالى عن مثل هذه المسألة وأعلمه أن ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسألن ماليس لك به علم بجواز مسألته)) (١) ((إني أعظك أن تكون من الجاهلين)) (٢) أي : أنهاك عن هذا السؤال: وأحذرك لئلا تكون من الجاهلين، أن تكون من الجاهلين لمثل هذا السؤال.

أي كراهية أن تكون من الجاهلين، أى الآثمين، ومنه قوله تعالى: ((يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً)) (٣) أى : يحذركم وينهاكم.

وقيل المعنى: (أرفعك أن تكون من الجاهلين) (٤) فتدعو بهلاك كفار ثم تسأل نجاة كافر. (٥)

قال ابن : وهذه زيادة من الله وموعظة يرفع بها نوحاً عن مقام الجاهلين ويعليه بها إلى مقام العلماء العارفين. (٦)

العشرون : في اعتذار نوح لربه جل وعلا:

ولما علم نوح بأن سؤاله لم يطابق الواقع وأن ناشئ عن ظن كان يتوقعه بادر إلى الاعتراف بالخطأ وطلب المغفرة والرحمة. (٧)

((قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ماليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين)) (٨)

---

(١) تفسير الخازن : (٢/٢٣٥) .
(٢) سورة هود : الآية (٤٦) .
(٣) سورة النور : الآية (١٧) .
(٤) تفسير القرطبي : (٩/٤٨) .
(٥) تفسير البغوى : (٢/٢٣٦) .
(٦) تفسير القرطبي : (٩/٤٨) .
(٧) فتح القدير للشوكاني : (٢/٥٠٣) .
(٨) سورة هود : الآية (٤٧) .

أي: أعوذ بك أن أطلب منك مالاعلم لي بصحته وجوازه، وإن لاتغفر لي ذنبي مادعوت به على غير علم مني.

وترحمني برحمتك التي وسعت كل شيء فتقبل توبتي أكن من الخاسرين في أعمالي فلا أربح فيها...)[1].

---

(١) فتح القدير للشوكاني: (٥٠٣/٢).

الباب الثاني

الفصل الثاني

دعوة هود عليه السلام

توطئـــة :

في **قصة هود عليه السلام** يخبرنا الله عز وجل عن قوم آخرين، أنشأهم من بعد قوم نوح، وهم عاد قوم هود، الذين أورثهم الله عز وجل الأرض من بعدهم وجعلهم من نسل تلك القلة المؤمنة، التي قال عنها الحق تبارك وتعالى : ((**وما ءامن معه إلا قليل..**))(١) ومع مرور الأيام، وإذا بالقلة كثرة كاثرة، حباها الله عز وجل من وافر نعمه ما حقق به وعده، الذي وعده أبا البشرية الثاني، عندما قال جل وعلا وقوله الحق : ((**قيل يٰنوح اهبط بسلٰم منا وبركٰت عليك وعلى أمم ممن معك..**))(٢) إلا أن القوم مالبثوا أن حادوا عن طريق الحق، فانحرفوا عن التوحيد الذي كان سبباً لنجاة أصولهم من عذاب الاستئصال، فاتخذوا لهم أصناماً يعبدونها من دون الله تعالى، فكانوا أول قوم بعد الطوفان، أشركوا بالله تعالى فيما نعلم.

وقد ذكر الله تعالى خبر عاد بعد نوح في كذا موضع من كتابه العزيز، ومنها ماجاء في آيات هذه السورة وإليك بيانه في النقاط التاليه:

أولاً في قوله تعالى: ((**وإلى عاد أخاهم هوداً..**))(٣) ويتبين ماتدل عليه في الآتي:

أ - في دلالة الآية على الإرسال .

ب - نسب هود عليه السلام .

ج - في التعريف بقوم عاد.

---

(١) سورة هود : الآية (٤٠).

(٢) سورة هود : الآية (٤٨).

(٣) سورة هود : الآية (٥٠).

أ - **فعن دلالة الآية على الإرسال:** فقوله: ((**وإلى عاد أخاهم هوداً**)) متعلق بضمير معطوف على قوله : ((**وأرسلنا**)) في قصة نوح ، وهو الناصب لقوله :((**أخاهم**)) أي : وأرسلنا إلى عاد أخاهم، أي : واحداً منهم في النسب كقوله : ياأخا العرب[(١)] ، وإنما جعل منهم لأنهم أفهم لكلامه، وأعرف بحاله، وأرغب في اقتفائه.[(٢)]

ب - **وأما عن نسبه عليه السلام** : فهو : ((هود بن عبدالله بن رياح بن الخلود بن عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح)) وقيل غير ذلك.[(٣)]

ج - **في التعريف بعاد** : وهم عاد الأولى : كما قال تعالى:((**وأنه أهلك عاداً الأولى. وثمودَاْ فما أبقى**))[(٤)] .

وسماها الأولى : لأنهم كانوا من قبل ثمود.

قال ابن زيد: ((قيل لهم عاد الأولى لأنها أول أمة أهلكت بعد نوح))[(٥)]

لقوله تعالى: ((**ألم يأتهم نبأُ الذين من قبلهم قوم نوحٍ وعادٍ وثمود....**))[(٦)] .

---

(١)و(٢) تفسير أبى السعود: (٢١٦/٤).

(٣) تاريخ الأمم والملوك للطبري: (١٠/١).

(٤) سورة النجم: الآية (٥٠-٥١).

(٥) تفسير القرطبي (١٢:١٧).

(٦) سورة التوبة : الآية(٧٠).

فعند الترتيب التاريخي جاء بذكر ثمود بعد عاد الأولى، وفي هذه السورة-أعني سورة هود- ذكر قصة عاد هذه أولا بعد أن قص خبر نوح مع قومه، ثم ذكر بعدها نبأ ثمود، مما يدل على أن عاد بعد نوح وقبل ثمود.

ولفظ عاد : من لم يصرفه جعله اسماً للقبيلة، ومن صرفه جعله اسماً للحي.(١)

ونص القرطبي على أن عاداً ((اسم رجل ثم استمر على قوم انتسبوا إليه))(٢).

وأرجع ابن كثير نسبتهم إلى: ((ولد عاد بن إرم بن عوض بن سام بن نوح))(٣)

وكانوا يسكنون الأحقاف، كما أشار القرآن الكريم إلى مسكنهم فقال تعالى : ((**واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف..**))(٤)

قال القرطبي : والأحقاف، ديار عاد.

وهي الرمال العظام، وجمعه حقف، وهو ما استطال من الرمل العظيم واعوج ولم يبلغ أن يكون حبلاً والجمع حقاف، وأحقف وحقوف.(٥)

وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام(٦) كما قال تعالى : ((**ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد**))(٧).

وقد ذكرهم هود عليه السلام بهذه النعمة، كما أخبر الله تعالى عنه في قوله: ((**أتبنون بكل ريع ءاية تعبثون. وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون**))(٨).

---

(١) تفسير القرطبي (٢٣٦:٧).
(٢) تفسير القرطبي (٥٠:٩-٥١).
(٣) تفسير ابن كثير (٥٠٧:٤).
(٤) سورة الأحقاف : الآية (٢١).
(٥) تفسير القرطبي (٢٠٣:١٦).
(٦) البداية والنهاية لابن كثير (١١٣/١).
(٧) سورة الفجر : الآية (٦-٧).
(٨) سورة الشعراء : الآية (١٢٨-١٢٩).

فكانوا من أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشاً، كما جاء في قوله تعالى : ((واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا ءالاء الله لعلكم تفلحون))(١)

لٰكنهم استعملوا هذه النعم التي أولاهم الله إياها في غير طاعة الله الذي خلقهم ، فكفروا به جل وعلا، وجحدوا نعمة الله تعالى عليهم وفضله وعبدوا من دونه الأصنام والأوثان، وذُكِرَ أن لهم أصناما ثلاثة هي : ((صداً، وصموداً، وهراً))(٢).

فبعث الله إليه أخاهم هوداً عليه السلام لينذرهم ويدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وإلى طاعته وتقواه لٰكنهم قابلوه بالجحد والتكذيب فسخط الله عليهم، وأذاقهم غليظ العذاب بما كانوا يكفرون بآيات الله وبما كانوا يجحدون، فجعل بلادهم بعد ذٰلك النعيم مفاوز ليس فيها أنيس. كما سنقف عليه من خلال دراستنا إن شاء الله تعالى.

ثانيا: دعوته عليه السلام :

دعا عليه السلام قومه إلى عبادة الله تعالى وحده كما قصه الله تعالى علينا في قوله : ((قال يٰقوم اعبدوا الله مالكم من إلٰهٍ غيره إن أنتم إلا مفترون))(٣) وسيق بيانها في السورة على طريق الاستئناف في الكلام، لأنه لما كان ذكر إرساله صلى الله عليه وسلم إليهم مظنة للسؤال عما قال لهم ودعاهم إليه أجيب عنه بطريق الاستئناف فقيل :((قال يٰقوم اعبدوا الله))(٤) فهذا اللفظ أمر صريح في طلب توحيد الله بالعبادة.

ثم نهاهم عن عبادة غيره سبحانه ، إذا الأمر يدل على طلب النهي عن ضده وهو لا تعبدوا غير الله، والدليل عليه: أنه قال عقيبه ((مالكم من إلٰهٍ غيره)).

---

(١) سورة الأعراف : الآية (٦٩).
(٢) البداية والنهاية : لابن كثير (١٣/١).
(٣) سورة هود الآية:(٥٠).
(٤) تفسير أبي السعود: (٢١٦:٤).

ثم ختم أمره ونهيه بتسجيل أسوأ أوصاف الكذب عليهم تحذيراً لهم من عاقبته بالتخويف من الافتراء: فقال: ((**إن أنتم إلا مفترون**)).

أي : **ما أنتم باتخاذكم الشركاء وزعم استحقاقها للعبادة إلا كاذبون على الله عز وجل**(١) وفي هذا تهديد لهم وتخويف، وما أعظم الفرية، وأشد جزاءها عندما تكون في جنب الله تعالى، وما تنبئ عنه من إظهار الجرأة على حقه سبحانه ، والإعراض عن عبادته، والوقوف على الطريق صداً عن سبيل الله تعالى، وإغواء لعبيده.

ثالثا: في إعلانه عليه السلام طلب الأجر من ربه:

كما جاء في قوله تعالى :((**يٰقوم لا أسئلكم عليه أجراً إن أجرى إلاَّ على الذى فطرنى أفلا تعقلون**))(٢) .

فعطف عليه السلام على الأمر بعبادة الله تعالى ما يدل على إخلاصه النصيحة لقومه، فنفى طلب الأجر منهم ، وأعلن طلبه من ربه جل وعلا، وبهذا خاطب كل نبي قومه، إزاحة لما عسى يتوهمونه من أنه عليه السلام لا يدعو إلا لمطمع دنيوي، وامحاضاً للنصيحة ((وذلك لأن الدعوة إلى الله تعالى إذا كانت مطهرة عن دنس الطمع قوي تأثيرها في القلب))(٣) وإذا شابها شيئ من المطمع بعدت عن التأثير ولم تنجع ولم تنفع(٤) .

وأورد لفظ الموصول (الذى) لغرض التفخيم.

وخاطبهم بالفطرة التي يقرونها ولا ينكرونها فقال :((**إلا على الذى فطرنى**)) والفطرة كما قال القرطبي هي : ((ابتداء الخلق))(٥) .

---

(١) انظر تفسير الطبري: (٥٧/٧)، والبغوي :(٢٣٧/٢).
(٢) سورة هود : الآية (٥١).
(٣) التفسير الكبير : للفخر الرازي (١١:٩).
(٤) انظر : تفسير أبي السعود: (٢١٦:٤).
(٥) تفسير القرطبي (٥١:٩).

((والكفار يقرون للخالق جل وعلا بخلقه، فهو أبعد من أن يتوهم نسبته إلى شركائهم. قال تعالى: ((**ولئن سألتهم من خلق السمٰوات والأرض ليقولن الله..**))[١].

يقول أبو حيان في تفسيره: ((وفي قول هود عليه السلام: ((**إن أجري إلا على الذي فطرني**)) رد على قولهم في عبادتهم الأصنام، واعتقادهم أنها تفعل ، وكونه تعالى هو الفاطر للموجودات يستحق افراده بالعبادة))[٢] .أهـ.

ولأن نعمة الخلق من أقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر، والذي لا يتأتى إلا بالجريان على موجب أمره سبحانه[٣] فمن حقه على عباده أن يطاع فلا يعصى، وأن يعبد فلا يكفر، وأن يشكر فلا يكفر.

ثم ختم بيانه بالانكار على مكذبي قومه عدم استجابتهم لدعوته فقال ((أفلا تعقلون)).

أي: أتغفلون عن ذٰلك فلا تعقلون نصيحة من لا يطلب عليها أجراً إلا من الله تعالى، ولا شيئ أنفى للتهمة من ذٰلك فتنقادون لما يدعوكم إليه من عبادة الله تعالى وحده[٤] . وفي حذف المفعول به في الآية الكريمة مايفيد التعميم.

ثم بعد ذلك خاطبهم عليه السلام بأسلوب الترغيب والترهيب كما قصه الله علينا.

رابعاً: في قوله تعالى: ((ويٰقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين))[٥] فالآية تضمنت:

١ - الترغيب في الاستغفار والتوبة.

٢ - في تذكيرهم بنعم الله الموجودة.

٣ - التحذير من التولي عن الدعوة والاعراض عنها.

---

(١) سورة لقمان : الآية (٢٥).
(٢) تفسير البحر المحيط (٥:٢٣٢).
(٣) تفسير أبي السعود (٤:٢١٦).
(٤) روح المعاني : للآلوسي (١٢:٨٠) بتصرف يسير.
(٥) سورة هود :الآية (٥٢).

وإليك تفصيل ذلك في الآتي :

١- رغبهم عليه السلام في الإيمان بالله تعالى ، ووعدهم بالخير وذكرهم به أخرى.

ففي الترغيب دعاهم بما قصه الله علينا في قوله تعالى: ((**ويٰقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً، ويزدكم قوة إلى قوتكم..**)).

فرغبهم عليه السلام في حصول ماحجب عنهم بسبب كفرهم وهو: المطر وندبهم إلى الاستغفار وهو: ((الإيمان بالله تعالى))(١) والتوبة إلى الله من سالف ذنوبهم(٢) ووعدهم على ذلك خيراً فقال: ((**يرسل السماء عليكم مدراراً**)) أي : ((لينزل الله عليكم المطر مدرارا)) أي : متتابعاً مرة بعد مرة في أوقات الحاجة إليه، فتحيا به بلادكم كما كانت أول مرة.(٣)

وكثيراً مايقرن الحق تبارك وتعالى الإستغفار بذكر التوبة، فيكون الإستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان والتوبة: عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلب والجوارح لأن دواء الذنوب الاستغفار.(٤)

وفي صحيح البخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة))(٥) .

---

(١) تفسير البغوي : (٢٣٧:٢)، تفسير الطبري : (٥٨:٧).

(٢) تفسير الطبري :(٥٨:٧)، وانظر : البغوي (٢٣٧:٢).

(٣) تفسير البغوي (٢٣٧:٢)، وتفسير الخازن (٢٣٧:٢) بتصرف يسير.

(٤) انظر : تزكية النفوس: جمع وترتيب أحمد فريد، (٥٠).

(٥) رواه البخارى - في كتاب الدعوات، ٣- باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة (١٤٥:٧).

ورواه الترمذى - في كتاب تفسير القرآن ، ٤٨- باب ومن سورة محمد صلى الله عليه وسلم (٣٨٣:٥).

ورواه ابن ماجه في كتاب الأدب ، ٥٧- باب الاستغفار (١٢٥٤:٢).

ورواه أحمد في مسنده (٣٤١،٢٨٢:٢).

قال قتادة: إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم ، فأما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالإستغفار[١]

٢- الترغيب في الإيمان والتذكير بنعم الله تعالى :

إذ رغبهم أيضاً في الإيمان بالله ليزيدهم الله تعالى قوة إلى قوتهم، كما قال تعالى: ((**ويزدكم قوة إلى قوتكم**)) فقومه كانوا في بسطة من هٰذه القوة، عرفوا قيمتها، وأدركوا فضلها.

قال المفسرون :

وفي المراد بالقوة ، قيل : ((شدة على شدتكم))[٢]

وقيل: ((يقوكم بالأموال والأولاد)).

وقيل :((تزدادون قوة في الدين إلى قوة الأبدان))[٤].

والآية لا تنبو دلالتها عن هذه الأقوال جميعها.

فما أرغب للمرء للقوة التي تشد من عزمه، ويستعين بها على متاعب حياته، وما أكرهه لضدها، وهو الضعف الذى يجعله يترقب عطف الناس عليه، ويتطلع استجداءهم ونصرتهم أعانوه أم تركوه أم عرفوا ضعفه فتمالؤوا عليه.

وما أرغبه للمال الذي يستعين به على قضاء حاجاته.

وعلى القول بأن المعنى تزدادون قوة في الدين إلى قوة الأبدان فأنعم بهذه القوة من قوة ، فما أعظم هذه القوة، وما أكثر ماامتن الله بها، إذ يزدادون قوة إيمانية معنوية إلى جانب قوتهم البدنية.

---

(١) تزكية النفوس : جمع وترتيب أحمد فريد، (٥٠).

(٢) تفسير القرطبي : (٥٠:٩).

(٣)و(٤) تفسير البغوي :(٢٣٧:٢)، وتفسير الخازن : (٢٣٧:٢).

فهذه الخيرات التي رغبهم عليه السلام بزيادتها إن آمنوا وتوعدهم برفعها عنهم عند العصيان ليمسهم ألم الحرمان، ليتذكروا خالقهم، وينيبوا إليه ويعبدوه، ويتعرفوا على المنعم بنعمه، فيقوموا بحقه، من عبادته وحده والتصديق برسله، ولهذا قال هود عليه السلام ما أخبر الله عنه في قوله: ((**واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا ءالاء الله لعلكم تفلحون**))[1].

أي : فاذكروا نعم الله وفضله الذي فضلكم به على قوم نوح في أجسامكم ، واشكروا الله على ذلك بإخلاص العبادة، وترك الإشراك به وهجران الأوثان والأنداد[2] ، فهذا فائدة التذكر وما فائدة تذكر لا يحمل النفس على الإستقامة على أمر الله وشرعه.

وفي التذكير بالنعم أيضا بيان لأفضال الله تعالى على عباده، وتذكيرٌ بقدرته سبحانه على الثواب والعقاب الذى أنكروه كقدرته سبحانه على ايجاد النعيم الذي عرفوه[3] .

وقد حضّ هود عليه السلام قومه على التقوى من عذاب الله الذى لا وقاية لهم منه إلا بلزوم طاعته سبحانه في كل ما أمر به ونهى عنه، والذى جاءهم ببيانه والابلاغ به[4] ، كما أخبر الله تعالى عنه في قوله :((**واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون. أمدكم بأنعٰم وبنين. وجنٰت وعيون**))[5] .

---

(١) سورة الأعراف : الآية (٦٩).
(٢) تفسير الطبري : (٢١٦:٨).
(٣) قارن بالكشاف : (١٢٢:٣) عند الآية.
(٤) انظر : تفسير الطبري (٩٦:١١) عند الآية.
(٥) سورة الشعراء : الآية (١٣٢-١٣٤).

٣ - في التحذير من التولي عن الدعوة:

حذرهم عليه السلام من التمادي في شركهم بالله تعالى، وعدم الانتهاء عن عبادة الأوثان، لأن من أشرك بالله تعالى وعصى رسله فقد أجرم فحذرهم عليه السلام بأس الله الذى لا يرد عن القوم المجرمين، فقال: ((**ولا تتولوا مجرمين**))(١)

وفي الكون مظاهر من الانتقام ممن أجرم، فهؤلاء قوم نوح عليه السلام أول الأقوام إجراماً ، فكانوا أول الأقوام هلاكاً بعذاب الإستئصال في الحياة الدنيا ولهم في الآخرة النار.

ومن إجرام قوم هود أنهم كانوا يعملون في الأرض بأعمال المخلدين ويبطشون بالخلق بطش الجبارين، فاتخذ عليه السلام من واقع عملهم وسوء تعاملهم سبيلاً إلى تحذيرهم، فحذرهم عليه السلام من أعمالهم تلك التي توحي بتمنيتهم أنفسهم الخلد في الدنيا، والبقاء فيها، متناسين الموت ومابعد الموت(٢) ، فأخبرهم(٣) عليه السلام بأن ذلك ليس بحاصل لهم، بل زائل عنهم كما زال عمن كان قبلهم كما أخبر الله تعالى عنه في قوله تعالى: ((**أتبنون بكل ريع اية تعبثون، وتتخذون مصانع لعلكم تخلُدُون**))(٤) .

وقد توعد الله تعالى المجرمين بالانتقام فقال : ((**إنا من المجرمين منتقمون**))(٥)

---

(١) سورة هود : من الآية (٥٢).
(٢) انظر : دعوة الرسل إلى الله تعالى : لمحمد أحمد العدوي ،(٢٥).
(٣) انظر : تفسير ابن كثير : (٣٤٢:٣) عند الآية.
(٤) سورة الشعراء : الآية (١٢٨-١٢٩).
(٥) سورة السجدة : الآية (٢٢).

ثم شنع عليهم سوء صنيعهم وقبيح فعلهم من صرفهم القوة التي آتاهم الله إياها في غير ماخلقت له.. فحاربوا الخلق بنعم الخالق، ((فسطوا على ماناوأهم قتلاً بالسيوف وضرباً بالسياط))[1] ناهجين منهج من لا يؤمن بيوم الحساب، وما أبلغ وصفه عليه السلام كما قال تعالى إخباراً عن وصف نبيهم لهم والمعبر عن ((القوة، والغلظة، والجبروت))[2] ((**وإذا بطشتم بطشتم جبارين**))[3].

ويبين لهم أن لا منقذ لهم من حمأة ماهم فيه من عتيّ وضلال وظلم للعباد إلا تقوى الله ولزوم طاعته عليه السلام، فإن من أطاع الرسول فقد أطاع الله كما أخبر الله تعالى عن دعوة نبيه عليه السلام لقومه في قوله: ((**فاتقوا الله وأطيعون**))[4].

رابعاً: في موقف قومه من دعوته:

لقد وقف القوم موقف المكابرة والمعاندة ، وجحدوا الحجة، وأنكروا البينات الواضحة، والأدلة التي أقامها نبيهم عليه السلام، والبراهين التي نصبها دلالة على صدق رسالته، وأحقية دعوته.

وتزعم لواء العناد والمكابرة((الملأ)) الذين غلبت عليهم شقوة أهل الكفر والعتو والعناد، وأبان الله تعالى لنا ما أثاروه من شبه في قوله: ((**وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الأخرة وأترفنٰهم في الحيوٰة الدنيا..**))[5] فقالوا بلسان الجاحد، ولغة المعاند، ما أخبر الله تعالى عنه في قوله: ((**قالوا يٰهود ماجئتنا ببينة وما نحن بتاركي ءالهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين. إن نقول إلا اعترٰنك بعض ءالهتنا بسوء..**))[6].

---

(١) انظر : تفسير الطبري : (٩٦:١١) بتصرف.
(٢) تفسير ابن كثير : (٣٤٢:٣).
(٣) سورة الشعراء : الآية (١٣٠).
(٤) سورة الشعراء : الآية (١٣١).
(٥) سورة المؤمنون : الآية (٣٣).
(٦) سورة هود : الآية (٥٣-٥٤).

فتضمنت هاتان الآيتان:

١- **جحودهم لبينته عليه السلام في قوله** :((**وما جئتنا ببينة**)).

فأنكروا أن يكون هوداً عليه السلام قد أتاهم ببيان أو برهان على مايقول ليقوروا له بصدق ما يدعوهم إليه من توحيد الله تعالى، والإقرار بنبوة نبيه عليه السلام، وهذا تعنت منهم ، وإلا فإن آياته عليه السلام لا تُحْصر، كما قال تعالى ذاماً لهم مواقفهم، ومسجلاً عليهم جحودهم، ((**فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ماكانوا به يستهزءون**))(١) .

٢ - **الإصرار على الكفر** :

إذ أعلنوا الإصرار على عبادة الآلهة من دون الله: ((**وما نحن بتاركى ءالهتنا عن قولك..**))(٢) .

كما أخبر الله عنهم في سورة الأعراف أيضاً في قوله جل وعلا: ((**أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد ءاباؤنا..**))(٣) .

٣ - **في عقد العزم على تكذيب الرسول**، ودل عليه قوله تعالى:((**وما نحن لك بمؤمنين**))(٤) أى : بمصدقين.(٥)

فأبانوا عن موقفهم من الرسول ودعوته في عدم التصديق به فيما دعاهم إليه من توحيد الله تعالى، والإقرار بنبوته.

يقول أبو السعود في تفسيره:

((ويندرج تحت هذا تكذيبه فيما دعاهم إليه من التوحيد، وترك عبادة الآلهة، وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لايخفى))(٦) .

---

(١) سورة الأحقاف : الآية (٢٦).
(٢) سورة هود : من الآية (٥٣).
(٣) الآية (٧٠).
(٤) سورة هود من الآية (٥٣).
(٥) تفسير البغوي : (٢٣٧:٢).
(٦) تفسير أبي السعود : (٢١٧/٤).

٤- ثم أعلنوا تقدسهم لآلهتهم ((إن نقول إلا اعتراك بعض ءالهتنا بسوء..))[١]

فأضفوا على آلهتهم التي يعبدونها من دون الله جل وعلا هالة من التقديس والإحترام، واعتقدوا باطلاً قدرتها على النيل ممن صد عن عبادتها، ومعنى الآية كما ذكره البغوي :

أي : ((ولست ياهود تتعاطى ماتتعاطاه من مخالفتنا وسب آلهتنا إلا أن بعض آلهتنا اعتراك أي: أصابك بسوء بخبل وجنون، وذلك أنك سببت آلهتنا فانتقموا منك بالتخبيل..))[٢] أ.هـ.

ودل هذا على بله شديد، وجهل مفرض ، حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنقم[٣] .

خامسا: تحدي هود لقومه:

ولما وجد عليه السلام من قومه الإصرار على الباطل والعناد جابههم وتحداهم، فأعلن عليه السلام :

أ - تحديه عليه السلام قومه ببراءته من كل ما يعبدون من دون الله تعالى :

((إذ أعلن عليه السلام براءته من الأصنام التي يعبدونها من دون الله تعالى، وأشركوها معه في العبادة من غير أن ينزل بها سلطانا)) ((ووثّق البراءة بما جرت به عادة الإنس من توثيقهم الأمور بشهادة الله وشهادة العباد[٤] فقال ما أخبر الله عنه في قوله:((**قال: إنى أشهد الله واشهدوا أنى بريئ مما تشركون. من دونه..**))[٥]

ب : ثم تحداهم عليه السلام بطلب الكيد له وعدم انظاره:

---

(١) سورة هود : الآية (٥٤).
(٢) تفسير البغوي : (٢٣٧:٢).
(٣) تفسير البحر المحيط : (٢٣٣:٥).
(٤) انظر : الكشاف : (٢٧٦:٢) بتصرف.
(٥) سورة هود ، من الآية :(٥٤-٥٥).

فقال ما أخبر الله تعالى عنه بقوله : ((**فكيدونى جميعاً ولا تنظرون**))[١] ، وهـذا دليل صدقه وإظهار لمعجزته عليه السلام ، إذ كيف يواجه رجل واحد أمة مـن النـاس ويطلب منهم العمل على الكيد له، وهم القوم الذين عرفوا بالقوة التي افتخـروا بهـا، وتسلطوا بسببها على العباد، وقالوا ((**من أشد منا قوة..**))[٢] ولا يكتفون بقواهم فقط، بل يدعون تلك الآلهة التي يؤملون خيرها، ويخافون ضرهـا، ويعتقـدون قدرتهـا عـلى إنزال الضرر بمن ينال منها، ويصد عن عبادتها. ونهاهم عن الإنظار والإمهال واستحثهم على المعاجلة، وصنع مابدا لهم.

يقول الشوكاني :((وفي هذا مـن إظهـار عـدم المبـالاة بهـم وبأصنـامهم الـتي يعبدونها ما يصك مسامعهم، ويوضح عجزهم وعدم قدرتهم على شيئ))[٣] .

قال الزجاج: ((وهذا من أعظم آيات الرسـل أن يكـون الرسـول وحـده وأمتـه متعاونة عليه، ويقول لهم كيدوني فلا يستطيع أحد منهم ضره))[٤] أهـ.

وهم المتعطشون لإراقة دمه، والخلاص من دعوته، وقد وجـهت لهـم الدعـوة ، وسنحت لهم الفرصة ، لاستخدام قوتهم الـتي يتبجحـوا بهـا، والاسـتعانة بالآلهـة الـتي اعتقدوا قدرتها على النيل ممن صد عن عبادتها، أو حـط مـن قدرتهـا.. ومـع هـذا لم يصلوا إليه بشئ، ((كيف لا وقد التجأ إلى ركن منيع رفيع، واعتصم بحبل مـتين))[٥] وهو توكله على ربه حيث علل عدم خوفه منهم ، وعجزهم عن الوصول إليه بسوء.

ج - **بإعلانه عليه السلام توكله على ربه** كما أخـبر اللـه تعـالى عـن ذلـك في قولـه: ((**إنى توكلت على الله ربى وربكم مامن دابة إلا هو ءاخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم**))[٦] .

---

(١) سورة هود : من الآية (٥٥).
(٢) سورة فصلت: من الآية (١٥).
(٣) فتح القدير للشوكاني : (٥٠٥:٢).
(٤) زاد المسير: لابن الجوزي (١١٨:٤).
(٥) تفسير أبي السعود : (٢١٨:٤).
(٦) سورة هود : الآية (٥٦).

فذكر توكله على الله بقوله : ((**إني توكلت على الله ربي وربكم**)) ((مُعْلِماً أنه ربه وربهم، ومنبّها على أنه من حيث هو ربكم يجب عليكم أن لا تعبدوا إلا إياه))(١)

ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه له من كيدهم، وصفه بمايوجب التوكل عليه، واشتمال ربوبيته عليه وعليهم، ومن كون كل في قبضته وملكه، وتحت قهره وسلطانه.(٢)

ثم برهن عليه بما تعارفوا عليه من إطلاق ألفاظ فيما بينهم، تكون دلالة على تمكن الخصم من خصمه، ووقوعه تحت قبضته، وذلك أنهم كانوا يقولون: ((ناصية فلان بيد فلان)) فقال: ((**مامن دابة إلا هو ءاخذ بناصيتها**)) فما أنتم إلا خلق من خلق الله الذي يدب على الأرض ، ومامن دابة مهما عظمت فهي في قبضة الله وملكه، وتحت قهره وسلطانه، يصرفها كيف يشاء، وهو تمثيل لغاية التسخير، ونهاية التذليل.(٣)

ثم أخبر أن أفعال الله جل وعلا في غاية الإحكام ، وعلى طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم، ولا يضيع عنده من توكل عليه، فقوله الصدق ووعده الحق(٤) ((**إن ربي على صرٰط مستقيم**)) ((يعني: إن ربي وإن كان قادراً عليكم فإنه لا يظلمكم ولا يعمل إلا بالإحسان والعدل ، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيئ بعصيانه))(٥)

وقيل معناه((إن دين ربي صراط مستقيم» وقيل : فيه إضمار، أي: إن ربي يحُثكم ويحملكم على صراط مستقيم))(٦) . وكل هذه المعاني تحتملها الآية. ثم إن محاجته عليه السلام لقومه لم تكن رد حجة، ولا نقض مطعن فحسب ، وإنما كانت محاجة تهدف لإثبات رسالته، ومن ثم دعوتهم إلى تصديقه، ومتابعته أمراً ونهياً، يقول ابن كثير:

---

(١) تفسير البحر المحيط : لأبي حيان (٥:٢٣٤).
(٢) تفسير الكشاف: (٢:٢٧٦-٢٧٧).
(٣) انظر : تفسير فتح القدير للشوكاني : (٢:٥٠٥)، وانظر أيضا: الخازن :(٨:٢٣٨).
(٤) تفسير البحر المحيط : (٥:٣٤) .
(٥) تفسير البغوي : (٢:٢٣٨).
(٦) تفسير البغوي : (٢:٢٣٨).

((وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة، ودلالة قاطعة على صدق ماجاءهم به وبطلان ماهم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، بل هي جماد لا تسمع ولا تبصر ولا توالي ولا تعادي، وإنما يستحق العبادة الله وحده لا شريك له الذي بيده الملك والتصرف، ومامن شيئ إلا تحت ملكه وقهره، وسلطانه، فلا إله إلا هو ولا رب غيره سبحانه وتعالى))[١].

سادساً: في إعلانه عليه السلام إقامة الحجة على قومه:

ودل عليه قوله تعالى : ((**فإن تولوا فقد أبلغتكم ماأرسلت به إليكم ويستخلف ربى قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً إن ربى على كل شئ حفيظ**))[٢].

فأعلن عليه السلام إقامة الحجة على قومه وانتهاء مهمته بابلاغ دعوته فإن امتثلوا فهذا ماأراد، وإن أعرضوا عنه بعد ذلك فقد قام بما أوجبه الله تعالى عليه، وأبلغهم رسالات ربه، فلا يعاتب على تفريط في الإبلاغ وهم الذين يعاتبون على عنادهم وامتناعهم عن إجابة الحق))[٣] كما في قوله تعالى: ((**فإن تولوا فقد أبلغتكم ماأرسلت به إليكم..**)).

ب - التهديد بالاستئصال :

ثم توعدهم عليه السلام بعذاب الاستئصال وهددهم باجراء الله عز وجل سنته فيهم والتي لا ترد عن القوم المجرمين، باستئصال الكافرين، واستخلاف المؤمنين، كما قال تعالى: ((**ويستخلف ربى قوماً غيركم ولا تضرونه شيئا..**)).

---

(١) تفسير ابن كثير (٤٦٦:٢).
(٢) سورة هود : الآية (٥٧).
(٣) دعوة الرسل : للعدوي (٢٣:٢٢).

فالأبدان التي سخرتموها في محاربة الدعوة سيستأصلها الذى خلقها، وهو أشد منكم قوة ونواصيكم بيده، كما قال تعالى : ((**فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون**))(١)

وأما العبادة التي استنكفتم عنها فسيحققها الله عز وجل بإنشائه قوماً آخرين ((أطوع منكم يوحدونه، ويعبدونه، ولا تضرونه بتوليكم وإعراضكم إنما تضرون أنفسكم))(٢) فالله غني عنكم وعن أعمالكم، كما قال تعالى: ((**يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد**))(٣) وكما في الحديث القدسي الذي يرويه الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه أنه قال: ((ياعبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني..))(٤) ثم ختم موقفه:

بالتهديد بحفظ الله تعالى لرسله وأعمال عباده:

ثم هددهم بحفظ الله تعالى فقال : ((**إن ربى على كل شئ حفيظ**))(٥) أى حفيظ لكل أعمالكم فيوفيكم جزاءها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر(٦).

وهو الحفيظ أيضاً يحفظني من أن تنالوني بسوء.(٧)

سابعا: في المفاصلة بين هود عليه السلام وقومه:

بدليل قوله تعالى : ((**ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين ءامنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ**))(٨).

---

(١) سورة فصلت : الآية (١٥).
(٢) تفسير البغوي : (٢٣٨:٢).
(٣) سورة فاطر : الآية (١٥).
(٤) تقدم تخريجه من حديث أبي ذر رضي الله عنه ى(١٥٠) من الرساله.
(٥) سورة هود : الآية (٥٧).
(٦) قارن بالكشاف : (٢٧٧:٢).
(٧) تفسير البغوى : (٢٣٨:٢).
(٨) سورة هود : الآية (٥٨).

وبعد انتهاء هذه المواقف من الجدال والتي تجلى فيها غاية النصح والإشفاق من هود عليه السلام على قومه، فما من موقف ترغيب، أو ترهيب، أو نقض مطعن، أو إزالة شبهة، إلا ويضمنه عليه السلام التذكير بالله تعالى، وعظيم قدرته، واستحقاقه للعبادة وحده دون سواه، فلا يترك عليه السلام فرصة إلا ويستغلها ولا لحظة إلا ويشد الأنظار فيها إلى خالقها ، لعل قومه يتفكرون، أو يعقلون، فلخالقهم ورازاقهم وحده يعبدون، إلا أن القوم بلغوا شأواً من العناد والإستكبار والصد عن دين الله تعالى، ولٰكن هذا الصدود والإعراض إلى حين، كما قال تعالى: ((**ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين ءامنوا معه برحمة منا ونجينٰهم من عذاب غليظ**))(١)

أي : فلما جاء قوم هود عذابنا نجينا منه هوداً والذين آمنوا بالله معه، **برحمة منا**: أي بفضل منه عليهم ونعمة.(٢)

وذلك أن العذاب إذا نزل قد يعم المؤمن والكافر، فلما أنجى الله المؤمنين من ذٰلك العذاب كان برحمة الله تعالى وفضله وكرمه.(٣)

إذ لا أحد ينجو إلا برحمة الله تعالى، وإن كانت له أعمال صالحة.(٤)

---

(١) سورة هود : الآية (٥٨).
(٢) تفسير الطبري : (٦١:٧).
(٣) تفسير الخازن : (٢٣٨:٢).
(٤) تفسير القرطبي : (٥٤:٩).

وفي الصحيحين وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لن ينجي[1] أحداً منكم عمله، قالوا: ولاأنت يارسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني[2] الله برحمة))[3].

---

(١) لن ينجي احداً منكم عمله: اعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب لا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم، ولا غيرها من أنواع التكليف، ولا يثبت هذه كلها ولا غيرها إلا بالشرع.
ومذهب أهل السنة أيضاً: أن الله تعالى لا يجب عليه شئ تعالى الله بل العالم ملكه. والدنيا والآخرة في سلطانه، يفعل فيها مايشاء، فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلاً منه، وإذا أكرمهم ونعمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه، ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك.
ولكنه أخبر، وخبره صدق، أنه لا يفعل هذا ، بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته. ويعذب الكافرين ويخلدهم في النار، عدلا منه.
وفي ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته.
وأما قوله تعالى: ((ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)) [٣٢ النحل] ((وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون)) [٧٢، الزخرف]، ونحوها من الآيات الدالة على أن الأعمال يَدخل بها الجنة. فلا يعارض هذه الأحاديث. بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال. ثم التوفيق للأعمال، والهداية للإخلاص فيها وقبولها، برحمة الله وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل. وهو مراد الأحاديث. ويصح أنه دخل بالأعمال، أدي بسببها ، وهي من الرحمة.
حاشية عبدالباقي على مسلم (٢١٦٩:٢).

(٢) يتغمدني : أى يلبسنيها ويغمدني بها من أغمدت السيف وغمدته، إذا جعلته في غمده وسترته به.

(٣) رواه البخاري في كتاب الرقاق، ١٨- باب القصد والمداومة على العمل (١٨١:٧).
رواه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ١٧- باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى (٢١٦٩:٢).

ووردت آيات عديدة في وصف هذا العذاب، وبين الله عز وجل أنه جاءهم بالعذاب الذى استعجلوه في صورة الخير الذي تطلعت أنفسهم إليه ((وذلك أنهم كانوا أهل زروع الأرض فتمنوا نزول المطر، فلما رأوا علامات استبشروا وقالوا ما أخبر الله عنهم في قوله : ((هذا عارض ممطرنا..))[1] فقال الحق تبارك وتعالى : ((**بل هو ما استعجلتم به ريحٌ فيها عذاب أليم. تدمر كل شئ بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين**))[2] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكاً حتى أرى منه لهواته[3] . إنما كان يتبسم وقالت : كان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف ذلك في وجهه، قالت : يارسول الله: إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُرف في وجهك الكراهية؟ فقال: ((ياعائشة مايؤمني أن يكون فيه عذاب. عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا : هذا عارض ممطرنا))[4]

وقالت عائشة رضي الله عنها أيضا: ((وإذا تخيلت السماء تغير لونه صلى الله عليه وسلم وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا أمطرت سري عنه، فعرفت ذلك في وجهه قالت عائشة فسألته فقال: ((لعله ياعائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا))[5] .

فأذاقهم الله تعالى بهذا العذاب الخزي في الحياة الدنيا وماأعد لهم في الآخرة أخزى، وهم لا ينصرون، كما قال تعالى : ((**فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوٰة الدنيا ولعذاب الأخرة أخزىٰ وهم لا ينصرون**))[6] .

---

(١)(٢) سورة الأحقاف الآية (٢٤-٢٥).

(٣) لهواته: اللهوات جمع لهاة، وهي اللحمة الحمراء المعلقة على الحنك. ((النووي على مسلم: ((١٩٧/٦))

(٤) رواه مسلم في كتاب الاستسقاء ، ٣- باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر: (٦١٦/٢).

(٥) رواه مسلم أيضاً في الكتاب والباب السابقين .

(٦) سورة فصلت : الآية (١٦).

وما أعظم بيان القرآن الكريم لعاقبة أمرهم بما فيه عبرة لمن اعتبر، وذكرى لمن ألقى السمع وهو شهيد، فهؤلاء قوم عرفوا ببسطة أجسامهم وشدة قوتهم، فلم تغن عنهم من عذاب الله شيئا لما جحدوا آيات الله، فما بين لحظة وأخرى فإذا بالقوة التي تفتخرون بها ضعفاً، وماكذبوا به حقاً، وبما استعجلوه قربا كما قال تعالى: {بل هو مااستعجلتم به ريح فيها عذاب أليم،تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مسٰكنهم}(١).

وقال في آية أخرى: {سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعىٰ كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية}(٢).

وذكر ابن كثير في قصصه: {أن الريح كانت تجيء إلى أحدهم فتحمله، فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى جثة بلا رأس}(٣).

وماذكره ابن كثير عن كيفية إهلاكهم محتمل، والوقوف عند خبر القرآن هو الواجب على كل حال.

ثم أكد تعالى النتيجة وكررها بما يقرع القلوب ويوقظ الضمائر، وقال تعالى: {ونجينٰهم من عذاب غليظ}(٤) أي: (كانت تلك تنجية من عذاب غليظ) وفي المراد بها قولان:

القول الأول: أن المراد بالعذاب الذي أنجاهم الله منه هو العذاب الدنيوي، وهى السموم كما تقدم(٥)

---

(١) سورة الأحقاف: الآية (٢٤)
(٢) سورة الحاقة: الآية (٧)
(٣) قصص الأنبياء لابن كثير: (١٠٠)
(٤) سورة هود: الآية (٥٨)
(٥) تفسير أبي السعود (٤:٢١٩).

القول الثاني: أن المراد به النتجية من عذاب الآخرة، ولا عذاب أغلظ منه وأشد. **قال الخازن:** وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق بين العذابين، والمعنى أنه تعالى كما أنجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الآخرة))[١] أ.هـ.

((وجيئ بذكر التنجية تكملة للنعمة على المؤمنين وتعريضاً بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ))[٢].

ثامنا: بيان أسباب الهلاك:

ثم بين الله عز وجل ما استحق به المكذبون الهلاك، فقال تعالى: ((**وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كلِّ جبارٍ عنيد**))[٣].

وأنث اسم الاشارة في قوله ((**وتلك عاد**)) باعتبار القبيلة، أو لأن الإشارة إلى قبورهم وآثارهم[٤] وهذا خطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم لتأخذ العبرة والعظة: كأنه قيل سيروا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا بها[٥].

ثم بين تعالى سبب ماأخذوا به وهو:

أولها: ((**جحدوا بآيات ربهم**)) أى: أنهم حجدوا آيات الله وأنكروها بألسنتهم وهم مستيقنون أنها الحق.

والجحدفي اللغة: إنكار بلسانك ماتستيقنه نفسك، قال تعالى: ((**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً**...[٦]))[٧].

---

(١) تفسير الخازن: (٢/٢٣٨).
(٢) تفسير أبى السعود: (٤/٢١٩).
(٣) سورة هود: الآية (٥٩).
(٤) تفسير أبى السعود: (٢/٢١٩).
(٥) تفسير البحر المحيط: (٥/٢٣٥).
(٦) سورة النمل: الآية (١٤).
(٧) تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة، (ص٣٦) بتصرف.

وأصل جحد أن يتعدى بنفسه، لٰكنه أجري مجرى كفر فعدي بالباء ((**جحدوا بآيٰت ربهم**)) كما عدي كفر[(١)] بنفسه في قوله: ((**ألا إن عادا كفروا ربهم**)) اجراء مجرى جحد[(٢)].

((وأضاف الآيات إلى ربهم تنبيهاً على أنه مالكهم ومربيهم، فأنكروا آياته والواجب إقرارهم بها))[(٣)].

وثاني ماأخذوا بسببه: معصية الرسول كما في قوله: ((وعصوا رسله)) أي: خرجوا عن طاعة الرسل عليهم السلام يقال ((عصى عصياناً إذ خرج عن الطاعة))[(٤)].

بياناً لحالهم، وإظهاراً لكمال كفرهم وعنادهم، ببيان أن عصيانهم له عليه الصلاة والسلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين، لاتفاق كلمتهم على التوحيد، لقوله تعالى: ((**لانفرق بين أحد من رسله...**))[(٥)][(٦)].

وقيل: لأنهم عصوا هوداً والرسل الذين كانوا من قبله[(٧)].

ثم ذمهم الله تعالى لأنهم عصوا من دعاهم إلى الهدى وأطاعوا من حداهم إلى الردى[(٨)] فقال تعالى: ((**واتبعوا أمر كل جبار عنيد**))[(٩)] أي: اتبع سقاطهم أمر رؤسائهم وكبرائهم الدعاة إلى الضلال وإلى تكذيب الرسول، والمعنى: أنهم أطاعوهم فيما أمروهم به[(١٠)].

---

(١) وقيل كفر كشكر، يتعدى بنفسه وتارة بحرف جر. انظر: البحر المحيط: (٣٢٥/٥).
(٢)و(٣) تفسير البحر المحيط: (٢٣٥/٥).
(٤) المفردات للراغب: (ص٣٣٧)، وكتاب العين، والعمود الثاني.
(٥) سورة البقرة: الآية (٢٨٥).
(٦) تفسير أبي السعود: (٢١٩/٤)، وانظر: البحر المحيط: (٢٣٥/٥).
(٧) تفسير البحر المحيط: لأبي حيان، (٢٣٥/٥).
(٨) تفسير أبي السعود: (٢٢١/٤).
(٩) سورة هود: من الآية (٥٩).
(١٠) البحر المحيط: (٢٣٥/٥)، والنهر: (٢٣٥/٥).

وفي الآية ملاءمة بين ماسبق فكأنه قيل: ((عصوا كل رسول واتبعوا أمر كل جبار))[١].

والجبار: صفة الانسان تقال لمن يجبر نقيصته بادعاء منزلة من التعالي لايستحقها، وهذا لايقال إلا على طريق الذم كقوله تعالى: ((كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار))[٢] أي:: متعال عن الحق والإيمان له[٣].

تاسعاً: في بيان تتابع سخط الله تعالى وغضبه عليهم:

ثم بين الله تعالى ماحل بهم من سخطه وغضبه فقال جل وعلا: ((وأُتْبِعوا في هذه الدنيا لعنة))[٤].

أي: اردفوا لعنة تلحقهم وتنصرف معهم[٥] واللعنة: الطرد والإبعاد عن رحمة الله[٦].

ثم بين تعالى تتابع اللعنة عليهم في قوله: ((ويوم القيامة)) أي: اتبعوا يوم القيامة أيضاً لعنة وهي عذاب النار المخلد، وحذفت لدلالة الأولى عليها، وللإيذان بكون كل من اللعنتين نوعاً برأسه لم تجمعا في قرن واحد، بأن يقال: وأتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيامة لعنة، كما في قوله تعالى: ((واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة...))[٧]. وفي الآخرة، إيذاناً باختلاف نوعي الحسنتين فإن المراد بالحسنة الدنيوية نحو: الصحة. والكفاف والتوفيق للخير. وبالحسنة الأخروية: الثواب، والرحمة[٨].

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود: (٢١٩/٤).
(٢) سورة غافر: الآية (٣٥).
(٣) انظر: المفردات للراغب: (ص٨٦)، كتاب الجيم العمود الأول.
(٤) سورة هود: من الآية (٦٠).
(٥) تفسير البغوي: (٣٢٩/٢).
(٦) تفسير الخازن: (٢٣٩/٢).
(٧) سورة الأعراف: الآية (٥٦).
(٨) تفسير أبي السعود: (٢٢٠/٤).

ثم ذكر تعالى السبب الأصلي الذي استحقوا به هذه اللعنة وهو كفرهم بالله جل وعلا، فقال تعالى: ((**ألا إن عاداً كفروا ربهم**))(١)(٢) أي: كفروا بربهم، أو نعمة ربهم، حملاً لهم على نقيضه الذي هو الشرك أو جحدوه(٣).

ثم كرر عليهم اللعنة بمعناها مرة أخرى وهو البعد فقال: ألا بعداً لعاد قوم هود، للدلالة على نهاية التأكيد وأنهم كانوا مستحقين له.

وكرر أداة التنبيه وذكر عاد بقوله: ((ألا)) في الدعاء عليهم تهويلاً لأمرهم، وتفظيعاً له وبعثاً على الاعتبار لهم، والحذر من مثل حالهم، وتسجيلاً عليهم باستحقاق الهلاك، واستيجاب الدمار.

وفائدة قوله قوم ((**هود**)) مزيد التأكيد للمبالغة في التنصيص أو تعيين عاد هٰذه من عاد إرم لأن عاد اثنان، ولذٰلك قال تعالى: ((**وأنه أهلك عاداً الأولى**))(٤) فيتحقق الدعاء لهما هذه ولم تلتبس بغيرها(٥).

وإيماء إلى أنهم استحقوا للبعد بسبب ماجرى بينهم وبين هود عليه السلام وهم قومه(٦).

---

(١) الكفر: في اللغة من قولك: كفرت الشيء إذا غطيته، يقال لليل كافر، لأنه يستر بظلمته كل شيء، ومنه قول الله عز وجل: ((كمثل غيث أعجب الكفار نبٰته...))[٢٠: الحديد] يريد بالكفار الزراع، سماهم كفاراً لأنهم إذا ألقوا البذر في الأرض كفروه، أي: غطوه وستروه، فكأن الكافر ساتر للحق، وساتر لنعم الله عز وجل.

انظر: تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة (ص٢٨).

وانظر: البحر المحيط (٢٢٤/٨).

وتأويل مشكل القرآن (٥٤).

(٢) سورة هود: الآية (٦٠).

(٣) تفسير أبي السعود: (٢٢٠/٤).

(٤) سورة النجم: الآية (٥٠).

(٥) تفسير البحر المحيط: (٢٣٦/٥).

(٦) تفسير أبي السعود: (٢٢٠/٤).

الباب الثاني

الفصل الثالث

دعوة صالح عليه السلام

أولاً: قال تعالى: ((**وإلى ثمود أخاهم صٰلحاً**))[١].

لعل من المناسب أن نلمح بشيء من التعريف عن ثمود، من (حيث نسبهم، وديارهم، ومعتقدهم قبل بعثة صالح عليه السلام) وصلة نبي الله بها من حيث النسب فنقول في:

١- نسبهم ومساكنهم :

((ثمود: قبيلة نسبت إلى جدها ((ثمود بن عامر بن إرم بن سام بن نوح))[٢] وقيل غير ذٰلك.

وهم أول الأقوام بعد عاد، كما قال تعالى: ((**ثم أنشأنا من بعدهم قرناً ءاخرين**))[٣].

٢- ومنازلهم: الحجر كما أخبر بذٰلك القرآن في قوله تعالى: ((**ولقد كذب أصحٰب الحجر المرسلين**))[٤].

يقول ابن كثير: وأصحاب الحجر هم ثمود الذين كذبوا صالحاً نبيهم عليه السلام، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين، ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين[٥].

قال في معجم البلدان: (والحجر: اسم ديار ثمود، بوادي القرى بين المدينة والشام، وتسمى اليوم"مدائن صالح" وتقع شمال المدينة النبوية، وتبعد عن المدينة بحوالي ٣٤٧ كيلاً، وبالقرب منها تقع مدينة (العلا) وتبعد شمال (العلا) بـ٢٥ كيلاً)[٦].

---

(١) سورة هود: من الآية (٦١).

(٢) البداية والنهاية: لابن كثير (١/١٢٣).

(٣) سورة المؤمنون: الآية (٣١) يقول ابن كثير في تفسيره(٣/٢٥٥) (يخبر تعالى أنه أنشأ بعد قوم نوح قرناً آخرين، قيل المراد بهم عاد، فإنهم كانوا مستخلفين بعدهم، وقيل المراد بهؤلاء (ثمود) لقوله: (فأخذتهم الصيحة بالحق) [٤١: المؤمنون]أهـ

(٤) سورة الحجر: الآية (٨٠).

(٥) تفسير ابن كثير: (٣/٥٧٦).

(٦) معجم معالم الحجاز: (٨/٥٧).

٣- أما عن عقيدة قوم ثمود قبل بعثة صالح عليه السلام:

فقد كانت ثمود تدين بعبادة الأصنام، يشركونها مع الله تعالى في العبادة. كما هو شأن أهل الكفر والوثنية، ومع هذا عبثوا بنعم الله تعالى إفساداً في الأرض وأشراً وبطراً، فأرسل الله تعالى إليهم أخاهم صالحاً عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده، وينذرهم من الشرك وعاقبته [١] ولبيان نسبه ودعوته نقول:

ثانياً: في نسبه عليه السلام:

هو: (صالح بن عبد ماسح بن عبيد بن حاجر بن ثمود بن عابر بن أرم بن نوح) [٢].

ثالثاً: في دعوته عليه السلام لقومه:

١- في الدعوة إلى توحيد الله تعالى:

فقد دعا عليه السلام قومه إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، ونهاهم عن عبادة غيره، من الأصنام والطواغيت والتماثيل التي لاتنشئ ولا تعيد، ولا تعطي ولا تمنع [٤] كما قصه الله تعالى علينا في قوله جل وعلا: ((وإلى ثمود أخاهم صٰلِحاً

---

(١) قارن بقصص الأنبياء: لابن كثير (ص١٠٤).
(٢) المرجع السابق: (١/١٢٣).

قال يٰقوم اعبدوا الله مالكم من إلٰه غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفره ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب))[١] ثم عطف على الأمر.

١- التذكير بالخالق وقدرته:

فلما كان إقدام القوم على الوثنية وعبادة الأصنام دليلاً على تنكرهم لخالقهم المستحق للعبادة وحده دون سواه، ذكرهم عليه السلام بقدرة الخالق جل وعلا الذي استكبروا عن عبادته بإنشائهم من الأرض وإيجادهم في هذه الحياة بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً، فقال: ((هو أنشأكم من الأرض))[٢] وذلك باعتبار إنشاء أبيهم آدم عليه السلام منها[٣] والفرع يتبع أصله في الخلقة، وبين الله تعالى هذه النشأة في قوله: ((ولقد خلقنا الانسٰن من سلٰلة من طين * ثم جعلنٰه نطفة فى قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظٰماً فكسونا العظٰم لحماً ثم أنشأنٰه خلقاً ءاخر فتبارك الله أحسن الخٰلقين))[٤].

وفي هذا تذكير لهم بأن صاحب النشأة أحق أن يعبد وتذكيرٌ أيضا بقدرة الخالق على المعاد كقدرته على الإنشاء.

والأرض كما أنها منشؤهم إبتداء، فهي مصدر نماء أجسامهم فيتغذون بما يخرج منها ((فإن النطفة التي تتحول في الرحم إلى علقة، فمضغة فهيكل عظمي يحيط به لحم هي من الدم، والدم من الغذاء، والغذاء الغالب إما من نبات الأرض، وإما لحم يرجع إلى النبات في طور واحد أو أكثر))[٥].

---

(١) سورة هود: من الآية (٦١).
(٢) سورة هود: من الآية (٦١).
(٣) انظر : تفسير الطبري: (٦٢/٧)، وفتح القدير: للشوكاني (٥٠٧/٥).
(٤) سورة المؤمنون: الآية (١٢-١٤).
(٥) تفسير المنار: (١٢١/١٢).

ومن ثم فهم ينتفعون بما على الأرض، فلو شاء الله لجعلها قاحلة لاتنبت زرعاً، والماء الذي يخرج منها أجاجاً لايستطيعون شربه، ولايجدون بديلاً عنه، فيكون المآل إلى هلاك محقق، كما قال تعالى: ((أفرءيتم الماء الذي تشربون * ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون))(١). والإنسان في جميع أطواره محتاج إلى الأرض كما امتن الله تعالى على خلقه بذلك في قوله: ((منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى))(٢).

٣- ثم ذكرهم عليه السلام بنعمة الاستعمار في الأرض:

إذ أن من تمام نعمة الله سبحانه عليهم أن أعمرهم أرضه وأسكنهم فيها أيام حياتهم(٣) وجعلهم عمارها، وأعطاهم إياها بما فيها من الزروع والثمار ((فهو الله الخالق المنشئ الممد خلقه بأسباب العمران والنعم في أرضه فلا يصح أن يعبد غيره، لأنه هو صاحب الفضل كله المستحق للعبادة وحده))(٤) وذكّر قومه عليه السلام بهذه النعمة في قوله: ((واستعمركم فيها...))(٥).

يقول ابن الجوزي(٦):

---

(١) سورة الواقعة: الآية (٦٨-٧٠).

(٢) سورة طه: الآية (٥٥).

(٣) تفسير الطبري: (٦٢/٧) بتصريف يسير.

(٤) تفسير المنار: (١٢١/١٢-١٢٢) بتصرف يسير.

(٥) سورة هود: من الآية (٦١).

(٦) هو: عبدالرحمن بن علي بن محمد المشهور بابن الجوزي، يرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث، وصناعة المواعظ، برز في علوم كثيرة، وصنف في فنون عديدة منها: زاد المسير في التفسير، والمغني في علوم القرآن، وتذكرة الأريب في اللغة، وغيرها كثير جدا، مات سنة (٥٩٧هـ).

انظر: طبقات المفسرين للدوادي: (٢٧٥/٢-٢٨٠)، ووفيات الأعيان لابن خلكان: (١٤٠/٣-١٤٢).

((واستعمارهم في الأرض، إما أن يكون من العمرى، أي جعلكم ساكنيها مدة أعماركم.

أو أطال أعماركم فيها، فقد قيل إن أعمارهم كانت ألف سنة إلى ثلاثمائة.

أو جعلكم عماراً للأرض ومحيين لها))[١].

وعلى كل فقد تحقق لهم من هذا النعيم أوفره وأكمله، مما كان موضع تذكير صالح عليه السلام، وإشفاقه عليهم من أن يبدل الله تعالى رخاءهم شدة، ورغد عيشهم فاقة وبؤساً، وأمنهم خوفاً وذلاً[٢] فقال مُنكراً عليهم ومُذكِّراً لهم ماأخبر الله تعالى عنه في قوله: ((أتتركون فيما ههنا ءامنين * فى جنٰت وعيون * وزروع ونخل طلعها هضيم))[٣].

ودلّت الآيات في سورة الشعراء أيضاً، على أن الله تعالى أعطاهم من القوة مااستطاعوا به نحت البيوت في الجبال، وركب فيهم العقول التي توصلوا بها إلى تخير مواضعها، والحذاقة في نحتها، كما قال تعالى: ((وتنحتون من الجبال بيوتاً فرٰهين))[٤] ((وءاتينٰهم ءايٰتنا فكانوا عنها معرضين * وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً ءامنين))[٥].

يقول ابن كثير في معنى الآية: ((ذكَر تعالى عنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين أي: من غير خوف ولا احتياج إليها بل أشراً وبطراً وعتياً، كما هو المشاهد من صنيعهم في بيوتهم بوادي الحجر))[٦] أ.هـ.

---

(١) زاد المسير: (١٢٣/٤).

(٢) انظر: تفسير الكشاف: (١٢٢/٣-١٢٣).

(٣) سورة الشعراء، الآية: ((١٤٦-١٤٨)).

(٤) سورة الشعراء: الآية (١٤٩).

(٥) تفسير الطبري: (١٠١/١١) بتصرف.

(٦) سورة الحجر: الآية (٨١-٨٢).

(٧) تفسير ابن كثير : (٥٧٦/٢).

رابعاً: في الترغيب في الاستغفار والتوبة:

ثم ندبهم عليه السلام إلى الإقلاع عما هم فيه من عبادة الأوثان والأصنام، ورغبهم في الإقبال على الله تعالى بعبادته وحده، والإخلاص له سبحانه بالإستغفار والتوبة، كما جاء في قوله تعالى: ((**فاستغفروا ربكم ثم توبوا إليه...**))(١) ليتجاوز الله تعالى عن ذنوبهم، ويشملهم بعفوه ولطفه وكرمه.

ورغّبهم في ذلك بما لله عز وجل من صفات تدل على عظيم قدرته وإحسانه، كما جاء في قول الله تعالى: ((**إن ربي قريب مجيب**))(٢) أي: إن ربي قريب ممن أخلص له سبحانه العبادة، ورغب إليه في التوبة مجيب له إذا دعاه، كما قال تعالى: ((**وإذا سألك عبادى عنى فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون**))(٣).

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم في سفر لأصحابه رضوان الله عليهم: ((**أيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصَمَّ ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم**))(٤).

وفي رواية: ((**والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم**))(٥).

---

(١) سورة هود: الآية (٦١).

(٢) سورة هود: الآية (٦١).

(٣) سورة البقرة: الآية (١٨٦).

(٤) و(٥) الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وأوله: ((قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر...)) رواه مسلم - في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ١٣ - باب استحباب خفض الصوت بالذكر)) (٢٠٧٧/٣).

فالله عز وجل قريب من عابده وداعيه، فإذا تقرب العبد إلى ربه بطاعته والاقبال عليه زاده الرب تعالى تقرباً إليه جزاءً من جنس عمله كما جاء في الحديث القدسي: ((**وإن تقرب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**))(١).

جاء في شرح التوحيد: ((وهذا دليل على كرم الله تعالى وجوده على عبده وأنه إن أقبل عليه فهو سبحانه أسرع إقبالاً،تفضلاً منه جل وعلا على عبده من غير مقابل يناله من العبد؛ بل هو تعالى الغني بذاته عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه))(٢) أ.هـ.

فمن أقبل على الله تعالى بالاستغفار والتوبة قابله الله تعالى بقبول توبته والعفو عن زلته ومضاعفة أجره،والله هو الولي الحميد أهل التقوى وأهل المغفرة.

خامساً: أما عن موقف قومه من دعوته:

فلقد وقف قوم صالح من دعوة نبيهم عليه السلام موقف الإعراض، وقابلوا وعظه ونصحه باللدد والخصام، فقالوا ماقصه الله تعالى علينا في قوله جل وعلا: ((**قالوا يٰصٰلح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهٰنا أن نعبد مايعبد ءاباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب**))(٣).

---

(١) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه- رواه البخاري في كتاب التوحيد، ١٥- باب قول الله تعالى (ويحذركم الله نفسه) (١٧١/٨).
رواه: مسلم - في كتاب الذكر، ٦- باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى (٢٠٦٧/٣).
ورواه: الترمذي في كتاب الدعوات، ١٣٢ - باب في حسن الظن بالله عز وجل (١٣٢/٥).
ورواه: ابن ماجه في كتاب الأدب، ٥٨ - باب فضل العمل (١٢٥٥/٢). وأحمد في مسنده (٤٣٥،٤١٣/٢)(١٢٢،٤٠/٣)(١٥٥،١٥٣/٥).

(٢) شرح كتاب التوحيد: للغنيمان (١٧١/٢) بتصرف يسير .

(٣) سورة هود: الآية (٦٢).

ونبين ما تضمنته هذه الآية في النقاط التالية:

١- محاولة قومه توهين عزيمته عليه السلام:

فدل قوله تعالى: ((قالوا يٰصٰلح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا...)) [١].

على أن المعاندين استعملوا أسلوبا بلغ الغاية في توهين العزيمة إذ لوحوا لنبى الله صالح عليه السلام بالرئاسة التي قرروا منحها له للانتفاع برأيه، لقناعتهم بصدق ماوجدوه فيه من دلائل الذكاء، وسداد الرأي لعله يتأسف على موقفه، ويتراجع عن دعوته، طمعاً في المكانة التي أرادوها له [٢] وحال دونها من وجهة نظرهم جهره بالنبوة وصدعه بدعوة التوحيد.

فقلبوا له ظهر المجن، فالصفات التي عرفوها عنه علم ويقين أصبحت محل أسف وندم، لأنهم لم يستطيعوا تسخيرها لأهوائهم.

٢- الإصرار على تقليد الآباء في كفرهم:

بدلالة قوله تعالى: **((أتنهٰنا أن نعبد مايعبد ءاباؤنا...))** [٣] أي: ماكان عليه أسلافنا من عبادة الآلهة [٤]، والإستفهام للانكار [٥]، والعدول إلى صيغة المضارع في قوله ((يعبد)) لحكاية الحال الماضية [٦].

فدلت الآية على أن القوم أنكروا على الرسول عليه السلام نهيه إياهم عن عبادة غير الله تعالى، وترك ماتوارثوه عن آبائهم وأجدادهم من عبادة الآلهة، التي توارثوا عبادتها عن آبائهم وأجدادهم.

---

(١) سورة هود: من الآية (٦٢).
(٢) قارن بتفسير البحر المحيط: (٥/٢٣٨)، وأبي السعود: (٤/٢٢١).
(٣) سورة هود: من الآية (٦٢).
(٤) انظر: تفسير ابن كثير: (٢/٤٦٧)، والقرطبي: (٩/٥٩).
(٥) تفسير القرطبي: (٣/٥٩).
(٦) تفسير أبي السعود: (٤/٢٢١).

٣- التصميم على الكفر:

اذ أرجعوا السبب في عدم الإيمان إلى الشك في صحة دعوته عليه السلام، تصميماً على الكفر [١]، كما أخبر الله عنهم في قوله تعالى: ((**وإنا لفى شك مما تدعونا إليه مريب**)) [٢].

فـ(الشك) هو ((أن يبقى الإنسان متوقفاً بين النفي والإثبات)) [٣] يعنون أنهم لايعلمون صحة مايدعوهم إليه من توحيد الله وأن الألوهة لاتكون إلا له خالصة [٤].

وقوله (مريب) أي: موقف للريبة، من أربته فأنا أريبه إذا فعلت به فعلاً يوجب لديه الريبة [٥].

سادساً: أما عن موقف صالح عليه السلام من قومه:

فدل عليه قوله تعالى: ((**قال يٰقوم أرءيتم إن كنت على بينة من ربى وءاتٰنى منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدوننى غير تخسير**)) [٦].

ونبين ما دلت عليه الآية في النقاط التالية:

١- تحذيره عليه السلام لقومه عاقبة الإعراض:

حذّر عليه السلام قومه عاقبة كفرهم بالخالق تبارك وتعالى المستحق للعبادة وحده، والإعراض عن دعوته، وقدّم التحذير في صورة سؤال، وَجَّهه للقوم لاستنبائهم عن مصيره في حالة معصيته لربه، بعد وضوح الحجة، بتأييد الله له بالبراهين الدالة على صدقه، وإتمام النعمة عليه باصطفائه بالنبوة فقال ((**أرءيتم إن كنت على بينة من ربى وءاتٰنى منه رحمة...**)).

---

(١) قارن بتفسير البحر المحيط: (٢٣٨/٥).
(٢) سورة هود: من الآية (٦٢).
(٣) تفسير الفخر الرازي: (١٩/٩).
(٤) تفسير الطبري: (٦٣/٧).
(٥) انظر: تفسير البغوي: (٢٣٩/٢)، وتفسير القرطبي: (٥٩/٩).
(٦) سورة هود: الآية (٦٣).

فرتب على معصيته لربه نفي استطاعة أحد في نصرته من عذاب الله إن هو عصاه[١] لقوله: ((**فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير**)).

والاستفهام في قوله: ((**فمن ينصرني من الله**)) إستفهام معناه النفي، أي: لاينصرني منه إن عصيته أحد[٢].

وفي هذا تذكير لقومه بقوة الله عز وجل وقدرته في أخذه الشديد لمن خالف أمره، وإنذار لقومه عاقبة الإعراض والعصيان.

وتسفيه للآلهة وتوهين لها، إذ نفى قدرتها على النصر لعابديها فلا تستطيع أن تمنع عنهم من عذاب الله من شيئ.

ثم حذرهم من الإعراض عن دعوته بقوله: ((**فما تزيدونني غير تخسير**)).

والآية تحتمل المعاني التالية:

المعنى الأول: فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملوني عليه غير تضليل وإبعاد عن الخير، فبذلك أكون خاسراً إن اتبعكم، يدل عليه قوله: ((**فمن ينصرني من الله إن عصيته..**))

كالدلالة على أنه أراد إن أتبعكم فيما أنتم عليه من الكفر الذي دعوتموني إليه لم أزدد إلا خسراناً في الدين فأصير من الهالكين الخاسرين[٣].

وفي هذا تحذير لهم من عاقبة الخسران، أو أنه وجه الكلام لنفسه وأرادهم.

المعنى الثاني: ((فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملوني عليه غير أن أخسركم أي أنسبكم إلى الخسران وأقول لكم إنكم خاسرون))[٤].

---

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني: (٥٠٨/٢).
(٢) تفسير القرطبي: (٦٩/٩).
(٣) انظر: تفسير الفخر: (٢٠/٩)، وأبي السعود: (٢٢٢/٤).
(٤) تفسير الكشاف: (٢٧٩/٢).

يؤيد هذا ما قاله الحسين[1] بن الفضل :

((لم يكن صالح عليه السلام في خسارة حتى قال : "فما تزيدونني غير تخسير" . وإنما المعنى : ما تزيدونني بما تقولون من الفحش إلا نسبتي إياكم إلى الخسارة.[2]

والتفسيق والتفجير في اللغة: ((هو النسبة إلى الفسق والفجور، وكذلك التخسير هو النسبة إلى الخسران))[3]

ويسجل ابن الجوزي في تفسيره أن هذه الآية نظير قوله تعالى: ((**لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا**))[4] ومن المعلوم أن الصحابة لم يكن فيهم خبال حتى قيل ((مازادوكم إلا خبالا)) ثم أوضح نوع الاستثناء ومعنى الآية بقوله: الإستثناء في هذه الآية ((من الإستثناء المنقطع والمعنى ما زادوكم قوة لكن أوقعوا بينكم خبالا))[5]

وكذلك نبي الله صالح عليه السلام لم يكن في خسارة البتة كما تقدم الإيضاح، ولتحقق ما ينفى الخسارة من كونه عليه السلام على بينة من ربه وإيتائه النبوة[6] .

---

(١) هو الحسين بن الفضل بن عمير البجلي الكوفي، ثم النيسابوري أبو علي، المفسر، الأديب، إمام عصره في معاني القرآن، سمع من يزيد بن هارون، وعبدالله بن بكر السهمي، وأبا النضر وشبابة، وطائفة. وروى عنه محمد بن الأخرم، ومحمد بن صالح، ومحمد بن القاسم العتكي وآخرون. مات بنيسابور سنة (٢٨٢هـ) عن مائة وأربع سنين.
انظر : لسان الميزان للذهبي (٢:٣٠٧-٣٠٨)، طبقات المفسرون(٣٧).

(٢) تفسير البغوي :(٢/٢٤٠).

(٣) تفسير البغوي :(٢:٢٤٠)، وانظر : لسان العرب لابن منظور، مادة (فق) (١٠:٣٠٨)، ومادة (خسر) (٤:٢٣٨).

(٤) سورة التوبة: من الآية (٤٧).

(٥) زاد المسير لابن الجوزي: (٤/٤٤٧) بزيادة وتصرف ، وانظر (٣/١٢٥) منه.

(٦) تفسير أبي السعود (٤/٢٢٢) بتصرف.

وإنما أضاف عليه السلام زيادة الخسارة إلى نفسه لأن قومه أعطوه ذلك وكان سألهم الإيمان[١] . ولما تقدم فالمعنى الثاني أقرب.

وأيضا فإن في إظهار هذا القول تخويفاً لقومه من عاقبة الخسران المترتب على العصيان لله عز وجل، وتكذيب رسله، والإعراض عن دعوته، والإصرار على ماهم عليه من الكفر.

سابعاً: في إقامة الحجة على قومه بالمعجزة الحسية:

لما جاء في قوله تعالى: ((**ويٰقوم هذه ناقة الله لكم ءاية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب**))[٢] .

قال الطبري في تفسير قول الله تعالى: ((**ويٰقوم هذه ناقة الله لكم ءاية..**)) أي : ((حجة وعلامة ودلالة على حقيقة ما أدعوكم إليه))[٣] أ.هـ.

والإضافة في قوله : ((**ناقة الله**)) للتشريف[٤].

وقد دلت آيات أخرى على أن القوم هم الذين طلبوا هذه الآية فبعد أن استنفذ القوم وسعهم في إخراج ألفاظهم البذيئة التي وجهوها إلى الرسول ودعوته، استهزاء وسخرية وتمرداً وعناداً واستكباراً عن الاستجابة للدعوة، وتوهيناً لعزائم المؤمنين، تمخضت أفكارهم عن طلب معجزة يتحدون بها صالحاً عليه السلام في صدق رسالته، فطلبوا آية واشترطوا فيها صفاتٍ معينة تكون دليلاً على صدقه عليه السلام في نبوته، كما قال تعالى عن قيلهم : ((**قالوا إنما أنت بشر مثلنا فأت بٔاية إن كنت من الصٰدقين**))[٥] فجاءهم بآية فيها منفعة لهم، واختبار لأمرهم، كما في قوله: ((**ويٰقوم هذه ناقة الله لكم ءاية...**))[٦] .

---

(١) تفسير البحر المحيط : (٢٣٨/٥) بتصرف يسير.
(٢) سورة هود : الآية (٦٤).
(٣) تفسير الطبري : (٦٤/٧).
(٤) تفسير أبي السعود : (٢٢٢/٤).
(٥) سورة الشعراء : الآية (١٥٤).
(٦) سورة هود : من الآية (٦٤).

واستجابة لرغبة القوم وإقامة للحجة عليهم وقطعاً لمعذرتهم خلقها الله عز وجل بقدرته التي لا يعجزها شئ من المكان الذي أشاروا إليه، وعلى الهيئة التي أرادوها عليه.

وإيضاحاً لهذا نسوق القصة كما أوردها ابن كثير في تفسيره إذ يقول:

(إن قوم صالح عليه السلام اقترحوا عليه آية يأتيهم بها ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربهم، وقد اجتمع ملؤهم وطلبوا منه أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة ناقة عشراء- وأشاورا إلى صخرة عندهم- من صفتها كذا وكذا، فعند ذلك أخذ عليهم نبي الله صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم إلى ما سألوا ليؤمنن به، وليتبعنه، فأعطوه ذلك ، فقام نبي الله صالح عليه السلام فصلى ثم دعا الله عز وجل أن يجيبهم إلى سؤالهم، فانفطرت تلك الصخرة التي أشاروا إليها عن ناقة عشراء على الصفة التي وصفوها فآمن بعضهم، وكفر أكثرهم)[١]

وإبعاداً للمشقة عنهم، أعلمهم عليه السلام برفع مؤنة أكلها وشربها عنه، وطلب منهم تخيلة سبيلها لتأكل مما في الأرض كغيرها من سائمة الأنعام كما في قوله تعالى : ((**فذروها تأكل في أرض الله...**))[٢] .

وحذرهم مما ((خاف عليها منهم لما شاهد من إصرارهم على الكفر، إذ الخصم لا يحب ظهور حجة خصمه، بل يسعى في إخفائها وإبطالها بأقصى الامكان، فلهذا السبب كان يخاف من إقدامهم على قتلها فلهذا حذرهم فقال:((**ولا تمسوها بسوء...**))[٣] . والنهي عما هو أعم من ذلك[٤].

يقول أبو السعود : فـ ((نهى عن المس الذي هو من مبادئ الإصابة، ونكّر السوء أي لا تضربوها، ولا تطردوها، ولا تقربوها بشئ فضلا عن عقرها وقتلها))[٥] .

---

(١) تفسير ابن كثير: (٣/٣٥٦) عند تفسيره للآيات (١٥٣-١٥٥) من سورة الشعراء.
(٢) سورة هود : من الآية (٦٤).
(٣) تفسير السراج المنير للشربيني (٢/٦٧).
(٤) تفسير فتح القدير : للشوكاني (٢/٥٠٨).
(٥) تفسير أبي السعود : (٤/٢٢٢).

فعلى هذا فالمراد النهي عن مسّها بأي أذىً كان، والعقر من باب أولى.

ثم توعدهم بنزول عذاب الله القريب إن خالفوا أمره وأتوا مانهاهم عنه ((فيأخذكم عذاب قريب))[١].

وأعلمهم عليه السلام بالقيود التي يجب مراعاتها، والضوابط التي يجب الإلتزام بها كما جاء في قوله تعالى: ((قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم))[٢]، وقال تعالى: ((ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر))[٣].

فبذلك قامت عليهم الحجة ودخلوا مرحلة الاختبار أيسلمون أم يكفرون؟ والله أعلم بما يفعلون، قال تعالى: ((إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر))[٤].

نعم إنها فتنة وأي فتنة أعظم من فتنة قامت على القوم بها الحجة، وأخذ العباد مما حل بالمعاندين العبرة، إذ أن المعاندين بعد أن قامت الحجة عليهم برؤية ماتحدوه به، وأنفوا اتباع الحق وضاقت أنفسهم من رؤية المعجزة الدالة على صدق الرسول في رسالته، تغدو وتروح أمام أنظار الناس الذين يخشون منهم استجابتهم للدعوة عند رؤيتها.

فقرروا التمادي في الإجرام؛ فمن نكث للعهود التي قطعوها على أنفسهم بالإيمان بالله وتصديق نهيه عليه السلام، إلى التعدي على آية الله التي طلبوها وأعرضوا عنها بالعقر، متناسين نهي الرسول عليه السلام عن الإساءة إليها فضلاً عن الإجهاز عليها.

فقرروا عقر الناقة. قال تعالى: ((فعقروها)) أي ((خالفوا أمر نبيهم فعقروها))[٥].

---

(١) سورة هود : من الآية (٦٤).
(٢) سورة الشعراء : الآية (١٥٥).
(٣) سورة القمر : الآية (٢٨).
(٤) سورة القمر : الآية (٢٧).
(٥) تفسير الخازن : (٢٤٠/٢).

ونسب العقر إلى جميعهم وإن كان العاقر واحداً لأنه كان برضاً منهم وتمالؤ.[١]

وتزعم لواء العقر رجلان: أحدهما : مصرع بن مهرج بن المحيا، والثاني: قدار بن سالف.

فعملا على إقناع سبعة آخرين لمشاركتهم في جريمتهم فصاروا تسعة؛ من أشد الناس كفراً وفساداً في الأرض، كما قال تعالى: ((وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون))[٢] وسعوا في بقية القبيلة وحسّنوا لهم عقرها، فأجابوهم إلى ذلك وطاوعوهم عليه، فانطلقوا يرصدون الناقة فلما صدرت من وردها كمن لها (مصرعُ فرماها بسهم فانتظم عظم ساقها، وجاء النساء يذمرن القبيلة في قتلها وحسرن عن وجوههن ترغيباً لهم، فابتدرهم قدار بن سالف فشد عليها بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرت ساقطة إلى الأرض))[٣].

ولما انتهوا من عقرها أعلمهم عليه السلام بما أوحى الله تعالى إليه من إنزال العذاب بهم كما قال تعالى : ((فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلثة أيام ذلك وعد غير مكذوب))[٤].

ومعنى تمتعوا: أي استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لأنها يدار فيها، أي يتصرف يقال: ديار بكر لبلادهم.[٥]

وبعدها ينزل العذاب، وأكده بقوله : ((ذلك وعد غير مكذوب)).

---

(١) البحر المحيط (٥/٢٣٩).
(٢) سورة النمل : الآية (٤٨).
(٣) البداية والنهاية : لابن كثير (١/١٢٧).
(٤) سورة هود : الآية (٦٥).
(٥) الكشاف (٢/٢٧٩)، وانظر البحر المحيط (٢/٢٣٩).

أي : الوعد بالعذاب غير مكذوب ، أي صدق حق.[١]

قال البغوي في تفسيره :((روي أنه عليه السلام قال لهم يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصبحون اليوم الأول وجوهكم مصفرة، وفي اليوم الثاني محمرة، وفي اليوم الثالث مسودة، فكان كما قال وأتاهم العذاب اليوم الرابع))[٢] .

ثامناً: الإمتنان بإنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين

ودل عليه قوله تعالى: ((**فلما جاء أمرنا نجينا صٰلحاً والذين ءامنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ إن ربك هو القوى العزيز**))[٣] .

(**ولما جاء أمرنا**)) أي عذابنا[٤] أو أمرنا بوقوع العذاب[٥] وقد تقدم القول عن المعنى في قصة نوح عليه السلام.

((وبدأ بذكر تنجية الأولياء؛ لأن ذكرهم لاسيما عند حلول الأنباء أهم، فذكرها أولا))[٦] .

ثم أخبر بهلاك الأعداء لإظهار عدله ونعمته، وأكد تعالى الإنجاء في حق المؤمنين للتذكير بفضله ورحمته، والخزي في حق الكافرين بقوله: ((**ومن خزي يومئذ**)) أي وينجيهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة[٧] على معنى أن المراد بالتنجية التنجية من عذاب السموم الواقع عليهم في الدنيا.[٩]

---

(١) تفسير البحر المحيط :(٥/٢٤٠).
(٢) تفسير البغوي : (٢/٢٤٠).
(٣) سورة هود : الآية (٦٦).
(٤) تفسير الطبري : (٧/٦٥).
(٥) تفسير الشوكاني : (٢/٥٠٨).
(٦) تفسير أبي السعود : (٤/٢٢٣).
(٧) المرجع السابق (٤/٢٢٣).
(٨) سورة هود : من الآية (٥٨).
(٩) انظر : تفسير أبي السعود (٤/٢٢٣).

وقيل من عذاب يوم القيامة[١] والأول أولى.[٢]

((والخزي الذل والمهانة))[٣] وسمي خزياً لأن فيه خزي للكافرين كما يقول الطبري، أي ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذله بذلك العذاب.[٥]

ثم ختم الآية بما يناسب مجيئ الأمر فختمت بصفتين من صفات الله تعالى الدالة على الغلبة والقهر والانتقام، وهما ((القوي العزيز)) في قوله تعالى: ((**إن ربك هو القوي العزيز**)).

والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم[٦] أي: إن ربك يامحمد هو ((القوي في بطشه إذا بطش بشئ أهلكه كما أهلك ثمود حين بطش بها.

العزيز: فلا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، بل يغلب كل شئ ويقهره))[٧].

---

(١) جاء في الكشاف (٢٧٩:٢) (ويجوز أن يريد (يومئذ) يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة) انتهى.
وتعقبه أبو حيان في تفسيره (٢٤٠:٥) بقوله: ((وهذا ليس بجيد؛ لأن التنوين في (إذا) تنوين العوض، ولم يتقدم إلا قوله: ((فلما جاء أمرنا)) ولم تتقدم جملة فيها ذكر يوم القيامة ولا ما يكون فيها، فيكون هذا التنوين عوضاً من الجملة التي تكون في يوم القيامة)).أهـ.

(٢)و(٣) فتح القدير : للشوكاني (٥٠٨/٢).

(٤) تفسير الخازن : (٢٤٠/٢).

(٥) تفسير الطبري : (٦٥/٧).

(٦) قارن بتفسير البحر المحيط : (٢٤٠/٥).

(٧) تفسير الطبري : (٦٥:٧).

تاسعاً : في بيان عذاب الظالمين:

ثم فسر العذاب بقوله تعالى : ((**وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جثمين**))[١] نعم قوله ((**الذين ظلموا**)) عدل عن المضمر إلى المظهر تسجيلاً عليهم بالظلم وإشعاراً بعليته لنزول العذاب بهم.[٢]

ودلت الآية على أنهم عذبوا، والصيحة ((أي صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام، وقيل أتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة، وصوت كل شئ في الأرض، فتقطعت قلوبه في صدورهم))[٣] .

وفي سورة الأعراف: ((**فأخذتهم الرجفة...**))[٤] يقول أبو السعود: ((ولعلها وقعت عقب الصيحة المستتبعة لتموج الهواء[٥] .

ثم أخبر تعالى عن نهاية الظالمين بقوله جل وعلا ((**فأصبحوا في ديارهم جثمين**))[٦] .

يقول القرطبي: ((أي: ساقطين على وجوههم قد لصقوا بالتراب كالطير إذا جثمت))[٧] .

قال الخازن: ((وجثوم الطير هو وقوعه لاطئاً بالأرض في حال نومه وسكونه بالليل.

والمعنى أنهم أصبحوا جاثمين على وجوههم موتى لا يتحركون))[٨] أهـ.

---

(١) سورة هود : الآية (٦٧).
(٢) تفسير أبي السعود : (٢٢٣/٤).
(٣) تفسير البغوي : (٢٤٠/٢).
(٤) سورة الأعراف : من الآية (٧٨).
(٥) تفسير أبي السعود: (٢٢٣/٤).
(٦) سورة هود : من الآية (٦٧).
(٧) تفسير القرطبي (٦٢:٩).
(٨) تفسير الخازن: (٢٥٤/٣) عند تفسيره للآية ٧٨ من سورة الأعراف.

ولا يخفى مافي هذه الآية من الدلالة على شدة الأخذ وسرعته، اللهم إنا نعوذ بك من حلول غضبك.[١]

ثم قال تعالى : مُحسِّراً لهم ((كأن لم يغنوا فيها))[٢] أى كأنهم في بلادهم أو في مساكنهم[٣].

يعني : ((كأن لم يقيموا في تلك الديار ولم يسكنوها مدة من الدهر، يقال غنيت بالمكان إذا أتيته وأقمت به))[٤].

((ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعداً لثمود))[٥].

أي : ألا إن ثمود كفروا بآيات ربهم فجحدوها ((ألا بعدا لثمود)) أي ألا أبعد الله ثمود لنزول العذاب بهم.[٦]

ووضع لفظ ((ألا إن ثمود)) موضع الضمير لزيادة البيان.[٧]

وصرح بكفرهم مع كونه معلوماً مما سبق من أحوالهم تقبيحاً لحالهم، وتعليلاً لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله تعالى: ((ألا بعداً لثمود)). والبعد هو اللعنة. وقد تقدم.[٨]

---

(١) تفسير أبي السعود : (٢٢٣/٤).
(٢) سورة هود : من الآية (٦٨).
(٣) تفسير أبي السعود : (٢٢٣/٤).
(٤) تفسير الخازن : (٢٤٠/٢).
(٥) سورة هود : من الآية (٦٨).
(٦) تفسير الطبري : (٦٨/٧) عن قتادة.
(٧)و(٨) تفسير أبي السعود (٢٢٣/٤) وانظر : فتح القدير للشوكاني (٥٠٩/٢).

الباب الثاني

الفصل الرابع

دعوة إبراهيم عليه السلام

ونعرض لما تضمنته آيات السورة في خبر نبي الله إبراهيم عليه السلام من خلال النقاط التالية:

- في نسبه عليه السلام.
- في وجه ذكر خبر إبراهيم عليه السلام في سورة هود دون مثيلاتها من السور.
- في قدوم الملائكة عليهم السلام.
- إكرامه عليه السلام لأضيافه ومن ثم ايجاسه منهم.
- في كشف الملائكة عن شخصيتهم، وبيان مهمتهم.
- في معنى الضحك الوارد في الآية.
- في البشارة بإسحاق عليه السلام... وتحقيق القول في الذبيح.
- في تعجب زوجة الخليل عليه السلام من البشارة.
- في مجادلته عليه السلام عن قوم لوط.
- في ثناء الله على خليله إبراهيم عليه السلام.

- نسبه عليه السلام:

هو إبراهيم بن آزر كما نص على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ((**وإذ قال إبراهيم لأبيه ءازر..**)).(١)

وذكر النسابون نسبه عليه السلام إعتماداً على مافي كتب التوراة فقالوا هو: إبراهيم بن آزر، بن تارح، بن ناحور، بن ساروغ، بن أرغو، بن فالغ، بن عابر، بن شالح، بن قينان، بن أرفخشد، بن سام بن نوح.(٢)

- في وجه ذكر خبر نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة هود دون مثيلاتها من السور:

وقد ذكر الله تعالى في سورة هود عليه السلام خبر إبراهيم قبل قص خبر لوط عليه السلام وقومه، ولم يرد ذكر قصته عليه السلام في سورة هود ولا في مثيلاتها كالأعراف والشعراء، ولعل السر في ذلك: أن تلك السور الأول ذكر الله فيها نصر رسله بإهلاك قومهم، ونجاة الرسل وأتباعهم.

وأما السور التي ذكر فيها خبر إبراهيم عليه السلام كما في الأنبياء، والعنكبوت، والصافات، فإنه لم يقتصر فيها على ذكر من أهلك من الأمم، بل كان المقصود ذكر الأنبياء، وإن لم يذكر قومهم، ولهذا سميت سورة الأنبياء، فذكر فيها إكرامه للأنبياء، وبدأ بقصة إبراهيم، إذ كان المقصود ذكر كرامة الأنبياء قبل محمد، وإبراهيم أكرمهم على الله تعالى، وهو خير البرية، وهو أب أكثرهم، وليس هو أب نوح ولوط، لكن لوط من أتباعه، وأيوب من ذريته، بدليل قوله تعالى في سورة الأنعام: ((**ومن ذريته داود وسليمن وأيوب**)).(٣)

وأما سورة العنكبوت، فإنه سبحانه وتعالى ذكر فيها امتحانه للمؤمنين ونصره لهم، وحاجتهم إلى الصبر والجهاد، وذكر فيها حسن العاقبة لمن صبر، وعاقبة من كذب الرسل، فذكر قصة إبراهيم لأنها من النمط الأول، ونصرة الله له على قومه.

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٧٤)

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري (٢٣٣/١)

وانظر: الكامل لابن الأثير (٩٤/١٠)، البداية والنهاية لابن كثير (١٣٩/١).

(٣) سورة الأنعام: الآية (٨٤).

وكذلك في سورة الصافات قال فيها: ((**ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين. ولقد أرسلنا فيهم منذرين. فانظر كيف كان عُقبة المنذرين**))(١) وهذا يقتضي أنها عاقبة رديئة؛ إما بكونهم غُلِبوا وذلوا، وإما بكونهم أُهلكوا، ولهذا ذكر قصة إلياس دون غيرها، ولم يذكر إهلاك قومه بل قال: ((**فكذبوه فإنهم لمحضرون**))(٢).

وقد روي أن الله رفع إلياس، وهذا يقتضي عذابهم في الآخرة، فإن إلياس لم يقم بينهم وإلياس المعروف بعد موسى من بني إسرائيل، وبعد موسى عليه السلام لم يهلك الله المكذبين بعذاب الاستئصال، وبعد نوح عليه السلام لم يهلك جميع النوع، وقد بعث الله في كل أمة نذيراً، والله سبحانه لم يذكر عن قوم إبراهيم أنهم أُهلكوا، كما ذكر ذلك عن غيرهم بل ذكر أنهم ألقوه في النار، فجعلها الله تعالى عليه برداً وسلاماً وأرادوا به كيداً فجعلهم الأسفلين الأخسرين، وفي هذا ظهور برهانه وآياته وأنه أظهره عليهم بالحجة والعلم، وأظهره أيضاً بالقدوة حيث أذلهم ونصره.

وهذا من جنس المجاهد الذي هزم عدوه، والقصص الأول وما جاء في سورة الأعراف هو من القصص من جنس المجاهد الذي قتل عدوه.

وإبراهيم عليه السلام بعد هذا لم يقم بينهم. بل هاجر وتركهم، وأولئك الرسل لم يزالوا مقيمين بين ظهراني قومهم حتى هلكوا، فلم يوجد في حق إبراهيم سبب الهلاك، وهو إقامته فيهم، وانتظار العذاب النازل، وهكذا كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه لم يقم فيهم بل خرج عنهم حتى أظهره الله تعالى عليهم بعد ذلك.

ومحمد وإبراهيم أفضل الرسل، فإنهم إذا علموا الدعوة حصل المقصود، وقد يتوب منهم من يتوب بعد ذلك، كما تاب من قريش من تاب(٣).

فهذا والله أعلم هو السر في أنه سبحانه لم يذكر قصة إبراهيم مع هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) سورة الصافات: الآية (٧١-٧٢).

(٢) سورة الصافات: الآية (١٢٧).

(٣) النبوات لابن تيمية: (٤٠-٤٢). وانظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٠:٣).

وقد جرت عادة الله تعالى بأنه إذا أورد على الكفار أنواع الدلائل، أتبعها بالقصص ليصير ذكرها مؤكداً لما افتتحت به السورة من الأمر بعبادة الله تعالى وحده، والبراءة من كل ماسواه، وتقرير أصول عقيدة التوحيد. وفي هذه السورة ذكر الحق تبارك وتعالى أنواعاً من القصص وهو شبيه بما جاء في سورة الأعراف والشعراء.

- **في قدوم الملائكة عليهم السلام:**

وبدأ الحق تبارك وتعالى ذكر خبر خليله عليه السلام بقوله: ((**ولقد جآءت رسلنا إبراهيم بالبشرى..**))(١)

فأطلق مجيء بالبشرى دون الإرسال لأنهم لم يكونوا مرسلين إليه عليه السلام، بل إلى قوم لوط، لقوله تعالى: ((**إنا أُرسلنا إلى قوم لوط...**)) (٢) وإنما جاؤوا لداعية البشرى. ولما كان المقصود في السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الأمم السالفة مع الرسل المرسلة إليهم، ولحوق العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم إبراهيم عليه السلام ممن لحق بهم العذاب وإنما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الأسلوب المطرد بما سبق من قوله تعالى: ((**وإلى عاد أخاهم هوداً**))(٣) ((**وإلى ثمود أخاهم صلحا**))(٤) ثم رجع إليه حيث قال: ((**وإلى مدين أخاهم شعيبا...**(٥))).(٥)

فإن الملائكة قدمت على إبراهيم عليه السلام وهم ذاهبون إلى قوم لوط في هيئة رجال من الإنس.

فبدؤوه بالسلام كما قال تعالى: ((**قالوا سلٰماً قال سلٰمٌ**)).(٦)

---

(١) سورة هود: الآية (٦٩).
(٢) سورة هود: الآية (٧٠).
(٣) سورة هود: الآية (٥٠).
(٤) سورة هود: الآية (٦١).
(٥) سورة هود: الآية (٨٤).
(٥) تفسير أبي السعود: (٤/٢٢٤).
(٦) سورة هود: الآية (٦٩).

((وسلام: خبر مبتدأ محذوف، أي: أمري أو أمركم سلام.

أو مبتدأ محذوف الخبر، أي: عليكم سلام.

ونصب سلاماً: يدل على التجدد.

ورفع سلام: يدل على الثبوت والإستقرار)).(١)

قال ابن كثير: ((قال علماء البيان: وهذا أحسن ما حيوه به لأن الرفع يدل على الثبوت والإستمرار)).(٢)

في إكرامه عليه السلام لأضيافه ومن ثم إيجاسه منهم:

ثم إن نبي الله إبراهيم عليه السلام ظن الأضياف بشراً فقام لهم عليه السلام بما يجب من حق الضيافة والإكرام، كما قال تعالى مبيناً أداؤه عليه السلام لآداب الضيافة: ((**فما لبث أن جآء بعجل حنيذ**)). (٣)

وقوله: ((**فما لبث**)) أي ما تأخر، والعجل: هو فتى البقر.(٤)

وقوله: ((**حنيذ**)) أي مشوي على الرضف وهي الحجارة المحماة.(٥)

ولما كانت السُّنة أن يبادر المقدَّم إليه الطعام بالأكل، لأن كرامة صاحب المنزل المبادرة بالقبول، كما أن كرامة الضيف تعجيل التقديم له.

إلا أن هؤلاء الأضياف ظهر منهم خلاف ماهو معتاد من الأضياف عندئذ أوجس عليه السلام منهم خيفة،كما بين الحق تبارك وتعالى ذلك في قوله: ((**فلما رءآ أيديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفةً**)). (٦)(٧)

---

(١) البحر المحيط (٥:٢٤١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢:٤٥٢).

(٣) سورة هود: الآية (٦٩).

(٤) تفسير البحر المحيط (٥:٢٤١).

(٥) تفسير ابن كثير (٢: ٤٥٢).

(٦) سورة هود: الآية (٧٠).

(٧) انظر: تفسير القرطبي (٩:٦٥).

وقوله: ((**وأوجس منهم خيفة**)) أي: أحس بخوف أو فزع.

لأن العادة جرت عندهم أن يظن بالضيف الذي لايأكل شراً[١]

ولم يكن يعلم عليه السلام أنهم ملائكة وإلا فإن "الملائكة لاهمة لهم في الطعام ولايشتهونه ولا يأكلونه، فلهذا رأى حالهم معرضيين عما جاءهم به، فارغين عنه بالكلية فعند ذلك نكرهم".[٢]

وأظهر وجله منهم كما أخبر الله عنه في قوله: ((**إنا منكم وجلون**)) [٣] وفي آية آخرى: ((**سلم قوم منكرون**)) [٤]

يقال نكرته وأنكرته، واستنكرته إذا وجدته على غير ماتعهد.[٥]

ولم يكن يعلم عليه السلام أنهم ملائكة وبعد هذا. **كشفت الملائكة عن شخصيتهم، إخباراً عن مهمتهم**، وإزالة لما عسى أن يتوهمه عليه السلام ولجلب الأنس له، وتهدئة روعه، لأن الرسل لايوجلون من الملائكة بل يأنسون بهم فقالوا: ((**لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط**)) [٦] أي إنا أرسلنا إلى قوم لوط لنهلكهم.[٧]

وإنما قالوا لاتخف لما أوضح عنه عليه السلام في قوله: ((**قال إنا منكم وجلون. قالوا لاتوجل إنا نبشرك بغلم عليم**)).[٨]

---

(١) تفسير القرطبي: (٦٥:٩).
(٢) تفسير ابن كثير: (٤٦٧/٢).
(٣) سورة الحجر: الآية(٥٢).
(٤) سورة الذاريات: الآية(٢٥).
(٥) فتح القدير للشوكاني: (٥١٠/٢).
(٦) سورة هود: الآية(٧٠).
(٧) تفسير ابن كثير: (٤٦٨/٢).
(٨) سورة الحجر: الآية (٥٢-٥٣).

ولبيان معنى الضحك في قوله تعالى: ((**وامرأته قائمة فضحكت**)).[١] فنعرض له ببيان أصله ومعناه وسببه:

فأصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس، ولظهور الأسنان عنده سميت مقدمات الإنسان الضواحك، ويستعمل في السرور المجرد، وفي التعجب المجرد أيضاً.[٢]

وأما معنى الضحك وسببه: فللعلماء في تفسير هذا الضحك قولان:

- **أحدهما**: أنه الضحك المعروف، وعليه أكثر المفسرين.[٣]

ومما قيل في **سبب ضحكها هو**: استبشارها بهلاك قوم لوط لفسادهم، وغلظ كفرهم وعنادهم، فلهذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد الإياس، وهذا أقرب ما يحمل عليه المعنى من ضحكها،[٤] لأن البشارة صريحة مرتبة على ضحكها كما قال تعالى: ((**فبشرناها بإسحٰق ومن ورآء إسحٰق يعقوب**)).[٥]

- **ثانيهما** ضحكت: أي حاضت في الوقت.. فذلك أمارة لما بُشرت به، فحيضها في الوقت لتعلم أن حملها ليس بمستبعد، لأن المرأة مادامت تحيض فإنها تحمل.[٦]

في البشارة بإسحاق عليه السلام.. وتحقيق القول في الذبيح

فجاءت البشارة من الملائكه عليهم السلام لنبي الله إبراهيم عليه السلام وزوجه بإسحاق وبنبوته، وبأن له نسلاً وعقبا، كما قال تعالى: ((**وبشرناه بإسحٰق نبياً من الصٰلحين**)). [٧]

((وهذا أكمل في البشارة وأعظم في النعمة.

وقال: ((**فبشرناها بإسحٰق ومن وراء إسحٰق يعقوب**)). [٨]

أي يولد لهذا المولود ولد في حياتكما فتقر أعينكما به كما قرت بوالده فإن الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب)).[٩]

---

(١) سورة هود: الآية (٧١).
(٢) تفسير الخازن (٢٤١:٢).
(٣) انظر: البحر المحيط (٥ك٢٤٢).
(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤٦٨:٢).
(٥) سورة هود: الآية (٧١).
(٦) تفسير الخازن: (٢٤٢:٢).
(٧) سورة الصافات: الآية (١١٢).
(٨) سورة هود: الآية (٧١).
(٩) تفسير ابن كثير: (١٥٩/٢-١٦٠) عند الآية: [٨٤: الأنعام].

ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لايعقب لضعفه، وقعت البشارة به وبولده باسم يعقوب الذي فيه اشتقاق العقب والذرية.

وكان هذا مجازاة لإبراهيم عليه السلام حين اعتزل قومه وتركهم، ونزح عنهم، وهاجر من بلادهم ذاهباً إلى عبادة الله في الأرض، فعوضه الله عز وجل عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه لتقر بهم عينه، كما قال تعالى: ((**فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحٰق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً**)) (١) وقال: ((**ووهبنا له إسحٰق ويعقوب وكلاً هديناونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمٰن وأيوب ويوسف وموسىٰ وهٰرون وكذٰلك نجزى المحسنين**)). (٣)

ويعقوب: ولد إسحاق، كما قال تعالى في آية البقرة: ((**أم كنتم شهدآء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلٰهك وإلٰه ءابآئك إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق إلٰهاً واحداً ونحن له مسلمون**)). (٥)

يقول ابن كثير عند تفسيره للآيات من سورة هود: ((ومن ههنا -أي- من قوله تعالى: ((**فبشرنٰها بإسحٰق ومن وراء إسحٰق يعقوب...**)).

استدل من استدل بهذه الآية على أن الذبيح إنما هو إسماعيل، وأنه يمتنع أن يكون هو إسحٰق لأنه وقعت البشارة به وأنه سيولد له يعقوب فكيف يؤمر بذبح هذا والحالة هذه فتعين أن يكون هو إسماعيل وهذا من أحسن الاستدلال وأبينه ولله الحمد)). (٧)

---

(١) سورة مريم: الآية (٤٩).
(٢) سورة الأنعام: الآية (٨٤).
(٣) تفسير ابن كثير: (٢:١٥٩-١٦٠) عند تفسير الآية [٨٤: الأنعام].
(٤) سورة البقرة: الآية (١٣٣).
(٥) تفسير ابن كثير: (٢: ٤٥٣).
(٦) سورة هود: الآية (٧١).
(٧) تفسير ابن كثير: (٢/٤٥٣).

في تعجب زوجة الخليل عليه السلام من البشارة:

وهو ماأخبر الله تعالى عنه في قوله: ((**قالت يٰويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً إن هذا لشىء عجيب**)).(١)

قالت ياويلتي: نداء ندب، وأصلها ياويلتاه. وهي كلمة يستعملها الإنسان عند رؤية ما يتعجب من مثل: ياعجباه.(٢)

وفي سورة الذاريات: ((**فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم**))(٣) كما جرت به عادة النساء في أقوالهن وأفعالهن عند التعجب.(٤)

وبينت سارة وجه التعجب بقولها:((**أألد وأنا عجوز**)) وكانت بنت تسعين، وقيل بنت تسع وتسعين سنة.

((**وهذا بعلى شيخاً**)) يعني زوجي، والبعل هو المستعلي على غيره، ولما كان زوج المرأة مستعلياً عليها قائماً بأمرها سمي بعلاً لذلك.

وشيخاً: لأن إبراهيم عليه السلام كان ابن مائة وعشرين سنة، وقيل كان ابن مائة سنة...(٥)

((**إن هذا لشىء عجيب**))

ولم تنكر قدرة الله سبحانه وتعالى، وإنما تعجبت من كون الشيخ الكبير والعجوز الكبير يولد لهما.(٦)

ورد عليها الملائكة بما أخبر الله عنهم في قوله: ((**قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركٰته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد**)).(٧)

---

(١) سورة هود: الآية (٧٢).
(٢) تفسير الخازن: (٢٤٢:٢).
(٣) الآية (٢٩).
(٤) تفسير ابن كثير: (٤٥٣:٢).
(٥) تفسير الخازن: (٢٤٣:٢).
(٦) تفسير الخازن: (٢٤٣/٢)
(٧) سورة هود: الآية (٧٣).

(فإن الله تعالى أمره لاعجب فيه لنفوذ مشيئته التامة في كل شيء، فلا يستغرب على قدرته شيء، وخصوصاً فيما يدبره ويمضيه لأهل هذا البيت المبارك))[١].

((**رحمة الله وبركاته**)) أي: ((لاتزل رحمته وإحسانه وبركاته، وهي الزيادة من خيره وإحسانه وحلول الخير الإلهي))[٢].

((عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد))

أي: ((حميد الصفات لأن صفاته صفات كمال، حميد الأفعال، لأن أفعاله إحسان وجود، وبر وحكمة، وعدل وقسط))[٣].

((مجيد)) والمجد هو ((عظمة الصفات وسعتها، فله صفات الكمال وله من كل صفة كمال أكملها وأتمها، وأعمها))[٤].

وفي الحديث أن الصحابة رضوان الله عليهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ((قد عرفنا كيف نسلم عليك. فكيف نصلي عليك؟ قال: ((قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد. كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد))[٥].

في مجادلته عليه السلام عن قوم لوط:

((**فلما ذهب عن إبرٰهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط إن إبرٰهيم لحليم أواه منيب**))[٦].

---

(١) و (٢) تفسير السعدي (٣:٢٠٨).

(٣) و (٤) تفسير السعدي (٣:٢٠٨).

(٥) رواه مسلم في كتاب الصلاة، ١٧- باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد (١:٣٠٥).

ففي هذه الآية يخبر تعالى عن ذهاب الروع عن نبيه إبراهيم عليه السلام بعدما أوجس من الملائكة خيفة إذ لم يأكلوا، وبشارتهم إياه بعد ذلك بالولد، وإخباره بهلاك قوم لوط.. ثم ختم الحق تبارك وتعالى الآية:

بالثناء على إبراهيم عليه السلام((إن إبرهيم لحليم أواه منيب)).(١)

ومعنى قوله: ((**إن إبرهيم لحليم**)) أي: ذو خلق وسعة صدر وعدم غضب عند جهل الجاهلين.(٢)

((**أواه**)) أي: متفرغ إلى الله في جميع الأوقات.(٣)

((**منيب**)) أي: رجاع إلى الله بمعرفته ومحبته والإقبال عليه والإعراض عمن سواه، فلذلك كان يجادل عمن حكم الله بهلاكهم فقيل له: ((**يا إبرٰهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم ءاتيهم عذاب غير مردود**)). (٤)

أي: قد نفذ فيهم القضاء، وحقت عليهم الكلمة بالهلاك وحلول البأس الذي لايرد عن القوم المجرمين.(٥)

كقوله تعالى: ((**ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون**)). (٦)

وأما عن هلاك قوم لوط فهو ماسنقف عليه في الفصل الآتي إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة هود: الآية (٧٥).

(٢)(٣) تفسير السعدي (٢٠٨/٣).

(٤) سورة هود: الآية (٧٦).

(٥) تفسير ابن كثير: (٤٦٩/٢).

(٦) سورة هود: الآية (٨).

الباب الثاني

الفصل الخامس

دعوة لوط عليه السلام

قال تعالى : ((ولما جاءت رسلنا لوطاً سيئ بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب)).

لعل من المناسب أن نؤجل الحديث عن سبب استيائه عليه السلام بعد أن نعرف نسبه، ونبين حاله مع قومه، وقد قص الله تعالى علينا أخبار دعوته عليه السلام في عدد من سور القرآن الكريم، وإن كان ماورد في هذه السورة يكاد يمثل المرحلة الأخيرة من مراحل دعوته لقومه، ونتناول البحث في دعوة هذا النبي الكريم على النحو التالي:

١ - في بيان نسبه.
٢ - في التعريف بقومه.
٣ - في بيان معتقدهم.
٤ - في دعوته عليه السلام - وفيه:
أ - الدعوة إلى توحيد الله تعالى.
ب - نهيه لقومه عما كانوا عليه من ارتكاب الفاحشة.
٥ - موقف قومه من دعوته ، وفيه :
أ - جحود أمر التشريع.
ب - تهديد النبي وآله بالإخراج.
ج - سخريتهم بالرسول وذمه بالتطهر.
د - استعجالهم العذاب.
٦ - في طلب لوط عليه السلام نصر ربه.
٧ - في استجابة الله سؤال نبيه عليه السلام.
٨ - قدوم الملائكة لإهلاك المكذبين من قومه. وبيان:
أ- مهمة الملائكه عليهم السلام.
ب - في سبب استيائه عليه السلام من أضيافه.
٩- في موقف قومه من أضيافه.
١٠- في مدافعة لوط عليه السلام عن أضيافه.
١١- الدعوة إلى قضاء الوطر من حله وفي محله ، ونبين فيه:

أ - في المراد بالعَرْض في قوله : ((**هؤلاء بناتى هن أطهر لكم..**)). وتحقيق القول فيه.

ب - في المراد بقوله ((**أطهر**)).

١٢- في تذكير القوم بتقوى الله تعالى.

١٣- إثارته عليه السلام عواطف الخير في نفوس قومه.

١٤- موقف قومه من وعظه ونصحه عليه السلام وإرشاده ، وفيه:

أ - إعراضهم عن الحق.

ب - شهادتهم على أنفسهم بتأصل الجريمة في نفوسهم.

١٥- في إظهاره عليه السلام اشتداد كربه من إصرار قومه على فعل الفاحشة ونفاذ وسعه في المدافعة عن أضيافه.

١٦- في فصل الملائكة عليهم السلام للموقف.

١٧- في أمره عليه السلام بالأخذ بأسباب النجاة.

١٨- في صفة هلاك ظالمي قومه عليه السلام.

وإليك عرضها بالتفصيل في الآتي :

١- أما عن نسبه عليه السلام :

فهو نبي الله تعالى لوط بن هاران بن آزر. وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام، آمن بإبراهيم واهتدى بهديه، كما قال تعالى بعد أن ذكر شأن إبراهيم عليه السلام مع قومه: ((**فئامن له لوط وقال إنى مهاجرٌ إلى ربى إنهُ هو العزيز الحكيم**))(١)

٢ - وأما قومه:

فيذكر المؤرخون أن قوم لوط أمة عظيمة عاشت في حياة إبراهيم عليه السلام، وكانوا يسكنون (سدوم) وهي أكبر قرى قوم لوط الأربعة وهي: ((صنعة وصعوة وعشرة ودوما))(٢) وورد ذكرها في القرآن مجموعة في معرض ذمهم، كما في قوله تعالى: ((**ألم يأتهم نبأُ الذين من قبلهم قوم نوح وعادٍ وثمود وقوم إبرٰهيم وأصحٰب مدين والمؤتفكٰتِ أتتهم رُسُلُهُم بالبينٰت فما كان الله ليظلمهم ولٰكن كانوا أنفسهم يظلمون**))(٣) .

وورد ذكرها مفردة على طريق الجنس، كما في قوله تعالى: ((**والمؤتفكة أهوى**))(٤) وسميت بالمؤتفكات لأن جبريل عليه السلام قلبها فأهوى بها منكسة وجعل عاليها سافلها.(٥)

ويذكر ابن كثير في تفسيره بأن مكان هذه القرى قد تحول بفعل العذاب إلى ((بحيرة منتنة خبيثة وهي مشهورة ببلاد الغور متاخمة لجبال بيت المقدس بينها وبين بلاد الكرك والشوبك))(٦) . أهـ.

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٢٦).
(٢) تفسير الطبري (٩٨:٧).
(٣) سورة التوبة : الآية (٧٠).
(٤) سورة النجم : الآية (٥٣).
(٥) انظر : تفسير ابن كثير (٢٧٨:٤) والقرطبي (١٢٠:١٧).
(٦) انظر : تفسير ابن كثير (٣٥٧/٣)، عند تفسيره للآية (١٦٠).

ومن المؤرخين من يحدد مكانها حالياً بالبحر الميت، أو بحيرة لوط.(١)

ويرى بعض العلماء أن البحر الميت لم يكن موجوداً قبل هذا الحادث، وإنما حدث الزلزال الذي جعل عالي البلاد سافلها، وصارت أخفض من سطح البحر بنحو أربعمائة متر، وفي هذا العصر اكتُشِف أن آثار مدن قوم لوط تقع على حافة البحر الميت.(٢)

٣ - أما معتقد قومه ومعصيتهم :

فقد أضافوا إلى ماكان منهم من الشرك رذائل أخرى هي من أشنع الرذائل وأخطرها بابتداع فاحشة اللواط في المجتمع الانساني باتيانهم الذكران من العالمين، وترك ماأحله الله تعالى لهم، وما خلقه لهم من أزواجهم ، استعاضة منهم بالحرام عن الحلال واستبدالاً بالخبيث بالطيب، ورغبة في الرذالة عن الطهارة، ومع هذا تعروا من كل فضيلة، وتلبسوا بكل رذيلة، فنزعوا عنهم جلابيب الحياء، واتفق في حقهم أنهم كانوا من أشر أهل الأرض طوية وأفسدهم سريرة ، وأرداهم أخلاقاً لا يستحيون من منكر ، ولا يتعففون عن معصية بل ويأتونها على رؤوس الأشهاد دون وازع من دين، أو تأنيب ضمير(٣) ؛ كما يستفاد مما قصه الله تعالى علينا من أخبارهم، وكفى باستيائه عليه السلام من مجيئ أضيافه، خوفاً من انتهاك كرامتهم من قبل المكذبين من قومه شاهداً على جرمهم، كما قال تعالى : ((**ولما جاءت رسلنا لوطاً سئ بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يومُ عصيب**))(٤)

---

(١) انظر مع الأنبيا في القرآن الكريم لطبارة (١٤٦).

(٢) قصص الانبياء للنجار : (١١٣).

(٣) قارن : البداية والنهاية لابن كثير (١٦٤/١)، قصص الأنبياء للنجار (١١٢)، مع الانبياء لطباره ١٤٢-١٤٣.

(٤) سورة هود: الآية (٧٧).

ويذكر أهل التاريخ والسير كما نقل ذلك بعض المفسرين عنهم أن سبب هذه الفعلة النكراء ((أن قرى قوم لوط كانت مخصبة، ذات زروع وثمار، لم يكن في الأرض مثلها، فقصدهم الناس فآذوهم وضيقوا عليهم، فعرض لهم ابليس في صورة شيخ، وقال إذا فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم، فأبوا فلما ألح الناس عليهم قصدوهم، فأصابوا غلماناً حساناً صباحاً فأخبثوا واستحكم ذلك فيهم))[1].

قال الحسن[2]: ((كانوا لا ينكحون إلا الغرباء.. وقيل استحكم ذلك فيهم حتى نكح بعضهم بعضاً))[3] أهـ.

٤- أما من دعوته عليه السلام :

فنبين مجمل دعوته عليه السلام في الآتي :

أ - الدعوة إلى توحيد الله تعالى :

من المعلوم أنه لم يرد فيما قصه الله تعالى علينا من خبر نبيه لوط عليه السلام التصريح بدعوته عليه السلام قومه إلى توحيد الله تعالى بلفظ: ((**اعبدوا الله مالكم من إلٰه غيره**)) أو ((**ألا تعبدوا إلا الله**)).

وإنما اقتصرت ظاهر الآيات على النهي عن ارتكاب الفاحشة والتحذير من عاقبتها ، فلهذا كانت هذه المسألة أعني هل قوم لوط فيهم شرك غير استحلال الفاحشة أم لا؟ محل خلاف بين العلماء.

---

(١) انظر : تفسير البغوي (٢/٢٦١)، وتفسير الخازن : (٢/٢٦٠).

(٢) هو : الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي ثقة فقيه فاضل مشهور، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، ولد سنة ٢٠هـ، ورأى علياً وطلحة وعائشة رضي الله عنهم، مات سنة عشرة ومائة وقد قارب التسعين.
انظر : تهذيب التهذيب (٢/٢٦٣-٢٧٠)، ميزان الاعتدال (١/٥٢٧)، الأعلام (٢:٢٢٦-٢٢٧)، التفسير والمفسرون (١٠:١٥٠-١٥١).

(٣) تفسير البغوي : (٢/٢٦٠)، وتفسير الخازن : (٢/٢٦٠).

فبعض العلماء وقف على ظاهر ماقصه الله علينا من خبر نبيه لوط عليه السلام واستنبط من خلالها أن القوم ليس فيهم شرك وإلا لنهوا عنه، وأمروا بعبادة الله تعالى وحده، وهذا ما ذهب إليه ابن تيمية في كتاب النبوات، إذ يقول بعد أن ذكر هلاك قوم صالح وأهل مدين: ((وقوم لوط ذكر عنهم استحلال الفاحشة، ولم يُذكَروا بالتوحيد بخلاف سائر الأمم، وهذا يدل على أنهم لم يكونوا مشركين))[1] أهـ.

ونظر بعض المفسرين : إلى الأصول العامة لدعوة الرسل عليهم السلام وأهمها الدعوة إلى توحيد الله تعالى، كما جاء في سورة الأنعام في قوله تعالى: ((**قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحساناً..**)) إلى قوله تعالى: «لعلكم تذكرون»[2]

فبناء على هذا نصوا على أنه عليه السلام نهى قومه عن الشرك ، ومن ذلك ما ذكره ابن كثير في قوله: ((دعاهم إلى الله تعالى أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذى بعثه الله إليهم، ونهاهم عن معصية الله وارتكاب ماكانوا قد ابتدعوه في العالم مما لم يسبقهم أحد من الخلائق إلى فعله من إتيان الذكور دون الإناث))[3] أهـ.

---

(١) النبوات لابن تيمية (٤٣).

(٢) سورة الأنعام : الآيات (١٥١-١٥٣) ، وسورة الأعراف: الآية (٣٣)، وسورة الإسراء الآية (٢٣-٢٩)، وقد تقدم الاستشهاد بها. انظر صفحة (٦٣)من الرسالة.

(٣) تفسير ابن كثير (٣٥٧:٣)، عند تفسير للآيات (١٦٠-١٦٤) من سورة الشعراء.

وأورد القرطبي في تفسيره ما رواه ميمون[(١)] بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما في ذكر معاصي قوم لوط، فقال بعد تعدادها: ((ومع هذا كله كانوا يشركون بالله تعالى، وهم أول من ظهر على أيديهم اللوطية والسحاق))[(٢)] أهـ.

ثم هو عليه السلام بدأهم بالأمر بتقوى الله وأعلمهم بأنه رسول الله ، وأن من حق الرسول أن يُطاع فيما يخبرهم به من مناهج العبادة لله وحده ثم أتبع ذلك أن بين لهم بعض مفاسدهم المخالفة لأمر الله تعالى، كما جاء في قوله تعالى: **((كذبت قوم لوط المرسلين. إذ قال لهم أخوهم لوطٌ ألا تتقون. إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله واطيعون. وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العٰلمين* أتأتون الذكران من العٰلمين وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون))**[(٣)] .

فهو عليه السلام جعل معاني العقيدة في المقام الأول وربط المفاسد الخطيرة في المجتمع بمعاني العقيدة.[(٤)]

---

(١) ميمون بن مهران الجزري، أبو أيوب الرقي فقيه نشأ بالكوفة ثم نزل الرقة، روى عن عائشة وابن عباس وابن عمر وطائفة وأرسل عن عمر والزبير وغيرهما.
حدث عنه أبو بشر والأوزاعي وخلق كثير، ذكره أبوعروبة في الطبقة الأولى من التابعين ووثقه المحدثون، كان كثير العبادة. مات سنة ١١٦ أو ١١٧ هجرية.
تذكرة الحفاظ (١:٩٨-٩٩)، انظر : تهذيب التهذيب (١٠:٣٩٠-٣٩٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٣:٣٤٢) عند تفسيره للآية.

(٣) سورة الشعراء : الآية (١٦٠-١٦٦).

(٤) انظر : أصول الدعوة: لعبدالكريم زيدان (٤٢٤).

واستدل في المنار على أن لوطاً عليه السلام قد دعا قومه إلى توحيد الله تعالى، أو أنه لم يترك تحذيرهم من الشرك، بدلالة سياق الآيات إذ يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ((**ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة..**))[١] ((النسق الذى قبل هذا يقتضي أن يكون المعنى: وأرسلنا لوطاً)) ولكن حذف هنا متعلق الإرسال وركنه الأول[٢] وهو توحيد العبادة للعلم به بما قبله. ومما ذكر في غير هذه السورة أي: أرسلناه في الوقت الذى أنكر على قومه فعل الفاحشة فيما بلغهم من دعوى الرسالة))[٣] أهـ.

ونظر بعض المفسرين إلى التوافق الزمني بين لوط والخليل ابراهيم عليهما السلام، وإيمان لوط بإبراهيم كماجاء في قوله تعالى: ((**فئامن له لوطٌ وقال إنى مهاجرُ إلى ربى إنه هو العزيز الحكيم**))[٤].

فقالوا إن السبب في عدم التصريح بدعوة لوط عليه السلام قومه إلى التوحيد: لأن لوطاً عليه السلام كان له قوم، وكان من قوم ابراهيم وفي زمانه، وقد سبقه ابراهيم عليه السلام لدعوتهم إلى التوحيد، واجتهد فيه حتى اشتهر إبراهيم عليه السلام بالدعوة إليه عند الخلق قاطبة، فلم يذكر على لسان لوط عليه السلام التصريح بالدعوة إلى التوحيد استغناء بما قام به ابراهيم عليه السلام وإنما ذكر مااختص به لوط عليه السلام من المنع عن الفاحشة وغيرها وأما غيره من الرسل الذين جاء الخبر

---

(١) سورة الأعراف : الآية (٨٠).

(٢) يقصد الأصول العامة التي اتفق عليه الأنبياء عليهم السلام، كما تقدم ايضاحها قريباً بالاستدلال بما جاء في سورة الأنعام.

(٣) تفسير المنار : (٨:٥٠٩-٥١٠) عند الآية (٨٠) من سورة الأعراف.

(٤) سورة العنكبوت : الآية (٢٦).

عنهم صريحاً بالدعوة إلى توحيد الله تعالى، فلأنهم جاؤوا بعد انقراض من كان يعبد الله عز وجل ويدعو إليه سبحانه، فلذلك دعا كل منهم إلى عبادة الله تعالى[٥]. والله أعلم.

قلت والله أعلم: الذي أميل إليه أن لوطاً عليه السلام أمر قومه بعبادة الله تعالى ونهاهم عن الشرك، بدلالة سياق الآيات، وبالنظر أيضاً إلى الأصول المشتركة بين الأنبياء عليهم السلام في الدعوة إلى الله تعالى ، ثم إن الحق تبارك وتعالى نفى عمن أهلك من قوم لوط الإيمان حال إهلاكهم فقال تعالى :((**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين. فما وجدنا فيها غير بيتٍ من المسلمين**))[٢].

ثم كونه عليه السلام آمن بابراهيم عليه السلام ، لا يمنع استقلاله برسالة وقوم، لأن الرسل أُمروا أن يؤمنوا ببعض وأن يؤمن المتأخر بالمتقدم، وجعل الله عز وجل من كذب برسول واحد فقد كذب كلّ الرسل، وكما قال تعالى: ((**كذبت قوم لوط المرسلين**))[٣].

وما جدال ابراهيم عليه السلام إلا بعد أن عرف أن الحجة قامت عليهم كاملة من الأمر بعبادة الله تعالى ونهيهم عن سائر الفواحش والآثام.

* وبعدما تقرر من أمره عليه السلام قومه بعبادة الله تعالى وحده فإنه عليه السلام:

ب - نهى عليه السلام قومه عن ارتكاب الفاحشة:

فأمر عليه السلام قومه بإقامة المعروف الذي تركوه، ونهاهم عن المنكر الذى اقترفوه من المحارم والفواحش التي اخترعوها ولم يسبقهم بها أحد من العالمين باتيانهم الذكران من بني آدم، وتركهم ما أحله الله لهم من أزواجهم.

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي (١٣/٥٨-٥٩)، وروح المعاني للآلوسي (٢٠/١٥٣) عند الآية [٢٩ ، العنكبوت].

(٢) سورة الذاريات : الآية (٣٥-٣٦).

(٣) سورة الشعراء : الآية (١٦٠).

وقد وقف عليه السلام مُنكراً على قومه فعلتهم، ومُرشداً إياهم إلى طريق الحق الذى ضلوا عنه، ومُحذّراً إياهم عاقبة إصرارهم على فعلتهم، كما يتضح من الآيات المبينة لدعوته عليه السلام:

فأولاً: أنكر على القوم سوء صنيعهم وقبيح فعلهم، بابتداع فاحشة اللواط وسن جرمها في الأرض. وذكر الجرم بوصفه استغناء عن النطق بصريحه لإيقاف القوم على حقيقة جرمهم ((وذلك لأن مباشرة القبيح قبيح واختراعه أقبح))(١) قال تعالى: ((ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحدٍ من العالمين))(٢)

والاستفهام في قوله ((أتاتون)) ليس على بابه من الاستعلام والإستخبار؛ وإنما يقصد به الإنكار عليهم فعل الفاحشة، فعليهم وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، كما جاء في الحديث: ((من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كُتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كُتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء))(٣).

والفاحشة: هي كما مايشتد قبحه من الذنوب والمعاصي، فكل خصلة قبيحة فهي فاحشة من الأقوال والأفعال.(٤)

والفاحشة ليست فاحشة واحدة، وإنما هي فواحش متعددة وجمعها فواحش، وأكبرها فاحشة الزنا كما قال تعالى: ((ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشةً وساء سبيلا))(٥).

---

(١) تفسير أبي السعود : (٢٤٥/٣).
(٢) سورة الأعراف : الآية (٨٠).
(٣) الحديث عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه، رواه مسلم- في كتاب العلم، ٦- باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (٢٠٥٩:٣).
(٤) غريب الحديث والأثر: لابن الأثير (٤١٥/٣).
٥) سورة الإسراء : الآية (٣٢).

وحرم الله عز وجل الفواحش جميعها في قوله تعالى: ((قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن..))[١].

وجاءت على لسان لوط عليه السلام معرفة بالألف واللام أي الفاحشة التي تعهدونها، وهي: إتيانهم الرجال، كما جاء في قوله تعالى: ((إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قومٌ مسرفون))[٢]

وقوله تعالى: ((أإنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون))[٣].

وقرع أسماعهم به مرة أخرى، إنكاراً عليهم مع مزيد الاستفهام وتكريره المفيد للمبالغة في التقريع والتوبيخ، كما أخبر الله تعالى عنه في قوله: ((إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون))[٤]

وفي قوله : ((شهوة)) دلالة على شدة النكير عليهم وفظاعة جريمتهم، بإتيانهم الرجال شهوة من غير أن يكون لهم في ذلك غرض يوافق العقل، فما أشبه حالهم بالبهائم التي ينزو بعضها على بعض بدافع قضاء الشهوة بل إن البهائم أحسن حالاً منهم لأنها لم تخرج عن فطرتها التي فطرها الله عليها لبقاء نسلها))[٥].

فعدلوا بفعلهم هذا عن النساء، وما أحله الله لهم منهن إلى الرجال، وهذا إسراف وجهل منهم، لأنه وضع للشئ في غير موضعه[٦] كما قال تعالى: ((أتأتون الذكران من العٰلمين وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قومٌ عادون))[٧].

---

(١) سورة الأعراف : الآية (٣٣).
(٢) سورة الأعراف : الآية (٨١).
(٣) سورة النمل : الآية (٥٥).
(٤) سورة الأعراف : الآية (٨١).
(٥) قارن بفتح القدير للشوكاني : (٢/٢٢٢).
(٦) قارن بتفسير الخازن (٢/٢٦٠).
(٧) سورة الشعراء الآية (١٦٥-١٦٦).

فالأزواج نعمة امتن الله تعالى عليهم بها، ومن حكم تشريعه بقاء النسل، لكنهم تنكروا لهذه النعمة، وتركوا السبيل القاصدة إلى السبيل الجائرة.

فروي : أنهم كانوا يفعلون ذلك بالنساء أيضاً يؤيد هذا قراءة عبدالله ((**وتذرون ماأصلح لكم ربكم من أزواجكم**))(٢).

فبذلك ((تجاوزوا ماأباح لهم ربهم، وأحله لهم من الفروج إلى ماحرم عليهم منها))(٣).

ولأن من أعظم الحكمة في خلق الأزواج بث النسل(٤) كما تقدم.

ثم أوقفهم عليه السلام على الحال التي وصلوا إليها من استمرائهم التجمع من أجل القبائح وتعاطي المنكرات، دون حياء أو خجل، مما يدل على فساد الفطرة، واستمراء المعصية، وأوضح ذلك لهم بأوسع الألفاظ دلالة فقال: ((**وتأتون في ناديكم المنكر**))(٥).

والنادي والمنتدى هو مكان اجتماع القوم فإذا خلا من الاجتماع لم يعد نادياً(٦).

والمنكر(٧) لفظ يجمع الفواحش من القول والفعل.

وأما المراد بهذا المنكر فللمفسرين فيه أقوال متعددة منها:

---

(١) وهذا كأنه تفسير لا تلاوة. والله أعلم.

(٢) تفسير الطبري : (١٠٥/١١).

(٣) تفسير الطبري : (١٠٥/١١) بتصرف.

(٤) انظر : تفسير القرطبي : (٩٤:٣) عند تفسيره للآية (٢٢٣) من سورة البقرة.

(٥) سورة العنكبوت : من الآية (٢٩).

(٦) انظر : روح المعاني للآلوسي (١٥٣/٢٠).

(٧) زاد المسير لابن الجوزي : (٢٦٩/٦).

أولاً: أنهم كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم فذلك المنكر كما في الحديث أن أم هانئ[1] سئلت عن هذه الآية ((وتأتون في ناديكم المنكر)) فقالت سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ((كانوا يخذفون[2] أهل الطريق ويسخرون منهم)).

((واختار ابن جرير الطبري هذا القول لبيان المنكر وقال مانصه: ((وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه: وتحذفون في مجالسكم المارة بكم وتسخرون منهم لما ذكر من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم))[3].

الثاني :مارواه ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((إن قوم لوط كانت فيهم ذنوب عظيمة غير الفاحشة منها: أنهم يتظالمون فيها بينهم، ويشتم بعضهم بعضاً، ويتظارطون في مجالسهم ويحذفون ويلعبون بالنرد والشطرنج، ويلبسون المصبغات، ويتناقرون بالديكة، ويتناطحون بالكباش، ويطوقون بالحناء،

---

(١) هي: أم هانئ بنت أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمية ابنة عم النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل اسمها فاختة، وقيل فاطمة، والأول أشهر. أسلمت عام الفتح، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث في الكتب الستة وغيرها.
روى عنها ابنها جعدة وابنه يحيى وحفيدها هارون وابن عمها عبدالله بن عباس وغيرهم، وعاشت بعد علي رضي الله عنه.
أسد الغابة :(٤٠٤:٦-٤٠٥)، الاصابة (٢٨٦:٨-٢٨٧).

(٢) الخذف : هو رميك حصاة أو نواة تأخذها بين سبابتيك وترمي بها، أو تتخذ محذفة من خشب ثم ترمي بها الحصاة بين إبهامك والسبابة.
النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير (١٦/٢) باب الخاء مع الذال.

(٣) انظر : تفسير الطبري : (١٤٦/١١)، والحديث رواه الترمذى، ٤٨- كتاب تفسير القرآن، ٣٠- باب ومن سورة العنكبوت: (٣٤٤٢/٥).

وتتشبه الرجال بلباس النساء، والنساء بلباس الرجال، ويضربون المكوس[١] على كل عابر، ومع هذا كله كانوا يشركون بالله تعالى وهم أول من ظهر على أيديهم اللوطية والسحاق))[٢] أهـ.

الثالث: أنه إتيان الرجال في مجالسهم قاله مجاهد وقتادة وابن زيد.

وهذا المعنى يؤيده قوله تعالى: ((ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون))[٣] على أن المراد بالإبصار النظر[٤] كما هو قول الكثير من المفسرين، فقد قال البغوي في تفسيره، قيل: يرى بعضكم بعضاً، وكانوا لا يستترون عتوا))[٥].

قال ابن كثير : ((أي يرى بعضكم بعضا، وتأتون في ناديكم المنكر))[٦].

جاء في الظلال: ((ويأتون في ناديهم المنكر يأتونه جهاراً، وفي شكل جماعي متفق عليه، لا يخجل بعضهم من بعض، وهي درجة أبعد في الفحش، وفساد الفطرة، والتبجح بالرذيلة إلى حد لا يرجى معه صلاح))[٧].

---

(١) المكس : الضريبة التي يأخذها الماكس وهو العشار.
انظر : غريب الحديث لابن الاثير (٣٤٩:٤) باب الميم مع الكاف.
(٢) تفسير القرطبي : (٣٤٢/١٣).
(٣) سورة النمل : الآية (٥٤).
(٤) ومن معنى الآية: حمل الإبصار على الإبصار القلبي أي: أنها فاحشة وذلك أعظم لذنوبكم .
انظر : البغوي (١٥٣:٣)، والخازن (١٥٣:٣)، وفتح القدير للشوكاني (١٤٥/٣)، وغريب الحديث لابن الأثير (٣٤٩:٤) باب الميم مع الكاف.
(٥) تفسير البغوى : (١٥٣:٣).
(٦) تفسير ابن كثير (٣٨١:٣).
(٧) في ظلال القرآن : (٢٧٣٣:٥).

وعلى كل : فإذا حمل معنى الإبصار في الآية على النظر أي تبصرونها بالأنظار فيكون المراد إنذاره عليه السلام قومه نقمة الله تعالى بهم لفعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم ومع هذا تمادوا في إرتكابها حتى وصل بهم الحال إلى اتيانها علانية دون مواراة عن الأنظار.

وإذا حمل معنى الإبصار في الآية على المشاهدة المؤدية إلى الإعتبار فيكون المعنى: نعيه عليه السلام على قومه عدم إقلاعهم عن هذه الفاحشة وإقامتهم على المعصية مع إبصارهم آثار العصاة قبلهم، وما نزل بهم من العقوبات لقاء كفرهم بالخالق تبارك وتعالى، وتكذيب رسله عليهم السلام حتى كان ماحل بهم عبرة لمن يعتبر.

والذي أميل إليه هو حمل معنى الآية على أنهم يفعلون الفاحشة جهاراً في حال ينظر بعضهم إلى بعض دون مواراة عن الأنظار، مما يدل على التحلل واستحكام الفساد، وذهاب الأخلاق، فاستحقوا أن يوصفوا بكل صفة تنبئ عنها حقيقة أفعالهم كما قال تعالى: ((**بل أنتم قوم مسرفون**))(١) ((**بل أنتم قوم عادون**))(٢) ((**بل أنتم قوم تجهلون**))(٣).

جاء في المنار : ((ومجموع الآيات يدل على أنهم كانوا مرزوئين بفساد العقل والنفس، بجمعهم بين الإسراف والعدوان والجهل، فلا هم يعقلون ضرر هذه الفاحشة في الجناية على النسل وعلى الصحة وعلى الفضيلة والآداب العامة.. ولاهم على شئ من الحياء وحسن الخلق يصرفهم عن ذلك))(٤).

---

(١) سورة الأعراف : من الآية (٨١).
(٢) سورة الشعراء : من الآية (١٦٦).
(٣) سورة النمل : من الآية (٥٥).
٤٠) تفسير المنار (٥١١:٨)، عند تفسيره للآية (٨١) من سورة الأعراف.

يقول الخازن عند قول الله تعالى: ((بل أنتم قوم مسرفون)) أي: ((مجاوزون الحلال إلى الحرام. وإنما ذمهم وعَيَّرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لأن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل، وعمران الدنيا، وجعل النساء محلاً للشهوة وموضعاً للنسل، فإذا تركهن الإنسان وعدل عنهن إلى غيرهن من الرجال فقد أسرف، وجاوز واعتدى، لأنه وضع الشيئ في غير محله وموضعه الذى خلق له، لأن أدبار الرجال ليست محلاً للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الانسان))[1].

وقوله :((بل أنتم قوم عادون))[2] أي: ((متجاوزون لحدود الفطرة والشريعة))[3] من ارتكاب فعل تنفر منه النفوس، وتأباه العقول السليمة.

وأما قوله : ((بل أنتم قوم تجهلون))[4] ((أي تفعلون فعل الجهاهلين وتعلمون أنه فاحشة، وقيل تجهلون العاقبة، وقيل أراد بالجهل السفاهة التي كانوا عليها))[5].

ولتجاهل هؤلاء حق الله عليه وأمره ونهيه تجاوزوا حدود شرعه.

وأيّ تجاوز أعظم من التجاوز على حدود الله تعالى، والخروج على شرعة ومحاربة سننه بالجناية على القضاء على العنصر الآدمي الذى استخلفه الله في أرضه، للإئتمار بأمره، والانتهاء بنهيه.

---

(١) تفسير الخازن : (٢٦٠/٢).
(٢) سورة الشعراء : من الآية (١٦٦).
(٣) تفسير المنار : (٥١١:٨) عند تفسيره لقول الله تعالى : ((بل أنتم قوم مسرفون)). الأعراف : من الآية (٨١).
(٤) سورة النمل : من الآية (٥٥).
(٥) تفسير الخازن : (١٥٣:٣).

نعم.. إن هذا تجاوز مقتتة النفوس السليمة، فهذا الوليد[١] بن عبدالملك يقول: ((لولا أن الله عز وجل قص علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكراً يعلوا ذكرا)).[٢]

وفعل أدرك خزيه وعاره العرب قبل الإسلام، وفي الإسلام من باب أولى،ولا أدل على ذلك ما جاء في السنن الكبرى للبيهقي من أن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما في خلافته يذكر له أنن وجد رجلاً في بعض نواحي العرب ينكح كما تنكح المرأة، وأن أبا بكر رضي الله عنه جمع الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ذلك، فكان من أشدهم يومئذ قولاً على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إن هذا ذنب لم تعص به أمة من الأمم، إلا أمة واحدة صنع الله بها ماقد علمتم، نرى أن نحرقه بالنار فاجتمع رأي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يحرقه بالنار فكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد يأمره أن يحرقه بالنار)).[٣]

٥- موقف قومه من دعوته:

أ- أما قوم لوط فقد زادوا على فعل الفاحشة: أن جحدوا أمر

---

(١) هو: الوليد بن عبدالملك بن مروان، أبوالعباس من ملوك الدولة في الشام، ولي بعد وفاة أبيه سنة ٨٦هـ فوجه القواد لفتح البلاد، وكان من رجاله موسى بن نصير، ومولاه طارق بن زياد، وامتدت في زمنه حدود الدولة الإسلامية إلى بلاد الهند فتركستان فأطراف الصين شرقاً، وأنشأ في البلاد الاسلامية مرافق هامة، توفي سنة ٩٦هـ بدمشق.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢٤٠/٢) عند تفسير للآية (٨٥) من سورة الأعراف.

(٣) الحديث: مرسل حسن، السنن الكبرى للبيهقي (٧٣٢:٨).
وانظر: تخريج الحديث والكلام على رواته في كتاب تحريم اللواط للآجري، تحقيق: خالد على محمد (٢٣٧-٢٣٨).

التشريع فلقد حمل القوم عنادهم ولجاجهم إلى جحد أمر التشريع مع أن في التشريع الذي جاء به عليه السلام ما يطهر سلوكهم، وينقي أبدانهم، لكنهم لما كانوا لايأبون إلا حياة الدنس أعرضوا عن دعوته، وأنكروا هديه.

ووصل بهم الأمر إلى تخيل أنفسهم بالوصول إلى مقام المتصرف في التشريع، وكأن لهم الحق في توجيه النبي عليه السلام بما يريدون، فطلبوا منه في تهديد ووعيد شديدين أن ينتهي عليه السلام عن دعوته، وأن يكف عن إبلاغها، فلا ينكر عليهم شيئاً من أفعالهم، ولا يستقبح شيئاً من أمورهم.

ب- ثم هددوه بالاخراج فأسمعوه ما تواصوا به وعقدوا العزم عليه كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله: ((**قالوا لئن لم تنته يلوط لتكونن من المخرجين**)).(١)

فرتبوا على عدم انتهائهم عن دعوته السبب في إخراجه من بينهم وإبعاده عنهم للخلاص منه ومن دعوته في تهديد ووعيد مقترنين بالإستخفاف والإستهزاء والسخرية مع ما يدل عليه من الإعراض والصدود عن الدعوة وحب إلحاق الأذى بالرسول عليه الصلاة والسلام.

---

(١) سورة الشعراء: الآية (١٦٧).

وهذا ديدن أهل الباطل فإنهم يضيقون ذرعاً بدعاة الحق ولا يطيقون مساكنتهم بعد أن كبر على أنفسهم قبول ما سمعوا من الحق. لا لشئ إلا لأنهم يرون أن فيما جاء به الرسل عليهم السلام ما يتعارض مع ما تمليه عليهم شهوات النفس ودواعي الهوى ((**إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى**))(١).

ولأنهم يدركون أن بقاءهم في سلطتهم الفاجرة وإمرتهم الممقوته مرهون بقوة دعوة الرسل واشتداد ساعدها فإذا ماقويت فإن بقاءهم فيما هم فيه يكون قاب قوسين أو أدنى.

ولهذا فإن أعداء الرسل والرسالة يهددون ويلوحون بهذا الشعار في وجه الرسل عليهم السلام، كما أخبر الله عنهم في قوله: ((**وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا**))(٢).

وقوم شعيب قالوا لنبيهم: ((**لنخرجنك يٰشعيب والذين ءامنوا معك من قريتنا..**))(٣)

كل ذلك رغبة منهم في التشفي من الداعية للتنكيل به وإذاقته ألم حرمان الأهل والولد، والحيلولة بينه وبين الأرض التي عاش على ترابها، وتنسم هواءها، وتطبع على غذائها، وتوهيناً لعزيمة الداعية علّه يكف عن دعوته أو يتنازل عن شئٍ من مبادئه، وللصد عن دعوته، وإلقاء الشك والوهن في قلوب أتباعه؛ وللحيلولة دون كسب المزيد منهم، وانفضاض من آمن به عنه وبخاصة ضعاف الإيمان منهم ، ولٰكن هذا الإخراج مع مافيه من قسوة ومرارة على النفس فهو دليل خير وفلاح لمن تمسك بالحق وأخلص نيّته للّٰه فقد قال ورقة للرسول: ((ليتنى أكون فيها جَذَعاً إذ يُخرجك قومك، قال: أو مخرجي هم، قال: ما جاء نبي بمثل ماجئت به إلا أوذي وعودي))(٤).

---

(١) سورة النجم : الآية (٢٣).

(٢) سورة إبراهيم : الآية (١٣).

(٣) سورة الأعراف : الآية (٨٨).

(٤) تقدم تخريجه في باب الوحي من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ص: (٨١) من هذه الرساله.

والرسول صلى الله عليه وسلم أخرجه قومه ويقول الله تعالى له مسليا: ((وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكنٰهم فلا ناصر لهم))[١].

وقد قال صلى الله عليه وسلم عن مكة عندما أخرجه قومه منها:((والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إليّ الله ولولا أني أُخرجت منك ماخرجت))[٢].

ولم يقتصر التهديد بالاخراج من قوم لوط على الرسول وحده عليه السلام، بل أصدروا الحكم لشموله على كل من آمن بدعوته وجعلوا غاية المدح ذماً يقتضي الإخراج، كما قال تعالى عن قيلهم: ((فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوٓا ءال لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون))[٣].

ج - سخريتهم بالرسول عليه السلام وذمّه بالتطهر:

فتبجحوا في احتقار الفضيلة وأهلها: وجعلوا غاية المدح ذماً يقتضي الاخراج ((إنهم اناس يتطهرون)). قال مجاهد: أى أنهم اناس يتطهرون من أدبار الرجال وأدبار النساء، وروي مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا.[٤] فعابوهم والله بغير عيب كما قال قتادة[٥] وذموهم بغير ذم.

ولعلنا نتساءل عن الحامل لقوم لوط على وصف نبي الله تعالى لوط عليه السلام وآله بالتطهر، مع أن التطهر صفة مدح لا ذم فيها، والخصم لا يحب أن يلحق بخصمه إلا ماهو عيب؟[٦].

---

(١) سورة محمد : الآية (١٣).

(٢) الحديث عن عبدالله بن عدي الزهري رواه الترمذى في كتاب المناقب ٦٩- باب في فضل مكة (٥:٧٢٢).
قال أبو عيسى هذا حديث غريب صحيح.

(٣) سورة النمل : الآية (٥٦).

(٤) تفسير ابن كثير : (٢/٢٤٠).

(٥) تفسير ابن كثير (٢/٢٤٠)، القرطبي : (٧/٢٤٦)، عند الآية (٨٢) الأعراف.

(٦) قارن بتفسير المنار : (٨/٥١٤).

فالجواب عن ذلك ما ذكره الزمخشري في قوله: ((أنهم قالوا هذا سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش، وافتخار بما كانوا فيه من القذارة، كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم: أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد))[1] أهـ

فوصل هؤلاء القوم بانتقاصهم أهل الطهر والفضيلة، والتفاخر بما هم عليه من الرذيلة إلى أسفل دركات أهل الفسوق والانحطاط.

قال في المنار مبيناً هذه الدركات:

وهذا ما عهد من المجاهرين بالفسق إذ أن للنقص والرذائل دركات كما أن للكمال والفضائل درجات:

فأولاها: أن يلم بالرذيلة وهو يشعر بقبحها، ويلوم نفسه عليها، ثم يتوب إلى ربه منها.

ثانيها: أن يعود إليها المرة بعد المرة مستتراً مستخفيا.

ثالثها: أن يصر عليها حتى يزول شعوره بقبحها.

رابعها: أن يجهر بها ويكون قدوة سيئة للمستعدين لها.

خامسها: أن يفاخر بها أهلها، ويحتقر من يتنزهون عنها.

وهذه أسفل الدركات وهي دركة قوم لوط، ولا يهبط إليها ، ولا ينغمس فيها إلا من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، بل وصف الله المؤمنين بأنهم إذا عملوا السيئات يعملونها بجهالة[2] ثم يتوبون من قريب، وأنهم لا يصرون على مافعلوا وهم يعلمون[3])) .

---

(١) الكشاف : (٢:٩٢-٩٣).

(٢) استدلالاً بقوله عز وجل : ((إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيما)) (النساء: ١٧).
وقوله جل وعلا: ((والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون)) [آل عمران:١٣٥].

(٣) تفسير المنار : (٨:٥١٤-٥١٥) بتصرف يسير.

د- إستعجال المكذبين العذاب:

ثم زادوا على ماسبق بيانه من ابتداع فاحشة اللواط، والاصرار على فعلها، وإتيانها علانية دون استتار، وتوعدهم أهل النصح بالرجم والإخراج، إلى استعجال ما أنذرهم به عليه السلام من العذاب، فقالوا ما أخبر الله عز وجل عنهم في قوله: ((فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين))(١) أي: ((فيما تقول والمنجزين لما تعد))(٢).

فظهر بهذا إصرارهم على العناد وتكذيب النبي عليه السلام في إنذاره والشك في صدقه، يقول عنهم ابن كثير في بدايته:

فهؤلاء القوم ((لم يرعووا لوعظ واعظ، ولا نصيحة من عاقل، وكانوا في ذلك وغيره كالأنعام بل أضل سبيلاً، ولم يقلعوا عما كانوا عليه في الحاضر، ولا ندموا على ماسلف في الماضي، ولا راموا في المستقبل تحويلا))(٣).

٦ - في طلب لوط عليه السلام نصر ربه :

عندئذٍ توجه عليه السلام إلى ربه فطلب أن ينجيه من عمل قومه فقال: ((رب نجني وأهلي مما يعملون))(٤).

وأن يحقق له نصره الذي وعد به رسله: ((قال رب انصرني على القوم المفسدين))(٥).

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٢٩).
(٢) تفسير الطبري : (١٤٦:١١).
(٣) البداية والنهاية : لابن كثير (١٦٧/١).
(٤) سورة الشعراء : الآية (١٦٩).
(٥) سورة العنكبوت : الآية (٣٠).

٧ - في استجابة الله تعالى سؤل نبيه عليه السلام:

ومن ذلك ما قصه الله تعالى علينا في سورة هود والتي نحن بصدد بيان دعوته عليه السلام من خلال آياتها، إذ أن ماجاء في هذه السورة يمثل المرحلة الأخيرة من دعوته عليه السلام.

وهنا نأتي : لبيان المرحلة الأخيرة من دعوته عليه السلام لقومه والتي جاءت في سورة هود التي نحن بصدد بيان دعوته من خلال آياتها. وسبق أن بينا أن سبب مجيئ الملائكة هو تكذيب قوم لوط لنبيهم لوط عليه السلام وقيام الحجة عليهم، كما سبق بيانه وإيضاحه من خلال الاستعراض لدعوته عليه السلام لقومه، وتبين لنا أن القوم قرنوا التكذيب بالاصرار على فعل الفاحشة واستعجال العذاب على سبيل العناد والاستهزاء وأن لوطاً عليه السلام طلب نصر ربه.

٨ - في قدوم الملائكة لاهلاك المكذبين من قومه:

فلما قضى الله عز وجل بإهلاك ظالمي قوم لوط عليه السلام استجاب الله سؤل نبيه، وجاء المكذبين بالعذاب في الصورة التي يألفونها، والهيئة التي يتشوفون لرؤيتها، كما قصه الله تعالى علينا في هذه السورة في قوله جل وعلا: ((**ولما جاءت رسلنا لوطا سئ بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب**))(١)

ولعلنا نبين مايتعلق بالآية في النقاط التالية:

أ - **مهمة الملائكة** : وسبق أن بيناه عند بيان مجادلة ابراهيم عليه السلام للملائكة عليهم السلام في قوم لوط كما جاء في آيات سورة العنكبوت.

((وأنهم جاؤوا في أجمل صورة على هيئة شبان حسان الوجوه، إبتلاء من الله وله الحكمة والحجة البالغة))(٢) . أ.هـ.

---

(١) سورة هود : الآية (٧٧).

(٢) تفسير ابن كثير : (٤٦٩/٢).

ب - **وعن استيائه عليه السلام من مجيئ الأضياف وسببه نقول:** لقد دلت الآية على أن لوطاً عليه السلام لما رأى الملائكة على الهيئة التي جاؤوه بها ساءه شأنهم وضاقت نفسه بسببهم ، كما قال تعالى: ((سيء بهم)) من السوء أي ساءه مجيئهم[1] .

وضاق بهم ذرعا : أى ضاق ذرعه بهم، والذرع بمعنى الوسع.[2]

((وإنما ضاق ذرعه لما رأى من جمالهم وما يعلم من فسق قومه))[3] .

وأبان عليه السلام عما ألم بنفسه من الشدة فقال : ((هذا يوم عصيب)) أي يوم شديد شره عظيم بلاؤه.[4]

يقال : عصيب وعصبصب على التكثير أي: مكروه مجتمع الشر، ومنه قيل : عصبة وعصابة، أي: مجتمعوا الكلمة، وعصبة الرجل المجتمعون، أي: مجتمعوا الكلمة، وعصبة الرجل: المجتمعون معه في النسب.[5]

وحق للنفس أن تضيق وللذرع أن ينوء عن حمله، من قوم عرف عنهم الاصرار على الفاحشة، وعدم الإقلاع عنها، بعد أن نزعوا عنهم جلابيب الحياء، فأصبحوا يأتونها في منتدياتهم وأماكن اجتماعاتهم.

وسبب استيائه عليه السلام يرجع للأمور التالية:

١ - عدم علمه عليه السلام بأن هؤلاء الأضياف رسل الله تعالى، لأن الرسل عليهم السلام لا يعلمون من أمور الغيب[6] إلا مايطلعهم الله تعالى عليه. وتسابق إلى ذهنه عليه السلام أنهم بشر بحكم الهيئة التي وردوا بها عليه، ولم يعلم بحالهم في تلك الحال الراهنة، وإلا فإن الرسل يأنسون بالملائكة ولا يوجلون منهم.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٢: ٦٩) .

(٢) تذكرة الأريب في تفسير الغريب : لابن الجوزى (٢٥٢/١).

(٣)و(٤) تفسير القرطبي (٧٤/٩).

(٥) المرجع السابق (٧٤/٩). وانظر لسان العرب لابن منظور (٦٠٤/١) وما بعدها، مادة (عصب).

(٦) قال تعالى : ((عٰلم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً. إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً. ليعلم أن قد أبلغوا رسٰلٰت ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عدداً)) (سورة الجن: الآية (٢٦-٢٨).

٢ - خوفه عليه السلام من اعتداء قومه عليهم في داره إن استضافهم، فتنتهك محارم الله في داره، ومن ثم إلحاق العار والملامة به وبأضيافه.

٣ - إدراكه عليه السلام أن المدافعة عنهم من اعتداء قومه تحتاج إلى قوة مانعة أو رادعة، وهذا مالم يكن يقدر عليه لكونه وحيداً بينهم، ولم يستجب أحد من قومه لدعوته ليستعين به في المدافعة ، فضلاً عن جماعة يتقوى بهم في المدافعة عن أضيافه وهذا بحسب العادة.

٤ - أنه عليه السلام خشي إن لم يضيفهم أن يضيفهم أحد قومه فينالهم بسوء.

وهذه المخاوف التي ترقبها وتوقع حصولها من قومه إنما هي ناتجة عن معرفة أكيدة بطبائع القوم، الذين عرف عنهم: إصرارهم على الفاحشة وعدم الإقلاع عنها، وولعهم بارتكابها بعد أن نزعوا عنهم جلابيب الحياء، فأصبحوا يأتونها علانيةً، ويغشونها جهاراً في منتدياتهم وأماكن اجتماعاتهم، زد على هذا مالاقاه عليه السلام من العنت منهم لقاء دعوته، فأسمعوه ؛

ذمه عليه السلام بما لم يكن عيبا.

والعزم على إخراجه تواصيا وتهديدا.

وطلب العذاب الذى أنذرهم به استعجالاً وتكذيبا.

وعلى كل فهي مرحلة ابتلاء ارادها الله تعالى لنبيه عليه السلام، حتى في آخر لحظة قضى الله فيها بإهلاك قومه، فتقبلَّ عليه السلام هذا الإبتلاء بنفس راضية، حيث قام بضيافتهم رغم ما اعتراه من الضنك، وضيق الوسع عن المدافعة، بدليل قوله تعالى: ((**وقال هذا يوم عصيب**)) وفي هذا أيضاً ما يصف نفسية لوط الكارهة للمعصية، البالغة مبلغها في النصح والتوجيه حذراً من أن تنتهك محارم الله بين يديه.

فاستضاف عليه السلام هؤلاء الملائكة على أنهم بشر مع علمه بطلب قومه

لأمثالهم، وإحاطته علماً بنهي قومه له عن استضافة أحد من العالمين في داره، قال تعالى: ((**قالوا أولم ننهك عن العٰلمين**))[١] أي : ((أو ما نهيناك أن تضيف أحداً))[٢].

قلت : وإنما جاء النهي منهم رغبة في التضييق على النبى عليه السلام وحصاره، وأن يكون في شبه انقطاع عن الناس حتى لايسمع أحد لدعوته عليه السلام.

٩- موقف قومه من أضيافه:

وما أبلغ وصف القرآن الكريم لنفسية القوم في ذم حبهم لارتكاب الفاحشة والتي عبروا عنها بفعالهم، كما قال تعالى: ((**وجاءه قومه يهرعون إليه**))[٣] يقول الطبري : ((أي: وجاء لوطاً قومه يستحثون إليه يرعدون مع سرعة المشي مما بهم من طلب الفاحشة))[٤]

وهرعهم هذا لم يكن للخير وإنما كان للشر المحض الذى لا خير فيه، وإذا رجعنا إلى معاجم اللغة لتبيين لنا عظم الجرم ببلاغة المدلول.

قال في المصباح المنير هُرِعَ وأُهْرِع بالبناء فيهما للمفعول إذا أعجل على الاسراع أى حمل على العجل به.[٥]

وقال الكسائي[٦] والفراء وغيرهما: لا يكون الاهراع إلا إسراعاً مع رعدة من برد أو غضب أو حمى.

---

(١) سورة الحجر الآية (٧٠).

(٢) تفسير ابن كثير : (٣:٥٧٥).

(٣) سورة هود : من الآية (٧٨).

(٤) تفسير الطبري (٧/٨٣).

(٥) المصباح المنير : للفيومي ، مادة (هرع) (٦٣٧) العمود الثاني.

(٦) هو : على بن حمزة أبو الحسن المشهور بالكسائي إمام الكوفيين في النحو واللغة، وأحد القراء السبعة المشهوري، صنف (معاني القرآن) و (القراءات) و (المصادر) و (مقطع القرآن وموصوله) ،اختلف في وفاته ، والأشهر سنة ١٨٢هـ

انظر ترجمته في : طبقات القراء للجزي (١:٥٣٥-٥٤٠) والبغية (٣٣٦) ومعجم المؤلفين (٧:٨٤).

يقال : (أهرع الرجل من برد أو غضب أو حمى إذا أرعد وهو مهرع، إذا كان معجلا حريصا)(١).

وقال الشيخ رشيد رضا(٢): (وينبغي أن يزاد عليه شهوة شديدة)(٣).

والمعنى كما قال الطبري: (أن قوم لوط جاؤوا يستحثون إليه يرعدون مع سرعة المشي مما بهم من طلب الفاحشة)(٤).

فالقوم قد جاؤوا مسرعين يحث بعضهم بعضاً في الظفر بهؤلاء الأضياف، تدفعهم تلك القلوب المولعة بحب الفاحشة وإتيانها، فلم تعد عقولهم تستقبح فعلها، ولا نفوسهم تتأفف من قذراتها، ولذلك لم يستحيوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين، بل عدوا ذلك مغنما يستحق البشارة طمعا في الظفر بحصول ما ألفوه، واستمرؤوا فعله، كما قصه الله تعالى علينا في قوله: {وجاء أهل المدينة يستبشرون قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون. واتقوا الله ولا تخزون}(٥).

وقد أبان القرآن الباعث إلى هرعهم هذا هو اعتيادهم فعل الفاحشة بنكح الرجال في أدبارهم، وإصرارهم على فعلها، فكان من عادتهم حتى أخذوا على تلك الحال، قال تعالى: {ومن قبل كانوا يعملون السيئات}(٦) أي: ومن قبل مجيئهم إلى لوط عليه السلام {كانوا يعملون السيئات}(٧) أي: يأتون الرجال في أدبارهم(٨).

---

(١) تفسير الطبري: (٨٣/٧٠)، وتفسير المنار: (١٣٣/١٢-١٣٤)

(٢) هو محمد بن رشيد علي رضا، وهو من العلماء بالحديث والتفسير والأدب وأسس مجلة المنار، ولد سنة ١٢٨٢هـ بطرابلس الشام، وله مؤلفات عدة منها، تفسير القرآن الحكيم، والوحي المحمدي، وشبهات النصارى، وحجج الإسلام، توفى سنة ١٣٥٤هـ بالقاهرة.
انظر: التفسير والمفسرون للذهبي ٥٧٦/٢ ومابعدها، الأعلام (١٢٦/٦).

(٣) تفسير المنار (١٣٣/١٢-١٣٤)

(٤) تفسير الطبري: (٨٣/٧) بتصرف يسير.

(٥) سورة الحجر: الآية (٦٧-٦٩).

(٦) جمعت السيئات في هذه الآية إما باعتبارها تكرر فعل الفاحشة من قوم لوط عليه السلام أو بأعتبار تعدد فاعليها، أو باعتبار تعدد أنواع مافعلوه من السيئات، من اتيان الرجال وإتيان النساء في محاشهن، والمكاء والصفير واللعب بالحمام، القمار والاستهزاء بالناس وغير ذلك.
قارن بتفسير روح المعاني للآلوسي: (١٠٥/١٢-١٠٦).

(٧) سورة هود: الأية (٧٨)

(٨) تفسير البغوي: (٢٤٤/٢).

قال ابن الجوزي: ((والسيئات[1] ضد الحسنات وذكر أهل التفسير أنها في القرآن على خمسة أوجه، ومن هذه الوجوه ما جاء في هذه الآية مراداً به إتيان الرجال))[2] كما جاء في انكار لوط عليه السلام لقومه في قوله تعالى: ((إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون))[3].

ولا يرد أنهم تركوا عمل السيئات بل المعنى المراد: أن القوم استمروا على فعلها حتى أخذوا وهم على تلك الحال، فما حركاتهم الفعلية، وما مجادلاتهم القولية، إلا عرضاً عملياً وشاهد صدق لما اعتادته جوارحهم وانطبعت عليه أنفسهم من فعل الفاحشة، عدا ما تدل إليه، والإقلاع عما نهاهم عنه.

١٠- في مدافعة لوط عليه السلام عن أضيافه وإرشاده ونصحه لقومه:

فلما رأى نبي الله عليه السلام من قومه الإصرار على فعل الفاحشة قام عليه السلام مدافعاً عن أضيافه، وقرن المدافعة بالدعوة إلى الحق فأرشدهم إلى:

---

(١) نزهة الأعين الناظر: لابن الجوزي (ص٣٦٢) باب السيئات.

(٢) وأما الوجوه الأخرى:
فأحدها: الشرك ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ((وليست التوبة للذين يعملون السيئات)) [النساء:١٨] وقوله: ((والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها...)) [يونس: ٢٧].
الثاني: العذاب ومنه قوله تعالى: ((فأصابهم سيئات ماكسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ماكسبوا...)) [الزمر:٥١].
الثالث: الضر ومنه قوله تعالى: ((وبلوناهم بالحسنات والسيئات)) [الأعراف:١٦٨]. وقوله تعالى: ((ليقولن ذهب السيئات عني...)) [هود:١٠].
الرابع: الشر ومنه قوله تعالى: ((فوقه الله سيئات مامكروا..)) (المؤمن : ٤٥).
انظر: نزهة الأعين النواظر: لابن الجوزي (ص٣٦٢) باب السيئات .

(٣) سورة الأعراف: الآية (٨١).

١١ - إلى قضاء الوطر من حله وفي محله:

وذلك بالتزويج ومن ثم الوطء في المكان المباح فقال : ((**يٰقوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم..**))[١] .

ولإيضاح مايتعلق بالآية من معان نبينه في الآتي:

أولا: في المراد بالعَرض؟ وهل هو على حقيقته أم لا؟

ثانيا: في المراد بقوله (بناتي) هل هن بناته لصلبه أو عنى نساء أمته؟

١ - فعن المراد بالعَرض :

فقد قال أجلة المفسرين إن ذٰلك القول لم يكن منه عليه السلام مجرياً على الحقيقة من إرادة النكاح، وإنما أراد بقوله المدافعة عن ضيفه فقط، ولم يرد إمضاء ماقال.[٢]

قلت : لأنه عليه السلام يجل نفسه عن مصاهرة هؤلاء.

وعن المراد بالبنات هل هن بناته لصلبه أو المراد بهن نساء أمته؟ قولان :

الأول: أن المراد بناته لصلبه.

والمعنى : ((دعوا فاحشة اللواط وأزواجكم بناتي))[٣] وعلى هذا فتزويج الكافر المسلمة كان جائزاً في شرعه، كما كانت بنات نبينا عليه الصلاة والسلام تحت الكفار في أول الإسلام.[٤]

---

(١) سورة هود : من الآية (٧٨).

(٢) انظر : أضواء البيان للأمين : (٣٤/٢)، وروح المعاني للآلوسي: (١٠٦/١٢).

(٣) وهذا احتمال وارد، وإن كنا لا نملك من الدليل ما يؤيده أو يفنده.

(٤) ذكر ابن حجر في الإصابة مارواه الواقدى ((أن أبا العاص شهد مع المشركين بدراً فأسر فقدم أخوه في فدائه، وأرسلت معه زينب رضي الله عنها قلادة من جزع كانت خديجة رضي الله عنها قد أدخلتها بها على أبي العاص، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفها ورق لها، وذكر خديجة رضي الله عنها، فترحم عليها، وكلم الناس فأطلقوه، ورد عليها القلادة وأخذ على أبي العاص أن يخلي سبيلها ففعل، ثم رجع فأسلم في المحرم سنة سبع ، فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم زينب بالنكاح الأول. الإصابة (٩١/٨-٩٢).

القول الثاني: أن المراد بالبنات جميع نساء قومه ، لأن نبي القوم أب ديني لهم كما يدل عليه قوله تعالى في نبينا صلى الله عليه وسلم:((**النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم..**))[١] وفي قراءة أبي بن كعب[٢] ((وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم)) وروي نحو هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبهذا القول قال كثير من العلماء.

يقول الشيخ الأمين رحمه الله في توجيه هذا القول:

((وهذا القول تقربه قرينة وتبعده أخرى، أما القرينة التي تقربه فهي أن بنات لوط لا تسع[٣] جميع رجال قومه كما هو ظاهر، فإذا زوجهن لرجال بقدر عددهن، بقي عامة رجال قومه لا أزواج لهم، فتعين أن المراد عموم نساء قومه، ويدل للعموم قوله تعالى: ((**أتأتون الذكران من العٰلمين. وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم..**))[٤] وقوله تعالى: ((**أتاتون الرجال شهوة من دون النساء..**))[٥] ونحو ذلك من الآيات.

---

(١) سورة الأحزاب : الآية (٦).

(٢) هو : أبي بن كعب بن قيس الأنصاري ، أبو المنذر، وأبوالطفيل، سيد القراء، كان من أصحاب العقبة الثانية، وشهد بدراً والمشاهد، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (ليهنك العلم يا أبا المنذر)، روى عنه من الصحابة: عمرو أبو أيوب وابن عباس وآخرون، مات في خلافة عمر سنة "١٩" أو "٢٠" هـ وقيل مات في خلافة عثمان سنة "٣٠" هـ رضي الله عنهم أجمعين.
أسد الغابة : (٦١/١-٦٢)

(٣) قلت: لعل ما يزيل هذا الإشكال ما يتبادر إلى الذهن من أن الذين قصدوا دار لوط عليه السلام ودافعوه على باب داره هم نفر قليل من قومه، أو أنهم رأو أضيافه مصادفة فقصدوهم.
ثم إن العرض منه عليه السلام لا يلزم منه الوفاء لكل الموجودين ، فقد يزوج رؤساءهم ليردوا عنه عامتهم.

(٤) سورة الشعراء: الآية (١٦٥-١٦٦).

(٦) سورة الأعراف : الآية (٨١) .

وأما القرينة التي تبعده فهي أن النبي ليس أباً للكافرات بل أبوة الأنبياء الدينية للمؤمنين دون الكافرين، كما يدل عليه قوله تعالى: ((**النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم...**))[١].

وقد صرح تعالى في الذاريات بأن قوم لوط ليس فيهم مسلم إلا أهل بيت واحد، وهم أهل بيت لوط، وذلك قوله تعالى: ((**فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**))[٢][٣].

وأما قوله :((أطهر)) فمعناه: أى : ((أزوجكموهن فهو أطهر لكم مما تريدون أى أحل والتطهر التنزه عما لا يحل))[٤].

ولكن هل في إيراد هذا اللفظ وجه تفضيل بين المحرم الشنيع والزواج الطاهر أم لا؟

فللجواب عن هذا نورد ما بينه الخازن في تفسيره إذ يقول:

((ليس في أطهر دلالة على التفضيل، فيكون ما يطلبونه طاهراً، وما أرشدهم إليه من الزواج أطهر منه، بل إن ذلك جار مجرى قوله تعالى: ((**أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم**))[٥] ومعلوم أن شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لما قال الكفار ((أعل هبل)) قال: ((الله أعلا وأجل)) إذ لا مماثلة بين الله عز وجل والصنم، وإنما هو خارج مخرج المقابلة، ولهذا نظائر كثيرة))[٦].

---

(١) سورة الأحزاب : الآية (٦).
(٢) سورة الذاريات : الآية (٣٦).
(٣) أنظر فيما تقدم : أضواء البيان للأمين : (٣:٣٤-٣٥).
(٤) تفسير القرطبي : (٩/٦٧).
(٥) سورة الصافات : الآية (٦٢).
(٦) الخازن : (٢:٢٤٥)، وانظر : القرطبي (٩:٦٧)، والسراج المنير : (٢:٧١).

١٢- ذكرهم عليه السلام بتقوى الله تعالى:

فقرع مسامعهم:

أولاً: بما يحرك قلوبهم ، ويرقق عواطفهم لعلهم يصغون لقوله ويقبلون نصحه، فأمرهم بتقوى الله تعالى التي تحمل من اتصف بها إلى الحذر من عقاب الله عز وجل، كما قال تعالى: ((**فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد**))(١) .

ثانيا : عمل عليه السلام على إثارة عواطف الخير في نفوسهم، كما أخبر الله عنه في قوله: ((**ولا تخزون في ضيفي**)) تذكير لهم بما جبل عليه الانسان من إكرام ضيفه وتوقير من دخل بيته، فيكون في مأمن من أن يمسه أذى أو يلحقه سوء ((إذ أن إخزاء ضيف الرجل إخزاء له))(٢). أو ((لا تخجلوني من الخزاية وهو الحياء))(٣) ((وذلك من عراقة الكرم وأصل المروءة))

وقد كان توقير الأضياف لدى مجتمعهم معروفاً ومألوفا، فهذا إبراهيم عليه السلام يكرم أضيافه في سرعة، لقوله تعالى: ((**فما لبث أن جاء بعجل حنيذ**))(٤)

١٣- ثم ختم موقفه عليه السلام بالتعجب من موقفهم هذا بتحريك كوامن النخوة في نفوسهم إن كانت في أمثالهم نخوة، لعل الكلام يقع في قلب رجل يستذكر الحمية ويعرف النخوة ((فيهتدي إلى الحق الصريح ويرعوي عن الباطن القبيح))(٥) فيقوم بواجب النجدة ((فينهى من أراد ركوب الفاحشة بضيفانه فيحول بينهم وبين ما يريدون))(٦) يدل على هذا ما أخبر الله عنه في قوله: ((**أليس منكم رجل رشيد**))(٧) وفي قوله هذا ((توبيخ عظيم لهم حيث لم يكن منهم رجل رشيد البتة)) .

---

(١) سورة هود : الآية (٧٨).

(٢)و(٣) البحر المحيط : (٢٤٨/٥) وانظر : تفسير أبي السعود (٢٢٨:٤).

(٤) سور هود : من الآية (٦٩).

(٥) تفسير أبي السعود : (٢٢٨:٤).

(٦) قارن بفتح القدير للشوكاني : (٥١٤:٢).

(٧) تفسير البحر المحيط (٢٤٧/٥).

١٤- موقف قومه عليه السلام من وعظه ونصحه :

ولكن أنى لنفوس تنكرت للحق أن تستذكر الحق أو تعين عليه، فكما أنها تنكرت لحق الله تعالى فقد تنكرت لكل معاني الإنسانية الفاضلة.

أ - فأعرضوا عن نصحه عليه السلام وإرشاده:

وأجابو بما ينبئ عن إعراضهم عما دعاهم إليه من أمره عليه السلام بتقوى الله تعالى التي تحملهم على الاقلاع عما أصروا عليه من المعاصي بإتيانهم ما حرم الله تعالى عليهم وترك ما أحله الله لهم، فقالوا ما أخبر الله عنهم في قوله تعالى: ((**قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق وإنك لتعلمُ ما نريد**))[(١)] .

فظهر بهذا :

- إعراضهم عن الحق بالتعاظم عليه والاستعلاء على أهله.
- وجعل أنفسهم فوق مقام العارف بالحق البصير بدروبه.
- واستشهدوا بسابق الجرم لإظهار حقهم في الاستمرار على الفعل.

وكل هذا دليل على تأصل الجريمة في نفوسهم:

إذْ نفوا عن أنفسهم أحقيتهم في تزوج النساء اللواتي جعلهن الله مكاناً للوطء، وضماناً لاستمرار النسل، المؤهل لأن يجعله الله في الأرض خليفة، جاعلين أنفسهم في مقام العارف بالحق، البصير بدروبه، فأثبتوا حقهم فيما أقدموا عليه من الفاحشة، بإتيان الذكران من العالمين؛ محاربة لله تعالى في أرضه، وخروجاً على سنته، وتمرداً على تشريعه.

---

(١) سورة هود : الآية (٧٩).

ب - ثم شهدوا على أنفسهم بتأصل الجريمة في نفوسهم:

فجعلوا من إصرارهم على فعل المنكر وما عرف عنهم من رغبة في الاصرار عليه دلالة على أحقيتهم في الإستمرار على الفعل وكأنما أقدموا عليه ليس من الحق معارضتهم فيه، أو صدهم عنه، إذ جعلوا من الاستشهاد بسابق علم نبي الله لوط عليه السلام الشاهد على جرمهم وإصرارهم على ارتكاب الفاحشة حجة في الكف عن دعوتهم، والإنكار عليهم، بل وكأنما تعطيهم الحق في الإستمرار على فعل الفاحشة دون معارض أو منازع، فأبانوا بذلك عن جرمهم بأنفسهم وكشفوا عن غطاء خبثهم بألسنتهم ((فأشاروا بأخبث إشارة إلى أخبث عمل)) كما قال تعالى مخبراً عن قولهم : ((مالنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد))[1] .

يقول العدوى في إيضاح معنى الأية: ((قابلوه عليه السلام بقولهم: ((لقد علمت مالنا في بناتك من حق)) لأن إتيان الذكور صار مذهباً لهم وديدناً فكان هو الحق عندهم، ونكاح الإناث هو الباطل، ويجوز أن يكون قولهم هذا على وجه الخلاعة؛ والغرض أنهم لا يشتهون الإناث لأن نفوسهم انصرفت عنهن.

((وإنك لتعلم مانريد)) أي : ((من إسراعنا إلى ضيفك))[2] .

١٥- في إظهاره عليه السلام اشتداد كربه من إصرار قومه على فعل الفاحشة. ونفاذ وسعه في المدافعة عن أضيافه:

لماَّ رأى عليه السلام من القوم إصرارهم وتماديهم في خبثهم ((إذ لم ينتهوا عن فعلهم، ولم يردهم قوله، ولم يقبلوا منه شيئا مما عرض عليهم من أمر زواج بناته، وأبوا إلا المضي لما قد جاؤوا له من طلب الفاحشة، وأيس من أن يستجيبوا إلى شيءٍ مما عرض عليهم، وخاف وصولهم إلى أضيافه، نطق بما نطق به في لحظة اشتداد الكرب، ونفاذ الوسع، وقلة الناصر والمعين من قومه، كما قال تعالى إخباراً عن قيله: ((لو أن لى بكم قوة أو ءاوى إلى ركن شديد))[3] .

---

(١) سورة هود : الآية (٧٩).

(٢) دعوة الرسل ، للعدوي: (٦٨).

(٣) سورة هود : من الآية (٨٠) .

أي : ((بأنصار تنصرني عليكم وأعوان تعينني))[١]

وقال الشوكاني: ((وجواب لو محذوف، والتقدير: لدافعتكم عنهم، ومنعتكم منهم، وهذا منه عليه السلام على طريق التمني، أي لو وجدت معينا وناصرا فسمى ما يتقوى به قوة))[٢].

وقوله : ((**أو ءاوى إلى ركن شديد**)) أي: ((فانضم إلى عشيرة تمنعني منكم لحلت بينكم وبين ماجئتم تريدونه مني في أضيافي))[٣].

ولقد أشغله عليه السلام هول الموقف، فطلب النصرة ممن يدفع عنه اعتذاراً لأضيافه وإخباراً عن نفاذ قوته في المدافعة فقال ماقال.

فأخبر النبي عليه السلام أن الأولى بلوط عليه السلام مهما اشتدت به الموقف أن لا يشغله ذلك عن طلب المدد من الله عز وجل، فهو الناصر والمعين وهو الذى لا يعجزه شئ، ولا يخفى عليه شئ، فقال عليه السلام: ((يرحم الله لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد))[٤].

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أخاه لوطا عليه السلام يأوي إلى ركن شديد من نصر الله له بالملائكة ولم يكن لوط علم بذلك فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم قوله: ((يرحم الله أخي لوطا فقد كان يأوى إلى ركن شديد فلأي شئ استكان)).

يقول النووى رحمه الله تعالى مبيناً معنى الحديث: (وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم ((**ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد**)) فالمراد بالركن بالركن الشديد هو الله سبحانه وتعالى؛ فإنه أشد الأركان وأقواها وأمنعها.

---

(١) تفسير الطبري : (٨٦/٧).

(٢) تفسير فتح القدير : (٥١٤/٢).

(٣) تفسير الطبري : (٨٦/٧).

(٤) الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه رواه البخارى، في كتاب الأنبياء، ١٥- ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون..) الآيات (١٢٠/٤).

ورواه مسلم في كتاب الإيمان ١٩- باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة (١٣٣/١) واللفظ له.

ومعنى الحديث والله أعلم : أن لوطاً صلى الله عليه وسلم لما خاف على أضيافه ولم يكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلب ذلك عليه، فقال في ذلك الحال لو أن لي بكم قوة في الدفع بنفسي، أو آوي إلى عشرية تمنع لمنعتكم. وقصد لوط صلى الله عليه وسلم إظهار العذر عند أضيافه وأنه لو استطاع دفع المكروه عنهم بطريق ما لفعله، وأنه بذل وسعه في إكرامهم والمدافعة عنهم، ولم يكن ذلك إعراضاً منه صلى الله عليه وسلم عن الاعتماد على الله تعالى وإنما كان لما ذكرناه من تطييب قلوب الأضياف.. ويجوز أن يكون التجأ فيما بينه وبين الله تعالى وأظهر التألم وضيق الصدر والله أعلم.

وقال ابن حزم (١) رحمه الله تعالى: ((أما قوله عليه السلام لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد)) فليس مخالفاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد بل كلا القولين منهما عليهما السلام حق متفق عليه لأن لوطاً عليه السلام إنما أراد منعة عاجلة يمنع بها قومه مما هم عليه من الفواحش من قرابة أو عشيرة أو اتباع مؤمنين، وما جهل قط لوط عليه السلام أنه يأوي من ربه تعالى إل أمنع قوة، وأشد ركن، ولا جناح على لوط عليه السلام في طلب قوة من الناس فقد قال تعالى: ((**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**)) (٢)

---

(١) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ روى عن يحيى بن مسعود ويونس بن عبدالله وجماعة، وروى عنه سريج بن محمد.
ومن أشهر مصنفاته (الفصل في العلل والأهواء والنحل، ، وجمهرة الأنساب ، والناسخ والمنسوخ وغيرها كثير). توفى سنة ٤٥٦هـ.
انظر : نفح الطيب (٣٦٤٥/١)، لسان الميزان (١٨٩/٤-٢٠٠).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٥١).

فهذا الذى طلب لوط عليه السلام ، وقد طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار والمهاجرين منعة حتى يبلغ كلام ربه تعالى، فكيف ينكر على لوط أمراً هو فعله عليه السلام؟ تالله ما أنكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما أخبر عليه السلام أن لوطاً كان يأوى إلى ركن شديد يعنى من نصر الله بالملائكة، ولم يكن لوط علم بذلك، ومن اعتقد أن لوطا كان يعتقد أنه ليس له من الله ركن شديد فقد كفر، إذ نسب إلى نبي من الأنبياء هذا الكفر، وهذا أيضاً ظن سخيف إذ من الممتنع أن يظن برب أراه المعجزات وهو دائباً يدعو إليه هذا الظن))[1] .

١٦- في فصل الملائكة عليهم السلام للموقف:

وبعد أن رأى الملائكة عليه السلام اشتداد الكرب على نبي الله لوط عليه السلام وأعلموه بما ينفس عن كربه، ويهدئ من روعه، إذ أفصحوا عن ماهيتهم، وأخبروه بمهمتهم ، كما قال تعالى: ((**قالوا يلوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك...**))[2] .

قال الشوكاني : ((أخبروه أولا أنهم رسل ربه، ثم أخبروه ثانيا: أن أعداءه لن يصلوا إليه))[3] ((أى الملائكة لأنهم إذا كانوا مرسلين من عند الله تعالى إليه لم يصل عدوه إليه، ولم يقدروا عليه))[4] .

وقد كانت بداية إنزال العذاب على مجرمي قومه وحلول البطشة بهم طمس أولئك النفر الذين تدافعوا بالباب بغية الوصول إلى هؤلاء الخلق الكرام على الله تعالى والذين أتوا في صورة بشر، كما قال الحق تبارك وتعالى: ((**ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابى ونذر**))(٦)

---

(١) الفصل في الملل والنحل : لابن حزم (٩/٣).
(٢) سورة هود : من الآية (٨١).
(٣)و(٤) فتح القدير : للشوكاني (٥١٥/٢).
(٥) سورة القمر : الآية (٣٧).

فعلى هذا فودع الخوف وكن في مأمن فقد جئناك بالحق الذي كانوا فيه يمترون، وبالعذاب الذى كانوا به يستعجلون، وبالبطشة التي أنذرتهم وقوعها خوفاً وإشفاقاً، فما روك في شأنها شكاً وارتياباً.

✡ ثم أبانوا عن مخططهم في ايقاع العذاب على عامتهم بعد أن ذاق أوائلهم أوائله، وحكم الله جل وعلا وقضى بعدم رده عنهم، كما قال تعالى لخليله عليه السلام: ﴿يٰإبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم ءاتيهم عذاب غير مردود﴾[1].

وبياناً للأخذ بالأسباب وتحقيقاً لسنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير بالنجاء من آمن، وإهلاك من كفر، أمروه عليه السلام بالأخذ بأسباب النجاة لقرب هلاك الفاسقين من قومه، وأنه في صباح تلك الليلة، أى : ليلة طمس الأعين.

كما في قوله تعالى: ﴿إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾[2].

قال الآلوسي[3]: ﴿وإنما جعل ميقات هلاكهم الصبح لكون الناس مجتمعين ولم يتفرقوا بعد فيكون حلول العذاب حينئذ أفظع﴾ أ.هـ.[4]

وفي بيان الموعد أيضا ﴿تعليل للأمر بالإسراء، والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الاسراع﴾[5].

ثم أمروه عليه السلام بأن يسرى بأهله ليلا حتى لا يشعر بهم أحد من قومه كما جاء في قوله تعالى: ﴿فأسر[6] بأهلك بقطع من الليل﴾[7].

وفي آية أخرى أمره أن يتبع أدبارهم ليشرف على سيرهم. كما في قوله تعالى: ﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبٰرهم ولايلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون﴾[8].

ثم أمروه بعدم الالتفات كما جاء أيضاً في سورة هود في قوله تعالى:﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾[9].

ومعنى (لا يلتفت) أي: لا يتخلف، أو لا ينظر.

— وسر النهي عن الالتفات بمعنى التخلف ظاهر.

— وأما سره إذا كان بمعنى النظر إلى وراء، فهو أن يجدوا في السير، فإن من يلتفت إلى ورائه لا يخلو من أدنى وقفة، أو أن لايروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم.

---

(١) سورة هود : الآية (٧٦). (٢) سورة هود : من الآية (٨١).

(٣) هو محمد بن عبدالله الحسيني، الألوسي، شهاب الدين ، أبوالثناء، مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوي، نحوي، مشارك في بعض العلوم، ولد في بغداد سنة ١٢١٧هـ، وتوفى بها سنة ١٢٧٠هـ.. وقد خلف تصانيف كثيرة منها: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، وحاشيته على شرح القطر في النحو.
أنظر : معجم المؤلفين :(١٢/١٧٤-١٧٥).
والتفسير والمفسرون للذهبي : (٣٥٣-٣٥٤).

(٤) روح المعاني للآلوسي (١١٢/١٢). (٥) تفسير أبي السعود (٢٣٠/٤).

(٦) قرأ نافع وابن كثير : ﴿فأسر بأهلك﴾ بوصل الألف في كل القرآن من ﴿سرى يسري﴾ وقرأ الباقون (فأسر) بقطع الألف وهما لغتان فصيحتان نزل بهما القرآن، قال الله تعالى: ﴿سبحٰن الذى أسرى بعبده﴾ (١:الاسراء) ، وقال: ﴿والليل إذا يسر﴾ (٤: الفجر)، يقال: ﴿سريت وأسريت﴾ إذا سرت ليلا.
وقال آخرون منهم أبو عمرو الشيباني: يقال سرى في أول الليل وأسرى من آخره.
الحجة في القراءات : (٣٤٧).

(٧) سورة هود : الآية (٨١).

(٨) سورة الحجر : الآية (٦٥). (٩) سورة هود: الآية (٨١).

ومرد الاختلاف في المعنى المراد من الالتفات إلى تباين الأخبار الواردة في إسرائه عليه السلام بأهله: عما إذا صحبته عليه السلام زوجته عند إسرائه فالتفتت فأصابها العذاب.

أم أنها بقيت ولم تسر فأصابها العذاب ؛ ولكل معنى قراءة تؤيده.

— فمن قال بأنه عليه السلام ﴿أمر أن يسري بأهله سوى زوجته فقد نهي أن يسري بها، وأمر بتخليفها مع قومها﴾[١] ليصيبها العذاب.

فيكون مايؤدي إلى هذا المعنى نصب المستثنى في قوله تعالى: ﴿إلا امرأتك﴾ استثناء من الإسراء، وحجتهم ما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك﴾ فدل ذلك أن الاستثناء كان من أهله الذين أمر بالاسراء بهم لا من (أحد) والمعنى في هذه القراءة أنه لم يخرج امرأته مع أهله.[٢]

ويكون المراد بالنهي عن الالتفات النهي عن التخلف.

والمعنى: ولا يتخلف ولا يبقى منكم أحد إلا امرأتك فإنها تتخلف أي تبقى وتهلك.

لأنه يقال لفته عن الأمر إذا صرفته عنه، أي انصرف، والتخلف إنصراف عن المسير، قال تعالى: ﴿أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا..﴾[٣] أي لتصرفنا.[٤]

وبدلالة معنى (الغابرين) في قوله تعالى عن هلاك امرأته التي جاء استثناؤها ﴿ فنجيناه وأهله إلا عجوزاً في الغابرين﴾[٥] وقال في آية أخرى: ﴿إلا امرأته قدرناها من الغابرين﴾[٦].

والغابر : الباقي، أي الباقين الذين بقوا وهلكوا[٧].

— وأما من قال: بأنه عليه السلام أمر أن يسري بامرأته وأنها لما سمعت هدة العذاب التفتت.

فيكون هذا على قراءة رفع المستثنى على البدل من (أحد) في قوله: ﴿ولا يلتفت منكم إحد إلا امرأتك﴾

ويكون معناه النهي للوط عليه السلام عن الالتفات ولفظه لغيره. يقول القرطبي في ايضاح المعنى المراد: أي: ﴿ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنها ستلفت﴾[٨].

ويقول أيضا: ﴿ويجوز أن يكون استثناء من النهي عن الالتفات لأنه كلام تام. أي: لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنها تلتفت وتهلك، وأن لوطاً خرج بها، ونهى من معه ممن أسري بهم ألا يلتفت فلم يلتفت منهم أحد سوى زوجته، فإنها لما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت: واقوماه! فأدركها حجر فقتلها﴾[٩].

يقول الشيخ محمد الأمين رحمه الله تعالى: ﴿الظاهر أن وجه الجمع بين القراءتين المذكورتين أن السر في أمر لوط بأن يسري بأهله هو النجاة من العذاب الواقع صبحاً بقوم لوط، وامرأة لوط مصيبها ذلك العذاب الذى أصاب قومها لامحالة، فنتيجة إ سراء لوط عليه السلام بأهله لم تدخل فيها امرأته على كلا القولين، وما لا فائدة فيه كالعدم فيستوي معنى أنه تركها ولم يسر بها أصلا،أوأنه أسرى بها وهلكت مع الهالكين. فمعنى القولين راجع إلى أنها هالكة وليس لها نفع في إسراء لوط بأهله فلا فرق بين كونها بقيت معهم أو خرجت وأصابها ما أصابهم.

---

(١) تفسير الطبرى (٨:٧).
(٢) الحجة في القراءات (٣٤٨).
(٣) سورة يونس : الآية (٧٨).
(٤) انظر: المفردات للراغب ﴿لفظ لفت﴾،(٣٥٢).
(٥) سورة الشعراء : الآية (١٧٠-١٧١).
(٦) سورة النمل : الآية (٥٧).
(٧) انظر : تفسير الطبرى (٢/١١)، تفسير القرطبي (١٣٣/١٣).
(٨) سورة هود : الآية (٨١)
(٩) تفسير القرطبي (٨٠:٩).
تفسير الطبرى (٨٠:٧).

فإذا كان الإسراء مع لوط لم ينجها من العذاب فهي ومن لم يسر معه سواء . والعلم عند الله تعالى ﴾.[١]

— وخلاصة القول: أن الحق تبارك وتعالى جعل الإلتفات دليلا على تعلق القلب بأولئك القوم الذين حق عليهم من الله الهلاك، وميله إليهم وجعل عدمه دليلاً على قطع العلاقة معهم، فكان الإتيان بالمنهي عنه من الالتفات معصية للرب تعرض للعقوبة فمن التفت هلك، ومن لم يلتفت فقد نجا. والله أعلم.

— وأما صفة هلاك ظالمي قومه عليه السلام فأخبر الله تعالى عنها في قوله: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عٰليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود•مسومة عند ربك وما هى من الظٰلمين ببعيد ﴾[٢].

أى ولما جاء أمرنا بالعذاب وقضاؤنا فيهم بالهلاك جعلنا عالي قريتهم سافلها.[٣]

وهو جعل العالي سافلا ولم يعكس تهويلا للأمر وتفظيعا للخطب، لأن جعل عاليه الذى هو مقرهم ومسكنهم (سافلها) أشق من جعل سافلها عاليها، وإن كان مستلزما له.[٤]

﴿وما أعظم حكمة الله تعالى في هذا القلب الذى هو أشبه ماكانوا عليه من إتيان الإعجاز والإعراض عما تقتضيه الطباع السليمة ﴾[٥].

ثم أخبر الله تعالى عن تتابع العذاب عليهم بقوله: ﴿وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود•مسومة عند ربك وما هي من الظٰلمين ببعيد﴾

أى : أمطرنا عليها حجارة من سجيل ﴿أى حجارة من طين﴾ قاله ابن عباس وغيره[٦] لقوله تعالى في الأية الأخرى: ﴿حجارة من طين..﴾[٧] والقرآن يفسر بعضه بعضاً، ويتعين ارجاع بعضه لبعض في قصة واحدة.[٨]

وقوله منضود: (قال بعضهم : منضودة في السماء أى معدة لذلك).

وقال آخرون: أي يتبع بعضها بعضاً في نزولها عليهم.[٩]

ثم حذر الله من فعلهم فقال: ﴿وما هى من الظٰلمين ببعيد﴾ أى: ﴿وما هذه النقمة ممن تشبه بهم في ظلمهم ببعيدة عنه ﴾[١٠].

فإن الله تعالى أذاق مجرمي قوم لوط العقاب الشديد، ولم يعاقب به أحدا غيرهم ونوع صوره في كذا موضع من كتابه ليثير الخوف في النفوس من الاقتراب من هذا السوء، فلقد جمع الله عليهم أنواعاً من العقوبات بين الاهلاك وقلب ديارهم عليهم والخسف بهم، ورجمهم بحجارة من سجيل، وارسال ريح شديدة ترميهم بالحصى، ومجيء الصوت القاصف إليهم، كما قال تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عٰليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود•مسومة عند ربك وما هى من الظٰلمين ببعيد ﴾[١١].

وقال تعالى: ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين. فجعلنا عٰليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴾[١٢].

وقال تعالى: ﴿فأنجيٰنه وأهله إلا امرأته كانت من الغٰبرين. وأمطرنا عليه مطراً فانظر كيف كان عٰقبة المجرمين ﴾[١٣].

---

(١) أضواء البيان (٣٧:٢).
(٢) سورة هود : الآية (٨٢).
(٣) تفسير الطبرى (٩٣/٧).
(٤)و(٥) روح المعاني للآلوسي (١١٣:١٢).
(٦) تفسير ابن كثير (٤٧١:٢)
(٧) سورة الذاريات ، الآية (٣٣).
(٨)، (٩) تفسير ابن كثير (٤٧١:١).
(١٠) المرجع السابق (٤٧١:٢)
(١١) سورة هود : الآية (٨٢).
(١٢) سورة الحجر: الآية (٧٣-٧٤)
(١٣) سورة الأعراف : الآية (٨٣-٨٤)

وقال تعالى : ﴿والمؤتفكة أهوى ففشاها ماغشى﴾[١]

وقد ذكر القرآن الكريم أنواع ما نزل بهم من العقوبات في سور متعددة ليزداد العباد فزعا من هذا السوء، فما تشديد العقوبة إلا لعظم مفسدة هذه الجريمة التي تكاد الأرض تميد من جوانبها إذا عملت عليها، وتكاد الجبال أن تزول عن أماكنها، وجعل الله تعالى قوم لوط آية للعالمين، وموعظة للمؤمنين، ونكالاً وسلفاً لمن شاركهم في أعمالهم الخبيثة من المجرمين، وقد جعل الله ديارهم بطريق السالكين، يمرون على منازلهم في ذهابهم إلى الشام ورجوعهم منه نهاراً وليلا لعلهم يعتبرون.

وقد كان تكرار قصة قوم لوط بالذات أبلغ تأثيراً في اتعاظ العباد بهم والاعتبار بمصارعهم، فهذه قوافل مكة كانت تمر في الغدو وفي الرواح بآثار قريتهم (سدوم) والله تعالى يقول : ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون﴾[٢]. ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين * وإنها لبسبيل مقيم . إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾[٣].

فلا شك أن مشاهدة آثارهم أبلغ تأثيرا فإن آثار العذاب حجة شاهدة بصدق ما روى القرآن من أخبارهم: ﴿ولقد تركنا منها ءاية بينة لقوم يعقلون﴾[٤]

﴿وتركنا فيها ءاية للذين يخافون العذاب الأليم[٥]﴾[٦]

وحذر صلى الله عليه وسلم أمته أشد التحذير من الوقوع فيما وقع فيه الظالمين، وتخوف على أمته أشد التخوف من سلوك سبيل المجرمين، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أكثر ما أخاف على هذه الأمة - أو قال على أمتي - من يعمل بعمل قوم لوط"[٧]

وأنذرهم عاقبته في قوله صلى الله عليه وسلم: ".. خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا.."[٨] الحديث.

✿✿ ✿✿ ✿✿

في خطر جريمة الفاحشة على الفرد والمجتمع وعلاج الإسلام لها

ولعلنا في ختام هذا الفصل نذكر بما أصاب المجتمعات الغافلة عن هدي الله تعالى والمسترسلة لنداء الشهوة والهوى - الذين عملوا عمل قوم لوط - من العذاب الدنيوي، وما ينتظرهم من العذاب في الآخرة لهو أدهى

---

(١) سورة النجم : الآية (٥٣-٥٤)
(٢) سورة الصافات: الآية (١٣٧-١٣٨)
(٣) سورة الحجر : الآية (٧٥-٧٧)
(٤) سورة العنكبوت : الآية (٣٥)
(٥) سورة الذاريات : الآية (٣٧)
(٦) انظر مقدمة كتابان في اللواط تحقيق خالد محمد خالد (٥٠-٥١) (٥٨-٥٩)، وخطر الجريمة الخلقية لعبد الله الجار الله: ٤٦-٤٧
(٧) رواه الترمذي في كتاب الحدود، ٢٤- باب ماجاء في اللوطي: (٥٨/٤)، وابن ماجه في كتاب الحدود، ١٢- باب من عمل قوم لوط (٨٥٦/٢)، وأحمد في مسنده (٣٨٢/٣)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣٥٧/٤) ووافقه الذهبي.
(٨) الحديث عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، رواه ابن ماجة في كتاب الفتن، ٢٢ - باب العقوبات، وأوله: "يامعشر المهاجرين" (١٣٣٣/٢)، والحاكم في المستدرك، (٥٤٠/٤) ووافقه الذهبي.

وأمر، إن لم يتوبوا إلى الله ويستغفروه، ويتبعوا ما جاءهم من رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه، فإن حجج الله قامت، ومظاهر عقابه ظهرت، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.. فلقد تمردت على شرع الله جل وعلا، وأعرضت عن هديه مجتمعات في الشرق والغرب باسم الحرية الشخصية، والمدنية والحضارة.. غذى ذلك التمرد أفكار هدامة من صنع اليهود في محاربتهم للدين والأخلاق - قوامها أن الحياة لا تعدوا البطون والفروج، وقوانين وضعية تشجع الرذيلة، وتحارب الفضيلة هي من نتاج خزعبلات أذهان اليهود أيضاً، ومكن لها أتباعهم وأذنابهم في كثير من بلدان العالم.. حتى عدا عمل ظالمي قوم لوط عليه السلام في تلك المجتمعات أمراً عادياً معروفاً يحميه القانون.. فلهم نواديهم الخاصة التي يمارسون فيها المنكر، فأنشأوا بيوت الخنا، والعهر والدعارة، ونوادي العراة.. فانهارت الأخلاق في كثير من المجتمعات الشرقية والغربية مع أنها صنعت الذرة، وتزعم أنها وصلت إلى سطح القمر، وبلغت أوج الحضارة، وأعلى قمم الرقي والتقدم.. فسقطت تلك المجتمعات في حمأة الرذيلة والمعاصي.. وتمرغت في القاذورات، واستشرى فيها الفساد، وحفرت الحضارة المادية قبرها بيدها.. وأحاط بها الخطر الداهم من كل مكان، ولاحقهم غضب الله جل وعلا، وحلت عليهم عقوبته القدرية بسبب انحرافهم على أمره سبحانه وتعالى، ومخالفتهم سننه، ففشت فيهم الأمراض التي لم تكن في أسلافهم، والمتفاوتة في خطورتها ومضاعفاتها، من سيلفس، وهربس وسيلان وقرحة.. فكان ضحايا تلك الأمراض بالآلاف.. ومعذبون.. ومشوهون ومعتوهون، ومطموسون، وقلق، وحيرة، واضطراب، وتفجر غ.. حتى كان آخر هذه الأمراض مرض الإيدز.. ذلك المرض الذي أقض مضاجع أهل تلك المجتمعات الإباحية، فبدل أمنهم إن كان فيه بقية خوفاً.. ونغّص عليهم مآكلهم ومشاربهم، وضيّق عليهم موارد رزقهم، وانتشر الرعب ولاحقهم الهلع في دورهم ومدارسهم ومطاعمهم، وفنادقهم، وأماكن اجتماعاتهم العامة والخاصة.. ففروا ممن لم يصب بالإيدز خوفاً من أن يكون مصاباً بالإيدز، ومازالت الإصابات بهذا المرض الخطير الفتاك تزداد بأشكال مخيفة الأمر الذي زاد معه الهلع والخوف من هذا المرض، حتى عم الرعب أنحاء الأرض من هذا الداء الوبيل، ومع كثرة السياحة وسرعة المواصلات سرت عدوى هذا المرض سريان النار في الهشيم، فكل مجتمع انحرف عن الفطرة وارتكس في الرذيلة، وعطل حدود الله تعالى ناله منه نصيب.

"فقد أعلنت منظمة الصحة العالمية أن [الإيدز] ظهر في (٤٣) دولة في العالم، وأن أعداد المصابين به تتزايد بشكل مستمر، وأن أكثر من نصفهم قد فارق الحياة، وأنه وباء عالمي فتاك".

ومما زاد من حدته أن المصابين به أصبحوا يموتون في عواصم الطب وأمام أعين المختصين والمراكز المختصة دون أن تستطيع أن تعمل لهم شيئاً..؟؟ وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له.

فما أهون الخلق على الله إن هم عصوه!

وما أشد جناية الإنسان على نفسه عندما يعرض عن هدي الله ويتبع هواه..!

وما تلك الأمراض ومضاعفاتها إلا عذاب دنيوي سلطه الله على المجتمعات الإباحية الكافرة الفاجرة، أو المجتمعات التي عطلت حدود الله، فظهرت فيهم سنة الله في أخذه للظالمين، وانتقامه من المجرمين، ولعقابه للمفسدين، وصدق رسوله في توعده للمعرضين، ففي الدنيا أخذاً وبيلاً، قال تعالى: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾ (١)

وفي الأخرة أنكالاً وجحيماً، قال تعالى: ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (٢)

---

(١) سورة السجدة : الآية (٢١).

(٢) سورة يونس : الآية (٢٧).

وبعد هذا.. نأتي الى بيان: علاج الإسلام لهذه الفاحشة الشنعاء والجريمة النكراء: فلعل سائلاً يقول :

وما طريق الخلاص من هذا البلاء المبين؟

وما لعلاج من هذا الداء الوبيل؟

فنقول: إنه لاخلص ولا منقذ من هذا البلاء المبين، وهذا الداء الوبيل إلا بالعودة إلى الله تعالى والتوبة اليه والإلتزام بشرعه، واتباع هدية: ﴿قل إن هدى الله هو الهدى..﴾[١] فهي شريعة خير ورحمة:

✿ تحث على الزواج وتيسره، ✿ وتحرم فعل الفاحشة

فالإسلام اعترف بهذه الشهوة الغريزية التي أودعها الله في الإنسان، وجعلها سر بقائه وتكاثره في الأرض إلى أن تتكامل العدة التي قدر الله بروزها الى هذا العالم.

فسما بالإنسان أن يهبط بسببها إلى مرتبة الحيوانات، فأمره بالزواج ورغبه فيه ويسره له لأنه الحل العملي، والطريق الفطري السليم لقضاء الوطر من حله وفي محله قال تعالى: ﴿ومن ءايٰته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة..﴾[٢]

وحث رسول الرحمة والهدى إلى الزواج ورغب فيه بقوله: "يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة[٣] فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء[٤]"[٥]

ووعد الله جل وعلا عليه العون والغني فقال تعالى: ﴿وأنكحوا الأيٰمى منكم والصٰلحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله..﴾[٦]

وفي الحديث: "ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف"[٧]

ومع هذا الحث والترغيب فإن الإسلام عالج كل مشكلة تحيط به فنظم الزواج والطلاق وتعدد الزوجات، وبين أضرار الانحرافات الخلقية كالزنا والفاحشة وما لهما من آثار مدمرة في المجتمع حيث تختلط الأنساب، وتنهار الأسر، وتنتشر الأمراض، وتطغى الرذائل، وتندثر الفضائل، ويعم في الأرض الفساد.

---

(١) سورة البقرة : الآية (٢١). (٢) سورة الروم : الآية (٢١).

(٣) الباءة: يعني: النكاح والتزوج.. غريب الحديث لأبن الأثير (١٦٠/١).

(٤) وجاء : هو رض الخصيتين، والمراد هنا أن الصوم يقطع الشهوة ويقطع شر المني كما يفعله الوجاء، أنظر حاشية عبد الباقي على مسلم: (١٠١٩/٢).

(٥) الحديث عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، رواه البخاري في كتاب النكاح، ٢ - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من استطاع منكم الباءة فليتزوج..الخ (١١٧/٦)، ومسلم في كتاب النكاح، ١ - باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه.. (١٠١٨/٢)

(٦) سورة النور، الآية (٣٢)

(٧) الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه، رواه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد، ٢- باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله إياهم (١٨٤/٤)، وقال هذا حديث حسن، وأحمد في مسنده (٢٥١/٢)

وحرم كل الأسباب التي تؤدي إلى الزنا من تبرج جاهلي، وخلوة آثمة، واختلاط عابث، وصور عارية، وأدب مكشوف، وغناء فاحش، وكل ما من شأنه أن يغري بالفاحشة أو يقرب منها أو ييسر سبيلها، فأمر بمكارم الأخلاق، وغض البصر، والحجاب للمرأة، وأمر التفريق بين الأخ وأخته في المضاجع، ونهى النظر إلى الأمرد.. إلى غير ذلك مما يحفظ على الناس دينهم وأخلاقهم.

وشرع الطهارة وجعلها شرطاً في أداء العبادات، فأمر بالغسل بعد الجماع، والحيض، وحرم الجماع أثناء الحيض، وأمر المطلقة والمتوفى عنها زوجها بالعدة، براءة للرحم ولئلا تختلط الأنساب، وحفاظاً على حق الزوجية، كل ذلك لتهيئة حياة زوجية سليمة ولبناء مجتمع إسلامي متكامل، وأسرة إسلامية نظيفة ناشئة على الطهر والعفاف يجتمع فيها طهارة المظهر والمخبر، قال تعالى: ﴿مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾(١)

ومن شذ عن هذا الهدي القويم بعد هذا التيسير العظيم، والتحذير البليغ، أوقع الإسلام عليه من العقوبة مايقوم سلوكه ويردعه عن باطله، ويطهره من ذنبه، ويكبت جذوة الشر في نفسه من أن تفسد عليه دنياه وتضيع عليه أخراه، كما قال تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولاتأخذكم بهما رأفة في دين الله..﴾(٢)

وإن أصر على باطله بعد إحصانه شرع من العقوبة ما يستأصل شأفته ويحمي المجتمع من شؤم معصيته، ويحول بين سلوك الآخرين سبيله، فشرع رجم الزاني المحصن كما استفاضت بذلك الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً وتطبيقاً، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "لايحل دم امرء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق"(٣)

وأمر صلى الله عليه وسلم بقتل من يعمل عمل قوم لوط كما في الحديث: "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به"(٤)

ليبقي المجتمع نظيفاً مبرءاً من الزنا والفاحشة(٥).

والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) سورة المائدة: الآية (٦) (٢) سورة النور : الآية (٢)

(٣) الحديث عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما،رواه البخاري في كتاب الديات، ٦- باب قول الله تعالى: ﴿أن النفس بالنفس والعين بالعين..﴾(٣٨/٨)

(٤) الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما، رواه أبو داود في كتاب الحدود، ٢٩- باب فيمن عمل عمل قوم لوط (٦٠٧/٤)، والترمذي في كتاب الحدود، ٢٤- باب ما جاء في حد اللوطي (٥٧/٤-٥٨)، وابن ماجة في كتاب الحدود، ١٢- باب من عمل عمل قوم لوط (٨٥٦/٢) والحاكم (٣٥٥/٤) ووافقه الذهبي وصححه أيضاً ابن القيم في زاد المعاد (٥/-٤) وانظر تحريم اللواط للآجري تحقيق الد علي (٢٣٦).

(٥) قارن فيما تقدم بكتاب غضب الله تعالى يلاحق المتمردين على الفطرة، لفؤاد سيد عبدالرحمن الرفاعي في الصفحات: (س، ع، ٣، ٦، ١٢، ٣٨، ٤٧، ٦٠، ٦٨، ٨٤)

الباب الثاني

الفصل السادس

دعوة شعيب عليه السلام

لعل من المناسب أن نبين نسب هذا النبي الكريم الذي أرسله الله تعالى إلى مدين، ونوضح ماأورده المفسرون في كتبهم عن نسبة مدين، هل المراد بها القبيلة أو المدينة، أو الماء الذي هو محل وردهم؟.

أ - **فأما عن نسبه عليه السلام**: هو (شعيب بن مكييل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم عليه السلام)[1].

وقد ذكر المؤرخون أقوالاً أخر في تحديد نسبه عليه السلام بين اتفاق واختلاف في ألفاظ سياق النسب وأكثر من ذكر نسبه يرجعونه إلى سلالة إبراهيم الخليل عليه السلام.

ب - **وأما قومه**: فهم (مدين)، ورد ذكرهم في كتاب الله تعالى بلفظ (مدين) إخباراً عن الإرسال كما في قوله تعالى: ((**وإلى مدين أخاهم شعيبا...**)) وبلفظ (الأيكة) في معرض الذم والانتقام، كما قال تعالى: ((**كذب أصحٰب الئيكة المرسلين**))[2].

وكلا اللفظين المراد بهما بيان ماهية الأمة التي بلغها شعيب عليه السلام دعوته، وبيان أنها أمة واحدة لا أمتان على المشهور من أقوال المفسرين، ولكل من التسميتين مايؤيده:

فأطلق عليه مدين نسبة إلى القبيلة التي ينتمون إليها، والتي ترجع في سلالتها إلى مدين ولد نبي الله ابراهيم الخليل عليه السلام، وعلى هذا فالمراد بنو مدين، كما يقال مضر، والمراد بنو مضر.

ثم اشتهرت التسمية حتى أطلق على الأرض التي سكنوها مسمى القبيلة التي ينتمون إليها، ويعرفون بها، فإن شئت قلت بنو مدين نسبة إلى القبيلة، وإن شئت قلت أهل مدين نسبة إلى المكان الذي أضحى محل سكناهم.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٢٤٦:١).
(٢) سورة الشعراء: الآية (١٧٦).

وأما الماء الذي سقى منه موسى عليه السلام لسائمة شعيب وورد إضافته لهم في قوله تعالى: ((ولما ورد ماء مدين[1] وجد عليه أمة من الناس يسقون))[2] فإن إضافته إليهم من باب اختصاصهم به أو لكونه حالاً في ديارهم تسمية للحال باسم المحل[3].

ومدين من القبائل العربية.

ومنهم شعيب كانوا يسكنون مدين القريبة من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريبا من بحيرة لوط (البحر الميت) وكانوا بعده بمدة قريبة[4].

---

(١) لما جاء في هذه الآية من ذكر (ماء مدين) الذي ورده موسى عليه السلام ومصاهرته وقوله تعالى عن إرسال نبيه شعيب عليه السلام: ((وإلى مدين أخاهم شعيباً..)) ظن بعض الناس أن شعيباً النبي هو صهر موسى عليهما السلام والحق أنه ليس بذاك.
ولبيان ذلك نستعين بما ذكره ابن تيمية في مسائله وما استشهد به رحمه الله من أقوال المفسرين مبيناً في النقاط التالية:
أولاً: أن من قال بأن شعيباً النبي هو صهر موسى عليهما السلام فقد قال ماليس له به علم (لأن مثل هذا لا يدرك إلا بخبر صحيح ولا خبر بذلك تجب حجته). تفسير الطبري (٤٠/٢٠).
ثانياً: أن القرآن الكريم لم ينص على أن هذا الشيخ الذي هو صهر موسى عليه السلام أنه كان شعيباً، ولا أنه كان نبياً، ولا عند أهل الكتابين أنه كان نبياً، ولا نُقل عن أحد من الصحابة أن هذا الشيخ الذي . صاهر موسى كان شعيباً النبي لا عن ابن عباس ولا غيره.
ثالثاً: أن كتب التفسير التي تروي بالأسانيد المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لم يذكر فيها عن أحد أنه شعيب النبي صلى الله عليه وسلم ولكن نقلوا بالأسانيد الثابتة عن الحسن البصري أنه قال: (يقولون أنه شعيب وليس بشعيب ولكنه سيد الماء يومئذ) الدر المنثور للسيوطي (١٢٦/٥).
رابعاً: أن ظاهر القرآن الكريم يدل على مخاطبة موسى عليه السلام للمرأتين وأبيهما من غير ترجمان، فلو كان صهر موسى عليه السلام لاحتاج لترجمان لاختلاف اللسان، فموسى عليه السلام عبراني وشعيب عليه السلام عربي، فقد روى عن أبي ذر مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم: (أن شعيباً كان عربياً وكذلك هود وصالح..) والله أعلم.
انظر فيما تقدم: جامع الرسائل لابن تيمية المجموعة الأولى (٦١-٦٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢٤١:٢) والقرطبي (٢٤٧:١٠) والمنار (٢٥٤:٧).

(٣) قصص الأنبياء: لابن كثير ( ) وجاء في معجم البلدان (٧٨). ما نصه:

(٤) (مدين على بحر القلزم (الأحمر) محاذية لتبوك على نحو ست مراحل، وهي أكبر من تبوك، وبها البئر الذي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب).===

وأما نسبتهم إلى (الأيكة) كما في قوله تعالى: ((كذب أصحاب الئيكة المرسلين))(١) فيرجع إلى نسبة مانبت في أرضهم من أشجار كثيرة ملتفة إذ أنهم كانوا أهل غياض ورياض كثر عندهم اخضرار الشجر ونبات الثمر حتى أصبح من كثرته ملتفا بعضه على بعض(٢).

والأيكة: في لغة العرب الغيضة وهي الشجر الكثير الملتف الواحدة منه (أيكة) وإنما سموا أصحاب الأيكة لأنهم كانوا أصحاب غياض ورياض(٣).

وفي قراءة: (ليكة) على أنه اسم للقرية.

قال في الصحاح: ((من قرأ أصحاب الأيكة فهي الغيضة، ومن قرأ ليكة فهي اسم القرية، ويقال: هما مثل بكة ومكة))(٤).

ج - عقيدة قوم شعيب:

من خلال ماقصه الله تعالى علينا في كتابه عن قوم شعيب وما هم عليه تبين لنا:

أنهم قوم كفروا بالله عز وجل، واتجهوا بالعبادة إلى غيره سبحانه بدلالة الأمر والنهي في قوله تعالى: ((اعبدوا الله مالكم من إلٰه غيره))(٥). هذا إلى جانب بعض الكبائر السائدة بينهم:

فثبت أنهم قوم دأبوا على البخس والتطفيف كيلاً ووزناً في البيع والشراء، والأخذ والعطاء، طمعاً في إثراء أموالهم والاستزادة من مال غيرهم بغير حق.

وعاثوا في الأرض فسادا، فعدوا على حقوق بعضهم بعضاً فانتهكوها، وقعدوا بكل طريق يصدون عن سبيل الله جل وعلا ويوعدون من آمن من العباد شرا.

ففسد إعتقادهم وساءت معاملتهم وخبثت أخلاقهم.

=== وأورد أبو العباس القلقشندي في كتابه صبح الأعشى في صناعة الانشاء: (٢١٤/١) مانصه: ((مدين وهم بنو مدين بن ابراهيم عليه السلام وكانت ديارهم ديار عاد، وأرض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز قريباً من عشيرة مقام لوط بعث لهم شعيب عليه السلام فلم يؤمنوا)).

(١) سورة الشعراء: الآية (١٧٦).

(٢) الصحاح للجوهري (١٥٧٥:٤) مادة (أيك).

((فبعث الله فيهم رجلا منهم وهو رسوله شعيباً عليه السلام فدعاهم إلى عبادة الله تعالى وحده لاشريك له، ونهاهم عن تعاطي هذه الأفاعيل القبيحة من بخس الناس أشياءهم، وإخافتهم لهم في سبلهم وطرقاتهم، فآمن به بعضهم وكفر أكثرهم حتى أحل الله بهم البأس الشديد وهو الولي الحميد))[1].

وسوف نتعرض لكل ذلك بشيء من التفصيل في بيان دعوته عليه السلام وموقفهم منها.

ثانياً: دعوته عليه السلام:

أ - الدعوة إلى عبادة الله تعالى:

دعاهم عليه السلام إلى تحقيق الأصل العظيم الذي تركوه، وانحرفوا عنه إلى عبادة الأوثان فأمرهم بعبادة الله تعالى وحده لاشريك له، ثم عرفهم بإلٰههم الحق المستحق للعبادة وحده دون سواه، إذ هو سبحانه خالقهم وبيده جل وعلا أمر إجراء الخير لهم ودفع الضر عنهم، كما قال تعالى: ((**وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يٰقوم اعبدوا الله مالكم من إلٰه غيره..**))[2].

ب - وبعد أن دعاهم إلى تحقيق ركن الدين وأساسه وهو عبادة الله تعالى وحده، ثنى في دعوته فنهى قومه عن المفاسد التي رآهم مقبلين عليها أكثر من إقبالهم على غيرها من المفاسد الأخرى كما هي عادة الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم بالبدء بالأهم فالأهم، فنهاهم عما هم متلبسون به[3] من البخس والتطفيف في الكيل والوزن بيعاً وشراء، أخذاً وعطاء ((لأنهم كانوا مع كفرهم أهل تطفيف، كان إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكيل زائد، وكذلك إذا وصل إليهم الموزون أخذوا بوزن زائد، وإذا باعوا باعوا بكيل ناقص ووزن ناقص))[4] فنهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان بقوله: ((**ولا تنقصوا المكيال والميزان**))[5].

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير (٢:/٢٠٨).
(٢) سورة هود: الآية (٨٤).
(٣) انظر: روح المعاني للآلوسي (٨:١٧٧).
(٤) فتح القدير للشوكاني (٢:٥١٨).
(٥) سورة هود: الآية (٨٤).

إذ أن في تنقيص هاتين الآلتين اللتين جعلتا أداة للتقايض ووسيلة للتعامل فيما بين الناس، واتخاذهما وسيلة إلى بخس الحقوق والإستيلاء على مافي أيدي الناس بغير حق، ومن ثم إنزال الفاقة بهم، وإلحاق الضرر عليهم، مجانبة للعدل الذي قامت به السموات والأرض.

ومن العدل: أنك إذا بعت أو اشتريت لاتأخذ زيادة عن حقك، ولا تأخذ ماليس لك، وقد توعد الله عز وجل المطففين في الكيل والوزن بالخسار والهلاك، فقال تعالى: ((**ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون. ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون. ليوم عظيم. يوم يقوم الناس لرب العلمين**))[١].

ج - **ثم أكد عليه السلام نهي قومه عن نقص المكيال والميزان بالأمر بإيفائها**، لتصل الحقوق التي هي مما يكال ويوزن إلى أهلها بغير بخس ولا نقص كما أمرهم عليه السلام بذلك في قوله: ((**ويقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط...**))[٢].

والإيفاء هو: الإتمام[٣].

وجيء به مقيداً (بالقسط) صراحة أي ((بالعدل والحق))[٤] ليكون الإيفاء المأمور به على جهة العدل والتسوية، وهو القدر الواجب، لأن ماجاوز العدل فضل وأمر مندوب إليه[٥].

---

(١) سور المطففين: الآيات (١-٦).
(٢) سورة هود: الآية (٨٥).
(٣)و(٤) تفسير القرطبي (٨٦:٩).
(٥) تفسير الكشاف (٢٨٥:٢) والبحر (٢٥٢:٥).

وإن في توارد الدلالات وتعاضدها في النهي عن النقص،والأمر بالإيفاء، لبلاغ أكيد وتأكيداً حسناً لحمل القوم على مادعاهم إليه، والإقلاع عما نهاهم عنه ليصلحوا ماأفسدوه وجعلوه معياراً لظلمهم، وقانوناً لعدوانهم، وشاهداً عليهم بالبغي والعدوان (١).

ولما في ذلك من التجرؤ على أحكام الشارع، وإضاعة العدل المخل بحكمة التعاوض (٢).

٣ - **النهي عن بخس الناس أشياءهم:**

فبعد أن أتى عليه السلام على فعلتهم الذميمة في جانب تطفيف الكيل والوزن انتقل في دعوته إلى ماهو أعم منه في جانب الحقوق فنهاهم عن جرائمهم المتعددة وقبائحهم المتنوعة بأسلوب يتناسب وحالة القوم التي وصلوا إليها من اعتدائهم على حقوق بعضهم بعضا نقصاً وبخساً، لما فيه من الظلم والعدوان كما في قوله تعالى: ((**ولا تبخسوا الناس أشياءهم...**))(٣).

وهذا أعم مما سبقه من النواهي إذ أن البخس يشمل النقص والعيب في كل شيء، يقال: بخسه حقه وبخس ماله، وبخسه علمه وفضله (٤).

---

(١) قارن بتفسير أبي السعود (٢٣١:٤) وفتح القدير للشوكاني (٥١٨:٢) وروح المعاني للآلوسي (١١٦:١٢).

(٢) انظر: تفسير الآلوسي (١١٥:١٢-١١٦).

(٣) سورة هود: الآية (٨٥).

(٤) تفسير المنار: (١٤٢:١٢).

ويذكر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من أفعال قوم لوط: ((أنهم كانوا قوماً طغاة بغاة يجلسون على الطريق، فيبخسون الناس أموالهم، وكانوا إذا دخل عليهم الغريب يأخذون دراهمه الجياد، ويقولون دراهمك هذه زيوف فيقطعونها ثم يشترونها منه بالبخس، وروي أنهم يعطونه أيضا بدلها زيوفاً فكأنهم لما نهوا عن البخس في الكيل والوزن نهوا عن البخس في كل شيء))[(١)].

والبخس أنواع كما وضح ذلك القرطبي في قوله:

* فيكون في السلعة بالتعيب والتزهيد فيها.
* أو المخادعة عن القيمة.
* أو الاحتيال للتزيد في الكيل[(٢)] والنقصان منه[(٣)].

وكل ذلك من أكل الأموال بالباطل، وذلك منهي عنه في الأمم المتقدمة والسالفة على ألسنة الرسل صلوات الله وسلامه على جميعهم[(٤)].

فعلى هذا يكون النهي عن البخس بحسب مايضاف إليه وقد أضيف هنا إلى أوسع الألفاظ شمولاً، وجيء به بصيغة الجمع فقال (أشياءهم) إخباراً عن سعة دائرة جرائم القوم الذين تعددت جرائمهم وتنوعت معاصيهم.

((والأشياء جمع شيء وهو أعم الألفاظ وجمعه يشمل ماللأفراد وما للجماعات والأقوام من مكيل، وموزون، ومعدود ومحدود، بالحدود الحسية، ومن حقوق مادية ومعنوية))[(٥)].

---

(١) روح المعاني للآلوسي (٨:١٧٧). وانظر: البحر المحيط (٤:٣٣٧) عند تفسيره الآية [٨٥: الأعراف].

(٢) للتزيد في الكيل إذا كان مشتريا.

(٣) إذا كان بائعاً.

(٤) تفسير القرطبي (٧:٢٤٨).

(٥) تفسير المنار: (١٢:١٤٢)

وكما يكون البخس في المحسوسات كذلك يكون في المعنويات وفي هذا يقول الآلوسي: ((ويكون ببخس الرجل حقه من حسن المعاملة والتوقير اللائق به، وبيان فضله على ماهو عليه للسائل عنه))[1] ا.هـ.

إذ من صور البخس المعنوي:

* أن يبخس الناس أقدارهم.
* وأن ننال من فضل ذوي الفضل.
* وأن نطعن بغير بينة في علم أهل العلم حسداً أو حقداً.

والبخس آفة من آفات التعامل في كل زمان ومكان، فلهذا فإن الأشياء التي ورد النهي عنها، وإن كانت خاصة بالناس الموجودين في زمن شعيب إلا أن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب، فتشمل الناس الموجودين في زمن شعيب ومن جاء بعده.

والمراد النهي عن اقتراف الظلم ببخس الناس حقوق بعضهم بعضاً أياً كانت هذه الحقوق، ودعوة العباد لحسن تقويمها على الوجه الذي لا حيف فيه ولا ظلم، ولا بغي ولاعدوان، ليعيش كل فرد راضياً بما قسم الله له، لايتطاول على حق غيره ولا تمتد يد غيره إلى حقه.

٤ - ثم نهاهم عليه السلام عن العياث في الأرض فساداً:

وبعد أن نهاهم عليه السلام عن نوع من البخس وهو التطفيف في الكيل والوزن وبخس الناس أشياءهم، تدرج عليه السلام في الدعوة فنهاهم عما هو أعم بخساً وهو ((عياثهم في الأرض فسادا)) فقال: ((**ولا تعثوا فى الأرض مفسدين**))[2].

فجاء النهي متباينا في لفظه، متحداً في معناه، زيادة في التقريع والتوبيخ، وزيادة تأكيد في النهي عن الفساد.

---

(١) روح المعاني: للآلوسي (١٧٧:٨).
(٢) سورة هود: الآية (٨٥).

وفي هذا إيقاف للقوم على المعنى الحقيقي لأفعالهم المتعددة وجرائمهم المتنوعة، ووصفها بالوصف الجامع لها، ليدخل فيه كل ماآتوه من المعاصي والآثام، وإبائهم إلا المضي على ماهم عليه.

والعثي هو أشد الفساد يقال: عثى، يعثي، عثيا.

وعثا يعثو عثوا، وعاث يعيث عيثا، إذا أفسد.

والعثي في الأرض يشمل على مايقع فيها من الإضرار بالناس فيعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد (١).

فيدخل فيه دخولا أوليا إشراكهم بالله تعالى، والدعاء إليه، والصد عن الإيمان به سبحانه.

وتنقيص الحقوق من كيل ووزن وغيره، والإعتداء على الأموال والحرمات كالسرقة والغارة، وقطع السبل، وغير ذلك من الجرائم لأنها من صور الفساد.

هـ - ثم ذكرهم عليه السلام بما ينعمون به من خير من ربهم ترغيباً في الإبقاء عليه كما قص القرآن الكريم قول شعيب عليه السلام لقومه فقال: ((إني أراكم بخير)).

فالحق تبارك وتعالى أفاض عليهم من خزائن جوده وكرمه ماكانوا بسببه في سعة رزق ورغد عيش.

فمن حق هذه النعم أن يعبد خالقها، ويشكر مسديها لا أن تقابل بالكفر والعصيان.

فبهذا يتبين أن ماأقدموا عليه من نقص الكيل والوزن لم يكن لفاقة ماسة أو حاجة داعية، بل إنما هو ارضاء لشهوات أنفسهم التي طمعت في الوصول إلى مافي أيدي الناس عن طريق الخديعة والاحتيال.

---

(١) انظر: البحر المحيط (٢٣٢:٤)، وأبي السعود: (٢٣٢:٤)، وروح المعاني للآلوسي (١١٦:٧).

فظهر من هذا حرصهم على محق النعم أكبر من حرصهم على الإبقاء عليها، إذ لو حرصوا لاستجابوا لدعوة نبيهم عليه السلام، وللزموا طاعة الله تعالى، وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه وحافظوا على شرعه وتشريعه بما أقامه من موازين حق لايخاف العباد عند تطبيقها على الوجه المشروع بخساً ولا هضما، ويكونون بذلك قد أتوا بأسباب حفظ النعم وبقائها، كما قال تعالى: ((وإذ تأذّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم..))[١].

أما والقوم قد أقدموا على الكفر بالمنعم تبارك وتعالى من وجوه متعددة فلم يقوموا بحقه تعالى في عبادته وحده لاشريك له وامتثال أمره واجتناب نهيه.

وزادوا على ذلك بالإعراض عن هديه، والتجني على شرعه، فكما أنهم أضاعوا حق الله إعراضاً واستكباراً، أضاعوا حق الله فيما بينهم وبين عبيده تطفيفاً وبخسا، فلم يقوموا بما يجب نحو شكر المنعم بالإحسان إلى خلقه، وأولاها إظهار المسامحة فيما أنعم الله عليهم من خيره بالوفاء كيلاً ووزناً مع أنهم كانوا في خير وسعة رزق.

فكان عملهم هذا نذير تبديل حالهم، وإلحاق الفاقة بهم إذ أن الكفر والمعاصي آفة النعم، وموجبة لحلول النقم كما يوحي به تذكيره عليه السلام لقومه في قوله: ((إني أراكم بخير))[٢].

قال ابن عباس: ((موسرين في نعمه))[٣].

وقال مجاهد: ((في خصب وسعة، فحذرهم زوال النعمة، وغلاء السعر، وحلول النقمة إن لم يتوبوا))[٤].

---

(١) سورة ابراهيم: الآية (٧).
(٢) سورة هود: الآية (٨٤).
(٣)،(٤) تفسير البغوي (٢٤٧:٢).

٩- ثم أتبعه بتذكير وتخويف آخرين فقال: ((وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط))[١].

فخوفهم عليه السلام بما يخافه عليهم من نزول العذاب بساحتهم فكما أحاطت بهم نعم الله ستحيط بهم صور عقابه عند كفرهم بهذه النعم جزاءً وفاقاً لأنهم لم يقوموا بحق النعم ولم يرعو شكرها بل استمروا في عصيانهم وأصروا على إشراكهم بالله بعبادة غيره وكفرهم بنعمه بنقص المكيال والميزان.

وإن في ختم ماخافه عليهم من إضافة العذاب إلى اليوم، ووصف ذلك اليوم بالإحاطة مايرد القلوب الشاردة، ويوقظ الأذهان الغافلة، بما يدل على عظم ذلك العذاب ((وإحاطته بهم فلا يشذ منهم أحد عنه ولا يستطيعون هرباً ولا يجدون ملجأً))[٢].

قال أبو حيان: ((ووصف اليوم بالإحاطة أبلغ من وصف العذاب به لأن اليوم زمان يشمل الحوادث فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب مااشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه))[٣].

وفي المراد بالعذاب قيل: عذاب الاستئصال[٤].

وقيل: عذاب يوم القيامة[٥].

وأيّا ماحمل عليه معنى الآية من المراد بالعذاب فالآية تحتمل المعنيين: فيدخل في الوعيد كل عذاب فيه دنيوياً أو أخروياً، وإحاطة العذاب بهم كإحاطة الدائرة بما في داخلها فينالهم من كل وجه، وذلك مبالغة في الوعيد ولأن كليهما محيط فعذاب الآخرة محيط لا يفلت منه أحد كما قال تعالى:

---

(١) سورة هود: الآية (٨٤).

(٢) تفسير الشوكاني (٥١٨:٢).

(٣) تفسير البحر المحيط (٢٥٢:٥).

(٤)و(٥) انظر: تفسير القرطبي (٨٥:٩-٨٦) الخازن (٢٤٧:٢).

((وإن جهنم لمحيطة بالكٰفرين))[١].

وعذاب الدنيا لايفلت منه من قضى الله بإهلاكه به.

ثم رغبهم عليه السلام في قبول دعوته فقال: ((بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين..))[٢].

ومعنى الآية: أن مايبقيه الله لكم من الحلال بعد إيفاء الحقوق بالقسط أكثر خيراً وبركةً بما تبقونه لأنفسكم من التطفيف والبخس والفساد في الأرض[٣].

وذكر معناه ابن جرير وغيره من المفسرين وعلّل اختياره بقوله: (وإنما اخترت في تأويل ذلك القول الذي اخترته لأن الله تعالى ذكره إنما تقدم إليهم بالنهي عن بخس الناس أشياءهم في المكيال والميزان، وإلى ترك التطفيف في الكيل والبخس في الميزان دعاهم شعيب.

فتعقيب ذلك بالخبر عمالهم من الحظ في الوفاء في الدنيا والآخرة أولى مع أن قوله (بقيت) إنما هي مصدر من قول القائل بقيت بقية من كذا، فلا وجه لتوجيه معنى ذلك إلا إلى بقية الله التي أبقاها لكم مما لكم بعد وفائكم الناس حقوقهم، خير لكم من بقيتكم من الحرام، الذي يبقى لكم من ظلمكم الناس، ببخسكم إياهم في الكيل والوزن)[٤] ا.هـ.

وخير أفعل التفضيل، أي: من التطفيف والبخس والإفساد، لأن خيرية ذلك لكم في الدنيا والآخرة[٥].

---

(١) سورة التوبة: الآية (٤٩).
(٢) سورة هود: الآية (٨٦).
(٣) تفسير فتح القدير للشوكاني: (٥١٨:٢-٥١٩).
(٤) تفسير الطبري (١١١:٧).
(٥) انظر : تفسير البحر المحيط: (٣٣٧:٤).

ففي الدنيا: ((إذا أوفيتم وتركتم البخس والإفساد جملت سيرتكم، وحسنت الأحدوثة عنكم، وقصدكم الناس بالتجارات والمكاسب فيكون ذلك أخير مما كنتم تفعلونه، لديمومة التجارة والأرباح بالعدل في المعاملات، والتحلي بالأمانات))[١].

فالتعامل الصالح يورث ثقة الناس، وينفي مايُتوهم من سوء الظن، وقد شوهد أن التاجر الصدوق يبارك الله له، والخائن يمحق الله بركته.

وأما في الآخرة فإن الله عز وجل يوفيهم أجورهم لاتباعهم الصالحات لأن الله تعالى أوصى على لسان نبيه بالأعمال بالصالحات، والصالحات وصفت بأنها الباقيات[٢] كما في قوله تعالى: ((والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً))[٣].

وأوامر الله تعالى عند اتباعها يبقى للعباد أثرها وخيرها في الدنيا والآخرة.

ثم علق الثواب على الإيمان فقال: ((إن كنتم مؤمنين))[٤] أي لايكون ذلك لكم خيراً ونافعاً عند الله إلا بشرط الإيمان والتوحيد فلا ينفع عمل دون إيمان[٥].

ثم أعلمهم عليه السلام بأنه قد أدى ماعليه من النصح والإرشاد إلى الخير، فإن أعرضوا فما هو عليهم بحفيظ كما أخبر الله تعالى عنه في قوله: ((وما أنا عليكم بحفيظ))[٦].

---

(١) البحر المحيط (٤:٣٣٧).
(٢) انظر: البحر المحيط (٥:٢٥٢).
(٣) سورة الكهف: الآية (٤٦).
(٤) سورة هود: الآية (٨٦).
(٥) البحر المحيط لأبي حيان (٤:٣٣٧).
(٦) سورة هود: الآية (٨٦).

أي:

١ - أحفظكم من الوقوع في المعاصي والتطفيف والبخس وغيرهما.

٢ - أو أحفظ عليكم أعمالكم وأحاسبكم بها وأجازيكم عليها [١].

٣ - أو أحفظ عليكم ماأنتم فيه من النعيم، فإن استمراركم على البخس والتطفيف نذير بزوال النعمة عنكم [٢].

وكل هذه المعاني تحتملها الآية.

ثالثاً: أما موقف قومه بعد هذا النصح والبيان:

فهو ماأخبر الله تعالى عنهم في قوله: ((**قالوا يٰشعيب أصلوٰتك تأمرك أن نترك مايعبد ءاباؤنآ أو أن نفعل في أموٰلنا مانشٰؤا إنك لأنت الحليم الرشيد**)) [٣].

فنادوه عليه السلام باسمه استخفافا وغلظة منهم [٤] ثم أنكروا عليه مستهزئين به وبدعوته ؛

أ - أما الاستهزاء بالدعوة:

فإنه عليه السلام لما أمرهم بعبادة الله تعالى أنكروا عليه ذٰلك واستهزؤوا بأهم مادعاهم إليه من شعائر الدين وخاصة ما كان عليه السلام كثير المواظبة عليها والأداء لها [٥] وهي الصلاة فقالوا: ((**أصلوٰتك تأمرك أن نترك مايعبد ءاباؤنا..**)) قال في المنار: قرأ جمهور القراء [٦] (صلواتك) بالجمع، واستدل على أنه كان كثير الصلاة، وقرأ آخرون (صلاتك) بالإفراد والإستفهام للإنكار وإظهار الاستهزاء

---

(١) تفسير الشوكاني (٥١٩:٢).

(٢) قارن بتفسير القرطبي (٨٦:٩).

(٣) سورة هود: الآية (٨٧).

(٤) انظر: السراج المنير (٧٤:٢).

(٥) انظر: تفسير البحر المحيط (٢٥٣:٥) وأبي السعود (٢٣٢:٤).

(٦) انظر : الحجة في القراءات : (ص٣٤٨)، وكتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع: (٥٠٥:١-٥٠٦)، وجاء في كتاب الحجة: ((قرأ حمزة والكسائى وحفص: ((أصلاتك)) بغير واو. وحجتهم إجماع الجميع على التوحيد في قوله: ((إن صلاتى ونسكي)).
وقرأ الباقون : ((أصلواتك)) على الجمع. وحجتهم أنها مكتوبة في المصحف بواو، وكذلك في سورة براءة))أهـ

والاستفهام للإنكار وإظهار الاستهزاء بعبادته عليه السلام [١].

فكبر مقتاً عند الله ماتفوهت به ألسنتهم استهزاء بالرسول وما يدعوإليه، إذ أن ((الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر بما تكسبه من مراقبة الله تعالى. ومن نهى نفسه كان جديراً بأن ينهى غيره)) [٢].

ب - ثم **عطفوا على الاستهزاء بالدين مدافعتهم عما ماتمسكوا به من الباطل في الأموال** فقالوا: ((**أو أن نفعل في أموالنا مانشؤا..**)) وهذا إنكار منهم على النبي عليه السلام واستهزاء به لنهيه عن التطفيف في الكيل والوزن والأمر بالايفاء [٣].

ج - ثم **ختموا الرد بالإستهزاء بشخصه عليه السلام** فقالوا: ((**إنك لأنت الحليم الرشيد**)).

يقول ابن كثير: ((قال جمع من المفسرين يقولون ذلك أعداء الله على سبيل الاستهزاء قبحهم الله ولعنهم عن رحمته وقد فعل)) [٤].

والعرب قد تصف الشيء بضده فيقول للديغ سليم، وللفلاة مفازة، ونحو ذلك [٥].

وقال بعضهم: يحتمل أن يكون المعنى ((**إنك لأنت الحليم الرشيد**)) بزعمك.

وقيل هو على الصحة: أي انك ياشعيب فينا حليم رشيد فكيف تنهانا ولا يجمل بك شق عصا قومك ومخالفة دينهم؟ وهذا كما قال قوم صالح عليه السلام فيما أخبر الله تعالى عنهم في قوله: ((قد كنت فينا مرجوا قبل هذا..)) [٦] [٧].

---

(١) تفسير المنار (١٤٣:١١).

(٢) المرجع السابق: (١٤٣:١١). وقد قال تعالى: (إن الصلوٰة تنهى عن الفحشاء والمنكر..) [٤٥:العنكبوت].

(٣) انظر: السراج المنير (٧٤:٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٤٧٢:٢).

(٥) تفسير البغوي (٢٤٨:٢) والخازن (٢٤٨:٢).

(٦) سورة هود: الآية (٦٢).

(٧) تفسير البغوي (٢٤٨:٢) والخازن (٢٤٨:٢).

رابعاً: في موقفه عليه السلام من عناد قومه:

وهو ماقصه الله تعالى علينا في قوله: ((**قال يٰقوم أرءيتم إن كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقاً حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى مآأنهىٰكم عنه إن أريد إلا الإصلٰح مااستطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**))[1] . وتضمنت الآية مايأتي:

أ - أعلن عليه السلام وضوح دعوته وكونه على بينة من ربه:

فدعاهم عليه السلام إلى النظر في مؤيدات دعوته والبراهين الدالة على صدقه، ليقف القوم على خطئهم وفساد حجتهم علهم يعدلون عما كانوا عليه من التعامي عن البينات والهدى إلى التسليم للرسالة والإذعان لها بالقبول وساق حجته عليه السلام على سبيل الفرض والتقدير مجاراة للقوم في أسلوبهم وليقضي على مافي قلوبهم من شك وريبة. كما قصه الله علينا في قوله إخباراً عن قيل نبيه ((**قال يٰقوم أرءيتم إن كنت على بينة من ربى...**))

والبينة: الدلالة الواضحة عقلية كانت أو حسية[2] فأخبرهم عليه السلام أن الله عز وجل قد أقام الحجج البينات، والبراهين الواضحات، فيما يدعوهم إليه من عبادة الله تعالى، والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام، وفيما نهاهم عنه من إفساد المال[3] .

وفسر الحسن البينة بالآية الدالة على صدقه عليه السلام[4] .

ولقوة هذه البينة التي أيده الله تعالى بها رتب عليها أمره لقومه بإيفاء الكيل والوزن، كما جاء في سورة الأعراف: ((**قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلٰحها...**))[5] .

---

(١) سورة هود: الآية (٨٨).
(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب ؛ (٨٨).
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠٣:٧).
(٤) انظر: البحر المحيط (٣٣٦:٣).
(٥) سورة الأعراف: الآية (٨٥).

يقول الشيخ رشيد رضا: ((ولو لم تكن البينة التي أيد الله تعالى بها شعيباً ملزمة للحجة قاطعة لألسنة العذر، ومكابرة الحق، لما رتب عليها قوله ((**فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم...**)) فإن عطف هذا الأمر بالفاء لايصح إلا إذا كان مبنياً على ماهو سبب له، وهو البينة على صدقه ووجوب طاعته))[١].

وهذه المعجزة لم تذكر في القرآن شأنها شأن معجزات نبينا عليه وعلى إخوانه المرسلين أفضل الصلاة وأزكى السلام[٢].

وقد خاض بعض المفسرين في بيان هذه البينة بما لامستند لهم عليه من كتاب أو خبر صحيح، والوقوف عند ماأخبر به القرآن الكريم أولى وأوجب[٣].

ثم إن هذه البينات التي ذكروا أنها معجزات لشعيب عليه السلام؛ على فرض صحة روايتها. هل هي ماأريد من البينة التي ورد ذكرها أنها معجزة لشعيب عليه السلام، أم أن المعجزة غيرها؟ إذ أن ماذكر على فرض صحته يعد من جملة معجزاته. ولا أدل على ذلك من معجزات خاتم الرسل عليه وعلى اخوانه المرسلين الصلاة والسلام فهي على كثرتها ذكر القرآن بعضها كانشقاق القمر والكثير لم يذكر[٤].

ثم عطف عليه السلام على إقامة البينة في قوله: ((**أرءيتم إن كنت على بينة من ربي**)) مايبرهن على :

ب - **خير مايدعوهم إليه بقوله: ((ورزقني منه رزقاً حسناً)).**

قيل: أراد (بالرزق): النبوة.

وقيل: أراد الرزق الحلال. والآية تحتمل المعنيين.

---

(١) تفسير المنار (٥٢٥:٧).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٢٦١:٢) الخازن (٢٦١:٢) البحر المحيط (٣٣٦:٤) أبي السعود (٢٤٧:٣).

(٣) قصص الأنبياء: للنجار (١٤٥).

(٤) قارن بتفسير أبي السعود (٣٤٧:٣) عند الآية [٨٥:الأعراف].

إلا أن المناسب للمقام حمل الرزق على ما آتاه الله من الحلال الخالي من التطفيف والبخس.

وأضاف الرزق إلى الله تعالى الذي أبلغهم وحيه فأعرضوا عنه إلى ماتمليه أهواؤهم لبيان فداحة الجرم وخطر الذنب.

وأخبر عن ماهية الرزق ووصفه بما يرغب فيه ويشد الأنظار إليه فنكر الرزق لتعظيمه، وألحق به الوصف المناسب به فقال "حسناً" للإعلام بأنه مال حلال طيب خال من التطفيف لم يظلم فيه أحدا (١).

وجواب الشرط في قوله (أرءيتم إن كنت..) تقديره: ((أخبروني إن كنت نبياً من عند الله، ورزقني مالاً حلالاً أستغني به عن العالمين، أيصح أن أخالف أمره، وأوافقكم فيما تأتون وتذرون؟)) (٢).

وفي هذا بيان أن الدعوة التي يدعوهم إليها دعوة داع بصير بما يصلح قومه، فما أحراهم بالاستجابة لدعوة قائمة عن تجربة نبي كريم آمن بالدعوة، وطبق أحكامها عملياً فوجد الهدى في اتباعها، والخير قرين أحكامها.

تجردت نفسه عن الأهواء والمطامع.

فلم يكن اللاهث وراء جمع المال من كل طريق وسبيل.

ولم يكن فقيراً معدماً يخترع الآراء النظرية فيما ليس فيه خبرة.

ولا مطمع له فيما ينهاهم عنه من البخس في الكيل والوزن ليستأثر به دونهم، فقد أغناه الله عنهم وعن كسبهم (٣).

ج - يزيد هذا وضوحا: إعلانه عليه السلام: **الالتزام الكامل بما يدعوهم إليه وعدم مخالفتهم عنه إلى غيره**: فقال: ((**وما أريد أن أخالفكم إلى ماأنهٰكم عنه...**)) (٤).

---

(١) روح المعاني للآلوسي: (١١٩:١٢).

(٢) المرجع السابق: (١١٩:١٢).

(٣) اقتباسا من تفسير المنار (١٤٤:١١).

(٤) سورة هود: الآية (٨٨).

وإن في هذا لدليل على بذله عليه السلام غاية النصح لقومه.

أي: ماأريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعل خلافه، بل لا أفعل إلا بما آمركم به، ولا أنتهي إلا عما أنهاكم عنه))[١].

يقول الزجاج في معنى الآية: ((أي لست أنهاكم عن شيء وأدخل فيه إنما أختار لكم ماأختار لنفسي))[٢].

وقال ابن الأنباري: ((بين أن الذي يدعوهم إليه من اتباع طاعة الله، وترك البخس والتطفيف هو مايرتضيه لنفسه، وهو لاينطوي إلا عليه، فكان هذا محض النصيحة لهم))[٣].

وفي هذا مايقضي على ماقد يحيط بأذهان المدعوين من حوله من شك وظن فلسان حالهم يقول:

هب أن هذا النبي يأمرنا بأوامر وينهانا عن نواه، أفلا يحق له أن يخالفنا إلى ماأمرنا به، ونهانا عنه، فيستأثر به دوننا تركاً للأوامر، واجتناباً للنواهي، فجاء الجواب على لسانه عليه السلام بما يرسم معالم دعوته.

* فمن اظهاره عليه السلام بذله عليه السلام غاية النصح لقومه.

* وترغيب لقومه بقبول دعوته لهم وترغيب إلى المبادرة بمسك زمام أنفسهم بإحجامها عن شهواتها، وردها عن إعراضها فقد بان لهم الخير القائم في شخصه عليه السلام، فلهم القدوة فيه، فهو بشر مثلهم أمسك بشهوات نفسه، وردها إلى الله مولاها الحق، فلا تقصر فيما أمرها الله به، ولا ترتكب مانهاها الله عنه. ثم أوضح عليه السلام:

---

(١) تفسير الطبري (١٠٣:٧).

(٢) و (٣) نقلا عن تفسير الخازن (٢٤٩:٢).

د-هدفه من دعوته: بقوله:

((إن أريد إلا الاصلاح مااستطعت...))

ففي هذه الآية: أبان عليه السلام عن هدفه من دعوته في أمره ونهيه، وهو إصلاحهم وإصلاح أمرهم، واضعاً لذلك حداً وهو مابلغت إليه استطاعته، وتمكنت منه طاقته فعلى هذا فهو سيبذل غاية جهده وطاقته لحملهم على الأرشد والأقوم في دينهم ودنياهم أو مايصلح أمر المعاد وأمر المعاش، وسيبذل قصارى جهده وطاقته بدعوتهم إلى الخير وتحذيرهم من الشر ترغيباً وترهيباً، إعذاراً وانذاراً لئلا ينالهم من الله عقوبة منكلة بخلافهم أمره ومعصيتهم لرسوله.

هـ - ثم بين عليه السلام: **أن التوفيق إلى الخير بيد الله تعالى وحده، فقال:** ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (١).

أي: ((وما توفيقي في إصابة الحق فيما أريده إلا بالله عليه توكلت في جميع أموري ((وإليه أنيب)) أي: أرجع)) (٢).

خامساً: التهديد بعذاب الاستئصال:

وبعد هذا قرع عليه السلام أسماع المعاندين على سبيل التهديد فحذرهم من كسبهم الذي يكسبونه من وراء الإعراض عن دعوته، والصد عنها، وإعلان العداوة لشخصه عليه السلام، فقال: ((**لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ماأصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد**)) (٣).

((**ولا يَجرِمنكم**)) بفتح الياء وكسر الراء من جرم الذنب أو المال، بمعنى كسبه، أي لايكسبنكم شقاقي إصابة العذاب.

---

(١) سورة هود: الآية (٨٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٧٣:٢).

(٣) سورة هود: الآية (٨٩).

((ولا يُجرمنكم)) بضم الياء من أجرمته ذنبا إذا جعلته جارماً له، أي كاسباً له، والقراءتان مستويتان في المعنى ولا تفاوت بينهما (١).

والشقاق: شدة الخلاف الذي يكون بين أحد المختلفين في شق وجانب غير الذي يكون فيه الآخر (٢).

والمعنى المراد: ((لاتكسبنكم معاداتكم إياي أن يصيبكم عذاب الاستئصال في الدنيا مثلما حصل لقوم نوح عليه السلام من الغرق، ولقوم هود من الريح العقيم، ولقوم صالح من الرجفة، ولقوم لوط من الخسف (٣))) والذين قال عنهم: ((وما قوم لوط منكم ببعيد)).

وما أعظم العبرة، وأبلغ الموعظة عندما تكون آثار العقوبات ماثلة للأعين رأي العين، تخلع القلوب من شدة هولها، وتزيغ بالأبصار لشدة خوف وقوعها، لأن قوم لوط قريبوا عهد بهم فلا يبعدون عنهم زماناً ولا مكاناً، لأنهم في الترتيب الزمني أتوا بعدهم، وفي الموقع المكاني بلادهم قريبة من بلادهم.

وما حل بهم من هلاك لاتزال صورته عالقة بالقلوب، كما أنها ماثلة في الأبصار لأنهم كانوا جيراناً، لهم وبلادهم قريبة من بلادهم ((ولأن القرب في الزمان والمكان، يفيد زيادة المعرفة وكمال الوقوف على الأحوال، فكأنه يقول اعتبروا بأحوالهم، واحذروا من مخالفة الله ومنازعته حتى لاينزل بكم مثل ذلك العذاب)) (٤).

سادساً: ثم أتبع التهديد بالترغيب وبيّن لهم سبيل الخلاص من العذاب فقال: ((واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود)) (٥).

---

(١) تفسير الكشاف (٢:٢٨٨).
(٢) تفسير المنار (١٢:١٤٦).
(٣) تفسير الفخر (٩:٤٨).
(٤) السراج المنير للشربيني (٢:٧٥).
(٥) سورة هود: الآية (٩٠).

أي: استغفروا أيها القوم ربكم من ذنوبكم التي بينكم وبين ربكم.

مما أنتم عليه من عبادة الآلهة والأصنام، وبخس الناس حقوقهم في المكاييل والموازين ((ثم توبوا إليه)) أي ارجعوا إلى طاعته والانتهاء إلى أمره ونهيه ثم ذكرهم برحمة الله تعالى ووده لمن أقبل عليه بالتوبة والطاعة ((إن ربي رحيم)) أي رحيم بمن تاب إليه أن يعذبه بعد التوبة.

((ودود)) ذو محبة لمن أناب وتاب إليه يوده ويحبه [١].

سابعاً: في عناد قومه:

إذ إن القوم قابلوا نبيهم عليه السلام بالسفه والاعراض، فبعد أن سمعوا منه دلائل الحق المبين على أحسن وجه وأبلغه، وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل، فلم يجدوا إلى محاورته سبيلا، سوى الصدود عن منهاج الحق والسلوك إلى سبيل الشقاء، وهو ديدن المفحم المحجوج يقابل البينات بالسب والإبراق والإرعاد، فجعلوا خطابه عليه السلام مع أنه عليه السلام خطيب الأنبياء لحسن مراجعته لقومه، مما لايفهم معناه ولا يدرك فحواه [٢] كما أخبر الله تعالى عن تعنتهم في قوله تعالى: ((**قالوا يٰشعيب مانفقه كثيراً مما تقول وإنا لنرىٰك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمنٰك وما أنت علينا بعزيز**)) [٣].

فتضمنت الآية:

فنادوه باسمه استخفافاً، وإظهاراً لإنكار نبوته عليه السلام، فقالوا ((يٰشعيب)).

ثم أدّعوا عدم فقه كلامه عليه السلام ((**مانفقه كثيراً مما تقول**)).

والفقه هو: ((معرفة غرض المتكلم من كلامه، أي مانفهم مرادك [٤]. لأنك تحملنا على أمور غائبة من البعث والنشور، وتعظنا بما لاعهد لنا بمثله.

---

(١) تفسير الطبري (٧:١٠٥).

(٢) تفسير أبي السعود:(٤:٢٣٥) بتصرف.

(٣) سورة هود: الآية (٩١).

(٤) تفسير أبي السعود:(٤:٢٣٥).

وكذبوا فإن الكلام الذي حاورهم به وخاطبهم به عليه السلام أوضح الكلام، وأفصحه، وأجله، وأدله على معانيه.

وإنما قالوا ذلك على وجه الاستهانة به عليه السلام وإعلان الإعراض عن سماع دعوته واحتقار كلامه عليه السلام مع كونه مفهوماً لديهم معلوماً عندهم وكيف لايفهم كلامه وهو عليه السلام خطيب الأنبياء؟؟

ثم أتبعوا ذلك بإظهار !

ب - إحتقار شخصه عليه السلام:

((وإنا لنرىٰك فينا ضعيفاً..)).

قيل: الظاهر المراد ((أنهم أرادوا ضعيف الإنتصار والقدرة، فيتعذر عليه المنع عن نفسه))[1] لأنهم نظروا إلى وحدته وقلة أتباعه بينهم وتعاموا عن تأييد الله تعالى ونصرته له عليه السلام. ثم أتبعوا هذا:

ج - تهديده عليه السلام بالرجم:

وأكدوا ماوصفوه به من الضعف بقوله: ((ولولا رهطك لرجمنٰك)).

والرهط: يقع على الثلاثة إلى العشرة[2].

ورهط الرجل عشيرته الذي يستند إليهم ويتقوى بهم.

ومنه الراهطاء لجحر اليربوع، لأنه يتوثق به ويخبأ فيه ولده[3].

والمراد بقوله: ((لرجمنٰك)) أي: ظاهره القتل بالحجارة وهي من شر القتلات، وكانوا إذا قتلوا إنسانا رجموه بالحجارة[4].

---

(١) تفسير البحر المحيط (٥:٢٥٦).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢:٥٢٠).

(٣) تفسير القرطبي (٩:٩١).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٩:٩١) وتفسير أبي حيان (٥:٢٥٦).

وإنما جعلوا رهطه مانعاً من إنزال الضر به مع كونهم في قلة والكفار أكثر منهم لأنهم كانوا على دينهم؛ فتركوه احتراماً لهم لاخوفاً منهم [١]. ثم أتبعوا ذلك:

د - تأكيد احتقاره عليه السلام:

((**وما أنت علينا بعزيز**)) أي: ليس عندنا لك معزة [٢] وما أنت علينا بغالب ولا قاهر ولا متمنع بل رهطك هم الأعزة علينا [٣].

ثامناً: في موقفه عليه السلام من عناد قومه [٤]:

حذرهم من عاقبة الإصرار والتمادي في العصيان، كما أخبر الله عنه في قوله تعالى: ((**ويٰقوم اعملوا على مكانتكم إني عمل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كٰذب وارتقبوا إني معكم رقيب**)) [٥].

ففي هذه الآية يخبرنا الله عز وجل عن آخر مواقف نبيه عليه السلام مع قومه، الذين تعددت مواقفهم، إشراكاً بالله جل وعلا، وإعراضاً عن شرعه وصدّاً عن سبيله، ومشاقةً لرسوله عليه السلام، حتى وصل بهم الأمر إلى الإجتراء على أعظم كبائر الذنوب من الاستهانة به، والعزيمة على رجمه لولا حرمة رهطه.

فأسمعهم عليه السلام ما يوقفهم على عجزهم، وغاية جهلهم، وحمقهم، فقال مهدداً: ((**ويٰقوم اعملوا على مكانتكم إني عٰمل...**)). وفي هذا إنذار لهم عاقبة كفرهم وإعراضهم.

والمكانة: قرأت بالجمع (مكاناتكم) حيث جاءت في كتاب الله تعالى مقابلة لجمع المخاطبين.

---

(١) تفسير فتح القدير للشوكاني (٢:٥٢).
(٢) تفسير ابن كثير (٢:٤٧٤).
(٣) تفسير القرطبي (٩:٩١).
(٤) تفسير السعدي (٢:٢١٣).
(٥) سورة هود: الآية (٩٣).

وقرأت بالإفراد (مكانتكم) على جنس المخاطب.

قال القرطبي في معناها: (المكانة الطريقة)[١].

والمعنى: اثبتوا على ماأنتم عليه فأنا ثابت على ماأنا عليه[٢]. غير مبال بتهديدكم، فقال لقومه: (إني عامل) أي على مكانتي فحذف لدلالة الحال عليه[٣].

وكل ماذكر عن معنى المكانة ألفاظ متقاربة[٤] لأن القصد منه تخلية القوم وشأنهم في البقاء على أعمالهم التي ألفتها أنفسهم والثبات على ماهم عليه من الكفر والمشاقة لله ولرسوله، ليصلوا على عاقبة أفعالهم.

ولكنها تخلية في تهديد ووعيد، دل عليها قوله تعالى: ((فسوف تعلمون)) أي: أينا الجاني على نفسه والمخطئ في فعله.

ولعل سؤالاً يطرأ، وهو أنه كيف يجوز أن يؤمروا بالثبات على ماهم عليه وهم كفار؟

فالجواب عن هذا أن هذا الأمر أمر تهديد وتخلية في وعيد دل عليها قوله تعالى: ((سوف تعلمون)) أي أينا الجاني على نفسه والمخطئ في فعله؟

وسبق الجواب على طريقة الاستئناف التي هي أبلغ صيغ الخطاب للمبالغة في التهديد والوعيد.

---

(١) تفسير القرطبي: (٨٩:٧).

(٢) تفسير البغوي (٢٥٠:٢) القرطبي (٨٩:٧) البحر المحيط (٢٢٦:٤). عند الآية [١٣٥: الأنعام).

(٣) تفسير القرطبي (٨٩:٧) عند الآية (١٣٥: من سورة الأنعام).

(٤) البحر المحيط (٢٢٦:٤).

نعم إنه تهديد يأتي على مافي قلوبهم من حيرة واضطراب عما سيكون مصيرهم بعد سماع هذه المفاصلة. كما قال أبو السعود في تفسيره: ((كان ذلك مظنة أن يسأل سائل فيقول ماذا يكون بعد ذلك، فجاء الجواب (فسوف تعلمون من يأتيه) أي: أينا الجاني على نفسه المخطئ في فعله؟ فذلك قوله ((من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كذبٌ وارتقبوا إني معكم رقيب))[1][2].

وفي هذا قرع لمسامع القوم بما يناسب موقفهم السيء في إظهارهم بالاستخفاف بالرسول والاستهزاء به والاستهانة بالله تعالى القادر على كل شيء، ولايقاف القوم على منتهى عجزهم وسفههم واظهار عزة الله ورسوله بالحق لتوعدهم بعذاب ينالهم به الخزي الظاهر في الحياة الدنيا، والعذاب الدائم في الآخرة.

وفي هذا من التعريض بما توعدوه به عليه السلام من الرجم بما لايخفى عندما قالوا ((ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز)) وما أظهروه من تكذيبه في قوله: ((أصلواتك تأمرك أن نترك مايعبد اباؤنا...)).

وفي قوله: ((ومن هو كذب)) أي: أنا أم أنتم.

وفي هذا تنزل مع الخصم في أسلوبه، واستدراج له لايقافه على خطئه، وعظيم جرمه، كقوله تعالى: ((وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلل مبين))[3].

ونكر اسم الفاعل الدال على المبالغة في الذم ليعم كل من كذب منهم عددا.

وحذف جواب الشرط ليشمل أنواع كذبهم نوعا، وفي هذا تعريض بكل ماصدر منهم من كذب وما أكثره.

فالقوم أظهروا تكذيبه كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله: ((أصلواتك تأمرك أن نترك مايعبد اباؤنا أو أن نفعل في أموالنا مانشاء)).

---

(١) سورة هود، الآية: (٩٣).

(٢) تفسير الخازن (٢:٢٥٠).

(٣) سورة سبأ: الآية (٢٤).

ثم شد عليه السلام أنظارهم إلى ترقب ماهددهم به من الخزي والعذاب فقال: ((وارتقبوا إني معكم رقيب)) أي انتظروا العذاب والسخطة فإني منتظر النصر والرحمة.

تاسعاً: في انجاء الله تعالى من آمن وإهلاك من كفر:

((ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين ءامنوا معه برحمة منا)).

وقد تقدم ايضاح هذه الآية في مثيلاتها من دعوة هود وصالح عليهم السلام.

ثم أخبر الله عز وجل عن هلاك الظالمين، فقال: ((**وأخذت الذين ظلموا الصيحة**)) وهو مناسب لموقفهم لأنهم لما تهكموا به في قولهم: ((**أصلوٰتك تأمرك...**))(١) الآية،جاءت الصيحة فأسكتتهم.

وفي سورة الأعراف لما أخبر عن شدة كفرهم وعتوهم، وما هم فيه من الضلال، وما جبلت عليه قلوبهم من المخالفة للحق، وأتبعوا ذلك بالإقسام؛ وقالوا ((**لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخٰسرون**))(٢) عقبه بقوله: ((**فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جثمين**))(٣).

وقال في الشعراء: ((**فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم**))(٤).

وما ذاك إلا لأنهم قالوا في سياق القصة ((**فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصٰدقين**))(٥) فأخبر أنه أصابهم عذاب يوم الظلة، وقد اجتمع عليهم ذلك كله:

---

(١) سورة هود: الآية (٨٧).
(٢) سورة الأعراف: الآية (٩٠).
(٣) سورة الأعراف: الآية (٩١).
(٤) سورة الشعراء: الآية (١٨٩).
(٥) سورة الشعراء: الآية (١٨٧).

* أصابهم عذاب يوم الظلة وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم.

* ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح، وفاضت الأنفس، وخمدت الأجسام، ((**فأصبحوا في دارهم جثمين**))[1]

وقد تقدم معنى هذه الآية في قصة هود وصالح عليهما السلام.

---

(١) سورة الأعراف، الآية : (٩١).

الباب الثاني

الفصل السابع

دعوة موسى عليه السلام

يقول الله تعالى: ((ولقد أرسلنا موسىٰ بآيٰتنا وسلطٰن مبين،إلى فرعون وملإيه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد،يقدم قومه يوم القيٰمة فأوردهم النار وبئس الورد المورود،واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيٰمة بئس الرفد المرفود)).

سنتناول بالبحث هذه الآيات الواردة في شأن موسى ودعوته لفرعون في الآتي:

أولا: في قوله تعالى: ((ولقد أرسلنا موسىٰ)) نبين فيها:

١ - نسب موسى عليه السلام.

٢ - اصطفاؤه بالرسالة.

٣ - بدؤه بالوحي.

ثانيا: في قوله تعالى: ((بآيٰتنا وسلطٰن مبين إلى فرعون وملإيه)) ونتناولها من ناحيتين:

الناحية الأولى: مادل عليه قوله تعالى ((إلى فرعون وملإيه))، فنعرف بالمرسل إليه وهو:

أ - فرعون.

ب - ملأ فرعون.

الناحية الثانية: مايدل عليه قوله تعالى: ((بآيٰتنا وسلطٰن مبين)) ونذكر فيها ماتضمنته دعوة موسى عليه السلام وتأييد الله تعالى له:

١ - بالآيات، وتشمل:

أ - الآيات القولية.

ب - الآيات الحسية.

٢ - في التعريف بالسلطان.

ثالثاً: موقف فرعون من دعوة موسى عليه السلام، ونبينه في الآتي:

أ - عده الآيات سحرا.

ب - تحريضه ملأ قبطه على مخالفة موسى عليه السلام وموافقتهم له.

ج - في استعانته بالسحرة لابطال معجزة موسى عليه السلام.

د - في إقامة الحجة على فرعون بإيمان السحرة.

ز - في إعراض فرعون وتوعده من آمن شراً.

هـ- في تحريض الملأ لفرعون على التنكيل بموسى عليه السلام وأتباعه.

رابعاً: في تتابع آيات العذاب على فرعون وأتباعه وموقفهم منها.

خامساً: في قوله تعالى: ((**فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد**)) ونبين ماتشتمل عليه في الآتي:

أ - ذم الله تعالى لفرعون وملئه.

ب - في تجهيل متبعيه.

سابعاً: في سوء عاقبة فرعون ودل عليه قوله تعالى: ((**يقدم قومه يوم القيٰمة فأوردهم النار وبئس الورد المورود**)). وإليك بيان ذلك في الآتي:

١ - نسب موسى عليه السلام:

هو نبي الله الكليم، موسى[١] بن عمران بن فاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب[٢] بن اسحاق بن إبراهيم عليه السلام[٣].

٢ - اصطفاؤه عليه السلام بالرسالة:

ومن حيث اللغة: فموسى اسم لاينصرف للعلمية[٤] مع العجمة.

اصطنعه الله لنفسه، ورباه على عينه، كما قال تعالى: ((واصطنعتك لنفسي))[٥]. وقوله:

---

(١) قال السدي في سبب تسمية موسى عليه السلام بهذا الاسم أنه لما خافت عليه أمه جعلته في التابوت، وألقته في اليم كما أوحى الله تعالى إليها بين أشجار عند بيت فرعون، فخرج جواري آسية إمرأة فرعون يغتسلن فوجدنه، فسمي باسم المكان.

قال القرطبي بعد أن أورد كلام السدي:

((والقبط على مايروى يقولون للماء: مو، وللشجر: شي، فلما وجد موسى في التابوت عند ماء وشجر سمي: "موس".

تفسير القرطبي (١:٣٩٥) عند تفسيره للآية (٥١) من سورة البقرة.

(٢) يعقوب بالعبرانية: (إسرائيل) ومعناها عبد الله.

قال ابن عباس: (أسرا) بالعبرانية هو (عبد) و (إيل) هو (الله).

(٣) البداية والنهاية: لابن كثير (١:٢٢٢).

(٤) تفسير القرطبي: (١:٣٩٥).

(٥) سورة طه: الآية (٤١).

((ولتصنع على عيني))[١] واصطفاه الله تعالى على خلقه برسالاته وكلامه، كما قال تعالى: ((يموسى إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي..))[٢] وأرى الله عز وجل بخلقه وإرساله خلقه عامة، وفرعون خاصة، قدرته التي لايعجزها شيء، وأنه ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن، وأنه جل وعلا إذا أراد أمراً فلا مرد له، فهو الغالب على أمره، والبالغ له، كما قال تعالى في حكمة إرساله موسى عليه السلام: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أيمة ونجعلهم الوارثين. ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ماكانوا يحذرون)[٣].

٣ - أما بدؤه الوحي:

أوحى الله تعالى لرسوله موسى عليه السلام بعد أن قضى أجل شعيب، وسار بأهله من جانب الطور الأيمن، وحصل أن تاه في طريقه لشدة سواد الليل واشتداد البرد، فآنسه الله بنور رآه في هيئة نار، كما قال تعالى في قصته: (وهل أتاك حديث موسى. اذ رءا ناراً فقال لأهله امكثوا إني ءانست ناراً لعلي ءاتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى)[٣].

---

(١) سورة طه: الآية (٣٩).
(٢) سورة الأعراف: الآية (١٤٤).
(٣) سورة القصص: الآية (٦-٦).
(٤) سورة طه، الآية: (٩-١٠).

يقول ابن كثير في بدايته: ((وكأنه والله أعلم رآها دونهم لأن هذه النار هي نور في الحقيقة ولا يصلح رؤيتها لكل أحد [١])) [٢] إلى أن يقول: ((قال غير واحد من المفسرين من السلف والخلف لما قصد موسى الى تلك النار التي رآها فانتهى اليها وجدها تأجج في شجرة خضراء.... وكلما لتلك النار في اضطرام، وكل مالخضرة تلك الشجرة في ازدياد فوقف متعجباً...)) [٣].

فلما أتاها أوحى الله تعالى إليه بكلامه من دون واسطة، وناداه بقوله جل وعلا: (إننى أنا الله لااله الا أنا فاعبدنى. وأقم الصلوٰة لذكرى. إن الساعة ءاتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى. فلا يصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هوىٰه فتردى. وما تلك بيمينك يٰموسى. قال هي عصاي أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مئارب أخرى. قال ألقها يٰموسى فألقٰها فإذا هي حية تسعى. قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى. واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء ءاية أخرى. لنريك من ءايٰتنا الكبرى. إذهب إلى فرعون إنه طغى) [٤].

---

(١) وهذا احتمال في فهم الآية لقوله: ((إني ءانست)) لأنها قد تكون من المبشرات بالنبوة.
(٢) البداية والنهاية: لابن كثير (٢٣١:١٠).
(٣) البداية والنهاية: لابن كثير (٢٣١:١٠).
(٤) سورة طه: الآيات (١٤-٢٤).

* وهناك توجه موسى عليه السلام بالسؤال إلى ربه فأجاب الله تعالى سؤله، فشرح له صدره، ويسر له أمره، وأحل عقدة من لسانه ليفقه قوله، ومَنَّ عليه بإشراك أخيه معه في الرسالة، وبشره وطمأنه، كما جاء في قوله تعالى: ((**قال رب اشرح لى صدرى. ويسر لى أمرى. واحلل عقدة**(١) **من لسانى. يفقهوا قولى. واجعل لى وزيراً من أهلى. هٰرون أخى. اشدد به أزرى**(٢) **. وأشركه فى أمرى. كى نسبحك كثيراً. ونذكرك كثيراً. إنك كنت بنا بصيراً * قال قد أوتيت سؤلك يموسىٰ**(٣)**))** .

هذا عن الرسول.

وأما المرسل إليه فهو: فرعون وملؤه، قال تعالى ((**إلى فرعون وملإيْه**(٤))) .

أ - ففرعون: قيل إنه إسم لملك مصر بعينه في ذلك الزمان.

وقيل: لقب يطلق على كل من ولي القبط بمصر مثل كسرى للفرس، وقيصر للروم، والنجاشي للحبشة.

---

(١) يعني: اللثغ الذي أصابه في لسانه حين عرض فرعون على موسى عليه السلام وهو طفل التمرة والجمرة، فأخذ موسى الجمرة فوضعها على لسانه. وما سأل موسى عليه السلام أن يزول ذلك بالكلية بل بحيث يزول العيب ويحصل لهم فهم مايريد منه، وهو قدر الحاجة، ولو سأل الجميع لزال. ولٰكن الأنبياء لايسألون إلا بحسب الحاجة، ولهذا بقيت بقية، كما قال الله تعالى إخباراً عن فرعون أنه قال: ((أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين)) (٥٢: الزخرف) انظر: تفسير ابن كثير (١٥٤:٣).

(٢) اشدد به أزري: أي ظهري، والأزر الظهر من موضع الحقوين ومعناه تقوي به نفسي، والأزر القوة، وآزره قواه. وقيل الأزر: العون، أي يكون عوناً يستقيم به أمري. القرطبي (١٩٣:١١).

(٣) سورة طه: الآيات (٢٥-٣٦).

(٤) سورة هود: الآية (٩٧).

واسمه أي (فرعون) عند أهل الكتاب ((قابوس))[١] وعند غيرهم: ((الوليد بن مصعب بن الريان ويكنى أبا مرة، وهو من بني عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام))[٢].

وسواء كان اسم فرعون لمن ملك مصر في ذلك الوقت، أو أنه يطلق على كل من ولي مصر.. فموسىٰ أرسل إلى شخص بعينه يسمى فرعون.

ولعتو فرعون هذا وعناده، اتخذ إسمه لكل عات عن الحق متكبر عليه.

جاء في الصحاح: ((كل عات فرعون، والعتاة الفراعنة))[٣] وفي الحديث: ((هذا فرعون هذه الأمة[٤]))[٥] يعني أبا جهل.

---

(١) هذا اسم عربي وهو أحد الأقوال في المسألة وهناك من ذكر أسماء غير هذا الاسم.

(٢) الصحاح: للجوهري، مادة (عتى).

(٣) رواه أحمد في مسنده: (٤٤٤:١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، بلفظ: ((هذا فرعون هذه الأمة)) قال في مجمع الزوائد: ((رواه أحمد والبزار باختصار وهو من رواية أبي عبيدة عن أبيه ولم يسمع منه، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح)) (٧٩:٦).

(٤) هو: عمرو بن هشام المغيرةالقرشي. من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية. أدرك الإسلام وكان يقال له أبو الحكم فدعاه المسلمون (أبا جهل) أبى الإسلام استكباراً وحسدا، واستمر على عناده وإيذائه للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ لايفتر عن الكيد لهم والعمل على إيذائهم، حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدها مع المشركين، فكان من قتلاها.
انظر: عيون الأخبار (٢٣٠:١) وسيرة ابن هشام. طبعة الحلبي. انظر فهارسها. والأعلام للزركلي (٨٧:٥).

عتو فرعون وطغيانه:

* وكان من أمر فرعون أن تجبر وعتا وطغى وبغى، وآثر الحياة الدنيا وزعم أنه إله للناس من دون الله جل وعلا، وأنه الرب الأعلى، ومع هذا استبد بأمر الناس، وجعل أهلها شيعا[١]،كما قال تعالى: (**إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف[٢] طائفة منهم يذبح أبناءهم[٣] ويستحى نساءهم انه كان من المفسدين**)[٤] أي قسم رعيته إلى أقسام وفرق وأنواع يستضعف طائفة منهم وهم شعب بني اسرائيل الذين هم من سلالة نبي الله يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الله.. وقد تسلط عليهم هذا الملك الظالم الغاشم الكافر الفاجر يستعبدهم ويستخدمهم في أخس الصنائع والحرف وأرداها وأدناها[٥].

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية مانصه: ((روي أن فرعون جعل بني اسرائيل خدماً وخولاً، وصنفهم في أعماله؛ فصنف يبنون، وصنف يحرثون ويزرعون، وصنف يستخدمون -وكان قومه جنداً ملوكاً- ومن لم يكن منهم في عمل من هذه الأعمال ضربت عليه الجزية فذلك سوء العذاب))[٦] ا.هـ.

---

(١) شيعا: أي فرقا وأصنافا قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته.

(٢) يستضعف: يعني بني اسرائيل. ابن كثير (٣٩١:٣) والمعجم الجامع لغريب مفردات القرآن: (ص٢٣٠).

وفيه: دليل على أنه يقصد إذلالهم إذ أن الانسان يستخدم بإنسان آخر ولا يريد إذلاله.

(٣) يذبح الذكور خشية أن تكون لهم شوكة ينتزعون بها منه الملك.

(٤) سورة القصص: الآية (٤).

(٥) انظر: البداية والنهاية: لابن كثير (٢٢٢:١).

(٦) تفسير القرطبي: (٣٨٤:١).

انظر: تفسير ابن كثير (٣٩١:٣) والمعجم الجامع لغريب القرآن (٢٣٠) حرف الشين.

ب - **أما عن الملأ**: فتقدم أن الملأ أشراف القوم[(١)].

وخصهم بالذكر دون سائر القوم لأن غيرهم تبع لهم في الإصدار والإيراد[(٢)].

ولأنهم كانوا هم المباشرين لتعذيب بني اسرائيل، كما قال تعالى في امتنانه على بني إسرائيل: (**واذ نجينٰكم من ءال فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**)[(٣)].

يقول القرطبي: ((نسب الله تعالى الفعل إلى آل فرعون وهم إنما كانوا يفعلونه بأمره وسلطانه، لتوليهم ذلك بأنفسهم، وليعلم أن المباشر مأخوذ بفعله))[(٤)].

الناحية الثانية: بيان دعوة موسى عليه السلام وتأييد الله تعالى له بالآيات:

فقد دعا موسى عليه السلام فرعون وملأه بما أيده الله به من آياته، قال تعالى: (**ولقد أرسلنا موسى بـَٔايٰتنا وسلطٰن مبين**)[(٥)].

والآيات جمع آية وهي تشمل الآيات:

أ - القولية.

ب - والحسية، وقد أيده الله تعالى بالنوعين.

((والسلطٰن المبين)) الحجة[(٦)] وأصل السلطان القوة فإنه يقهر بها كما يقهر بالسلطان[(٧)].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢٤٣:٣) عند تفسيره للآية (٢٤٦) من سورة البقرة.

(٢) انظر: فتح القدير: للشوكاني (٥٢٣:٢).

(٣) سورة البقرة: الآية (٤٩).

(٤) تفسير القرطبي: (٣٨٥:١) عند تفسيره للآية (٤٩) من سورة البقرة.

(٥) سورة هود: الآية (٩٦).

(٦) تفسير القرطبي: (٩٣:٩) وانظر تفسير الطبري (١٠٩:٧).

(٧) ويقال للوالي سلطان لأنه حجة الله عز وجل في الأرض، والعلماء سلاطين بسبب ما لهم في القوة العلمية.

=

قال بعض المفسرين : سميت الحجة سلطاناً لأن صاحب الحجة يقهر من لاحجة له، كالسلطان يقهر غيره [١] .

وهنا نبين الآيات التي أيد الله بها نبيه موسى عليه السلام في قوله (بآيتنا) وهي تشمل:

١ - الآيات القولية.

٢ - الآيات الحسية.

أ - **فأما الآيات القولية:** فهي ماأوحى الله تعالى لرسوله موسى عليه السلام لإبلاغ ماأنزل عليه ومحاورته لفرعون وإقامة الحجة عليه بها.

كما جاء في قوله تعالى: ((**قال فرعون وما رب العٰلمين. قال رب السمٰوٰت والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين. قال لمن حوله ألا تستمعون. قال ربكم ورب ءاباٮٔكم الأولين. قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون**)) [٢] .

ب - وأما الحسية: فإن فرعون لما قامت الحجة عليه بما سمع من آيات الله القولية إبتداء، وانقطعت شبهه ولم يبق له قول سوى العناد، عدل إلى استعمال سلطانه وجاهه وسطوته، فقال متوعداً لموسى عليه السلام: ((**قال لٮٕن اتخذت إلٰها غيري لأجعلنك من المسجونين**)) [٣] .

=== جاء في اللسان: (والسلطان الحجة والبرهان.. والسلطان إنام سمي سلطاناً لأنه حجة الله في أرضه.. وقيل للأمراء سلاطين لأنهم الذين تقام بهم الحجة والحقوق، والسلطان الوالي، وسمي سلطاناً لتسليطه أو لأنه حجة من حجج الله).

انظر: لسان العرب، مادة سلط (٣٢١:٧). وانظر: السراج المنير (٧٧:٢).

(١) السراج المنير: (٧٧:٢).

(٢) سورة الشعراء: الآيات (٢٣-٢٨).

(٣) سورة الشعراء: الآية (٢٩).

ومن باب تهيئة المدعو لسماع الدعوة تدرج عليه السلام في اقناعه لفرعون وإقامة الحجة عليه بما أيده الله به:

من الآيات الحسية بأبلغ قول وألين خطاب، ممتثلا وأخيه هارون عليه السلام أمر الله جل وعلا في قوله ((**فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشىٰ**))(١) وقوله تعالى: ((**فقل هل لك إلى أن تزكىٰ. وأهديك إلى ربك فتخشىٰ**))(٢) فلم يقابل الغلظة بالغلظة، ولا الفظاظة بالفظاظة بل قال له موسى عليه السلام ما أخبر الله عنه في قوله تعالى: ((**أولو جئتك بشيء مبين**))(٣).

ولكن فرعون قابل اللطف بالتحدي، كما أخبر الله تعالى عنه في قوله تعالى: ((**فأت به إن كنت من الصٰدقين**))(٤). وفي الأعراف: ((**قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصٰدقين**))(٥) فأراه آيات الله الحسية، وهما: العصا، واليد.

فالآية الأولى هي العصا: وجاء بيانها في قوله تعالى: ((**فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين**))(٦) وهي من آيات الله الكبرى، كما قال تعالى: ((**لنريك من ءايٰتنا الكبرى**))(٧) وقال تعالى في وصفها ((**فألقٰها فاذا هي حية تسعىٰ**))(٨) وقال أيضا: ((**فلما رءاها تهتز كأنها جان..**))(٩).

---

(١) سورة طه: الآية (٤٤).
(٢) سورة النازعات: الآية (١٩-١٨).
(٣) سورة الشعراء: الآية (٣٠).
(٤) سورة الشعراء: الآية (٣١).
(٥) سورة الشعراء: الآية (١٠٦).
(٦) سورة الأعراف: الآية (١٠٧) وسورة الشعراء: الآية (٣٢).
(٧) سورة طه: الآية (٢٣).
(٨) سورة طه: الآية (٢٠).
(٩) سورة النمل: الآية (١٠).

وبيان هذه الأوصاف المذكورة في الآيات : ((أن الثعبان هو الذكر من الحيات[١] والجان ضرب من ضروب الحيات أسرعه حركة وأكثره اضطرابا))[٢] فهي ثعبان في الضخامة، وكالحية في الخفة والحركة.

وأما الآية الثانية وهي: (اليد) وجاء بيانها في قوله تعالى: ((**ونزع يده فإذا هي بيضاء للنٰظرين**))[٣] أي: أخرجها وأظهرها، وقيل: أخرجها من جيبه أو جناحه، كما في التنزيل: (**وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء**)[٤] أي من غير برص، وكان موسى يميل إلى السمرة، ثم أعاد يده إلى جيبه فعادت إلى لونها الأول.

وقيل: ((كانت تخرج يده بيضاء كالثلج تلوح، فإذا ردها عادت الى مثل سائر بدنه))[٥].

والحاصل أن لون يده عليه السلام كآية مخالف للون جسده وأنها تظهر آية بينة، ثم تعود إلى حالتها الأولى.

ثالثاً: في موقف فرعون من دعوة موسى عليه السلام:

أ - عدّه الآيات سحراً.

ب - تحريضه ملأ قبطه على مخالفة موسى عليه السلام وموافقتهم له.

ج - في استعانته بالسحرة لابطال معجزة موسى عليه السلام.

د - في إقامة الحجة على فرعون بإيمان السحرة.

هـ- في إعراض فرعون وتوعده من آمن شرا.

ز - في تحريض الملأ لفرعون على التنكيل بموسى وأتباعه.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٢٣٧:٢) وانظر: تفسير القرطبي (٢٥٦:٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٣٦٩:٣).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٠٨)، وسورة الشعراء: الآية (٣٣).

(٤) سورة النمل: الآية (١٢).

(٥) تفسير القرطبي: (٢٥٧:٧) بتصرف يسير.

وإليك الحديث عنها تفصيلا في الآتي::

أ - عده الآيات سحراً:

إذ أن فرعون لما رأى الآيات الدالة على صدق موسى عليه السلام وأنه مرسل من ربه جل وعلا، عَدَّ مارآه من الآيات سحراً، وروّج على قومه بأن ماجاء به موسى عليه السلام من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (١)

وما هذا القول إلا جرياً منهم على عادتهم في التكذيب، كما قال تعالى: ((**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا...**)) (٢).

يقول القرطبي: ((أي تيقنوا أنها من عند الله، وأنها ليست سحرا، ولكنهم كفروا بها وتكبروا أن يؤمنوا بموسى عليه السلام، وهذا يدل على أنهم كانوا معاندين)) (٣) ا.هـ.

ب - تحريض فرعون ملأ قبطه على مخالفة موسى عليه السلام، وموافقة الملأ لفرعون:

ولم يكتف فرعون بالجحد والتكذيب بل هيّج وحرض ملأ قبطه على مخالفة موسى عليه السلام والكفر به، واستثارهم في الغضب عليه، والانتقام منه واتهمه بالطمع في أرضهم وديارهم، كما قال تعالى فيما أخبر عنه: ((**قال للملإ حوله إن هذا لسٰحر عليم. يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون**)) (٤).

ولعل هذا القول من فرعون قصد به شغل أذهان ملئه في التغلب على موسى عليه السلام، وإثارة الحمية لأنفهسم وديارهم، وتبييت الإعراض عن دعوة موسى عليه السلام، والإباء عن الاستجابة، كما ظهر ذلك في ممالأة الملأ لفرعون على باطله:

---

(١) سورة يونس: الآية (٧٦).
(٢) سورة النمل: الآية (١٤).
(٣) تفسير القرطبي: (١٣٦:١٣).
(٤) سورة الشعراء: الآية (٣٣-٣٤).

إذ أسلموا له القياد؛ وأشاروا عليه أن يؤخر موسى وأخاه هارون عليهما السلام وقتاً إلى أن يجمع كل ساحر عليم بالسحر بارع فيه من سائر أرجاء مملكته، ليبطلوا ماجاء به موسى عليه السلام، ويكون لفرعون الظهور عليه، كما قص الله علينا خبرهم في قوله تعالى: ((**قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حٰشرين. يأتوك بكل سحار عليم. فجمع السحرة لميقٰت يوم معلوم**))(١).

ج - في استعانة فرعون بالسحرة لإبطال معجزة موسى عليه السلام:

إذ وافق فرعون ملأه على ماأشاروا به، واجتهدوا في جمع كل ساحر عالم بالسحر بارع فيه، ليرهب موسى عليه السلام بجمعه، وحرصاً منه على ابطال دعوته. وتأهب السحرة للقاء موسى عليه السلام، وتهيؤا له، طامعين فيما طلبوه عليه من الأجر، وما وعدهم به من القرب، كما قال تعالى فيما أخبر عنهم: ((**قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغٰلبين. قال نعم وإنكم لمن المقربين**))(٢) طلبوا الأجر فزادهم القرب.

ودعي الناس إلى الاجتماع، قال تعالى: ((**وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغٰلبين**))(٣).

يقول ابن كثير: ((وكان هذا من تسخير الله تعالى لهم في ذلك ليجتمع الناس في صعيد واحد، وتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس في النهار جهرة))(٤).

د - في إقامة الحجة على فرعون بإيمان السحرة:

ففي مشهد السحرة تبين لفرعون وملأه الفرق بين المعجزة الإلٰهية، والأحوال الشيطانية، لٰكنهم لم يرعووا للحق.

---

(١) سورة الشعراء: الآية (٣٦-٣٨).
(٢) سورة الأعراف: الآية (١١٣-١١٤).
(٣) سورة الشعراء: الآية (٣٩،٤٠).
(٤) تفسير ابن كثير: (٣٤٦:٣).

وذكر الله عز وجل شأن موسى عليه السلام مع السحرة في كذا سورة من القرآن الكريم، إستمع إلى قوله تعالى: ((**قالوا يٰموسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقيين. قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم. وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف مايأفكون. فوقع الحق وبطل ماكانوا يعملون. فغلبوا هنالك وانقلبوا صٰغرين. وألقى السحرة سٰجدين. قالوا ءامنا برب العٰلمين رب موسى وهٰرون**))[١] ومثلها في سورة طه[٢] والشعراء[٣].

وانتهى المشهد بإيمان السحرة، كما في قوله تعالى: ((**وألقى السحرة سٰجدين * قالوا ءامنا برب العٰلمين * رب موسى وهٰرون**))[٤].

يقول ابن كثير: ((فكان هذا برهاناً عظيماً جدا، وبرهاناً قاطعاً للعذر، وحجة دامغة، وذلك أن الذين استنصر بهم وطلب منهم أن يغلبوا غلبوا، وخضعوا وآمنوا بموسى في الساعة الراهنة، وسجدوا لله رب العالمين؛ الذي أرسل موسى وهارون بالحق وبالمعجزة الباهرة، وغُلِبَ فرعون غلبا لم يشاهد العالم مثله))[٥] اهـ ومع غُلْبه فقد بان له الحق وظهر أمامه وأمام الناس أجمع بأن موسى عليه السلام نبي مرسل من ربه، وأن مايدعوا إليه حق ..

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١١٥-١٢٢).
(٢) من الآية (٦٥-٧٠).
(٣) من الآية (٤٣-٤٨).
(٤) سورة الأعراف: الآية (١٢٠-١٢٢).
(٥) تفسير ابن كثير: (٣٤٧:٣).

هـ- في إعراض فرعون وتوعده بمن آمن شرا:

لكن فرعون بدل أن يؤمن زاد في جحوده وإعراضه، وأنكر على من آمن بموسى عليه السلام إيمانه، وزعم أن ليس لأحد الحق في الإيمان بموسى عليه السلام إلا من بعد إذنه، وهدّدهم بقطع الأطراف وصلب الأجسام، قال تعالى فيما أخبر عنه: ((**قال ءامنتم له قبل أن ءاذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلٰف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابًا وأبقى**))[1].

قال ابن عباس: ((إن فرعون أول من صلب وقطع الأيدي والأرجل من خلاف))[2].

* لكن هؤلاء السحرة لما عرفوا حقيقة الايمان، وآمنوا بالله تعالى، وصدقوا بموسى عليه السلام، زهدوا في أجره، ونبذوا قربه مع أنه لاعطاء في الغالب أجزل من عطاء الملوك، وخاصة لمن أخلص الولاء لهم، ولا أشوق لهذه الفئة قبل أن يمن الله عليها بالإيمان من قرب فرعون والجلوس على أرائكه.

لكنهم آثروا الإيمان بالله تعالى، والتصديق برسوله موسى عليه السلام، وأظهروا التجلد والصبر على قطع الرقاب، وصلب الأجسام، فلسان حالهم يقول: العمر محدود، والألم يسير، والمطمع في دار غير هذه الدار، قال تعالى اخباراً عن جوابهم لفرعون: (**قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينٰت والذى فطرنا فاقض ماأنت قاض إنما تقضى هذه الحيوٰة الدنيا. إنا ءامنا بربنا ليغفر لنا خطٰيٰنا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى**)[3].

---

(١) سورة طه: الآية (٧١).

(٢) تفسير ابن كثير: (٢٣٩:٢) وتفسير القرطبي (٢٦١:٧).

(٣) سورة طه: الآية (٧٣،٧٢).

فلما قامت على فرعون الحجة، وجّه التهمة لمن استنصر بهم من السحرة بالتواطؤ مع موسى عليه السلام للاستيلاء على الأموال والديار، كما قصه الله تعالى علينا في قوله: ((**إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون**))(١).

واتهمهم أيضا باستقادة السحر من موسى عليه السلام، كما أخبر الله عنه في قوله: ((**إنه لكبيركم الذي علمكم السحر...**))(٢).

وهو يعلم أن هذا الذي قاله من أبطل الباطل، وكذلك كل من له لب، فإن موسى عليه السلام بمجرد ماجاء من مدين دعا فرعون إلى الله تعالى وأظهر المعجزات الباهرة، والحجج القاطعة على صدق ماجاء به من عند ربه، وأن السحرة الذين سعى في إحضارهم هو فرعون، وما التقى موسى عليه السلام بأحد من السحرة قبل ذلك اليوم، ولا سعى في احضاره فكيف يكون كبيرهم الذي تعلموا منه صناعة السحر، هذا لايقوله عاقل، وما قول فرعون هذا إلا مكابرة يعلم كل أحد بطلانها، وتستراً وتدليساً على رعاع دولته وجهلتهم، كما قال تعالى: ((**فاستخف قومه فأطاعوه...**))(٣) فإن قومًا صدقوه في قوله ((**أنا ربكم الأعلى**))(٤) من أجهل خلق الله وأضلهم(٥).

هذا عن صدود فرعون وموقفه من إيمان السحرة.

وأما ملؤه فقد عملوا على:

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٢٣).
(٢) سورة طه: الآية (٧١).
(٣) سورة الزخرف: الآية (٥٤).
(٤) سورة النازعات: الآية (٢٤).
(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٣٩:٢) عند تفسيره لقوله تعالى: (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها..) [١٢٣: الأعراف].

هـ- تحريض الملأ فرعون على التنكيل بموسى عليه السلام وأتباعه:

فزادوا إلى الصدود والإعراض أن عملوا على استجاشة فرعون، كما أخبر الله عنهم في قوله: ((**وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وءالهتك...**))(١).

فاستجاب فرعون لتحريضهم فبيّت بموسى عليه السلام وأتباعه شرا، فكان من شره ماأخبر الله عنه في قوله: ((**قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون**))(٢).

يقول ابن كثير: أجابهم فرعون فيما سألوه بقوله: ((**سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم...**))(٣) وهذا أمر ثان بهذا الصنيع وقد كان نكل بهم قبل ولادة موسى عليه السلام حذراً من وجوده، فكان خلاف مارامه وضد ماقصده فرعون، وهكذا عومل في صنيعه أيضاً لما أراد إذلال بني اسرائيل وقهرهم فجاء الأمر على خلاف ماأراده، أعزهم الله وأذله وأرغم أنفه(٤).

ومن ذلك أيضا ماجاء في قوله تعالى: ((**ولقد أرسلنا موسى بئايتنا وسلطن مبين. إلى فرعون وهمن وقرون**(٥) فقالوا ساحر كذاب. فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين ءامنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكفرين إلا في ضلل))(٦).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: (٢٣٩:٢) عند تفسير قوله تعالى: (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة..) الآية (٢٣) من سورة الأعراف.

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٢٧).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٢٧).

(٤) تفسير ابن كثير: (٢٤٠:٢).

(٥) خص ((فرعون وهامان وقارون)) بالذكر (لأن مدار التدبير في عداوة موسى عليه السلام كان عليهم، ففرعون الملك وهامان الوزير وقارون صاحب الأموال والكنوز، فجمعه الله معهما لأن عمله في الكفر والتكذيب كأعمالهما). تفسير القرطبي: (٣٠٤:١٥).

(٦) سورة غافر> الآية: (٢٣-٣٥).

قال قتادة: ((هذا قتل غير القتل الأول؛ لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان بعد ولادة موسى عليه السلام، فلما بعث الله موسى أعاد القتل على بني اسرائيل عقوبةً لهم ليمتنع الإنسان من الإيمان، ولئلا يكثر جمعهم فيعتضدوا بالذكور من أولادهم، فشغلهم الله عن ذلك بما أنزل عليهم من أنواع العذاب..))[1] ا.هـ.

رابعاً: في تتابع آيات العذاب عليهم وموقفهم منها:

عندئذ شغلهم الله عن ذلك بما أنزل عليهم من أنواع العذاب كأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات، وكابتلائهم بالضفادع، والقمل، والدم، والطوفان، إلى أن خرجوا من مصر فأغرقهم الله تعالى، وهذه الآيات هي عذاب من وجه، وآية على صدق موسى عليه السلام من وجهٍ آخر وجاء بيانها في قوله تعالى: (**ولقد أخذنا ءال فرعون بالسنين ونقص من الثمرٰت لعلهم يذكرون**)[2].

لكن فرعون وقومه ماعرفوا لله تعالى نعمه وما أنابوا إليه من بعد شدة، فكان موقفهم ماأخبر الله تعالى عنه في قوله: (**فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طٰٓئرهم عند الله ولٰكن أكثرهم لايعلمون**)[3].

وأعلنوا العصيان وقالوا فيما أخبر الله عنهم في قوله جل وعلا: (**وقالوا مهما تأتنا به من ءاية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين**)[4].

---

(١) تفسير القرطبي: (٣٠٥:١٥).
(٢) سورة الأعراف: الآية(١٣٠).
(٣) سورة الأعراف: الآية (١٣١).
(٤) سورة الأعراف: الآية (١٣٢).

ثم أرسل الله عليهم آيات أخرى وهي: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، كما قال تعالى: ((**فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ءايٰت مفصلٰت فاستكبروا وكانوا قومًا مجرمين**)[١] فكانت هذه الآيات من أعظم البلاء ولشدة وقع العذاب ومقاساته كانوا يلجؤون إلى موسى عليه السلام في كشف العذاب عنهم، ويدركون أنه لاإلٰه يكشف عنهم ماهم فيه من العذاب الا (إلٰـه موسى) وهو الله رب العالمين، قال تعالى: ((ولما وقع عليهم الرجز قالوا يموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسراءيل))[٢].

وكلما كشف الله عنهم العذاب نكثوا ماقطعوا على أنفسهم من عهد، حتى دعا عليهم نبيهم موسى عليه السلام، قال تعالى: ((**وقال موسى ربنا إنك ءاتيت فرعون وملأه زينة وأمولاً في الحيوٰة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموٰلهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروُا العذاب الأليم. قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لايعلمون**))[٣].

خامساً: في ذم الله تعالى لفرعون وملئه:

ولذا ذم الله القائد وأتباعه، في قوله جل وعلا: ((**فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد**)[٤].

* فلا القائد فرعون تخلص من كبريائه واستعلائه، وأذعن للحق بعد أن جاءه ليخلص نفسه ومن تحت إمرته.

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٣٣).
(٢) سورة الأعراف: الآية (١٣٤).
(٣) سورة يونس: الآية (٨٨،٨٩).
(٤) سورة هود: الآية (٩٦،٩٧).

* ولا الملأ بعد أن عرفوا أن الحق مع موسى عليه السلام، قدّموا طاعة الله على طاعة فرعون وآمنوا كما آمن السحرة عندما قالوا ((**ءامنا برب العٰلمين * رب موسى وهٰرون**))[1]، وبخاصة أن الله عز وجل أقام عليهم الحجة، بما أظهره من دلائل صدق موسى عليه السلام في رسالته من وجوه متعددة نوجزها في الآتي:

- **أولا**: بما تلاه على أسماعهم من آيات الوحي المنزلة لهدايتهم سبيل الرشاد.
- **ثانيا**: وبآيات يشاهدونها تأخذ بالألباب وتبهر الأبصار، دالة على قدرة الله الواحد القهار،وأن موسى وهارون رسولا رب العالمين.
- **ثالثا**: بما ابتلاهم الله تعالى به من آيات عذاب أذاقهم الله بها أليم العذاب، ولا يكشفها عنهم إلا من يدعوهم موسى عليه السلام لعبادته وهو الله رب العالمين.

ومع هذا أعرضوا عن دعوة موسى عليه السلام، واتبعوا أمر فرعون، كما قال تعالى: (**فاتبعوا أمر فرعون**) يقال تبعه واتبعه قفا أثره، وذلك تارة بالإرتسام وتارة بالإئتمار[2].

والأمر: ((الشأن وجمعه أمور))[3] أي شأنه وحاله وطريقته فيعم ماهم عليه من الكفر بالله تعالى، وترك الإيمان بما جاء به موسى عليه السلام.

والأمر أيضا: هو ((التقدم بالشيء سواء كان بقول أو فعل))[4] وفرعون جمع الأمرين اذ أنه تقدم القوم بقوله فصدقوه، وبفعله فساروا خلفه، وانتهجوا نهجه، وساروا على طريقته.

فذمهم الله على تسليم أمرهم لفرعون مع أن الانسان لايسلم أمره لأحد كائنا من كان إلا إذا رأى أن في اتباعه مايقوده للخير ويبعده عن الشر، وأمر فرعون عار عن ذلك كله، كما قال تعالى: (**وما أمر فرعون برشيد**).

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٢١-١٢٢).
(٢) المفردات للراغب: لفظ (تبع) (٧٢).
(٣) المرجع السابق: (٢٤).
(٤) انظر: المرجع السابق: (٢٤) لفظ (أمر).

قال أبو حيان:

الرشد يستعمل في كل مايحمد ويرتضى، والغي ضده[٢].

وما أمره فرعون برشيد: أي بسديد يؤدي الى صواب[٢].

وقيل: ليس برشيد: أي بمرشد إلى خير[٣].

والمعنى: وما طريقة فرعون وما هو عليه بسديد ولا حميد العاقبة ولا يدعو إلى خير في معتقده، ولا في قوله وفعله.

وفي الآية: بيان لانسلاخ الرشد عن فرعون ونفيه عنه، وتجهيل لأشياعه وأتباعه، وتعريض بأن الرشد في أمر موسى عليه السلام. فكان معنى الآية: ((**فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد**)) وتركوا امن أمره برشيد.

* وأما انسلاخ الرشد عن فرعون ونفيه عنه فلوجوه متعددة:

- **أولا**: من جهة كفره وادعائه الألوهية من دون الله تعالى، كما أخبر الله عنه في قوله: ((**ماعلمت لكم من إله غيري**))[٤] وايحائه للناس أن الرب الذي يدعوهم موسى عليه السلام لعبادته لاحقيقة له وأنه الرب الأعلى، كما أخبر الله عنه في قوله ((**أنا ربكم الأعلى**))[٥] وقوله تعالى: ((**فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين**))[٦].

- ثانيا: من جهة ادعاءه الربوبية، واسناد ماهو فيه من نعيم الله وفضله لنفسه، كما قال الله تعالى عنه: ((**أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي...**))[٧].

---

(١) فتح القدير: للشوكاني: (٥٢٣:٢).

(٢) البحر المحيط: (٢٥٩:٥).

(٣) تفسير القرطبي: (٩٣:٩).

(٤) سورة القصص: الآية (١٣٨).

(٥) سورة النازعات: الآية (٢٤).

(٦) سورة القصص: الآية (٣٨).

(٧) سورة الزخرف: الآية (٥١).

- **ثالثا**: من جهة استخفافه بالرسول، كما جاء بيانه في قوله تعالى: ((أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين. فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملٰئكة مقترنين))(١) وإظهاره القدرة على قتل موسى عليه السلام كما أخبر الله عنه في قوله تعالى: ((وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد))(٢) وتأليب الناس للخروج على نبي الله موسى عليه السلام ومناوءته، كما تقدم بيانه.

- **رابعا**: من جهة استبداده بأمر الناس قتلاً لبني اسرائيل، وصلباً، واذلالاً، واستعباداً، وصدّاً عن الايمان بموسى عليه السلام، وإيعاد من آمن شراً كما سبق ايضاحه.

- **خامسا**: من جهة عاقبته: حيث أورد أتباعه في الدنيا إلى الغرق وفي الآخرة إلى الحرق، فإن قائدا هذا مآله ومنتهى أمره أين مواطن الرشد منه. كمادل قوله تعالى: ((وما أمر فرعون برشيد))(٣) على نفي الرشد عن فرعون بأبلغ الصيغ.

- فنفاه بحرف (ما) الدال على النفي.

- وبزيادة الباء في الخبر في قوله (برشيد) ليفيد فضل تأكيد ومبالغة في النفي(٤).

ب - وأما دلالة الآية على تجهيل متبعي فرعون:

فلإتباعهم فرعون حتى اتخذوه إلٰهاً من دون الله تعالى، وتمالئهم معه على تكذيب نبي الله موسى عليه السلام فيما جاء به عن ربه، والإعراض عنه، وإنكار وحدانية الله تعالى.

---

(١) سورة الزخرف: الآية (٥٢-٥٣).
(٢) سورة غافر: الآية (٢٦).
(٣) سورة هود: الآية (٩٧).
(٤) انظر: إعراب القرآن لمحي الدين الدرويش (٤:٤٢٦).

جاء في السراج: ((وهذا من أكبر الدلائل الدالة على فساد عقولهم إذ أنهم اتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي إلى مالايخفى فساده على من له أدنى مسكة من العقل، ولم يتبعوا موسى عليه السلام الهادي إلى الحق المؤيد بالمعجزات الباهرة، لفرط جهالتهم، وعدم استبصارهم))(١).

* **في إثبات الرشد لموسى عليه السلام:**

إذ أن في الآية تعريضاً بأن الرشد في أمر موسى عليه السلام، فمن آمن به نجا من عذاب الله، ونال التمكين في الأرض، والوعد بحسن العاقبة.

وكل أمر محمود أو مذموم بعواقبه.

فنبي الله موسى عليه السلام يورثه الله أرض فرعون وكنوزه، كما قال تعالى: (**وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي بُركنا فيها..**)(٢).

وفرعون يستمر على عصيانه، ومخادعة نفسه، واضلال غيره حتى يورد قومه النار، فلو كان رشيداً لما قدم بقومه موارد الهلاك والخسران لأن ذو الرأي الرشيد يرى أثر رشده على نفسه وعلى غيره، حتى ان الناس يغبطونه على رجاحة عقله، وسداد رأيه(٣) ويتألمون عند فراقه، لأنه يوردهم موارد الخير والنجاة، وينأى بهم عن موارد الشر والهلاك، وصدق الله فلو كان فرعون رشيداً لما قدم بقومه موارد الهلاك والخسران.

---

(١) السراج المنير: (٢:٧٧).

(٢) سورة الأعراف: ألآية (١٣٧).

(٣) ألا ترى أن بني زهرة قد حفظوا للأخنس بن شريق صنيعه وشهدوا له بحسن مشورته، وسداد رأيه؛ عندما أشار عليهم بعدم مشاركة قريش في حربها ضد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه. انظر: موقفه في سيرة ابن هشام (١:٦١٩).

سابعاً: في سوء عاقبة فرعون وأتباعه:

ودل عليه قوله تعالى: ((**يقدم قومه يوم القيٰمة فأوردهم النار وبئس الورد المورود**))[١].

والمعنى: يقدم قومه يوم القيامة إلى النار، كما كان يقدمهم في الدنيا إلى الضلال، وكما تقدم قومه في الدنيا فأدخلهم البحر وأغرقهم، فكذا يتقدمهم في القيامة فيدخلهم النار[٢] كما قال تعالى: (فأوردهم النار).

ثم ذم الله تعالى الورد الذي وردوه[٣] فقال: ((**وبئس الورد المورود**)).

يقول البغوي: ((وبئس المدخل المدخول فيه))[٤] ا.هـ.

وقيل: ((شبه الله تعالى فرعون في تقدمه على قومه إلى النار بمن يتقدم على الوارد إلى الماء، وشبه أتباعه بالوارد من بعده.

ولما كان ورد الماء محموداً عند الواردين لأنه يكسر العطش، قال في حق فرعون وأتباعه (**فأوردهم النار وبئس الورد المورود**) لأن الأصل فيه قصد الماء، ولأن الوارد إلى الماء الذي يقال له الورد إنما يرده ليطفىء حر العطش ويذهب ظمأه، والنار على ضد ذلك[٥].

واستعمل ورد الماء في ورد النار على سبيل الفظاعة[٦].

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: الورد في القرآن أربعة أوراد:

---

(١) سورة هود: الآية (٩٨).
(٢) السراج المنير: (٧٧:٢).
(٣) انظر: المرجع السابق، وفتح القدير للشوكاني (٥٢٣:٢).
(٤) تفسير البغوي: (٢٥١:٢).
(٥) فتح القدير: للشوكاني: (٥٢٣:٢).
(٦) تفسير الخازن: (٢٥١:٢).

١ - في هود: قوله تعالى: (بئس الورد المورود)[١].
٢ - وفي مريم: (وإن منكم إلا واردها)[٢].
٣ - وفي الأنبياء: (حصب جهنم أنتم لها واردون)[٣].
٤ - وفي مريم: (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا)[٤] .ا.هـ
وكل هذه المعاني في حق النار.

يقول الطبري: ((وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: كل هذا المدخول، والله ليردن جهنم كل بر وفاجر، لقوله تعالى: ((وإن منكم إلا واردها[٥] كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظلمين

---

(١) سورة هود: الآية (٩٨).
(٢) سورة مريم: الآية (٧١).
(٣) سورة الأنبياء: الآية (٩٨).
(٤) سورة مريم: الآية (٨٦).
(٥) يقول الأمين رحمه الله تعالى في كتابه دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: (١٠:١٩٢-١٩٣) (هذه الآية الكريمة تدل على أن كل الناس لابد لهم من ورود النار، وأكد ذلك بقوله ((كان على ربك حتماً مقضياً)) [٧١، مريم] وقد جاء في آية أخرى مايدل على أن بعض الناس مبعد عنها لايسمع لها حساً، وهي قوله تعالى: (أولئك عنها مبعدون لايسمعون حسيسها) [١٠١، الأنبياء] الآية.
والجواب: هو ماذكره الآلوسي وغيره من أن معنى مبعدون: أي عن عذاب النار وألمها. وقيل المراد إبعادهم عنها بعد أن يكونوا قريباً منها.
ويدل للوجه الأول: ماأخرجه الإمام أحمد والحكيم الترمذي وابن المنذر والحاكم وصححه وجماعة عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورد فقال بعضنا: لايدخلها مؤمن.

===

فيها جثيا (١) (٢).

ثم ذمهم الله تعالى بعد ذم المكان الذي يردونه فقال تعالى: **(وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيٰمة بئس الرفد المرفود)** (٣).

والمعنى: واتبع فرعون وملؤه في هذه الدنيا (لعنة) واللعنة: الطرد والبعد عن رحمة الله تعالى.

== وقال آخر: يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا.فلقيت جابر بن عبد الله رضي الله عنه فذكرت ذلك له. فقال وأهوى بإصبعيه إلى أذنيه: صمتاً إن لم أكن سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((لايبقى بر ولا فاجر إلا دخلها)) فتكون على المؤمنين برداً وسلاما كما كانت على إبراهيم عليه السلام حتى أن للنار ضجيجا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا.

وروى جماعة عن ابن مسعود: أن ورد النار هو المرور عليها، لأن الناس تمر على الصراط، وهو جسر منصوب على متن جهنم.

وأخرج عبد بن حميد وابن الأنباري والبيهقي عن الحسن: الورود المرور عليها من غير دخول. وروى ذلك أيضاً عن قتادة قاله الآلوسي.

واستدل القائلون بأن الورود نفس الدخول بقوله تعالى: (فأوردهم النار) [وقوله]: (لو كان هؤلاء ءالهة ماوردوها) [وقوله]: (حصب جهنم أنتم لها واردون) [فالورود] في ذلك كله بمعنى الدخول.

واستدل القائلون بأن الورود القرب منها من غير دخول، بقوله تعالى: (ولما ورد ماء مدين) [٢٣: القصص].

وقول زهير:

فلما وردن الماء زرقا جمامجه * وضعن عصى الحاضر المتخيم اهـ

(١) سورة مريم: الآية (٧١-٧٢).

(٢) تفسير الطبري: (١١٠:٣).

(٣) سورة هود: الآية (٩٩).

ثم زادهم الله جل وعلا لعنة أخرى تتبعهم يوم القيامة بدليل قوله تعالى: (**ويوم القيٰمة**) أي: وأتبعوا يوم القيامة لعنة أيضا، حيث يلعنهم أهل المحشر جميعاً.

ثم إن الله تعالى جعل اللعنة رفداً لهم على طريقة التهكم، فقال تعالى: (**بئس الرفد المرفود**) [(١)]، أي: بئس العون المعان [(٢)].

قال الكسائي وأبو عبيدة [(٣)]: رفدته، أرفده رفدا، أي: أعنته وأعطيته، واسم العطية الرفد، أي بئس العطاء والاعانة [(٤)]، فبئس العون المعان والعطاء المعطى، وذلك أنهم ترادفت عليهم اللعنتان: لعنة في الدنيا، ولعنة في الآخرة)) [(٥)].

---

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (٥٢٣:٢).

(٢) انظر: تفسير البغوي والخازن (٢٥١:٢).

هو: علي بن حمزة أبو الحسن المشهور بالكسائي إمام الكوفيين في النحو واللغة، وأحد القراء السبعة المشهورين، صنف (معاني القرآن) و(القراءات) و (المصادر) و (مقطوع القرآن وموصوله). اختلف في وفاته، والأشهر سنة ١٨٢هـ.

انظر ترجمته في: طبقات القراء للجزري (٥٣٥:١-٥٤٠). والبغية (٣٣٦) ومعجم المؤلفين (٨٤:٧).

(٣) هو: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، أديب لغوي نحوي، عالم بالشعر والغريب، والأخبار والنسب، ولد بالبصرة سنة ١١٠هـ وقيل غير ذلك. صنف تصانيف عدة ومنها: مثالب العرب، ومثالب البصرة، ومعاني القرآن.. توفي بالبصرة سنة ٢٠٨هـ وقيل غير ذلك.

انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٢٥٢:١٣-٢٥٨) بغية الوعاة (٢٩٤:٢) ومعجم المؤلفين (٣٠٩:٢).

(٤) تفسير القرطبي: (/٩٤) وانظر فتح القدير: للشوكاني (٥٢٣:٢).

(٥) تفسير البغوي: (٢٥١:٢).

قال قتادة: ترادفت عليهم اللغتان من الله تعالى لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة [١]، وكل شيء جعلته عونا لشيء فقد رفدته به.

وروي عن ابن عباس في تفسير الآية: ((أي لعنة في الدنيا والآخرة وكذا الضحاك وقتادة وهو كقول الله تعالى: (**وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لاينصرون. وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين**) [٢] وقال تعالى: (**النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا ءال فرعون أشد العذاب**) [٣] [٤].

وسميت اللعنة عونا: لأنها اذا اتبعتهم في الدنيا أبعدتهم عن الرحمة، وأعانتهم على ماهم فيه من الضلال.

وسميت رفدا أي عونا لهذا المعنى على التهكم كقول القائل: ((تحية بينهم ضرب وجيع)) [٥].

((وسميت معانا لأنها أردفت في الآخرة بلعنة أخرى لتكونا هاديتين الى طريق الجحيم)) [٦].

---

(١) تفسير الطبري: (١١١:٧).
(٢) سورة القصص: الآية (٤١،٤٢).
(٣) سورة غافر: الآية (٤٦).
(٤) تفسير ابن كثير: (٤٦٠:٢).
(٥) التحية تكون في الكرم وابداء الاحترام، وفي هذا البيت فسرها بأنها ضرب موجع على سبيل التهكم.
(٦) السراج المنير (٧٨:٢).

فهرس الموضوعات

الجزء الأول

فهرس الموضوعات
«الجزء الأول»

الصفحة	الموضوع
٥ - ١٨	**- المقدمة**
١٩	**- التمهيد:**
	أ- تعريف الدعوة لغة واصطلاحا
٢٠	- تعريف الدعوة لغة
٢٠	- تعريف الدعوة اصطلاحاً
٢١	- تعريف الدعوة كعلم مصطلح قائم بذاته
٢٢	- تعريف الدعوة كدين
٢٥	ب - حاجة البشرية لارسال الرسل عليهم السلام
٣٣	ج - أهمية الدعوة إلى الله وبيان فضلها
٤٥	د - في الظروف والملابسات التي نزلت فيها سورة هود عليه السلام
٤٧	هـ - في المقارنة بين منهج هذه السورة في الدعوة إلى الله تعالى ومناهج بعض السور المتشابهة
٥٢	و - الحكمة من تكرار القصص في القرآن وبيان مقاصد إيراد قصص الرسل عليهم السلام مع أممهم في القرآن الكريم

الصفحة	الموضوع
	الباب الأول
٥٦	ـ أسس الدعوة إلى الله تعالى كما تجليها السورة:
	الفصل الأول:
٥٧	ـ الدعوة إلى الله تعالى صادرة من لدن حكيم خبير
٥٧	ـ في بيان الحروف المقطعة من حيث المعنى
٥٨	ـ في الحكمة من ورودها في القرآن الكريم
٦٠	ـ في بيان ما يتعلق بالكتاب والإحكام
٦٤	ـ في بيان التفصيل
٦٩	ـ ما دل عليه قول الله تعالى ﴿من لدن حكيم خبير﴾
٧٠	ـ ما دل عليه قوله تعالى ﴿حكيم﴾
٧٠	ـ في بيان حكمة الله تعالى في خلقه.
٧٠	ـ في بيان حكمة الله تعالى في دعوته.
٧١	ـ في بيان حكمة الله تعالى في شرعه
٧٢	ـ في بيان حكمة الله تعالى في معاملته لخلقه.
٧٤	ـ ما دل عليه قوله تعالى ﴿خبير﴾
	ـ في دلالة الآية على أن التفصيل من لدن ﴿خبير﴾
٧٥	ـ أ- في تفصيل الكتاب
٧٥	ـ ب- تفصيل الآيات لهداية العباد إلى صراط الله المستقيم
٧٦	ـ ج - التفصيل لبيان الحلال والحرام
٧٧	ـ د- التفصيل في الأنفس
٧٧	ـ هـ- التفصيل لبيان عاقبة المؤمنين
٧٨	ـ و- التفصيل لبيان عاقبة المعرضين عن الدعوة

الصفحة	الموضوع
	الفصل الثاني:
٧٩	ـ الدعوة إلى الله تعالى مصدرها الوحي لا الاجتهاد البشري
٨٠	ـ توطئة.
٨٠	ـ في بيان أن مضمون الوحي الكتاب والسنة
٨١	ـ إيضاح ابن القيم لمراتب الدعوة
٨٢	ـ في بيان أن الرسول ﷺ إنما يأمر وينذر بالوحي
٨٢	ـ في نزول الوحي مؤيداً للرسول ﷺ ومثبتاً لفؤاده على أمر الرسالة
٨٤	ـ في إقامة البرهان بالوحي على صدق الرسول ﷺ في دعوته
٨٥	ـ في بيان أن الوحي مصدر الرسالات جميعاً
٩٠	ـ بيان مسألة اجتهاد الأنبياء عليهم السلام
	الفصل الثالث:
	الدعوة إلى الله تعالى وموافقتها للفطرة
٩٣	ـ في المقصود بالفطرة وبيان معناها
٩٤	ـ أن الله تعالى فطر عبادة على توحيده
٩٥	ـ في الأمر بلزوم الفطرة
٩٨	ـ وتصحيحها بالتوبة
١٠٠	ـ في تعاضد الأمر والنهي لتزكية الفطرة وحمايتها:
	أ- في جانب النهي
١٠٠	ـ ١- التحذير من الطغيان
١٠٢	ـ ٢- التحذير من الركون إلى الظالمين

الصفحة	الموضوع
١٠٥	ب- في جانب الأمر
١٠٧	- في الحث على الطاعة وإرشاد المذنبين إلى ما يمحو خطاياهم
١٠٩	- شروط التوبة
١١٠	- في الأمر بالصبر
	الفصل الرابع
١١٢	* تفرد الله تعالى بالخلق والأمر وصلة ذلك بأصول الدعوة
١١٣	- بيان معنى الخلق
١١٥	- في جعل الله عز وجل عرشه على الماء ودليل ذلك على كمال قدرته وأنه جل وعلا لا يعجزه شيء
١١٦	- في بيان أن من أكبر آيات الله الدالة على وحدانيته وقدرته خلق السموات والأرض
١١٩	- الصلة بين صفة الخالقية والعبادة
١٢١	- قضية الأمر
١٢١	- أن أعظم ما أمر الله به التوحيد وأعظم ما نهى الله عنه الشرك
١٢١	- أن الله تعالى له الأمر كله
	الفصل الخامس
١٢٣	عقيدة المعاد وصلتها بأهداف الدعوة
١٢٥	- في قدرة الله تعالى على ارجاع الخلائق اليه وبعثها بعد الموت
١٢٦	- في معنى الرجوع، والمعاد، والبعث، والنشور

الصفحة	الموضوع
١٢٩	- في تقرير ثواب المطيع وعقاب العاصي
١٣٢	- في إقامة القرآن الكريم البراهين المتعددة لبيان قدرة الخالق على البعث والنشور
١٣٣	١- بخلق الله جل وعلا للسموات والأرض
١٣٤	٢- واحياء الله تعالى الأرض بعد موتها
١٣٥	٣- قياس النشأة الآخرة على النشأة الأولى
١٣٥	٤- في نوم الإنسان ويقظته
١٣٥	٥- فيما أراه الله عز وجل أنبياءه عليه السلام وأجراه على أيديهم كما يتضح في:
١٣٥	- إماتة الله المعاندين من قوم موسى عليه السلام وإحيائهم.
١٣٦	- في إحياء الله عز وجل قتيل بني اسرائيل
١٣٦	- في إماتة الله عز وجل للألوف الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت
١٣٧	- في إماتة الله تعالى وإحياء من استبعد إحياء الله جل وعلا للقريه الخاوية على عروشها
١٣٧	- فيما أراه الله عز وجل خليله إبراهيم عليه السلام من قدرته على إحياء الموتى
١٣٨	* في رد القرآن الكريم على منكري البعث ودحض شبههم
١٤٠	* أثر الإيمان بالبعث والنشور في إصلاح أحوال الناس في دنياهم وأخراهم

الصفحة	الموضوع
	الفصل السادس
١٤٦	**بيان شدة فقر الإنسان إلى خالقه**
١٤٧	- أن أرزاق بني آدم مكتوبة واصلة إليهم فكل يأخذ نصيبه وما كتب له
١٤٩	- تذكير الله عز وجل خلقه بفقرهم وحاجتهم إليه.
١٥٠	- تهديد الكفار بأن الله الذي يرزقهم يعلم ما تنطوي عليه نفوسهم
١٥١	- أن المؤمن يجمع الله له بين الرزق في الدنيا والنعيم في الآخرة وأما الكافر فمآله إلى العذاب.
	الفصل السابع
١٥٣	**الإبتلاء بالنعم والنقم من ضروب التذكير بالله تعالى:**
١٥٤	- في معنى الابتلاء وأنواعه
١٥٧	* شروط قبول العمل:
	- أن يكون خالصا لله
	- وعلى شريعة رسول الله ﷺ
١٥٧	**في أنواع الإبتلاء:**
١٥٧	- النوع الأول: الإبتلاء العام
١٥٧	- النوع الثاني: الإبتلاء بالنعم والنقم
١٥٨	- النوع الثالث: الإبتلاء بالنعم
١٥٨	- النوع الرابع: بالإبتلاء بالنقم
١٥٩	- عموم الابتلاء وتفاوت الناس فيه
١٥٩	- ابتلاء الأنبياء عليهم السلام

الصفحة	الموضوع
١٦١	- الإبتلاء في جانب المدعوين
١٦٣	- الابتلاء بالأوامر والنواهي
١٦٧	- في المراد بالإنسان في قوله : ﴿ولئِن أذقنا الإنسـٰن منا رحمة﴾
	- في بيان أن موقف الكافر من الابتلاء:
١٦٩-١٧١	* يأس وكفر عند امتحانه بالضراء
	* وفرح وفخر عند ابتلائه بالنعماء
١٧١	- في بيان موقف المؤمن من الابتلاء.
١٧٤	- في بيان الفئة الخاسرة في دار الابتلاء
	الفصل الثامن
١٧٨	**في تأييد الله عز وجل لرسله عليهم السلام في دعوتهم**
١٧٩	- في البينة ومعناها
١٧٩	- في تنوع الدلائل والبراهين التي أيد الله تعالى بها رسله عليهم السلام:
١٨٠	أولاً : في الآيات التي جعلها الله عز وجل للرسل عليهم السلام أنفسهم
١٨٢	ثانيـاً: فيما جرت به سنة الله تعالى في اصطفاء رسله عليهم السلام
١٨٥	ثالثـا: في حفظ الله تعالى لفطرة رسله عليهم السلام
١٩١	رابعـاً: في دلالة خلق الرسول ﷺ على صدقه
١٩٢	خامسا: في دلالة قول الرسول ﷺ على صدقه
١٩٣	سادساً: في أن دعوة الرسول ﷺ فيها الدليل على صدقه

الصفحة	الموضوع
١٩٦	سابعاً: الدلالة على صدق الرسول ﷺ في أتباعه
١٩٧	ثامناً: فيما أيد الله عز وجل به رسله عليهم السلام من :
	- الحجج القولية
	- والمعجزات الحسية مثل:
١٩٨	– معجزة صالح عليه السلام
١٩٨	– معجزة موسى عليه السلام
١٩٩	– معجزة عيسى عليه السلام
١٩٩	- في بيان أن الله عز وجل قد أعطى رسوله ﷺ من الآيات ما لم يعطه نبيا قبله وهي على نوعين:
٢٠٠	١– منها ما مضى وصار معلوماً بالخبر
٢٠٠	٢– ومنها ما هو باق إلى اليوم كالقرآن الكريم
٢٠٠	- في تحدى المعاندين بالقرآن
	- بيان أوجه إعجاز القرآن المتعددة.:
٢٠٧	١– إعجاز القرآن البياني
٢٠٧	٢– تأثير القرآن في القلوب
٢١٠	- في محاولة قريش صد الناس عن سماع القرآن
٢١٠	- في شهادة الجن بصدق ما أنزل على الرسول ﷺ لمّا سمعو آياته
٢١٢	٣– إعجاز القرآن في إخباره بالأمور المستقبلية
٢١٣	٤– إعجاز القرآن العلمي
٢١٣	٥– في بقاء معجزة القرآن الكريم
٢١٥	تاسعاً: في تأييد الله عز وجل لرسله بحسن العاقبة

الصفحة	الموضوع
	الباب الثاني
٢١٧	مواقف الرسل مع أممهم من خلال هذه السورة :
	الفصل الأول:
٢١٨	- دعوة نوح عليه السلام
٢٢٠	* أولاً : في التعريف بالنبي عليه السلام وقومه
٢٢٠	- نسبه عليه السلام
٢٢٠	* كونه أول رسول إلى أهل الأرض بعد حدوث الشرك
٢٢٠	- الدليل على ذلك من الكتاب
٢٢١	- ومن السنة
٢٢٢	- في الجمع بين أولوية نوح عليه السلام في الرسالة مع ما ثبت أن آدم عليه السلام نبي
٢٢٣	- في انحراف قومه عن التوحيد
٢٢٧	* ثانياً: دعوته عليه الصلاة والسلام
٢٢٧	- أسلوبه في الدعوة
٢٢٩	* ثالثاً: موقف قومه من دعوته عليه السلام
	- الشبه التي أثاروها :
٢٣٠	- الشبهة الأولى: أن الرسول بشر
٢٣٠	- الشبهة الثانية: انتقاص أتباع الرسول واحتقارهم
٢٣١	- الشبهة الثالثة: عدم رؤية فضل للرسول وأتباعه
٢٣١	- الشبهة الرابعة: الشك في صدق رسولهم

الصفحة	الموضوع
٢٣٢	* رابعاً : في موقف نوح عليه السلام من هذه الشبهات:
٢٣٢	- إعلانه عليه السلام وضوح صدقه في دعوته لكونه على بينة من ربه
٢٣٣	- إعلانه عليه السلام تجرد دعوته عن المطامع الدنيوية
٢٣٣	- إعلانه عليه السلام تساوي الجميع أمام دعوته
٢٣٤	- في التذكير بنصر الله تعالى لمن أطاعه
٢٣٥	- في التذكير بحكمة الله تعالى فى معاملته لخلقه
٢٣٦	* خامساً: في موقف قومه بعد إقامة الحجة عليهم
٢٣٦	- عدِّهم نصح الرسول عليه السلام من قبيل الجدل
٢٣٧	* سادساً : في رده عليه السلام على استعجال قومه واستهزائهم بدعوته
٢٣٧	* سابعاً : في تيئيس الله تعالى لنبيه عليه السلام من إيمان قومه
٢٣٨	* ثامناً : في تسلية الرسول عليه بالإنتقام من مكذبيه.
٢٣٩	* تاسعاً : في المفاصلة بينه وبين قومه
٢٣٩	أ- في أمره بصنع السفينة
٢٣٩	ب- في نهيه عن الشفاعة في الظالمين
٢٤٠	* عاشراً : في صنعه - عليه السلام - السفينة واستمرار قومه في العناد
٢٤٢	* الحادي عشر: التهديد بالعذاب
٢٤٣	* الثاني عشر: في الاشعار ببدء ساعة الهلاك
٢٤٤	* الثالث عشر: في أمره بالأخذ بأسباب النجاة
٢٤٥	* الرابع عشر: في ركوب السفينة وجريانها
٢٤٦	* الخامس عشر: في موقف نوح عليه السلام من ابنه
٢٤٨	* السادس عشر: في اصرار ابن نوح على كفره واستمرار نبي الله - نوح عليه السلام - في نصحه له
٢٥٠	* السابع عشر: في سؤال نوح عليه السلام ربه نجاة ابنه

الصفحة	الموضوع
٢٥٢	* الثامن عشر: أمر الله تعالى برفع ماء الطوفان
٢٥٤	* التاسع عشر: في رفع الله تعالى لنبيه نوح عليه السلام لمقام العارفين
٢٥٥	* العشـــرون: في اعتذار نوح لربه جل وعلا
	الفصل الثـاني
٢٥٧	- دعوة هود عليه السلام
٢٥٨	- توطئة
٢٥٩	* نسبه عليه السلام
٢٥٩	* في التعريف بعاد
٢٦١	* دعوته عليه السلام:
٢٦١	- الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده
٢٦١	- في التحذير من الافتراء
٢٦٢	* في اعلانه عليه السلام طلب الأجر من ربه
٢٦٢	- ترغيبه عليه السلام قومه في الإيمان بالله تعالى.
٢٦٤	- والتذكير بنعم الله تعالى
٢٦٥	- التحذير من التولى عن الدعوة
٢٦٧	* في موقف قومه من دعوته:
٢٦٩	- جحودهم لبينته عليه السلام
٢٦٩	- الإصرار على الكفر
٢٦٩	- في عقد العزم على تكذيب الرسول عليه السلام
٢٧٠	- إعلانهم تقديس آلهتهم

الصفحة	الموضوع
٢٧٠	* في تحدي هود عليه السلام لقومه وإقامته البرهان على صدقه:
٢٧٠	- ببراءته عليه السلام من كل ما يعبدون من دون الله تعالى.
٢٧٠	- بتحديه عليه السلام لقومه بطلب الكيد له وعدم إنظاره
٢٧١	* في إعلانه عليه السلام توكله على ربه
٢٧٣	* إعلانه عليه السلام إقامة الحجة على قومه
٢٧٣	* التهديد بعذاب الاستئصال
٢٧٤	* في المفاصلة بين هود عليه السلام وقومه
٢٧٩	* في بيان أسباب هلاكهم
٢٧٩	- جحودهم لآيات الله
٢٨٠	- عصيانهم لرسله
٢٨٠	- واتباعهم أمر كل جبار عنيد
٢٨١	* في بيان تتابع سخط الله تعالى وغضبه عليهم
	الفصل الثالث
	- دعوة صالح عليه السلام
٢٨٤	* **ثمود**: نسبهم ومساكنهم
٢٨٥	* عقيدة قوم ثمود قبل بعثه صالح عليه السلام
٢٨٥	* في نسب نبي الله صالح عليه السلام
	* في دعوته عليه السلام:
٢٨٥	- الدعوة إلى توحيد الله تعالى
٢٨٦	- التذكير بالخالق وقدرته
٢٨٧	- التذكير بنعمة الاستعمار في الأرض
٢٨٩	- الترغيب في الاستغفار والتوبة

الصفحة	الموضوع
	* موقف قومه من دعوته:
٢٩١	- محاولة قومه توهين عزيمته عليه السلام
٢٩	- الإصرار على تقليد الآباء في كفرهم
٢٩٢	- التصميم على الكفر
	* موقف صالح عليه السلام من قومه:
٢٩٢	- تحذيره عليه السلام لقومه عاقبة إعراضهم عن دعوته
٢٩٥	- في إقامة الحجة على قومه بالمعجزة الحسية
٢٩٦	- في تحذيره عليه السلام لقومه من عقر الناقة
٢٩٧	- في نقضهم العهد وعقرهم الناقة
٢٩٩	* في امتنان الله تعالى بانجائه المؤمنين وإهلاك الكافرين
٣٠١	* في بيان عذاب الظالمين
	الفصل الرابع
٣٠٣	- **دعوة إبراهيم عليه السلام**
٣٠٤	* نسبه عليه السلام
٣٠٤	- في وجه ذكر خبر إبراهيم في سورة هود دون مثيلاتها من السور
٣٠٦	- عرض لما تضمنته آيات السورة في خبر إبراهيم مع الملائكة:
٣٠٦	- في قدوم الملائكة عليهم السلام
٣٠٧	- في اكرامه عليه السلام لأضيافه ومن ثم ايجاسه منهم
٣٠٨	- في كشف الملائكة عن شخصيتهم، وبيان مهمتهم
٣٠٩	- في معنى (الضحك) في قوله ﴿فضحكت﴾
٣٠٩	- في البشارة بإسحاق عليه السلام وتحقيق القول في الذبيح

الصفحة	الموضوع
٣١٠	- في الدلالة على أن الذبيح إنما هو اسماعيل عليه السلام
٣١١	- في تعجب زوجة الخليل عليه السلام من البشارة
٣١١	- في المراد بالتعجب
٣١١-٣١٢	- في معنى قوله تعالى : ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾
٣١٢	- في مجادلة نبي الله إبراهيم عليه السلام عن قوم لوط
٣١٣	- في ثناء الله على خليله إبراهيم عليه السلام
	الفصل الخامس
٣١٤	**- دعوة لوط عليه السلام**
٣١٧	- نسبه عليه السلام
٣١٧	- قومه عليه السلام
٣١٨	- معتقد قومه ومعصيتهم
	* دعوته عليه السلام
٣١٩	أ- الدعوة إلى توحيد الله تعالى وبيان هل في القوم شرك
٣١٩	- إلى جانب فعل الفاحشة أم لا؟ وإيراد أقوال العلماء في ذلك
٣٢٣	ب- نهيه عليه السلام قومه عن ارتكاب الفاحشة
٣٣١	* موقف قومه من دعوته:
٣٣١	أ- جحودهم لأمر التشريع
٢٣٢	ب- تهديده عليه السلام بالإخراج
٣٣٣	- بيان أن التهديد بالإخراج هو ديدن أهل الباطل

الصفحة	الموضوع
٣٣٤	- تبجحهم باحتقار الفضيلة وأهلها
٣٣٤	- سخريتهم بالرسول عليه السلام وذمه بالتطهر
٣٣٤	- في المراد بقوله ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾
٣٣٥	- في بيان دركات أهل الفسق والفجور
٣٣٦	* استعجال المكذبين بالعذاب
٣٣٦	* في طلب لوط عليه السلام نصر ربه
٣٣٧	* في استجابة الله تعالى سؤل نبيه عليه السلام
٣٣٧	* في قدوم الملائكة لإهلاك المكذبين من قومه
٣٣٨	* في استيائه عليه السلام من مجيء الأضياف وسببه
٣٤٠	* موقف قومه من أضيافه
٣٤٢	* في مدافعة لوط عليه السلام عن أضيافه وإرشاده ونصحه لقومه ﴿هن أطهر لكم﴾
٣٤٣	- في المراد بالعَرْض في قوله : ﴿هؤلاء بناتي﴾ وهل هو على حقيقته؟
٣٤٣	- في المراد بقوله : ﴿بناتي﴾ ، وهل هن بناته لصلبه أو عني عليه السلام نساء أمته؟
٣٤٥	- في قوله : ﴿أطهر﴾ وهل المراد به التفضيل؟
٣٤٦	* تذكيره عليه السلام قومه بتقوى الله تعالى
٣٤٧	* موقف قومه عليه السلام من وعظه ونصحه
٣٤٧	- أ- إعراضهم عن نصحه عليه السلام وإرشاده
٣٤٨	- ب- شهادتهم على أنفسهم بتأصل الجريمة في نفوسهم
٣٤٨	- إظهاره عليه السلام اشتداد كربه ونفاذ وسعه في المدافعة عن أضيافه
٣٤٩	- في المراد بقوله ﷺ : (يرحم الله لوطا)

الصفحة	الموضوع
٣٥١	* في فصل الملائكة عليه السلام للموقف وتطمينه عليه السلام بأن أعداءه لن يصلوا إليه
٣٥١	- في طمس الملائكة عليه السلام لأعين الذين تدافعوا بباب نبي الله لوط عليه السلام ابتداءً
٣٥٢	- في أمره بالاسراء بأهله ليلاً
٣٥٢	- في معنى قوله (ولا يلتفت) وتوجيه الاستثناء في كل قراءة
٣٥٤	* صفة هلاك ظلامي قوم لوط
٣٥٥	* في خطر جريمة الفاحشة على الفرد والمجتمع
٣٥٧	* في علاج الإسلام لهذه الفاحشة الشنعاء والجريمة النكراء
	الفصل السادس
٣٥٩	**دعوة شعيب عليه السلام**
٣٦٠	* في نسبه عليه السلام
٣٦٠	* في التعريف بقومه
٣٦٢	* عقيدة قوم شعيب
	* **دعوته عليه السلام**
٣٦٣	- الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده
٣٦٣	- النهي عن البخس والتطفيف في الكيل والوزن
٣٦٤	- في الأمر بالإيفاء
٣٦٥	- في النهي عن بخس الناس أشياءهم
٣٦٦	- في أنواع البخس

الصفحة	الموضوع
٣٦٧	- البخس يكون في المحسوسات
٣٦٧	- ويكون في المعنويات
٣٦٧	- من صور البخس المعنوي :
٣٦٧	١ - أن يبخس الناس أقدارهم
٣٦٧	٢ - أن ننال من فضل ذوي الفضل
٣٦٧	٣ - أن نطعن بغير بينة في علم أهل العلم حقداً أو حسداً
٣٦٧	- النهي عن العياث في الأرض فساداً
٣٦٨	- تذكيره عليه السلام قومه بما ينعمون به من خير من ربهم
٣٧٠	- تخويف قومه بالعذاب إن أعرضوا
٣٧١	* الترغيب في الوفاء بوعدهم بما ينالون من حظ في الدنيا والآخرة:
٣٧١	**- في الدنيا ديمومة التجارة والبركة في الأرباح**
٢٧٢	**- وفي الآخرة يوفيهم الله أجورهم لاتباعهم الصالحات**
٣٧٣	- التهديد إن أعرضوا ﴿وما أنا عليهم بحفيظ﴾
	* موقف قومه من نصحه عليه السلام وإرشاده :
٣٧٣	- الاستهزاء بالدعوة
٣٧٤	- الاستهزاء بالدين
٣٧٤	- الاستهزاء بشخصه عليه السلام
	* في موقفه عليه السلام من عناد قومه:
٣٧٥	- إعلانه عليه السلام وضوح دعوته وكونه على بينة من ربه
٣٧٦	- إقامة البرهان على خير ما يدعو إليه
٣٧٧	- إعلانه عليه السلام الالتزام الكامل بما يدعوهم إليه
٣٧٩	- بيانه عليه السلام الهدف من دعوته

الصفحة	الموضوع
٣٧٩	* التهديد بعذاب الاستئصال
٣٨٠	* الترغيب في الأخذ بأسباب الخلاص من العذاب
٣٨١	* في عناد قومه :
٣٨١	- ادعاؤهم عدم فقه كلامه عليه السلام
٣٨٢	- احتقار شخصه عليه السلام
٣٨٢	- تهديده عليه السلام بالرجم
٣٨٣	- وتأكيد احتقاره
٣٨٣	* في موقفه عليه السلام من عناد قومه
٣٨٣	- إنذارهم عاقبة عملهم وكفرهم واعراضهم
٣٨٦	* في إنجاء الله تعالى من آمن واهلاك من كفر
	الفصل السابع
٣٨٨	**دعوة موسى عليه السلام**
٣٨٩	- عرض لدعوته عليه السلام
	*** التعريف بالرسول عليه السلام :**
٣٩١	- نسبه عليه السلام
٣٩١	- اصطفاؤه عليه السلام بالرسالة
٣٩٢	- بدؤه بالوحي
٣٩٤	* التعريف بالمرسل إليه: وهو فرعون
٣٩٦	- عتوه وطغيانه

الصفحة	الموضوع
	* في التعريف بملأ فرعون
	* **بيان دعوة نبي الله موسى عليه السلام وتأييد الله تعالى له بالآيات وتشمل :**
٣٩٧	أ- الآيات القولية
٣٩٧	ب- الأيات الحسية
٣٩٧	- في المراد بالسلطان المبين
٣٩٨	- في بيان الآيات القولية
٣٩٨	- في بيان الآيات الحسية
٤٠٠	* في موقف فرعون من دعوة موسى عليه السلام
٤٠١	- عده الآيات سحراً
٤٠١	- تحريض فرعون ملأ قبطه على مخالفة موسى عليه السلام وموافقة الملأ لفرعون
٤٠٢	- في استعانة فرعون بالسحرة لابطال معجزة موسى عليه السلام
٤٠٢	- في إقامة الحجة على فرعون بإيمان السحرة
٤٠٤	- في إعراض فرعون وتوعده بمن آمن شرا
٤٠٦	* في تحريض الملأ لفرعون على التنكيل بموسى عليه السلام وأتباعه
٤٠٧	* في تتابع آيات العذاب عليهم وموقفهم منها
٤٠٨	* في ذم الله تعالى لفرعون وملئه
٤١٠	* في بيان أوجه انسلاخ الرشد عن فرعون ونفيه عنه
٤١٠	- من جهة كفره وادعائه الألوهية من دون الله تعالى
٤١٠	- من جهة ادعائه الربوبية
٤١١	- من جهة استخفافه بالرسول عليه السلام

الصفحة	الموضوع
٤١١	- من جهة استبداده بأمر الناس
٤١١	- من جهة عاقبته
٤١١	* في تجهيل متبعي فرعون
٤١٢	* في اثبات الرشد لموسى عليه السلام
٤١٣	* في سوء عاقبة فرعون وأتباعه
٤١٣	- في ذم الله تعالى الورد الذي ورده فرعون وقومه
٤١٣	- بيان أن الورد في القرآن يأتي على أربعة أوجه:
٤١٥	* في ذم الله تعالى لفرعون وملئه وترادف اللعنة عليهم